المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية نشر الرسائل الجامعية

أبو زكريا الفراء

ومذهبه في النحو واللغة

تأليف
الدكتور أحمد مكي الأنصاري

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

الجمهورية العربيـــة المتحـــدة

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

ـ ٦٠ ـ

نشر الرسائل الجامعيـــة (٦)

القـــاهرة

١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م

أبو زكريا الفراء

ومذهبه في النحو واللغة

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
أ. علاء الدين شوقى
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

أبو زكريا الفراء

ومذهبه في النحو واللغة

تأليف

الدكتور أحمد مكي الأنصاري

دكتوراه في الآداب بامتياز ، مع مرتبة الشرف الأولى

والتوصية بطبع الرسالة على نفقة الدولة

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية نشر الرسائل الجامعية

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ عبد الحميد حسن العضو بلجنة النشر بالمجلس

هذا الكتاب هو رسالة للدكتوراه كتبها السيد الدكتور أحمد مكى الأنصارى وقدمها إلى كلية الآداب جامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراه . وقد حمدت له لجنة المناقشة جهده وعميق بحثه ومنحته الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة .

وموضوع الرسالة هو « أبو زكريا الفراء » شيخ نحاة الكوفة فى عصره ، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب .

وإن البحوث النحوية واللغوية ، فى دراساتنا الحديثة ، لم تظفر بما تستحق من العناية التامة ولم يقبل كثير من الدارسين على الحرى فى ميدانها ، وذلك لوعورة مسلكها وتشتت مراجعها وضياع طائفة منها أو اختبائها فى ظلام دور الكتب الخاصة والعامة فى أنحاء العالم العربى والغربى ، والأمل عظيم فى أن تنشط العزائم لإخراج هذه الآثار وتحقيقها ودراسة الأفذاذ من علماء اللغة والنحو دراسة عميقة شاملة توضح ما لهم من مناهج فى البحث وتبرز ماوصلوا إليه من مبتكر الآراء . فإنا فى نهضتنا القومية الشاملة وثورتنا الوطنية المباركة فى حاجة إلى النهوض بلغتنا وإلى التجديد والإصلاح فى شتى الدراسات وإلى الاهتمام ، بصفة خاصة ، بدراسة فرعين مهمين وهما الصرف والنحو.

أما الصرف فانه يوضح بنية الكلمة من حيث أصلها واشتقاقها ومدى تفرعها وما لهذا التفرع من أسس وقواعد كان للعلماء فيها مواقف وجدل .

وأما النحو فلم يقف أثره عند ضبط أواخر الكلمات بل شملت بحوثه كثيراً من قواعد نظم الكلام وترتيب أجزائه وتنسيق كلمات الجملة تنسيقاً يحقق الأسلوب السليم فى مرونة وحسن تصرف .

وقد بحث علماء اللغة والنحو فى كل هذا وتركوا لنا ذخراً حافلا تفرق كثير منه فى بطون الكتب ما طبع منها وما لم يطبع . وإن الاتجاه إلى إخراج ذلك وجمعه وتمحيصه وتنظيمه والموازنة بين أصوله وفروعه ، من خير ما يرسم لنا نهجاً واضحاً للإصلاح والتيسير والسمو بلغتنا العربية حتى تساير مطالب نهضتنا فى عصرنا الحديث الحافل بالابتكار والتجديد فى جميع نواحى الفكر وبالانطلاق فى الأجواء الفسيحة والآفاق الحرة .

وإنا لنحمد للدكتور أحمد مكى الأنصارى اختياره للفراء موضوعاً لرسالته ، ونشكر له ما بذل من جهد فى البحث والدرس والتنقيب والتحقيق حتى جاءت هذه الرسالة جديرة بالتقرير الذى ناله من اللجنة التى ناقشها .

وقد اشتملت الرسالة على بابين تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة . والباب الأول تضمن البحث فى عصر الفراء وفى حياته وآثاره ومنهجه فى التأليف ، والباب الثانى اشتمل على مذهبه النحوى واللغوى . وحسناً فعل كاتب الرسالة فى الباب الأول من سلوكه مسلك الإيجاز فى سرد الحقائق التاريخية المستمدة من المراجع والمصادر لأنها — كما قال — ليست مجالا للإبداع ، وهى فى صميمها لاتزيد كثيراً على التخير والانتقاء والاقتباس . على أن كاتب الرسالة لم يشأ أن يلتزم هذا الإيجاز فى جميع المواطن ، فإنا نراه قد جنح إلى الإطالة قليلا فى بعض الموضوعات مثل موضوع « الفراء والأدب » وهو فيما ترى ليس فى هيكل الرسالة . ولعل مرد ذلك أن الفراء كان أبرع الكوفيين فى فنون الأدب إلى جانب النحو واللغة . فأراد الكاتب أن يوفيه حقه . وكذلك حين تعرض للحديث عن الكسائى وهو من شيوخ الفراء ، فقد سرد جزئيات لايتطلب الموضوع الإفاضة فيها .

أما الباب الثانى وهو الخاص بمذهب الفراء النحوى واللغوى فقد وفاه الكاتب حقه وفاء يدل على أنه لم يترك مرجعاً ولامصدراً مما يتصل بالموضوع ويصل إليه علمه إلا ألمّ به واستخلص ما فيه بعد التمحيص والتعمق ووزن

الآراء ونقدها ، وهو إلى جانب هذا يتتبع كتب النحو فيستخرج منها أمثلة يدعم بها ما يريد الاستدلال عليه كما فعل فى إثبات أن الفراء يجنح إلى طريقة البصريين كما يجنح إلى طريقة الكوفيين .

*

وفى الرسالة مواطن جديدة مبتكرة سلك الكاتب فى الوصول إليها طريق الاستقراء والتحقيق ،

(١) فقد كشف أن الفراء كان سباقاً إلى اعتماد الحديث الشريف حجةً فى النحو واللغة .

(٢) ولمس فكرة تستحق النظر وأخذ على الفراء تمسكه بها وهى أنه كان يخطِّئ العرب فى لغتهم « فيحكم على قول العربى بالغلط إذا لم يوافق القواعد التى صنعها بيديه » .

(٣) وأوضح مظاهر استقلال الفراء عن مدرستى البصرة والكوفة ، وأبان « أنه ابتكر وضع الأصول فى النحو ، وأنه فسر الظواهر اللغوية تفسيراً جديداً يستقى فيه روح العربية » .

(٤) وسلك سبيل التحرى فى تمحيص الحقائق ، فقد بحث فى مؤلف كتاب (الأيام والليالى) وناقش من تشككوا فى نسبة هذا الكتاب إلى الفراء وساق الأدلة التى تثبت ماذهب إليه .

(٥) وأثبت أن الفراء كان الرائد الأول فى تيسير النحو.

(٦) وفوق كل هذا جال جولة واسعة النطاق فى الآراء النحوية وأصولها وصلتها بالتذوق اللغوى وبالمنطق والفلسفة وبالمنهج اللغوى السليم .

إلى غير ذلك من المواطن التى بحث فيها الكاتب بحثاً مقروناً بالتعمق والتمحيص .

على أن فى الرسالة مواضع نرى أنه كان الأجدى أن تعالج معالجة رفيقة تجنبها قسوة الحكم الذى أصدره الكاتب على بعض العلماء .

١ — فنى حديثه عن ابن مضاء القرطبى وردّه على النحاة أشار إلى أن الآراء التى جاهر بها ابن مضاء قد اختلسها من الفراء .

٢ — وبشأن كتاب الفصيح لثعلب قال : إنه مسروق من كتاب « البهاء » للفراء .

٣ — وأن ما أشار إليه من تضعيف البصريين لبعض القراءات السبع هو فتح لثغرة من التشكيك فى أساس من الأسس الهامة للقراءات ، وكان الأجدى معالجة الموضوع بطريقة أخرى ، فإن للخلاف فى توجيه القراءات أصولاً ترجع إلى الجانب المعنوى وإلى الأسلوب وتتطلب عمقاً فى التخريج وفى معالجة المسائل من زوايا مختلفة لا تنتهى بالطعن فى التواتر الذى هو من أقوى دعائم القراءات فى القرآن الكريم .

على أن الكاتب قد صحح الموقف بذكر تعقيب البغدادى على طعون الطاعنين ونقل ما لا يزيد على سطر واحد للبغدادى فى خزانة الأدب . غير أن الموضوع يتطلب تمحيصاً أو سع وأعمق .

على أن كل هذه الملاحظات إنما هى وجهات من النظر لا تمس الأساس المتين للرسالة ولو أن الكاتب خفف من قسوة هذه المطاعن لكان خيراً .

وبعد ، فهذه الرسالة تستحق الاعتبار والتقدير ، وأقترح أن يقوم المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بطبعها .

عبد الحميد حسن

٨ من ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ
٨ من أغسطس سنة ١٩٦٢ م

الإشراف والمناقشة

أشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور خليل محمود عساكر – عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة – فرع الخرطوم .

ونوقشت فى يوم الثلاثاء الموافق (١٨ من جمادى الثانية سنة ١٩٨٠ هـ – ٦ من ديسمبر سنة ١٩٦٠ م) أمام اللجنة المكونة من السادة :

الأستاذ الدكتور خليل محمود عساكر – رئيساً .

والأستاذ الدكتور مراد كامل – عضواً – وهو رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة .

والمرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار – عضواً – توفى وهو رئيس المركز الإسلامى بواشنطن عليه رحمة الله ورضوانه .

ونال صاحب الرسالة – من كلية الآداب بجامعة القاهرة – درجة الدكتوراه فى الآداب بتقدير ممتاز . مع مرتبة الشرف الأولى ، والتوصية بطبع الرسالة على نفقة الدولة – تمجيداً وتقديراً .

تقرير لجنة المناقشة

عن رسالة الفراء ومذهبه فى النحو واللغة

بعد دراسة استغرقت عدة سنوات أنفقها السيد أحمد مكى محروس الأنصارى باحثاً ومنقباً عن أبى زكريا الفراء ومنهجه فى النحو واللغة ، استطاع أن يقدم هذه الرسالة التى كانت ثمرة جهاد عنيف بين كاتبها وبين الغموض الذى كان يكتنف الفراء من معظم جوانبه ، والدراسات الخاصة بالنحاة والنحو العربى لا تزال فى بدايتها لصعوبتها ولقلة عدد الذين يستطيعون التوافر عليها والقيام بها ، على حين تقدمت الدراسات الأدبية تقدماً ملحوظاً وسارت فى طريقها شوطاً بعيداً .

وقد أعان مقدمَ الرسالة على اختيار هذا البحث النحوى والهجوم عليه والمضى فيه استعدادٌ أصيل عنده لمثل هذه الدراسات، ومقدرة فائقة عليها ، ثم صبر وثقوبُ فكر ومثابرة وجلد وغرامٌ يوشك أن يكون هياماً .

حقاً لقد أظفرنا هذا البحث بصورة واضحة المعالم عن حياة الفراء، وتحقيق مفصل لطائفة من آثاره العلمية ، وبخاصة تلك التى أتيح لمقدم الرسالة أن يحصل على نسخة خطية منها بعد مجهود شاق وعناء شديد . وكان لهذا التحقيق أثره البين فى نسبة بعض هذه الآثار إلى مؤلفيها الحقيقيين ، ونخص بالذكر كتاب الأيام والليالى الذى أثبت أن مؤلفه الحقيقى هو الفراء ، وذلك بعد تحقيق طويل يشكو كثرة الأدلة والإمعان المفرط فى رد كل شبهة .

أما حديث صاحب الرسالة عن المذهب النحوى للفراء وأنه مؤسس المدرسة البغدادية فى النحو ، فقد كان المعروف إلى الآن بين مؤرخى النحو وعلمائه : أن الفراء لا يزيد على أن يكون من زعماء المدرسة الكوفية ، ولكن صاحب الرسالة بذل جهداً حميداً فى التعريف بالفراء من نواح أخرى كانت

لا تزال مجهولة ، فبيّن أنه من ناحية يعد الزعيم الأكبر للمدرسة الكوفية ، كما كشف من ناحية أخرى عن أنه هو المؤسس الأول للمدرسة البغدادية ، برغم ما قد يبدو فى ذلك من تناقض تكفل صاحب الرسالة بدفعه وتجليته على خير الوجوه .

وألقى صاحب الرسالة ضوءاً مبيناً على حِقْبة غامضة من تاريخ الاصطلاحات النحوية التى كان لها أكبر الأثر فى توجيه النحو وتحديد معالمه وتقرير مسائله فبين أن للفراء فى ذلك القدح المعلى ، وأتى له بطائفة من الاصطلاحات لم تكن معروفة من قبل .

وكان علماء النحو فى العصر الحديث قد كشفوا عن اتجاه من أهم الاتجاهات فى تيسير النحو العربى ، وذلك بالوقوف على كتاب القاضى الأندلسى ابن مضاء القرطبى فى الرد على النحاة ، وكان العلماء على أن ابن مضاء هو مبتكر هذا الاتجاه ، ولكن صاحب الرسالة وضح بالأدلة القاطعة شدة صلة ابن مضاء بالفراء ، بل كان استناده عليه ومتابعته له فى كل ما أتى به من جديد ، فكشف بذلك عن حقيقة علمية هامة لم يسبقه إليها أحد .

وعقد الكاتب بحثاً قيماً فى تخطيط منهج لتيسير النحو العربى على أساس ما اتجه إليه ابن مضاء مستنداً إلى الفراء ، وبين المنبع الأصلى الذى ينبغى الرجوع إليه فى ذلك وهو نحو الفراء ولغته ومداركه العلمية الهادفة إلى التسهيل والتيسير ، وذلك ما يعود بأكبر نفع على توطيد خطواتنا نحو تيسير قواعد اللغة العربية ، وتوحيد مناهج تدريسها فى جميع الأقطار العربية .

ولما كانت معاجم اللغة وأصولها حاشدة بالكثير من آراء الفراء والنصوص اللغوية المنقولة عنه دون رابط يربطها ولا منهج ترتكز عليه ، فقد أسهم صاحب الرسالة بقسط وفير فى تقعيد هذا الشتات اللغوى ، ووضع المبادئ والأسس التى تؤلف بينه ، ووضع بذلك منهجاً لغوياً علمياً دقيقاً ينافس مناهج علماء اللغة فى العصر الحديث .

وقد ناقشت اللجنة صاحب الرسالة فى أهم ما تقدم به من آراء واقترحت اللجنة اعتماداً على الرسالة وعلى موقف صاحبها من الدفاع عن آرائه فيها والتمكّن من جميع مسائلها منحه الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى ، مع التوصية بطبع رسالته على نفقة الجامعة ليعم الانتفاع بها ، وتبلغ ما يعلق عليها من آمال فى تقدم البحث العلمى ، وذلك بعد أن تعهد صاحب الرسالة بتنفيذ توجيهات اللجنة .

مراد كامل　　عبد الحليم النجار　　خليل محمود عساكر

٦ من ديسمبر سنة ١٩٦٠ م

صادق مجلس الكلية على النتيجة بجلسة ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٠ م .

أبو زكريا الفراء

ومذهبه في النحو واللغة

المحتوى

مقـدمة الكتاب : موضوع البحث . أهدافه ، دوافعه ، منهجه ، مصادره .

البـاب الأول : عصر الفراء وحياته وآثاره .

البـاب الثانى : مذهبه فى النحو واللغة .

الخاتمـة : تلخيص معالم البحث ، وبيان الجديد فيه . والمقترحات .

مقدمة الكتاب

مُقَدِّمَة

موضوع البحث ، أهدافه ، دوافعه ، منهجه ، مصادره

(١) موضوع البحث :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق الضاد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فموضوع الرسالة هو (أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة) .

وقد أدت طبيعة البحث إلى أن يكون فى بابين اثنين تسبقهما مقدمة وتقفوهما خاتمة ، مع وضع فهرس تحليلى إلى جانب الفهرس الإجمالى ، فكان بمثابة تلخيص أمين لمحتوى الرسالة .

تحدثت فى الباب الأول عن عصر الفراء ، وحياته وآثاره ، واقتضى ذلك أن يكون الفصل الأول فى الحياة السياسية والعقلية والاجتماعية فى عصر الفراء ، والفصل الثانى عن الفراء حياة وعماتا ، والفصل الثالث عن آثاره : الموجود منها والمفقود ، ثم أتبعت ذلك بحديث ضاف عن منهج الفـراء فى التأليف .

أما الباب الثانى فقد اشتمل على فصلين اثنين : الفصل الأول مذهبه النحوى ، والفصل الثانى مذهبه اللغوى .

أما الخاتمة فقد احتوت تلخيص المعالم الكبرى لنتائج البحث ، وبيان الجديد فيه ، والمقترحات .

(ب) أهداف البحث :

تتمثل أهداف البحث فيما يأتى :

أولا – تجلية شخصية غامضة كان لها خطرها فى الميدان العلمى فى سالف الزمن .

ثانيا – الكشف عن المنهج الذى كان ينتهجه فى الدراسات النحوية واللغوية معا .

ثالثا : إثبات أنه كان رائد التيسير النحوى فى عهده للانتفاع بآرائه التجديدية فيما نهدف إليه من تيسير النحو .

(ج) دوافعه :

لما رأيت عزوف الدارسين فى عصرنا الحاضر عن النحو ورجالاته حفزنى ذلك إلى الخوض فيما تحاماه جمهرة الزملاء ، وربما كان الدافع إلى هذا رغبة صادقة فى سد النقص الذى أراه فى هذه الزاوية ، إسهاما منى بوضع لبنة مع العاملين فى هذا الميدان النحوى ، وقليل ماهم .

وربما كان هناك دافع خفى دفعنى إلى انتحاء ناحية بعيدة عن زحام المتزاحمين عملا بالحكمة التى توصى « بترك المطروق ، وطرق المتروك » .

على أن هناك سببا أخفى من هذا وذاك ، وهو أننى أعشق النحو منذ الصغر ، وتستهوينى مشكلاته وحواشيه مثلما تستهوينى رواية قصصية خلابة ولست أدرى سببا واضحا لهذا الحب الغريب ، غير أننى وجدت نفسى كذلك ، ويبدو أن « فلسفة الحب » ماتزال غامضة برغم مابذله العقل البشرى فى تعليلها وتفسير مناحيها .

(د) منهج البحث :

أما منهج البحث فيه فقد حاولت جاهدا أن أطبق عليه أعلى نموذج لمناهج البحث الحديث . ويتلخص فيما يأتى[1] :

---

(1) سيأتى له بيان أوفى مع التمثيل فى تلخيص البحث .

١ — المنهج التاريخى فى تتبع الفكرة حسب التسلسل الزمنى منذ نشأتها الأولى ، ثم فى أطوارها المتلاحقة عبر القرون ، كلما أمكن ذلك :

٢ — الاعتماد على آثار المترجم له فى استخلاص مذاهبه منها ، وجعل الروايات التاريخية فى المرتبة الثانية بل الثالثة[1] .

٣ — توثيق الآثار بالطريقة المنهجية ، وتتمثل فيما يأتى :

(ا) استخراج الخصائص التفكيرية والتعبيرية من نفس الأثر المراد توثيقه على ضوء ماثبت للمؤلف من هذه الخصائص .

(ب) البحث عن نصوص خارجية أخذت من الكتاب من قبل ، ومقارنتها بما جاء فيه .

(حـ) البحث عن آراء المؤلف ومذاهبه واصطلاحاته المبثوثة فى كتب الفن ، وعرض ماجاء بالأثر عليها إن لم تكن هذه الآراء مجموعة فى أثر ثابت له .

(د) ذكر المراجع التى أشارت إليه منسوبا إلى المترجم له .

(هـ) تحقيق عنوان الكتاب ، فقد تختلف العناوين والأثر واحد .

(و) تحقيق النسخ الباقية منه ، ومقابلة بعضها ببعض إن تعددت ، والبحث عما قد يوثقها من السماعات والإجازات .

٤ — رسم صور واضحة المعالم للشخصية التى تناولها البحث .

(هـ) مصادر البحث :

أما مصادره فكانت عزيزة المنال ، لقيت فى سبيل الحصول على بعض مخطوطاتها عناء كبيرا ، من ذلك كتاب « الفاخر فى الأمثال » وكتاب « المقصور والممدود » وكلاهما ذكره (بروكلمان) على أنه للفراء ، وحدد مكانهما بتركيا ، ولما كنت حريصا كل الحرص على استيفاء مصادر البحث سعيت سعيا حثيثا للحصول على صورة من هاتين المخطوطتين النادرتين ، بل ربما كانتا الوحيدتين فى العالم كله ، فزادنى هذا إصرارا على إصرار ، وطرقت

---

(١) انظر الخاتمة ففيها توضيح ذلك .

كثيرا من الأبواب الرسمية[1] ، وغير الرسمية[2] ، لمعا ونتى فى استيراد صورة من هاتين المخطوطتين على نفقتى الخاصة ، وهب الجميع يكتبون الرسائل الرسمية والشخصية يطلبون فيها من المسئولين وغير المسئولين فى تركيا تحقيق هذا المطلب ولكن – للأسف – لاسميع ولا مجيب ، خضوعا للتوتر السياسى بين دولتهم وبين جمهوريتنا العربية ، وماكان للعلم أن يخضع لمثل هذه التيارات السياسية .

ولم أيئس بل كررت نفس المحاولات فى قطر عربى شقيق، وذلك أننى حينما سافرت إلى ليبيا[3] للعمل بها أحسست أن تركيا تحاول أن تتودد إلى هذا الجزء من الوطن العربى لحاجة فى نفس يعقوب ، فانتهزتها سانحة ، واتصلت بالمسئولين فى الجامعة الليبية ، فرحبوا بتحقيق هذا المطلب العلمى بعد أن أعطيتهم عهدا مكتوبا باستيراده على نفقتى الخاصة[4] ، وكتبوا إلى المسئولين هناك .. وطالت المفاوضات بين الجانبين نتيجة للنظام الرسمى ، دون أن أحصل على طائل .

وخلال هذه الفترة كنت قد تعرفت على تلميذ لنا من أبناء رئيس الوزراء الأسبق، وعلمت مالأسرته من مكانة فى الدولتين ، فاستعنت بهم ، واستعانوا هم بأقربائهم فى استامبول ، فحملوا عنى عبء هذه المطاولات بينهم وبين المسئولين فى تركيا وأخيرا بعد جهد جهيد ظفرت (بميكروفيلم) لهاتين المخطوطتين . . . . .

---

(1) مثل دار الكتب ، وكلية الاداب بجامعة القاهرة ، ومعهد المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية ، وقد بذل مديره آنذاك الدكتور صلاح الدين المنجد مجهودات كثيرة رسمية وغير رسمية .

(2) وهم الأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء ، مثل الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى والدكتور محمد فؤاد سزكين ، والأستاذ خير الدين الزركلى ، والأستاذ عثمان الكعاك من علماء المغرب العربى ، وغيرهم كثير ممن يضيق المقام عن ذكرهم جميعا .

(3) هذا هو الاسم المشهور الآن ، أما فى القديم فكانت تسمى (لوبيا) بالواو – انظر معجم البلدان لياقوت الحموى فى هذه المادة .

(4) كان للأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى ابى ريدة جهد مشكور فى معاونتى عند المسئولين بالجامعة الليبية .

غير أن المفاجأة كانت تنتظرنى حينما اطلعت على كتاب « الفاخر » الذى حدده (بروكلمان) فبعد دراسته أيقنت أنه ليس للفراء كما زعم (بروكلمان) ولكنه أخطأ فضللنى وأجهدنى طويلا كما أجهد المسئولين معى والأصدقاء الشخصيين .

ونعود إلى بقية المصادر ، مثل (المذكر والمؤنث) للفراء ، وهو مطبوع أشبه بالمخطوط لقيت فى سبيل الحصول عليه بعض العناء ، ولكنه دون العناء السابق بكثير ، حين استوردته من « حلب » وكانت نسخة وحيدة بعد نفاد الطبعة منذ أمد غير قصير ، وسيأتى بالتفصيل .

أما كتاب (معانى القرآن) وهو أكبر أثر للفراء فقد ملكت منه صورة للمخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم (٢٤٧٧١ تفسير) ، تلك التى كنت أشير إليها فى هامش الصفحات بكلمة (مصورتى) إيثارا للإيجاز . إلى جانب الجزء الأول المطبوع بدار الكتب المصرية .

أما كتاب (الأيام والليالى) فقد أتحفنى به الأستاذ الأبيارى مطبوعا بعد تحقيقه ، كما تكرم مشكورا فأتحفنى بالأصول المصورة من مخطوطات هذا الكتاب ، إمعانا فى مساعدتى للكشف عن حقيقة نسبة الكتاب إلى الفراء بعد أن تشكك فيها الأستاذ المحقق ، وقد انتهيت فيها إلى مايخالف رأيه ، ووثقت الكتاب أى توثيق كما سيأتى بالتفصيل .

تلك هى المصادر التى وصلت إلينا من آثار الفراء العديدة ، أما سائر آثاره فقد عدت عليها العوادى وعصف بها الدهر .

أما المراجع الأخرى فى هذا البحث فأحسب أننى فى غنى عن التنويه بها، وحسبى وحسبها نظرة عاجلة إلى فهرس المراجع فإنها خير شاهد ناطق[1] بمدى الجهد الذى لقيت فى إخراج هذا البحث إخراجا أرجو أن ينال الرضا والقبول .

---

(1) وبخاصة المخطوطات الكثيرة التى دعا اليها البحث .

هذا وكان حقا علىّ قبل أن أختم هذه الكلمة أن أقضى ديناً واجباً فى عنقى، وهو الشكر الخالص العميق . لأستاذى الكبير الدكتور خليل محمود عساكر — على توجيهاته القيمة ، وآرائه السديدة — تلك التى أضاءت لى معالم الطريق ، وأهابت بى إلى المضى قدما فى المسالك الوعرة الموحشة لهذا البحث الدقيق . حتى ذل منها العصىّ ، ودنا الأبىّ ، واستأنس النافر الشرود .

كل ذلك بفضل مامنحنى أستاذى من غزارة علمه ، وسماحة نفسه ، ورحابة صدره ، وطهارة قلبه ، وما عرف عنه من الأخلاق المثالية الرفيعة . فجزاه الله عن العلم وأهله خير مايجزى به العلماء الأبرار .

وإن أنس لاأنس واجب الوفاء لأستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى أستاذ الجيل فى النحو العربى . فقد كان له الفضل الأول فى توجيهى إلى (الفراء) بالذات ، كما كان له الفضل الأكبر فى رعاية هذا البحث منذ نشأته إلى منتهاه ، فكثيرا ماسهر الليالى ذوات العدد فى مراجعة البحث أولا بأول أيام أن كنا بليبيا الشقيقة ، وكم كان يتمنى أن يقرأه مطبوعاً كما قرأه مخطوطا ولكنها الأيام . . . ! تغمده الله برحمته فى الملأ الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا :

« وبعد » فأرانى عاجزا كل العجز عن إسداء الشكر اللائق لكل من أعاننى فى بحثى هذا من أساتذتى وزملائى والأصدقاء ، والله أسأل أن يتولى مكافأتهم ، وأن يجزيهم عنى خير الجزاء .

المؤلف

الباب الأول

عصر الفراء وحياته وآثاره

الفصل الأول

الحياة السياسية والعقلية والاجتماعية في عصر الفراء

كلمـــة

كنت قد أعددت هذا الفصل إعدادا مطولا مفصلا ، ولما أتممت الرسالة رأيت أنها تميل إلى الضخامة ، فكرهت لها ذلك ، ورأيت أن هذا الفصل هو أولى الفصول بالإيجاز لسببين اثنين :

أولهما : أن الهدف منه إلقاء الأضواء على عصر المترجم له ، وذلك يتأتى بأقل قدر ممكن .

وثانيهما : أن هذا الفصل ليس فيه مجال للإبداع ، إذ أنه — فى العادة — يعتمد على كتب التاريخ فى بيان الحياة العامة آنذاك ، وهى لاتكاد تختلف فى معالمها الكبرى من كتاب إلى كتاب .

لهذا وذاك أعملت القلم فى هذا الفصل حذفاً وتركيزاً حتى جاء فى هذه اللمحات ، مع الوفاء بالغرض المطلوب . وإليك البيان :

الحياة السياسية :

عاش أبو زكريا الفراء فى العصر الذهبى للدولة العباسية[1] ، فعاصر الرشيد ومات فى خلافة المأمون ، ولما كانت دولة بنى العباس قد قامت على

---

(١) فى العصر العباسى الأول — ولد سنة ١٤٤ هـ فى خلافة أبى جعفر المنصور . وتوفى سنة ٢٠٧ هـ فى خلافة المأمون .

أكتاف الفرس على يد أبى مسلم الخراسانى ـ وكانوا فى ظاهر أمرهم موالين للبيت الهاشمى ولكنهم كانوا فى حقيقة أمرهم ينتقمون لأنفسهم من الدولة الأموية التى كانت تحتقر الموالى وتعتز بالعصبية العربية ـ لم يكن من المنتظر أن ينقرض الصراع بين العنصرين ، لهذا كانت الفتن والاضطرابات تنتاب الدولة العباسية من حين إلى حين ،وهى وإن أخذت أحيانا فى مظهرها الخارجى الصراع بين عربى وعربى إلا أنها فى الحقيقة لم تكن إلا صراعاً بين العرب ممثلين تارة فى الأمويين، وتارة فى العلويين من جهة ،وبين الفرس الذين سيطروا على الدولة العباسية من جهة أخرى .

غير أن خلفاء بنى العباس كانوا يفطنون بين الفينة والفينة إلى نزعة السيطرة من جانب الفرس فينقضون عليهم قتلا وبطشاً كما حدث لأبى مسلم الخراسانى نفسه وأبى سلمة الخلال ، ثم جاءت نكبة البرامكة على يد الخليفة الرشيد .

ولايعنينا هنا أن نتعرف موقف المؤرخين ، واختلاف وجهات نظرهم فى هذا القتل السياسى ولاسيما فى نكبة البرامكة ، وكل الذى يعنينا هو تصوير الجو السياسى فى هذه الحقبة من الزمن ، وأنه كان مشحونا بالمكايد ، والمؤامرات والفتن والاضطرابات . برغم التقدم العقلى والاجتماعى كما سنرى فيما بعد .

ولم تكن الحرب بين الأمين والمأمون إلا لونا مقنعاً من الحرب بين العرب والفرس ، فكان العرب وراء الأمين ، بينما كان الفرس وراء المأمون ، وثورة (نصر بن شبث) ضد المأمون خير نموذج ودليل على ذلك [1] .

هذا إلى أن الفرس أنفسهم قد انقضوا على الدولة العباسية فيما بعد ، وحاربوا المأمون وجهاً لوجه ،مثلما كان من «حرب البابكية»[2] بزعامة قائدهم

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى تاريخ الطبرى جـ ١٠ ص ٢٥٨ فما بعدها حوادث سنة ٢٠٥ هـ.

(٢) انظر محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ص ١٩٦

الثائر " بابك الخرمى " ذلك الذى ناهض المأمون وانتصر عليه فى بعض المواقع ، ومات المأمون ولم يستطع أن يقضى على هذه الثورة الجامحة بل خلفها لأخيه المعتصم ، وأوصاه بالحزم والصرامة فى تعقب هؤلاء المارقين والقضاء عليهم . إلى آخر ما هنالك من فتن واضطرابات سياسية .

الحياة العقلية :

أما الحياة العقلية فى هذا العصر فقد بلغت عنفوان أمرها حين فتح العباسيون النوافذ للثقافات العالمية ، بل فتحوا الأبواب على مصاريعها لكل الثقافات الوافدة على الفكر العربى آنذاك ، من فارسية ويونانية وهندية وسريانية إلى غير ذلك من ألوان الثقافات المعاصرة . وكان من نتائج احتكاك الأفكار وامتزاج الثقافات أن نشأت حياة عقلية جديدة لها طابعها الخاص ، ذلك الذى يمتاز بامتصاص الثقافات الأجنبية وإضافتها إلى عنصر الفكر العربى الأصيل . ومن هنا تميزت الحياة العقلية فى هذا العصر عنها فى سابقه حيث كان العصر الأموى أشبه ما يكون بامتداد للعصر الإسلامى ، من حيث اقتصاره على الثقافة العربية الإسلامية البحتة إذا استثنينا أواخر العهد [1] .

أما فى العصر العباسى ، وبخاصة عصر المأمون (وهو عصر الفراء) فقد ارتقى فيه التأليف واتسع بفضل اتساع الثقافات وتعدد مناحيها . أما الترجمة فكان لها شأن أى شأن ، وحسبك منها ما كان من (حنين بن اسحاق) حينما كان « يأخذ من المأمون ذهباً بوزن كل كتاب ينجز ترجمته »[2] .

الحياة الاجتماعية :

أما الحياة الاجتماعية فقد اصطبغت فى معظم حواشيها بالصبغة الأجنبية وكان أبرزها الصبغة الفارسية بما فيها من ترف وسرف[3] وزينة ومباهج ، واستمتاع بالحياة على النحو الذى كان ينتحيه أبناء الفرس .

---

(١) انظر كتاب أوراق البردى العربية جـ ١ ص ٢٨ فما بعدها .

(٢) تاريخ العرب العام للمستشرق سيديو ص ٤٤٣ ط الحلبى وانظر الأعلام للزركلى ٣٢٥/٢ ـ الطبعة الثانية .

(٣) يقول الفخرى ص ٢٠٧ : بلغت نفقة المأمون فى اليوم ستة آلاف دينار كان ينفق منها مبلغا كبيرا على مطابخه .

وأعانهم على ذلك ما صاحب هذا العصر من الثراء والرخاء بوجه عام نتيجة الفتوحات التى اتسعت بها رقعة البلاد ، حتى إن الخليفة الرشيد حينما رأى يوماً سحابة تتجه بعيداً عن سواد العراق قال لها : أمطرى حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا .

كما أن الحياة الاجتماعية من حيث الزواج والمصاهرة قد تغيرت تقاليدهما عن ذى قبل ، فتلاشت تلك النعرة الجاهلية التى كانت تدعو إلى الترفع عن مصاهرة غير العرب مهما بلغوا من أصالة ومجد ، لكن العصر العباسى حطم الحواجز والحدود فامتزج الدم العربى بالدم الفارسى وغيره من العناصر الأخرى .

أما الناحية الخلقية فكانت مزيجا من الفساد والصلاح كما كانت مزيجا من الهدى والضلال ، فتجد إلى جانب الإلحاد والزندقة المسرفة زهادة مسرفة كذلك ، كما تجد الورع النادر[1] إلى جانب المجون الفاجر مثلما كان من أبى نواس وأستاذه والبة بن الحباب .

فى هذه البيئات ، وفى ذلك العصر ، ولد ومات أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء ، وسنرى فى الفصل التالى مدى تأثره وتأثيره فى هذه الأجواء :

---

(1) مثلما كان من الصوفى الزاهد المشهور ابراهيم بن ادهم (ت ١٦١ هـ) ورابعة العدوية (ت ١٨٥ هـ) ، ومعروف الكرخى (ت ٢٠٠ هـ) وغيرهم من الزاهدين الورعين .

الفصل الثانى

الفَرّاءُ حياة ومماتًا

نسبه :

هو « أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمى المعروف بالفراء الديلمى الكوفى مولى بنى أسد وقيل مولى بنى منقر[1] » .

تلك هى رواية المؤرخ المحقق ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ — ١٢٨٢ م) اخترتها من بين الروايات التى بلغت ثلاثاً وثلاثين أو تزيد ، وهى فى كثرتها الكاثرة نراها تأتلف حينا وتختلف أحياناً، فتارة تقف عند الجد الأول لا تريم، وأخرى تبلغ الثالث من الأجداد ، وهى بين هذه وتلك تضطرب اضطراباً شديدا ، ولا تكاد تستقر على حال حتى تفجأ نا باختلاف يسير أو كثير فى صيغ الأسماء . أو فى عروبتها وعجمتها . إلى آخر ما هنالك من خلاف .

والآن — بعد هذا الإيجاز — آن لنا أن ندلف إلى بيان الروايات حسب الترتيب الزمنى :

أولا — اضطراب الروايات فى زاوية الأسماء وما يتعلق بها من الكنى والألقاب :

(١) فأبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ)[2]—ولعله أقرب المؤرخين إلى عصر الفراء — لا يذكر إلا الكنية واللقب ، ويأتى باسم الفراء واسم والده

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٠١ ط بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) بغية الوعاة للسيوطى ص ٣١٧ ط السعادة .

فقط ، فيقول فى مراتب النحويين : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء[1] وسلك مسلكه الأزهرى[2] (ت ٣٦٨ هـ) ، وابن النديم[3] (ت ٣٨٥ هـ) وابن الأنبارى[4] (ت ٥٧٧ هـ) .

ويماثله مسلك الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) غير أنه أسقط الكنية[5] ،وتابعه فى ذلك اليافعى[6] (ت ٧٦٨ هـ) وابن العماد الحنبلى[7] (ت ١٠٨٩ هـ) .

وحذاحذوهؤلاء من المحدثين المرحوم أحمد أمين[8] ، والعاملى[9] والمخزومى[10] (٢) كل أولئك وقفوا عند الحلقة الأولى فى سلسة النسب فلم يذكروا الجد الأول للفراء على حين نرى الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) وهو قريب عهد بأبى الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) يطفر طفرة تقف به عند الجد الثالث فيقول: « أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبدالله بن منصور الديلمى الفراء[11] »

صرح بالجد الأول وهو « عبدالله » ، وثنى بالجد الثانى وهو « منصور » ولكنه لم يصرح بالجد الثالث وتبعه فى ذلك ابن الجزرى[12] (ت ٨٣٣ هـ) وابن قاضى شهبة فى طبقاته[13] .

---

(١) ص ٨٦ ط نهضة مصر ، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم .
(٢) تهذيب اللغة ٨/١ مخطوطة دار الكتب رقم (٩) لغة .
(٣) الفهرست ص ٦٦ ط ليبسك .
(٤) نزهة الالباء فى طبقات الأدباء ص ١٢٦ ط سنة ١٢٩٤ هـ .
(٥) تذكرة الحفاظ مجلد (١) حـ ١ ص ٣٤١ ط حيدر آباد .
(٦) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣٨/٢ الطبعة الأولى .
(٧) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٩/٢ حوادث سنة ٢٠٧ هـ نشر القدسى ط سنة ١٣٥٠ هـ .
(٨) ضحى الاسلام ٣٠٧/٢ ط (٢) سنة ١٩٣٨ م .
(٩) أعيان الشيعة ٣٥١/١ ـ الطبعة الاولى بدمشق سنة ١٩٣٥ م
(١٠) مدرسة الكوفة ص ١٤٤ ـ الطبعة الأولى .
(١١) طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٣ ـ الطبعة الأولى تحقيق أبى الفضل ابراهيم
(١٢) غاية النهاية فى طبقات القراء تحقيق برجشتراسر ٣٧١/٢ ـ الطبعة الاولى .
(١٣) طبقات النحاة واللغويين ٢٨٥/٢ مخطوطة دار الكتب رقم (٢١٤٦) تاريخ تيمور .

أما الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) فقد رأيناه لأول مرة يجعل الجد الثانى للفراء «منظورا» بالظاء بدل «منصور» بالصاد[١] وتبعه فى ذلك كثيرون كما سيأتى بالتفصيل .

(٣) أما المجموعة الثالثة من الروايات النسبية فقد نقلتنا نقلة جديدة حين صرحت باسم الجد الثالث (مروان) ، كما أفادتنا جديدا حين نسبت الفراء إلى (أسلم) لأول مرة فى سلسلة التراجم -فيما أعلم- فقال ياقوت (ت ٦٢٦ هـ)

هو « يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمى الديامى الكوفى مولى بنى أسد المعروف بالفراء أبو زكرياء » .[٢]

ثم جاء السيوطى بعده بنحو ثلاثة قرون (ت ٩١١ هـ) فاقتفى أثره فى ذكر (مروان)[٣] غير أنه أسقط الجد الثانى للفراء وهو (منظور) .

ولعله لم يعمد إلى الإسقاط . وإنما جنح إلى الإيجاز فى سلسلة النسب كما يحدث فى كثير من الأحيان قديماً وحديثاً .

وبعد نصف قرن من الزمان تقريباً نقل صاحب مفتاح السعادة (طاش كبرى زاده) (ت ٩٦٢ هـ) ترجمة الفراء من البغية بالنص ، ففعل كما فعل سلفه من إثبات (مروان) وإسقاط (منظور)[٤] .

(٤) هذا إلى أن هناك رواية فريدة تعد بمثابة المجموعة الرابعة للروايات النسبية عثرنا عليها فى إنباه الرواة ذكرها القفطى عرضاً فى ثنايا الحديث ، وهى تختلف كثيرا عن الروايات المألوفة المتداولة بين المترجمين ، كما أنها تختلف عن الرواية التى أوردها القفطى نفسه فى صدر ترجمة الفراء[٥] كما سبق به البيان ، وقد أسندها

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/١٤٩ ط السعادة .

(٢) معجم الأدباء ٢٠/٩ ط دار المأمون .

(٣) بغية الوعاة ص ٤١١ ط السعادة .

(٤) ١/ ١١٤ ـ الطبعة الأولى .

(٥) انظر انباه الرواة ٢ قسم ٣ ص ٣٠٧ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

إلى ابن النديم حيث قال : « وذكر محمد بن إسحق النديم فى كتابه.....يحيى ابن زياد بن فرّا يُحَبّ بن داود بن كوذيار[1] » .

وربما كانت أهميتها متركزة فى ذكر جد أعجمى لفظا وموضوعاً هو « كوذيار » كما أنها أتحفتنا باسم جد لم نعثر عليه فيما سبق من الروايات المتضافرة أو المتنافرة وهو « داود » .

على أن لها أهمية أخرى وهى مساندة رواية الفهرست التى تفردت بذكر (فَرَّايُحَب) على أنه الجد الأول لأبى زكرياء كما سيأتى به التفصيل فى لقب الفراء .

ومما يلفت النظر فى هذه الرواية أنها منسوبة إلى ابن النديم وحين رجعت إلى ما كتب ابن النديم فى الفهرست لم أجد فيه شيئاً من ذلك — إذا استثنينا كلمة (فَرَّايُحَب)—لافى الطبعةالعربية[2]،ولا فى الطبعة الأوروبية[3]،فمن أين أتى بها القفطى ؟ .

لعله اطلع عليها فى نسخة أخرى غير التى وصلت إلينا، أو لعل ابن النديم ذكرها فى أثر آخر من آثاره التى طواها الزمن فيما طوى من ذخائر .

*

هذه زاوية من زوايا اضطراب الروايات فى نسب الفراء تمخضت عن تقسيمها ابتداء إلى مجموعات أربع ، بعد أن انتهجنا فيها المنهج التاريخى وسنتناول بقية الزوايا بالمقارنة والتحليل بعد أن نفرغ من متعلقات هذه الزاوية التى تتصل بأسماء الآباء. .ولنبدأ بتحقيق اسم من هذه الأسماء .

---

(١) انظر انباه الرواة ج ٢ قسم ٣ ص ٣١١ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية.

(٢) ص ٩٨

(٣) ص ٦٦

أمنصور أم منظور ؟

جاء فى سلسلة النسب — كما رأينا — تارة لفظ « منصور » بالصاد وأخرى لفظ « منظور » بالظاء ، وذلك فى الجد الثانى للفراء ، فأيهما الصحيح ؟

لعل أول من تعرض لهذا الجد — فيما نعلم بعد البحث والاستقصاء قدر الطوق — هو أبو بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) حيث قال : « ..... عبدالله ابن منصور »[١]

ثم جاء الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) وبينه وبين الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) نحو قرن من الزمان فقال : « .... عبد الله بن منظور »[٢] .

ولسنا ندرى على وجه التحقيق أيهما الصحيح ؟ أرواية منصور بالصاد أم منظور بالظاء ؟ لأن كلا المؤرخين أهمل الضبط بالحروف ، ومن الجائز أن تكون يد الناسخ لعبت دورها فى تبديل الحرف من الصاد إلى الظاء أو العكس ، غير أن الروايات الأخرى تكاد تجمع على « لفظ منظور » بالظاء ، فمن ذلك رواية السمعانى[٣] (ت ٥٦٢ هـ) وابن الجوزى[٤] (ت ٥٩٧ هـ) .

وربما يقال : إن رواية السمعانى جاءت فى كتابه المطبوع بالطبع الحجرى وفيه كثير من التحريف والتصحيف ، وإن ابن الجوزى لا يعتمد عليه فهو كثير التخليط كما يقول عنه ياقوت[٥] .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٢ — الطبعة الاولى .

(٢) تاريخ بغداد ١٤/١٤٩ ط السعادة .

(٣) الانساب ص ٤٢٠ ط ليدن سنة ١٩١٢ م .

(٤) المنتظم فى تاريخ الملوك والامم حـ (٥) قسم (١) ورقة (٤٦) مخطوط بدار الكتب رقم (١٢٩٦) تاريخ .

(٥) معجم الادباء حـ ١٧ ص ١٣ ط دار المأمون .

كل هذا جائز ، ولكن ما بالك إذا رأيت ياقوتاً نفسه يرويها بالظاء فى معجم الأدباء[1] ؟ ويتابعه فى ذلك صاحب إنباه الرواة[2]، وابن مكتوم فى التلخيص[3] (ت ٧٤٩ هـ) والعسقلانى فى التهذيب[4] (ت ٨٥٢ هـ).

*

كل هذا فى القديم من الزمان . أما فى العصر الحديث فنرى دائرة المعارف تنحو هذا النحو[5]. وكذلك بروكلمان[6]، وصاحب الأعلام[7]، ومحقق معانى القرآن[8].

أما رواية « منصور » بالصاد فقد رأيناها — بعد الزبيدى — فى طبقات ابن الجزرى[9] (ت ٨٣٣ هـ) . ويبدو أن الأستاذ برجشترا سر ناشر الطبقات قد ارتضى رواية الصاد فلم يعلق عليها بتأييد أو تفنيد ، كما رأيناها فى طبقات ابن قاضى شهبة أيضاً[10].

وإلى هنا تكاد تكون الروايتان بمنزلة سواء ، فكلتاهما تصلح للتسمية ، وكلتاهما وردت بها الروايات ، وإن كانت رواية « منظور » أكثر وروداً إلا أن الكثرة ليست دليلا مرجحاً فى كثير من الأحايين ، وذلك لاقتفاء الخالف أثر السالف دون تمحيص .

---

(١) معجم الادباء حـ ٢٠ ص ٩ ط دار المأمون .

(٢) حـ (٢) قسم (٣) ص ٣٠٧ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٣) تلخيص ابن مكتوم ورقة (٢٧٠) مخطوطة دار الكتب رقم (٢٠٦٩) تاريخ تيمور .

(٤) تهذيب التهذيب ٢١٢/١١ ط حيدر اباد .

(٥) دائرة معارف القرن العشرين تأليف محمد فريد وجدى ١٣٩/٧ الطبعة الثانية .

(٦) تاريخ الادب العربى ـ انظر (ترجمة الفراء) .

(٧) انظر الطبعة الاولى من الاعلام لخير الدين الزركلى ١١٤٧/٣ — او الطبعة الثانية ١٧٨/٩

(٨) مقدمة معانى القرآن للفراء ٨/١ ط دار الكتب .

(٩) غاية النهاية فى طبقات القراء تحقيق برجشتراسر ٣٧١/٢ ـ الطبعة الاولى .

(١٠) طبقات النحاة واللغويين ٢٨٥/٢ مخطوطة دار الكتب رقم (٢١٤٦) تاريخ تيمور .

غير أن شيخ المحققين ابن خلكان عز عليه أن يتركنا فى متاهة ، فتصدى للضبط – كعادته – ووضع النقط فوق الحروف ، فقطع الشك باليقين حيث قال : « ومنظور بفتح الميم وسكون النون وضم الظاء المعجمة وسكون الواو ، وبعدها راء »[1].

ولست أدرى أكان المستشرق المحقق برجشترا سر قد اطلع على هذا الضبط وارتضى غيره أم لم يطلع عليه كما يبدو من جو تعليقاته وخلوها من الإشارة إلى ذلك ؟

وأيًا ما كان الأمر فإنى أرتضى رواية ابن خلكان ،حيث تضافرت عليها أكثر الروايات ، وحيث تصدى – دون غيره – للضبط الذى لا يدع مجالا للشك كما أن واقع الحياة لا يمانع من التسمية بمنظور كما يسمى بمنصور .

ولعل هذا يلقى ضوءاً على سبب اختيارى رواية ابن خلكان فى مطلع هذا الفصل ، واتخاذها أساساً تدور حولها سائر الروايات .

أيهما الأقطع والد الفراء أم جده ؟ :

المرزبانى (ت ٣٧٨ هـ)[2] يرى أن والد الفراء هو الأقطع ، وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) يستبعد هذا ، ويرجح أن جد الفراء هو الأقطع ، فأيهما الصحيح ؟ وما منشأ هذا الخلاف ؟ وما المراد بالأقطع ؟ وفى أى موقعة حدث هذا ؟ ، وفى أى زمان ومكان كان ذلك ؟

سنعالج هذه الأسئلة بعرض نصين تبرز فيهما المشكلة من ناحية ، ويلقيان ضوءاً على بعض الجوانب من ناحية أخرى ، وإليك النصين :

(١) « ذكر أبو عبيدالله المرزبانى فى كتابه أن زياداً والد الفراء كان

---

(١) وفيات الاعيان ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(٢) الفهرست ص ١٩٠ ط الرحمانية .

أقطع لأنه حضر وقعة الحسين بن على رضى الله عنهما فقطعت يده فى ذلك[1] الحرب » .

هذا نص أورده ابن خلكان نقلا عن كتاب المرزبانى ثم عقب عليه فقال :

(ب) « وهذا عندى فيه نظر ، لأن الفراء عاش ثلاثاً وستين سنة فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة ، وحرب الحسين كانت سنة إحدى وستين للهجرة ، فبين حرب الحسين وولادة الفراء أربع وثمانون سنة ، فكم قد عاش أبوه ؟ فإن كان الأقطع جده فيمكن ، والله أعلم[2] »

تلك نظرة دقيقة واعية من صاحب الوفيات ، فلم يشأ له ذهنه المتوقد أن يقبل ما يقوله المؤرخون دون تمحيص ، ولكنه نظر إليه نظرة الناقد الحصيف ، فرأى فارق السن كبيراً — وهو وإن لم يكن من المستحيل عادة أن يعيش إنسان وينجب فى مثل هذه السن إلا أنه من المستبعد — وهذا هو ما حدا ابن خلكان أن يقول ما قال .

على حين نرى السيوطى ينقل الخبر دون أن يتنبه إلى فارق السن ، ومن ثم لم يعقب عليه بشىء[3] ، ومثله فعل صاحب مفتاح السعادة[4] وكذلك العاملى فى أعيان الشيعة[5] .

وظلت الروايات تترى على هذا النمط التقليدى عند كثير من المؤرخين فى القديم والحديث ، غير أن بعض المحدثين أعجب برأى ابن خلكان فارتآه

---

(1) رواية القفطى فى أنباه الرواة بالتأنيث « فى تلك المحرب » حـ ٢ قسم ٣ ص ٣١٢ مصورة دار الكتب رقم ٥٥٥٨٨ عمومية . وكلاهما ورد فى اللغة فهى مؤنثة وقد تذكر انظر القاموس المحيط وانظر كتاب المذكر والمؤنث للفراء ص ٩٩ — الطبعة الأولى بحلب تحقيق مصطفى الزرقا .

(2) وفيات الأعيان ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(3) انظر البغية ص ٤١١ — الطبعة الأولى .

(4) ١٤٤/١ — الطبعة الأولى .

(5) ٣٥١/١ — ط دمشق .

وتبناه ، مثلما فعل محقق كتاب مفتاح السعادة[1] ، وقريب من هذا موقف محقق كتاب معاني القرآن للفراء حينما وقفا أمام هذه المشكلة موقف العارض لا الناقد ، فذكرا رواية المؤرخين القدامى وعقبا عليها بمقولة ابن خلكان[2] .

ومن هنا يتبين لنا أن تشكيك ابن خلكان وجد له صدى في نفوس المحققين ، ولكن هل كان على حق هو ومن دار في فلكه أو أن الحق في جانب المرزباني ؟

ذلك هو السؤال الذي لا يزال يبدو حائراً في الأفق ، وقبل أن نبدأ الإجابة نعود فنؤكد أننا لا ننكر على ابن خلكان دقة نظره في هذه اللمحة ، وأنها كانت لفتة ذكية حقاً ، بهرت أنظار بعض المحققين .

ولعل منشأ هذا الخلاف يعود — في نظري — إلى اقتضاب الروايات ، والوقوف ببعضها عند قولهم عن زياد : «كان أقطع لأنه حضر وقعة الحسين بن علي . . .» . كما رأينا في رواية المرزباني ، والسيوطي ، وصاحب مفتاح السعـــادة .

ومن هنا توهم ابن خلكان أن الحسين بن علي هذا هو الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأن الحرب التي شهدها زياد هي التي كانت سنة حدى وستين ، لذلك استبعد اشتراكه فيها لبعد ما بينهما من فارق السنين ، ورجح أن الأقطع هو الجد لا الوالد .

ولكن البحث التاريخي يثبت غير ذلك ، فلا الحسين هو الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولا الحرب هي حرب إحدى وستين ، وإنما المقصود بالحسين هو أحد أحفاد الحسن بن علي كرم الله وجهه ، كما أن الحرب التي شهدها

---

(١) انظر هامش مفتاح السعادة ١/٤٤ الطبعة الاولى .

(٢) انظر مقدمة المعاني للأستاذين الجليلين الشيخ محمد النجار واحمد نجاتي حـ ١ ص ٧ ط دار الكتب .

زياد مع هذا الحسين كانت سنة ١٦٩ هـ فى خلافة موسى الهادى[١]، وأن الموقعة التى قطعت فيها يده تسمى موقعة « فخ »[٢]، وهو« موضع عن يسار الخارج من مكة للعمرة أقرب إلى مكة من أدنى الحل»[٣] ،وأن زياداً قطعت يده « فى اليوم الثامن من ذى الحجة سنة ١٦٩ هـ[٤]، وإليك نص الطبرى (ت ٣١٠ هـ) : ومما كان فيها (أى فى سنة ١٦٩ هـ) خروج الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب المقتول بفخ»[٥]ـ ولما كان تكرار الحسن ثلاث مرات يوهم أنه غير مقصود، نص على التثليث صاحب الذريعة فقال : « إن والده زياداً خرج مع الحسين بن على بن الحسن المثلث فى واقعة فخ سنة ١٦٩ هـ »[٦] .

بل ربما كان مما دفعه إلى النص على هذا التثليث مارآه من اقتصار بعض المؤرخين على ذكر الحسن مرة واحدة فقط كما فعل صاحب الأعلام مثلا[٧]، أو مرتين اثنتين كما فعل ابن العماد الحنبلى فى الشذرات[٨] .

ومما سبق يتضح لنا أيضاً أن هذا الحسين من سلالة الحسن لا من سلالة الحسين ، فلم يكن من أحفاده فضلا عن أن يكون إياه ـ كما توهم ابن خلكان ـ فهما بعيدان كل البعد ، غير أنهما يلتقيان معاً فى الدوحة المباركة.

---

(١) الأعلام ١٧٨/٩ ـ الطبعة الثانية ـ وتاريخ الاسلام السياسى حـ ٣ ص ١٩٥ ـ الطبعة الثالثة .

(٢) تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ٥٥١/١١

(٣) الذريعة الى تصانيف الشريعة ٣٩/١ ط الغرى بالنجف .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) تاريخ الطبرى ٥٥١/١١

(٦) ٣٩/١ ط الغرى بالنجف .

(٧) ١٧٨/٩ ـ الطبعة الثانية .

(٨) ٢٦٩/١ حوادث سنة ١٦٩ هـ ، مطبعة الصدق الخيرية ـ نشر القدسى ـ سنة ١٣٥٠ هـ .

لقبـــه :

صاحبنا أبو زكرياء يلقب بالفراء ، وغيره كثير يلقب بهذا اللقب أوبابن الفراء[1] ،وقديماً التبس على بعض الباحثين المختصين فخلطوا بين فراء وفراء،

قال أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) :

« ولقد بلغنى عن بعض من يختص بهذا العلم ويرويه ويزعم أنه يتقنه ويدريه أنه أسند شيئاً فقال عن الفراء عن المازنى ، فظن أن الفراء الذى هو بإزاء الأخفش كان يروى عن المازنى »[2] .

وممن اشتهر بهذا اللقب أبو أحمد محمد بن أبى خالد بن يزيد بن صالح الفراء[3] (ت٢٠٦هـ)،وأبو القاسم نوح بن صالح الفراء(ت٢٢٩هـ)[4] ، وأبو أيوب سليمان بن زياد الفراء (ت ٢٥٠ هـ)[5] ،وهبة الله بن محمد بن حبش الفراء[6] والحسين بن محمد الكاتب الفراء[7] ، وسالم الفراء[8] ، ويحيى بن عمر الفراء (ت٣٠٩ هـ)[9] وأبو سهل إبراهيم بن أحمد بن على...الفراء[10] ،ومحمد بن يوسف ابن يعقوب أبو عيسى الفراء[11] ،أما من اشتهروا بابن الفراء فهم كثير وكثير

---

(١) انظر الأنساب للسمعانى ورقة ٤١٩ وما بعدها ط ليدن سنة ١٩١٢ م .

(٢) مراتب النحويين ص ٥ تحقيق أبى الفضل ، والمزهر ٢٤٥/٢ ط السعادة .

(٣) الأنساب للسمعانى ظهر ورقة ٤١٩ ط ليدن سنة ١٩١٢ م .

(٤) نفس المصدر ، وتاج العروس حـ ١٠ مادة (فرا) بالالف .

(٥) نفس المصدر .

(٦) تاريخ بغداد ١٩٥/٩ ط السعادة .

(٧) مقدمة رسل الملوك لابن الفراء ص (ط) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ م .

(٨) التاريخ الكبير للحافظ ابى عبد الله النجارى ٣٧٢/٢ ـ مخطوط بدار الكتب رقم ٥٣١٥ تاريخ .

(٩) الأنساب للسمعانى ورقة ٤١٩ ط ليدن سنة ١٩١٢ م .

(١٠) نفس المصدر .

(١١) تاريخ بغداد ٤٠٦/٣ ط السعادة .

أيضاً ، ذكر بعضا منهم صاحب الأنساب فى مواطن متفرقة[1] ، نلتقطها فيما يأتى :

« أبو الوليد الحسين بن محمد الكاتب الأندلسى القرطبى يعرف بابن الفرا ... وأبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد بن الفراء ت ٤٥٨ هـ .. » « أبو حازم محمد بن الحسين بن الفواء ت ٤٣٠ هـ .. ، وابن أخى يعلى أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء » .

ومما جاء فى مقدمة رسل الملوك[2] ، ولم يرد فى أنساب السمعانى « أبو على الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء .... والحسين بن محمد بن خلف أبو عبد الله بن الفراء (ت ٣٩٠ هـ) ... والحسين بن مسعود البغوى المعروف بابن الفراء (ت ٥١٦ هـ)[3] .

وغير هؤلاء وأولئك كثير ممن وردت أسماؤهم فى غير هذا وذاك[4] ، نجتزئ منهم بأشهرهم « محمد بن عبدالله بن الفراء ، قرأ عليه القاضى عياض كتاب الكامل للمبرد ، ومات فى المائة السادسة الهجرية[5] ..

ويبدو أن صاحبنا كان أعظمهم قدرا ، وأخلدهم ذكرا ، فسلم له هذا اللقب فى أخريات الزمان ، ولم ينازعه فيه متازع ، حتى إن أحدا لا يكاد ينصرف ذهنه إلى غيره عند إطلاق لقب « الفراء » ، وإن كان معظم المتخصصين لا يعرفون عنه الشىء الكثير ، بل إن بعض الباحثين يصف شخصيته بالغموض[6] .

---

(١) انظر ورقة ٤١٩ وما بعدها ط ليدن سنة ١٩١٢ م .

(٢) انظر مقدمة رسل الملوك لابن الفراء ص (ط) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ط دار الكتب .

(٣) صاحب اكتفاء القنوع حدد وفاته بسنة ٥١٠ هـ = ١١١٦ م انظر ص ١١٦ ط الهلال بالفجالة سنة ١٨٩٦

(٤) انظر مثلا تاج العروس حـ ١٠ مادة (فرا) بالألف .

(٥) انظر بغية الوعاة للسيوطى ص ٦٣ الطبعة الأولى .

(٦) انظر ص ١٠٦ من (بحث فى النزاع العلمى بين البصرة والكوفة) مخطوط بكلية آداب القاهرة رقم (٩١٠١) نحو .

سبب هذا اللقب :

قد يتبادر إلى الذهن أن صاحبنا أبا زكرياء كان يخيط الفراء أو يبيعها ، ولهذا لقب بالفراء كما لقب غيره ، حتى إن صاحب الأنساب حينما عقد فصلا لمن لقب بهذا اللقب قال فى مطلعه : « الفراء بفتح الفاء وتشديد الراء المفتوحة هذه النسبة إلى خياطة الفرو وبيعه[1] » وذكر فيمن ذكر صاحبنا يحيى بن زياد غير أن بعض المؤرخين نفى عنه هذا فقال « ماعرف ببيع الفراء ولا شرائها قط »[2] .

وتوسع بعض المحققين فنفى هذا عنه وعن آبائه كذلك فقال : « ولم يكن صاحبنا ولا أحد من آبائه فى شىء من هذا »[3] .

وإذا لم يكن هذا سبب التلقيب فما سببه إذن ؟ لقد أفصح عنه صاحب الأضداد حين قال :

« وبعض أصحابنا يقول : إنما سمى الفراء فراء لأنه كان يحسن نظم المسائل ، فشبه بالخارز الذى يخرز الأديم ، وما عرف ببيع الفراء ولا شرائها قط ، وقال بعضهم : سمى فراء لقطعه الخصوم بالمسائل التى يعنت بها ، من قولهم : قد فرى إذا قطع ، قال زهير :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

« معناه تخرز ما قدرت ، والخلق التقدير[4] » ، وقال شارح القاموس : « معناه تنفذ ما تعزم عليه وتقدره »[5] .

---

(1) الأنساب للسمعانى ظهر ورقة ٤١٩ ط ليدن .

(2) الاضداد لابن الانبارى ص ١٣ ط الحسينية سنة ١٣٢٥ هـ

(3) مقدمة معانى القرآن للفراء ص ٧ دار الكتب بقلم الاستاذين محمد على النجار واحمد نجاتى .

(4) الاضداد لابن الانبارى ص ١٣ ط الحسينية سنة ١٣٢٥ هـ

(5) انظر تاج العروس حـ ١٠ مادة (فرى) بالياء .

تلك هى وجهات النظر فى سبب التلقيب ، وقد آن لنا أن نقف منها موقف الحذر والتحقيق وأسلم طريق لذلك هو النهج التاريخى ، فلننظر إلى هذا السبب نظرة تاريخية حسب التسلسل الزمنى :

حين نبحث فى كتب التراجم لا نكاد نجد أحدا من الرعيل الأول يتعرض لسبب التلقيب — إذا استثنينا أبا بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) — من أمثال أبى الطيب اللغوى المتوفى سنة ٣٥١ هـ ، والأزهرى ت ٣٦٨ هـ والزبيدى ت ٣٧٩ هـ ، وابن النديم ت ٣٨٥ هـ ، والخطيب البغدادى ت ٤٦٣ هـ ....الخ ..وهكذا جرى الصمت المطبق بين المؤرخين الأوائل فيما عدا ابن الأنبارى ، وكلهم قريب عهد — نسبياً — بالفراء ، حتى إذا ما كان القرن السادس الهجرى طلع علينا السمعانى ت ٥٦٢ هـ يروى فى كتاب الأنساب سبب ذلك التلقيب عن أبى الفضل الفلكى فى كتاب الألقاب ، حيث قال : « ولقب بالفراء لأنه كان يفرى الكلام[١] »

وتبعه فى ذلك كثيرون منهم ابن خلكان ت ٦٨١ هـ وقد عزاه إلى رواية السمعانى عن كتاب الألقاب[٢] ومنهم فعل اليافعى ت ٧٦٨ هـ فى مرآة الجنان[٣] وابن قاضى شهبة فى الطبقات[٤] .

أما رواية السيوطى فى البغية فقد جاءت عارية من الإسناد[٥] ومثلها رواية ابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ)[٦] ورواية صاحب الأعلام[٧] .

وعلى هذا النمط توالى المؤرخون والباحثون من قدامى ومحدثين ، وكان آخرهم محققا كتاب معانى القرآن ، كما سبق به البيان .

---

(١) ص ٤٢٠ ط ليدن .
(٢) وفيات الأعيان ٣٠٣/٢ ط بولاق .
(٣) ٤١/٢ ط حيدر اباد .
(٤) ٢٨٥/٢ مخطوطة دار الكتب رقم ٢١٤٦ تاريخ تيمور .
(٥) ص ٤١٢ ـ الطبعة الأولى .
(٦) شذرات الذهب ١٩/٢ ط سنة ١٣٥٠ هـ .
(٧) انظر حـ ٩ ص ١٧٨ ـ الطبعة الثانية .

ولئن دل هذا السبب على شيء إنما يدل على مدى إعجاب المؤرخين بعقلية الفراء ، ومبلغ تقديرهم إياه ، كما يدل على أن هذا اللقب لحق أبا زكرياء وهو كبير بعد أن تفتحت مواهبه ، واستطاع أن يتغلب على الخصوم .

ولكن .... أفلا يجوز أن يكون هناك سبب آخر غير هذا السبب ؟ وذلك باحتمال أن أحد آبائه كان يلقب بهذا اللقب، ومن ثم تدرج حتى وصل إلى أبي زكرياء ، ولما تقادم العهد بمصدر اللقب ووجدوا أن الفراء لا يشتغل بالفقه بل يحسن نظم المسائل ويفرى الخصوم خلعوا عليه هذا اللقب وهو به جدير .

ذلك ما نحن بصدده الآن ، وسنحاول الكشف عنه في ضوء ما عثرنا عليه في رواية ابن النديم حين قال : «يحيى بن زياد بن فَرّا يُحب »[1]

فنحن نجد أن أحد آباء الفراء ، وهو جده الأول ، قد لقب بهذا اللقب وحين نقارن هذا الجد بسلسلة النسب نجده يقابل « عبد الله » فكأن عبدالله هو الذي كان يطلق عليه هذا اللقب ، وربما كان يشتغل بصناعة الفراء ، أو ببيعها والشراء ، ومنه انحدر اللقب إلى أبي زكرياء .

*

وهذا مجرد ترجيح ولا نملك عليه الدليل ، لأن المراجع التي وصلت إلينا بخلت علينا بالدليل ، وهي وإن ضنت بالإفصاح عن سبب اللقب ، إلا أنها كانت صريحة في ذكر اللقب ، (فَرّا يحب) .

صحيح أن هذا اللقب ما يزال بحاجة إلى تمحيص ، حيث نرى فيه ظاهرة الإسناد إلى فعل (يُحب) ، ولكن ذلك أمر يسير ، فكثيرا ما نرى ألقاباً وأسماء مركبة من فعل وفاعل، أو من جملة على العموم ، مثل «تأبط شراً و« شاب قرناها » و« برق نحره » وما أشبه ذلك[2] .

---

(١) انظر الفهرست ص ٦٦ ط ليبسك ـ أو ص ٩٨ ط الرحمانية .

(٢) انظر الكتاب لسيبوية ص ٦٤ ـ الطبعة الأولى .

ولعل هذا الفراء قد وقع له شيء من الحب فلقبه الناس «بقرا يحب» ، كما يحدث فى كثير من المجتمعات ، وليس ذلك ببعيد :

على أن رواية القفطى فى إنباه الرواة[1] ، تظاهر هذه الرواية وإن كان مرجعها إلى ابن النديم ، فهى وإن لم تأت بجديد إلا أنها تعزيز وتأكيد، ونفىٌ لما عساه أن يكون وقع من النساخ من تحريف أو تصحيف فى رواية ابن النديم .

*

لهذا كله أرجح أن لقب « الفراء » قد انحدر إلى يحيى بن زياد من جده الأول ، ومن ثم لم يلحقه كبيرا ، وإنما ولد معه ، بل ولد قبله وربما قبل أبيه وأن رواية ابن الأنبارى والسمعانى ومن لف لفهما فى سبب التلقيب لاتعتمد على دليل ، وإنما تعتمد على تعليل ما هو كائن كيفما كان ، فحين وجدوه يفرى الخصوم قالوا : لذلك سمى الفراء .

على أننا نعود فنؤكد أننا لا ننكر على الفراء سبقه وفوقه على الخصوم ، ولا نغض من عبقريته التى بهرت ثمامة بن الأشرس ، وهو من هو فى رجاحة العقل بين أئمة المعتزلة حتى قال عنه إنه « نسيج وحده »[2] :

ولكنه البحث العلمى يقتضينا كثيراً من الدقة الواعية ، ومن الفحص الناقد البصير لهذا حاولنا ونحاول ... ولعلنا نستطيع :

وفى النهاية أقول : إذا لم يكن ما أرجح فماذا يقول القائلون فى رواية ابن النديم ؟ .

---

(١) انظر مصورة دار الكتب ح ٢ قسم ٣ ص ٣١١ تحت رقم (١٢٩٦) تاريخ .

(٢) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ١٩/٢ حوادث سنة ٢٠٧ هـ ط سنة ١٣٥٠ هـ .

كنيته :

يكنى الفراء بأبى زكرياء ولسنا بحاجة إلى التعرض لمن يكنى بهذه الكنية ، لأنهم أكثر من أن يقعوا تحت طائلة الحصر من ناحية ، ولأنه لا يهدف إلى دفع لبس كما حدث فى اللقب من ناحية أخرى .

هذا إلى أن المراجع التى تعرضت لترجمة الفراء تكاد تجمع على أن كنيته أبو زكرياء ، غير أن مخطوطتين من كتاب الأيام والليالى للفراء — هما « مخطوطة لاله لى »[1] ، « ومخطوطة سليم أغا »[2] — كلتاهما أخطأت فى هذه الكنية ، فجعلتها اسما لوالد الفراء ، حيث قالت :

« كتاب الأيام والليالى و الشهور عن الفراء يحيى بن زكرياء »

وهو — كما نعلم — يحيى بن زياد ، وكنيته أبو زكرياء .

جاء هذا الخلط فى اللوحة الأولى من كل من المخطوطتين ، ولو اقتصر الأمر على هذا لهان الخطب . وقلنا إنها طرّة كتاب أخطأ فيها ناسخها ، ولكن الخلط تعدى الطرة وزحف إلى الصلب ، فجاء فى مفتتح الكتاب بعد البسملة

« قال الفراء يحيى بن زكرياء ، يقال يوم وأيام .... الخ »[3]

ومن العجيب أنه كذلك فى المخطوطتين معاً ..! وهذا الخلط إن دل على على شىء فإنما يدل على أن إحداهما صورة من الأخرى لم يختلف فيها إلا قلم الكاتب ، كما تبين لنا عند المقارنة .

والذى يعنينا الآن هو التنبيه على هذا الخلط ، وعدم الالتفات إليه رغم أنه ورد فى أثر من آثار الفراء ، وكان من حقه أن يعتمد عليه ، غير أن التحقيق زيّفه ، كما سيأتى تفصيل ذلك حين التعرض للآثار ، ومن بينها كتاب الأيام والليالى .

---

(١) مصورة — فى حوزتى — عن (مخطوطة لاله لى) استامبول . رقم (١٩٠٣) .

(٢) مصورة فى حوزتى أيضا — عن مخطوطة سليم أغا باستامبول برقم (٨٩٣) .

(٣) انظر اللوحة الثانية من المصورتين السابقتين .

ثانيا ــ اضطراب الروايات فى نسبته إلى القبائل والأقاليم :

تحدثنا فيما سبق عن اضطراب الروايات فى زاوية الأسماء ، وما يتعلق بها من الكنى والألقاب . والآن نتناول زاوية أخرى من زوايا الاضطراب فى نسب الفراء ، تلك هى زاوية النسبة إلى القبائل والأقاليم .

فتارة ينسبونه إلى أسد[١] ، وأخرى إلى منقر[٢] وطورا إلى أسلم[٣] وحينا يقولون : الديلمى[٤] أو الكوفى[٥] ، أو البغدادى[٦] ، فما مبعث هذه النسبة ؟ وما مأتاها ؟ وهل هناك تضارب أو يمكن التوفيق بينها ؟

الحق أننى حينما تعرضت لهذا اللون من التحقيق راود تنى نفسى أن أعفيها من هذه الرحلة الشاقة بين القبائل وبطونها وأفخاذها .... ولكننى رددتها إلى صوابها وقلت لها : إذا لم أحقق نسب صاحبى ــ وقد تخصصت له وتوافرت عليه ــ فمن ذا يقوم به بعدى ؟ .

*

وقبل أن أبدأ بتحقيق الولاء أقول : إن أحداً من القدامى ــ فيما أعلم ــ لم ينص على أنه من أبناء الفرس كما نصوا على الكسائى مثلا فقالوا : « هو من أولاد الفرس[٧] ، وكل مايقال عن الفراء أنه « مولى بنى أسد » ، أو « مولى بنى منقر » ، والولاء ــ كما نعلم ــ له عدة أسباب ، فتارة يكون ولاء أحلاف

---

(١) انظر مثلا تاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة ، ومعجم الأدباء ٩/٢٠ ط دار المأمون.

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٦ ط أوربا .

(٣) انظر مثلا وفيات الأعيان ٣٠١/٢ ط بولاق ، ومعجم الأدباء ٩/٢٠ .

(٤) انظر مثلا بغية الوعاه ص ٤١١ ــ الطبعة الأولى ومفتاح السعادة ١٤٤/١ ــ الطبعة الأولى .

انظر مثلا شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٩/٢ حوادث ٢٠٧/ ط سنة ١٣٥٠ هـ وانظر مرآة الجنان لليافعى ٣٨/٢ ط حيدر اباد ، وغيرهما كثير .

(٦) انظر شرح ابن يعيش على المفصل ٧٠/١٠ وانظر الحجة لابى على الفارسى ٩٢/١ (نسخة مراد ملا) وانظر تهذيب التهذيب ٢١٢/١١

(٧) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٥٣٥/١ تحقيق برجشتراسر ــ ط السعادة.

وأخرى يكون ولاء عتق[1]، وأحياناً يكون ولاء إسلام، ولسنا ندرى على وجه اليقين أى ولاء كان هذا الولاء ؟

فقد ذكر البلاذرى فى إحدى رواياته أن الجنود الذين كانوا مع رستم يوم القادسية (حالفوا زهرة بن حوية السعدى)[2] بعد أن عقدوا أماناً مع سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وهؤلاء هم الذين نظن أن الفراء ينتسب إليهم فيكون ولاؤه ولاء أحلاف .

كما ذكر فى رواية أخرى عن المؤرخ الكوفى أبى مسعود « أن هؤلاء الأساورة .... أسلموا على مثل ما أسلم عليه أساورة البصرة »[3] فكان ولاؤهم ولاء إسلام .

ثم عزز هذه الرواية برواية المدائنى التى جاء فيها أنهم اعتزلوا جيش المجوس بعد هزيمة رستم فى موقعة القادسية « وأن المغيرة بن شعبة سألهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم وقالوا: ندخل فى دينكم فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم وأسلموا[4] » والذى أميل إليه أن ولاءهم كان ولاء إسلام وهو لا يتنافى مع الولاء السابق ولاء الأحلاف. ومهما يكن من شىء فالأمر الذى أطمئن إليه أنه لم يكن من العرب الخلص على أية حال، بدليل أنهم نسبوه إلى الديلم[5]، والديالمة من الأعاجم فى أرجح الروايات[6] .

حقاً إن هذه النسبة قد تكون دالة على أنه من أصل ديلمى أعجمى ، ولكنها لا تدل فى كل حال ، فهذا أبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى ينسب

---

(١) الفرق بين مولى العتق ومولى الاسلام ان الاول يكون رقيقا فيعتق واما الثانى فهو الذى يسلم على يد غيره فيصير مولى له ـ انظر فجر الاسلام ص ٨٩ (الطبعة السابعة) .

(٢) فتوح البلدان ص ٢٧٩ ط اولى .

(٣) نفس المصدر .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر ترجمة الفراء فى البغية والوفيات ومعجم الادباء مثلا .

(٦) انظر القصد والامم لابن عبد البر ص ٣٢ ط السعادة سنة ١٣٥٠ هـ .

إلى أصفهان وهو عربى من بنى أمية[1] بل مشهور بالعصبية العربية[2] ، وكذلك الفيروزبادى صاحب القاموس المحيط ينسب إلى فيروزباد وهو من أبناء أبى بكر الصديق[3] وأمثالها كثير وكثير ،

لهذا لا أعتمد على مطلق النسبة فقط . بل أبحث عن دليل آخر يسانده ، وقد وجدته عند بعض المحدثين مثل بروكلمان حيث صرح بأنه كان « فارسى الأصل مثل الكسائى[4] ، غير أن هذا التصريح لا ينهض دليلا قاطعاً على أن بروكلمان قد اطلع على نص صريح فى ذلك ، فربما استنتجه استنتاجاً كما فعلنا ، لأن المراجع الّ اعتمد عليها فى ترجمة الفراء كلها تحت يدى ، ولم أعثر فيها على نص صريح .

على أن هناك دليـلا ثالثا ربما كان أقوى من سالفيه ، وهو أننى عثرت فى رواية نادرة على اسم فارسى فى نهاية سلسلة النسب هو « كوذيار »[5] .

وهذا الدليل بالإضافة إلى ما سبق — هو الذى يجعلنا نرجح أن الفراء كان من أرومة فارسية ولا يغض من شأنه أن كان أعجميا ، أو كان من الموالى ، فجلة أهل العلم كان معظمهم من الموالى فى فترة من الزمان[6] ، حين نهلوا من مناهل العرب الفياضة .

والآن هلم إلى تحقيق الولاء لنرى أى الروايتين أجدر بالترجيح ؟ أتلك التى تقول إنه مولى بنى أسد ، أم تلك التى تزعم أنه مولى بنى منقر ؟

ولكن من بنو أسد ، ومن بنو منقر أولئك الذين ينتسب إليهم الفراء ؟

---

(١) انظر معجم الأدباء ١٣/١٠١ ط دار المأمون وانظر الفهرست ص ١٦٦ ط الرحمانية ففيه انه قرشى من ولد هشام بن عبد الملك الاموى .

(٢) انظر تاريخ الحضارة الاسلامية للعلامة الروسى ف. بارتولد ترجمة حمزة طاهر ص٦٥

(٣) مقدمة القاموس ص ٣ ط دار المأمون . (فى الفوائد التى جمعها نصر الهورينى) .

(٤) انظر (ترجمة الفراء) فى تاريخ الأدب العربى — بروكلمان .

انظر انباه الرواه للقفطى حـ ٢ قسم (٣) ص ٣٠٧ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٦) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٥١ ط التقدم الأميرية ١٣٠٧

أما بنو أسد فقد طفقت أستلهم المراجع فيهم واحدا تلو الآخر ، لعلى أعثر على شيء ينير الطريق أمام الباحث ، فلم أظفر بكبير طائل ، وأشهد أنني مازلت فى حيرة من أمر هذا الولاء ، فإنهم يقولون : «مولى بنى أسد» ولا يزيدون فأى أسد يريدون ؟

أيريدون أسد بن شريك ، بطن من الأزد من القحطانية[1] ، أم يريدون أسد بن ربيعة ، بطن من العدنانية[2] أم يقصدون أسد بن الحارث ، فخذ من الأزد من القحطانية[3] ، أم أنهم يريدون أسد بن خزيمة بن مدركة[4] .

لست أدرى ، وإن كنت أرجح أنهم يريدون أسد بن خزيمة لأنهم هم الذين تفرقوا من بلاد الحجاز على الأقطار ، فنزلوا العراق ، وسكنوا الكوفة منذ سنة ١٩ هـ ، وملكوا الحلة وجهاتها حتى سنة ٥٨٨ هـ[5] ، ولم تكن لهم خطة بالبصرة[6] وإنما سكنوا الكوفة فى حى خاص بهم ، وكانوا يؤلفون جزءا كبيرا من سكانها ووجدت منهم فرق فى جيش على والحسين[7] .

فنزولهم العراق ، وسكنى الكوفة بالذات ، وقتالهم فى جيش على والحسين كل أولئك يرجح أنهم هم الذين ينتسب إليهم الفراء العراقى ، الكوفى المتشيع كما سيأتى فى موضعه ..

ثم إن قول المؤرخين «مولى بنى أسد من أهل الكوفة» ربما كان يشير إلى التمييز بين أسد التى تسكن الكوفة ، وهى قبيلة أسد بن خزيمة ، وبين أسد التى

---

(١) تاج العروس للزبيدى ٣٧٦/٢ ط الأميرية ١٣٠٧ هـ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣٠٠/٢ ط دار الطباعة العامرة سنة ١٢٨٤ هـ .

(٣) نهاية الأرب للنويرى ٣١٩/٢ ط دار الكتب .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس وزملائه ـ المجلد الثانى ص ١٠٠

(٥) معجم قبائل العرب ٢٢/١ ط دمشق .

(٦) انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٢٩٤ ط سنة ١٨٥٣ م .

(٧) دائرة المعارف الاسلامية ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس وآخرين ، المجلد الثانى ص ١٠٢ .

تسكن البصرة ، وهى قبيلة أسد بن شريك ، فقد « كانت لهم خطة فى البصرة يقال لها خطة بنى أسد ...وليس بالبصرة خطة لبنى أسد بن خزيمة[1] .

نعم إنه مجرد احتمال ، لأن الجار والمجرور فى قولهم (من أهل الكوفة) يحتمل أن يكون راجعاً إلى بنى أسد ، كما يحتمل أن يكون راجعاً إلى (مولى) وهو الفراء . فإذا صح ذلك الاحتمال كان مرجحاً أسد بن خزيمة على بقية الآساد.

*

وأما بنو منقر فيحدثنا عنهم ابن عبد البر حيث يقول : «منقر من تميم»[2] ، ولكنه — كما ترى — حديث مقتضب لا ينقع غلة الباحث ، فأى تميم يريد؟ فالتاريخ يروى لنا كثيرا من القبائل التى تحمل اسم تميم ، فهناك — على سبيل المثال — تميم من قبائل حضر موت تقيم فى وادى ابن راشد[3] ، وهناك تميم من ثقيف[4] ، وهناك «تميم بن مر» قبيلة عظيمة من العدنانية[5] ، وما أحسب إلا أنها هى التى عناها ابن عبد البر ، وذلك أن تميما هذه هى التى لها بطون كثيرة ، ومن بطونها «بنو منقر بن عبيد بن مقاعس»[6] أولئك الذين نظن أن الفراء ينتسب إليهم . أو هكذا زعموا .

*

تلك هى خلاصة تطوافى بين القبيلتين العظيمتين أسد وتميم ، وإذا لم يكن هناك بد من الترجيح بين الروايتين فإننى أميل إلى أنه كان مولى بنى أسد ، للمرشحات أو المرجحات الآتية :

أولا : تضافر أكثر الروايات على ذلك ، وسنذكرها بالترتيب الزمنى ، فهذا هو الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) يطالعنا فى تاريخه بأن الفراء مولى

---

(١) معجم قبائل العرب ٢٤/١ ط دمشق .

(٢) انظر الانباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ص ٧٧ ط السعادة سنة ١٣٥٠ هـ .

(٣) تاريخ سينا لنعوم شقير ص ٦٦٨ ط المعارف سنة ١٩١٦ .

(٤) انظر قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ١٣٤ ط السلفية سنة ١٩٣٣ .

(٥) معجم قبائل العرب ١٢٦/١ ط دمشق .

(٦) نفس المصدر .

بنى أسد[1]، ولا يذكر الرواية الأخرى على الإطلاق . ثم يتابعه السمعانى (ت ٥٦٢ هـ) فى أنسابه[2] ، ويحذو حذوهما ابن الأنبارى[3] (ت ٥٧٧هـ) وابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ)[4] ، وياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)[5] ، وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)[6] — كل أولئك تضافروا مقتصرين على بنى أسد فقط .

ثانياً : أن رواية الولاء فى بنى منقر نجدها أول ما نجدها عند ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) فى الفهرست ، وتسكت المراجع عنها قبل[7] الفهرست وبعده[8] بحين ، فلا نكاد نسمع لهذه الرواية صدى إلا فى أواخر القرن السابع الهجرى ، حينما يحكيها ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) بعد الرواية الأخرى بصيغة التضعيف فيقول « مولى بنى أسد وقيل مولى بنى منقر[9] » .

ثم يقتفى أثره فى العصر الحديث صاحب دائرة معارف القرن العشرين[10] ويتبعه فى الجمع بين الروايتين دون تضعيف صاحب الأعلام[11] ، ومحققا معانى القرآن للفراء .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/١٤٩ ط السعادة .

(٢) ص ٤٢٠ ط ليدن سنة ١٩١٢.

(٣) نزهة الالباء فى طبقات الادباء ص ١٢٦ ط سنة ١٢٩٤ هـ .

(٤) المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ج ٥ قسم (١) ورقة (٤٦) مخطوطة دار الكتب رقم ١٢٩٦ تاريخ.

(٥) معجم الأدباء ٢٠/٩ ط دار المأمون .

(٦) تهذيب التهذيب ١١/٢١٢ ط حيدر اباد.

(٧) مثل : مراتب النحويين لأبى الطيب اللغـــوى (ت ٣٥١ هـ) ، وتهـذيب اللغة للأزهرى (ت ٣٦٨ هـ) وطبقيات النحويين للزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) .

(٨) مثل : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) ، والانساب للسمعـانى (ت ٥٦٢ هـ) ونزهة الالباء لابن الأنبـارى (ت ٥٧٧ هـ) ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) .

(٩) وفيات الأعيان ٢/٣٠١ ط بولاق .

(١٠) ٧/١٣٩ — الطبعة الثانية .

(١١) ٩/١٧٨ — الطبعة الثانية .

(١٢) المقدمة ١/٨ ط دار الكتب .

ومن هذا التسلسل التاريخى يتبين لنا أن ابن النديم هو المؤرخ الوحيد القديم الذى اقتصر على رواية « أنه مولى بنى منقر » ، وأن المؤرخين قبله سكتوا عن هذه الرواية سكوتاً مطبقاً ، وحذا حذوهم بعض من جاء بعده .

ثالثاً : أن ابن خلكان – وهو المؤرخ المحقق – يرويها بصيغة التضعيف كما رأينا .

رابعاً : أن اتخاذ بنى أسد بن خزيمة حياً خاصاً بهم فى الكوفة نفسها يميل بنا إلى ترجيح أنه كان مولى لهم .

خامساً : قتال بنى أسد فى جيش على والحسين يدل على تشيعهم ، وكذلك كان الفراء متشيعاً ، ومن قبله كان أبوه كذلك ، فهو الذى قطعت يده فى حرب الحسين بموقعة « فخ » كما سبق به البيان[1] ، ومن هنا كان ولاؤه فى بنى أسد أظهر من ولائه فى بنى منقر ، لمكان الرابطة القوية بين الجميع على أننى أعود فأقول : ليس بين هذا الولاء وبين غيره منافاة لطول العهد بين الفراء وأجداده الأولين ، فمن الجائز أن يكون قد حدث فى هذه الفترة الطويلة أكثر من ولاء ، ومن هنا تعددت الروايات .

أما قولهم الفراء « الأسلمى » فذلك نسبة إلى « أسلم » من قبيلة أسد ، وهى « بفتح الهمزة وسكون السين ... وفتح اللام » كما ضبطها ابن خلكان[2] .

إلى هنا ينتهى الحديث عن نسبة الفراء إلى القبائل ، وقد آن لنا أن نبدأ الحديث عن نسبته إلى المواطن ، وما أحسب أننا سنلاقى كبير عناء حين نوجه نسبته إلى الكوفة بأنها البلدة التى تنسم فيها أول أنسام الحياة ، فهى مسقط رأسه[3] ، ومدرج صباه .

---

(1) انظر مبحث (أيهما الأقطع ؟) .

(2) وفيات الأعيان ٢/٤٢٥ تحقيق محى الدين .

(3) انظر مثلا الفهرست ص ٦٦ ط أوربا ، ووفيات الاعيان ٢/٣٠٢ ط بولاق .

أما بغداد فهى المدينة التى رحل إليها أيام الرشيد[1] ، ثم استوطنها على عهد المأمون حينما أعجب به ، فأسند إليه تأديب ولديه[2] ، .

لهذا وذاك نسب صاحبنا إلى الكوفة كما نسب إلى بغداد .

تحقيق نسبة الفراء إلى الديلم :

يبقى علينا شىء واحد ، هو نسبته إلى الديلم ، وهى نسبة حائرة بين المواطن والأشخاص .

وقد رأينا المؤرخين والمترجمين فيما سبق ينسبونه فيقولون (الفراء الديلمى) ولسنا ندرى إن كانت هذه النسبة إلى بلاد الديلم ، أو إلى رجل يقال له ديلم ، وكان نقيب قومه من العجم ، فنسبوا إليه ، وقيل لهم حمراء ديلم جاء فى البلاذرى أن « العرب تسمى العجم الحمراء ويقولون جئت من حمراء ديلم كقولهم جئت من جهينة وأشباه ذلك» ، وليسوا من بلاد الديلم نفسها . كما سيأتى به البيان .

*

لم أجد أحداً من المؤرخين أو المترجمين يتعرض لتحقيق هذه النسبة ، ويلوح لى أنها صالحة للوجهين معاً ، وآية ذلك ما ألفيته عند البلاذرى من روايتين مختلفتين ، تؤيد كل منهما وجهاً من الوجوه .

١ — فروايته عن المدائنى تشعرنا بأن هؤلاء الأساورة الذين فاوضوا المغيرة بن شعبة ثم نزلوا الكوفة فيما بعد ، والذين نظن أن الفراء كان من سلالتهم . إنما كانوا من بلاد الديلم ، حيث قال : « كان أبرويز وجه إلى

---

(١) انظر مثلا طبقات الزبيدى ص ١٤٣ ط السعادة ، وانباه الرواة حـ ٢ قسم ٣ ص ٣٠٧ مصورة دار الكتب (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٢) انظر مثلا تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة ، وتلخيص ابن مكتوم ورقة (٢٧٠ مخطوطة دار الكتب /٢٠٦٩ تاريخ تيمور .

الديلم فأتى بأربعة آلاف[1] .... ، إلى آخر ما هنالك من خبر إسلامهم بعد هزيمة رستم فى موقعة القادسية سنة ١٦ هـ ، على يد القائد المظفر سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه .

٢ ــ أما روايته عن المؤرخ الكوفى[2] مسعر بن كدام (ت ١٥٢ هـ)[3] فإنها تنص صراحة على أنهم نسبوا إلى « نقيب منهم يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم[4] » ، ولو أضفنا هذا النص إلى نص آخر وجدناه عند البلاذرى نفسه[5] لرأينا أن هؤلاء الأساورة الذين تحدث عنهم المدائنى لم يكونوا من بلاد الديلم نفسها وإنما كانوا من (قزوين) المجاورة لبلاد الديلم حيث يقول : « حدثنى عدة من أهل قزوين ، وبكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الرى قالوا : وكان حصن قزوين ..... بينه وبين الديلم جبل ، ولم يزل فيه لأهل فارس مقاتلة من الأساورة ، يرابطون فيه ، فيدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة ، ويحفظون بلدهم من متلصصيهم وغيرهم إذا جرى بينهم صلح .. فلما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة ... ولى البراء بن عازب قزوين ، وأمره أن يسير إليها ، فإن فتح الله على يده غزا الديلم منها ...[6] ، إلى آخر ما هنالك من خبر طويل يفيد فى أكثر من موطن أن هؤلاء الأساورة من بلاد قزوين ، وليسوا من بلاد الديلم .

وإذا لم يكن هناك بد من الترجيح فإننى أرجح النسبة إلى نقيب الديالمة ، وذلك لأن الرواية صريحة فى النسبة إليه . أما رواية المدائنى فليست صريحة

---

(١) فتوح البلدان ص ٢٧٩ ــ الطبعة الأولى .

(٢) العربية ــ يوهان فك ــ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ١٧ ط دار الكتاب العربى

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ١٦٥ ط ١٣٠٠ هـ

(٤) فتوح البلدان ص ٢٧٩ .

(٥) انظر فتوح البلدان ص ٣١٧ (فتح قزوين وزنجبار)

(٦) فتوح البلدان ص ٣١٧ ط الأولى .

فى أنهم من بلاد الديلم وإنما نستشعرها من طوايا الكلام ، ونستشفها من روح الحديث ، ثم هى بعد ذلك فيها مجال للمجاز بمعنى أنه وجه إلى جهة الديلم ، وكثيراً ما يطلق اسم البلاد على ما يجاورها من البلدان ، بخلاف الرواية الأخرى فإن الألفاظ فيها صريحة لا تحتمل المجاز .

لفتة تتعلق بدلالة الأسماء العربية فى نسب الفراء :

رأينا فيما سبق أن سلسلة النسب تتحلى بالأسماء العربية هكذا : (يحيى ابن زياد بن عبد الله بن منظور) وهذه الأسماء إن دلت على شىء فإنما تدل على أن آباء الفراء دخلوا فى الإسلام مع السابقين الأولين من أبناء الديلم والفرس .

ولما كان مولد الفراء سنة ١٤٤ هـ[١] ، وأن كل جيل يمثل من الأعوام أربعين[٢] كانت ولادة منظور — فيما نقدر — سنة أربع وعشرين من الهجرة ، ومن هنا يتبين لنا أن هذا الجد ولد فى كنف العروبة والإسلام فسمى باسم عربى هو منصور أو منظور على اختلاف الروايات كما سبق به البيان[٣] .

وقد رجحنا فيما أسلفنا أن نسبة الفراء إلى الديلم ترجع إلى زعيم يقال له (ديلم) وكان نقيب الأساورة الذين أسلموا بعد موقعة القادسية سنة ١٦ هـ[٤] وهؤلاء شهدوا فتح المدائن مع سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، كما شهدوا فتح جلولاء[٥] ، وكلتاهما فتحت فى نفس السنة[٦] « ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين[٧] » .

---

(١) انظر مثلا وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٣/٢ — ط بولاق .
(٢) انظر الأسس المبتكرة ص ٦٧ ط العلوم سنة ١٣٦٩ هـ .
(٣) انظر مبحث (امنصور أم منظور ؟) .
(٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٥٦ ط أولى .
(٥) نفس المصدر ص ٢٧٩
(٦) المصدر السابق ص ٢٦٣
(٧) نفس المصدر ص ٢٧٩

كما رجحنا فيما سلف أن أسرة الفراء يرجع ولاؤها إلى بنى أسد ، وإذا علمنا أن تاريخ بنى أسد فى الإسلام يرجع إلى قدوم وفدهم على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة[1] فى بعض الروايات ، أدركنا من هذا وذاك أن آباء الفراء كانوا من السابقين الأولين فى الإسلام .

مولده :

أبادر فأقول : إن أبا زكريا الفراء ولد سنة ١٤٤ هـ فيما أرجح . فإن قيل لنا من أين هذا التاريخ ؟ وما السبيل إلى هذا الترجيح ؟ قلنا ما يأتى :

إن كتب التراجم وما إليها يمكن تصنيفها بالنسبة إلى موقفها من ميلاد الفراء إلى ما يلى :

(ا) بعضها لم يتعرض لميلاد الفراء إطلاقاً لا بالتصريح ولا بالتلويح ، وذلك هو القسم الأكبر .

(ب) وبعضها تعرض له بالتلميح دون التصريح بأن ذكر تاريخ الوفاة ثم ذكر عمر الفراء حين الوفاة . فكأنه أعطانا تاريخ الميلاد وإن لم يأت به صريحا

(حـ) وبعضها الآخر صرّح بتاريخ الميلاد ، وذلك فى القليل النادر بالنسبة إلى القسم الأول .

وإليك البيان مع اضطراب أقوال المؤرخين :

أما القسم الأول : فلا شأن لنا به ، وأما القسم الثانى : ذلك الذى ذكر تاريخ الميلاد بالتلميح فإليك بيان ما جاء فيه :

١ — ذكر السيوطى فى البغية أن الفراء توفى سنة ٢٠٧ هـ عن ٦٧ سنة[2] وكذلك قال فى المزهر[3] ، وتابعه صاحب مفتاح السعادة[4] ، فعلى هذا يكون ميلاد الفراء سنة ١٤٠ هـ .

---

(١) معجم قبائل العرب ٢٢/١ ط دمشق .

(٢) انظر ص ٤١١ ط السعادة .

(٣) ٤٦٣/٢ ط الحلبى (النوع الثامن والاربعون) .

(٤) انظر حـ ١ ص ١٤٤ ط أولى وستجد انه نقل الترجمة من البغية نقلا يكاد يكون حرفيا .

٢ – وذكر السمعانى (ت ٥٦٢ هـ) فى الأنساب أن الفراء توفى سنة ٢٠٩ هـ عن ٦٣ سنة[١] ، وتبعه ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) فى اللباب[٢] ، وعلى هذا يكون تاريخ الميلاد سنة ١٤٦ هـ .

٣ – وذكر الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) أن الفراء توفى سنة ٢٠٧ هـ عن ٦٣ سنة[٣] ، وكذلك قال ابن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) فى نزهة الألباء[٤] وحذا حذوهما ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) فى معجم الأدباء[٥] ، وقفى على آثارهم الحافظ الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) فى تذكرة الحفاظ[٦] ، وعلى هذا يكون ميلاد الفراء سنة ١٤٤ هـ .

*

وأما القسم الثالث ذلك الذى ذكر تاريخ الميلاد بالتصريح فأولهم – فيما أعلم – المؤرخ المحقق ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) حيث قال : « توفى الفراء سنة سبع وما ئتين ، .. وعمره ثلاث وستون سنة ..فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة[٧] » وشدا شدوه صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة[٨] ، وقريب منه ما فعله صاحب الأعلام فقد نص على تاريخ الميلاد وهو سنة ١٤٤ هـ كما نص على تاريخ الوفاة سنة ٢٠٧ هـ وإن لم يذكر عمر الفراء[٩] .

---

(١) انظر ص ٤٢٠ ط ليدن (بالزونكوفراف) .

(٢) انظر اللباب فى تهذيب الانساب حـ ٢ ص ١٩٨ نشر القدسى .

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٥ ط السعادة .

(٤) ص ١٣٧ ط سنة ١٢٩٤ هـ .

(٥) ٢٠/١٣ ط دار المأمون .

(٦) ص ٣٤١ ط حيدر اباد .

(٧) وفيات الاعيان ٢/٣٠٣ ط بولاق .

(٨) انظر حـ ١ ص ٣٩ ط الغرى بالنجف .

(٩) انظر الأعلام حـ ٩ ص ١٧٨ ط ثانية .

أما الأستاذ الأبيارى فقد جعل تاريخ ميلاد الفراء سنة ١٢٤ هـ[١] غير أنه ذكر ما يقابله من التاريخ الميلادى وهو سنة ٧٦١ م ، وبالرجوع إلى التقويم الذى صنفه (هارى . و . هازارد) وجدنا أن السنة الهجرية التى تقابل سنة ٧٦١ م هى سنة ١٤٤ هـ[٢] فأيقنت أن التاريخ الذى ذكره الأستاذ الأبيارى فيه تحريف مطبعى فوجب التنبيه إليه ، واستبعاده من تواريخ الميلاد .

وخلاصة الخلافات السابقة تتركز فى أن تاريخ الميلاد إما أن يكون سنة ١٤٠ هـ،أو سنة ١٤٤ هـ،أو سنة ١٤٦ هـ ، وقد رجحت الوسط للأمور الآتية :

أولا : لتضافر أكثر الروايات تصريحاً وتلميحاً .

ثانياً : أن شيخ المحققين ابن خلكان كان فى هذا الجانب .

ثالثاً : أن الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) أقرب فى الزمن إلى الفرء من السمعانى (ت ٥٦٢ هـ) بنحو قرن من الزمان .

رابعاً : أن طباعة كتاب الأنساب للسمعانى يشيع فيها التصحيف والتحريف[٣] إذ أنه مطبوع طبعاً حجرياً (بالزنكوغراف) دون تصحيح فلايعتمد عليها كثيراً ، وأرجح أن ابن الأثير نقل عن السمعانى كما وجده فى الكتاب دون تمحيص ، وبهذا يسقط القول بأن الفراء ولد سنة ١٤٦ هـ .

خامساً : أن الرواية التى تجعل مولد الفراء سنة ١٤٠ هـ تعتمد على السيوطى (ت ٩١١ هـ) وهو من المؤرخين المتأخرين نسبياً ، ثم إنه هو الوحيد

---

(١) انظر الايام والليالى ط الاميرية صفحة الغلاف وما يليه .

(٢) انظر اطلس التاريخ الاسلامى تصنيف (هارى . و . هازارد) وترجمة ابراهيم زكى خورشيد ص ٤٤ ط النهضة المصرية .

فمثلا كنية الفراء (أبو زكرياء) تحرف فيها الزاى الى الدال وهذا على سبيل المثال ـ انظر ص ٤٢٠ ط ليدن .

الذى قال بهذا ، أما صاحب مفتاح السعادة (طاش كبرى زاده) فإننى أسقطه من الحساب ، لأنه اعتمد اعتماداً كلياً على السيوطى ، فنقل ترجمة الفراء عن بغية الوعاة نقلا حرفياً[1] ، ومثل هذا — حين نعد أصحاب الآراء — لايدخل فى الحسبان .

ذلك هو تحقيق ميلاد الفراء ، وبيان السبيل إلى ذلك الترجيح .

خاصة أسرته :

لا يكاد التاريخ يذكر شيئاً عن زياد والد الفراء أكثر مما ذكرناه آنفاً فى مبحث (أيهما الأقطع ؟) ، أما والدته فقد طواها فى غمار من طوى من المغمورين ، فلم يشر إليها بكلمة واحدة فيما نعلم ، وكذلك زوجه ، أما ولده فقد أشار إليه السيوطى إشارة عابرة حين قال عن الفراء : « وجمع ما لا خلفه لابن له شاطر صاحب سكاكين[2] » فلم يكن صاحب علم كوالده العظيم ، يدلك على ذلك أيضاً ما جاء فى رواية الجاحظ من بيع كتب الفراء فى المزاد العلنى بعد وفاته[3] .

وربما كان من خاصة أسرته ، ابن خالته[4] القاضى الفقيه محمد بن الحسن الشيبانى بالولاء صاحب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ، ولولا ما نستشعره من بعد الصلة — إلى حد ما — بينه وبين الفراء لذكرنا عنه الشىء الكثير ولكننا نجتزئ بالإشارة إلى بعض المراجع التى تناولت ترجمته بالتفصيل[5] .

انظر البغية ص ٤١١ ط السعادة ، ثم انظر مفتاح السعادة حـ ١ ص ١٤٤ — ط اولى .

(٢) البغية ص ٤١١ ط السعادة .

(٣) انظر انباه الرواه للقفطى حـ (٢) قسم (٣) ص ٣١٣ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٤) انظر الانساب للسمعانى ص ٤٢٠ ط ليدن .

(٥) أنظر مثلا ترجمته فى المنتظم لابن الجوزى حـ ١ ص ٣٢١ فما بعدها — نشر القدسى، وانظر ترجمة حديثة له فى كتاب (ابو حنيفة) للشيخ ابى زهرة ص ٢٠٦ الى غير ذلك من كتب التراجم ، وطبقات الاحناف .

ذلك مبلغ العلم بخاصة أسرة الفراء ، فقد أهملها التاريخ كما أهمل أمثالها ممن ليسوا من علية الأقوام ، أو ممن ليس لهم شأن يلفت النظر ، ولم تكن أسرته من هؤلاء ولا أولئك .

نشأته وتنقلاته :

عرفنا فيما أسلفنا أن الفراء ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ ، ويبدو أنه نشأ بها نشأته الأولى كذلك ، وظل بها حتى ظهرت مواهبه ، وبز أقرانه فلقبوه بالفراء ، لأنه كان يفرى الخصوم فيما يراه بعض المؤرخين[١] ، وآية ذلك أن شيوخه فى بواكير حياته العلمية كانوا جميعاً من أهل الكوفة كما سيأتى بالتفصيل، ولما شب عن الطوق رحل إلى بغداد ، وكانت مقر الخلافة ، ومطمح الأنظار يفد إليها العلماء والشعراء من كل صوب وحدب ، يلتمسون فيها الحظوة والشهرة والمال ، وذلك حينما استحثه شيخه الرؤاسى قائلا له : قد خرج الكسائى إلى بغداد وأنت أميز منه[٢] ويلوح لى أن هذا الخروج كان فى سنة سبعين ومائة من الهجرة بدليل أن الفراء قد ظهر فى المناظرة المشهورة بين سيبويه والكسائى ، وكانت له جولات مع سيبويه قبل حضور شيخه الكسائى[٣] وكانت هذه المناظرة فى حدود هذا التاريخ ، فى خلافة الرشيد ووزارة يحيى ابن خالد البرمكى[٤] ، أى فى سنة ١٧٠ هـ[٥] ، بل إننى أرجح أنه نزح إلى بغداد قبل هذا التاريخ ، وآية ذلك أنه التقى بالكسائى وساءله فى مسائل الرؤاسى ، فسمع منه وأنكر ، إلى آخر ما هنالك من الخبر[٦] ، ثم التقى به

---

(١) انظر الاضداد لابن الانبارى ص ١٣ غير اننى رجحت فيما سبق أن لقب (الفراء) انحدر اليه من أحد الأجداد .

(٢) انظر نزهة الالباء ص ٦٥ .

(٣) انظر طبقات الزبيدى ص ٧٢ ط أولى .

(٤) انظر انباه الرواة حـ ٢ ص ٢٢٦ فما بعدها ط دار الكتب .

(٥) سيبويه امام النحاة ص ١٠٢ .

(٦) انظر تفصيل ذلك فى نزهة الالباء ص ٦٥ فما بعدها .

مرة أخرى فى الرقة وسأله سؤال إعنات حين عمل له مسائل فيها محال وفيها صواب ، فأقبل الكسائى يقول فيها ، يخطئ تارة ويصيب أخرى لاشتغاله بازدحام السائلين من حوله ، ولما فرغ من هذا الزحام وخلا إلى نفسه فى بيته أجاب عنها إجابة سديدة فى رقعة بعث بها إلى الفراء . وضمنها عتاباً أخذ من الفراء كل مأخذ ، ولازمه منذ ذلك الحين وعرف بين أصحابه[1] ، وتاريخ هذه الواقعة وإن لم يحدده المؤرخون إلا أنه فيما يبدو كان قبل مناظرة الكسائى، وسيبويه ، لأن هذه الحادثة كانت بدء الملازمة وسببها المباشر فيما أرجح ، أما المناظرة فقد بدا فيها الفراء مؤازراً شيخه الكسائى ضد سيبويه ، كما فعل غيره من تلاميذ الكسائى مثل الأحمر ، ومعنى هذا أنه كان قد لازمه قبل هذا التاريخ ، ومن هنا جاء الترجيح :

هذا إلى أن الفراء فى أخريات حياته جعل أكثر مقامه ببغداد[2] ، وكان لا يعود إلى الكوفة موطنه الأصلى إلا فى آخر العام[3]، ثم إنه أملى معظم كتبه ببغداد [4]مثل معانى القرآن وغيره من الآثار .

أما رحلته إلى البصرة فيدل عليها ماروى من أنه أخذ عن يونس بن حبيب البصرى واستكثر منه [5] كما سيأتى إثبات ذلك بالتفصيل .

ومما يدل عليها أنه لقى سيبويه فى داره بالبصرة على مايرويه بعض المؤرخين[6] أما تاريخ هذه الرحلات فلم يتعرض له أحد من المترجمين ، وإن كنت أرجح أنها كانت بعد وفاة الخليل بن أحمد إذ أن أحداً من المؤرخين لم يذكر

(١) انظر تفصيل ذلك فى مجالس اللغويين والنحاة للزجاجى لوحة (٧٨) مصورة دار الكتب عن نسخة شهيد على باستامبول .
(٢) الوفيات ٢ / ٣٠٢ .
(٣) البغية ص ٤١١ ط السعادة .
(٤) انظر الأنساب للسمعانى ص ٤٢٠ ط ليدن .
(٥) انظر معجم الأدباء ٩/٢٠ ط دار المأمون .
(٦) انظر المزهر ٢٠٢/١ ط الحلبى .

أنه أخذ عنه مشافهة ، أو التقى به كما ذكروا ذلك عن الكسائى مثلا[1] ، وإذا صحت رواية اللقاء بين سيبويه والفراء فى البصرة فإننى أميل إلى أنها كانت قبل المناظرة المشهورة لسببين اثنين :

أولها : أن الرواية التاريخية تذكر أن الفراء حينما سمع الثناء على سيبويه بالبصرة لم يطق صبرا فذهب إلى لقائه فى داره ليتعجل الخير ، وإن كانت نتيجة المقابلة خيبت ظن الفراء فى سيبويه حين رآه ألكن لا يكاد يبين[2] ، ومن جهة أخرى أخذ عليه خطأ فاحشاً فى حديثه مع الجارية[3] ، ويبدو من جو هذه الرواية أن هذا اللقاء كان أول لقاء بين الرجلين ، ثم إن منطق الأحداث يؤيد ذلك فلو أن الفراء كان قد سبق له اللقاء فى المناظرة لاكتفى به وما سعى إليه متشوقا ، بل إن ماحدث قبل بدء المناظرة من إعنات الفراء سيبويه كان كفيلا أن يحول بين الفراء وبين الذهاب إلى دار سيبويه بعد أن حل من بغداد كسير النفس كاسف البال .

ثانيها : أن التاريخ يذكر فيما يذكر أن سيبويه عز عليه أن يعود إلى البصرة بعد الهزيمة فاتخذ وجهة أخرى[4] ، ثم لم يلبث أن مات كمدا بعدها بقليل[5] وحتى لو جارينا بعض الروايات التى تزعم أنه عرج على البصرة ، فإنه على أية حال لم يطب له فيها المقام ، ومن ثم لم يكن الجو ملائما للقاء بينه وبين الفراء .

---

(١) انظر معجم الأدباء ١٦٨/١٣ ونزهة الالباء ص ٨٢ فما بعدها .

(٢) انظر المزهر للسيوطى ٢٠٢/١ ط الحلبى وقال الزبيدى فى طبقاته « كانت فى لسانه حبسة » ص ٦٧ ط أولى .

(٣) انظر المزهر ٢٠٢/١ ط الحلبى وان كنا نستبعد هذه الرواية ونراها من افتئات المتعصبين .

(٤) روى الزبيدى انه توجه الى فارس فاقام هناك حتى مات ولم يعد الى البصرة . طبقات النحويين ص ٧٣ .

(٥) انظر طبقات الزبيدى ص ٦٩ ط أولى .

لهذا وذاك أرجح أن رحلة الفراء إلى البصرة كانت أسبق من المناظرة ، ولعلها كانت فى الفترة التى بين وفاة الخليل بن أحمد وبين قدوم سيبويه إلى بغداد لمناظرة الكسائى ، ولعل الفراء كان قد تردد على البصرة أكثر من مرة كما يفهم من جو الأحداث وإن لم نملك عليه نصا صريحا حتى الآن ، غير أن تلمذته على يونس بن حبيب البصرى واستكثاره منه ربما يشير إلى شيء من ذلك وإن لم يكن قاطع الدلالة إذ يحتمل أن تكون التلمذة قاصرة على الفترة التى سبقت المناظرة ، على أن البصريين ينفون هذه التلمذة [1] ، ولا دليل لهم على ذلك كما سيأتى به البيان .

أما رحلته إلى مكة والمدينة فيدلنا عليها أنه يروى كثيرا فى كتابه معانى القرآن عن قراء مكة والمدينة [2] ورب قائل يقول : إن الرواية لا تعنى أنه رحل إلى تلك البقاع ، وأقول : إنه كذلك ولكن ماذا تقول فى قول الفراء نفسه فى تفسير معانى القرآن « سمعت أعرابيا يقول لبز از ونحن بطريق مكة أعطنى كسفة أى قطعة [3] » . ؟

وإذا علمنا أن الفراء قد انتهى من إملاء معانى القرآن سنة ٢٠٤ هـ [4] ذلك الكتاب الذى ذكر فيه سماع الأعرابى بطريق مكة ، وأنه أقام ببغداد بعد ذلك ، ثم كانت وفاته بطريق مكة فى أثناء العودة سنة ٢٠٧ هـ [5] . أدركنا أنه تردد على مكة أكثر من مرة ، ولعل هدفه الرئيسى من ذلك إنما هو الحج لما عرف عنه من التقى والورع [6] أما ما وراء ذلك من اكتساب العلم ومدارسته فإنما هو من شيمة العلماء أينما حلوا وحيثما رحلوا .

---

(١) انظر معجم الأدباء ٩/٢٠ ط دار المأمون .

(٢) انظر مثلا ص ١٨ من معانى القرآن ط دار الكتب .

(٣) المعانى ص ١٨٣ (مصورتى) .

(٤) انظر الصفحة الأولى من معانى القرآن للفراء ط دار الكتب .

(٥) انظر غاية النهاية ٣٧١/٢ تحقيق برجشتراسر ط السعادة .

(٦) انظر البغية ص ٤١١ ط السعادة ومراتب النحويين ص ٨٧ .

هل رحل إلى الشام ؟

لم أعثر فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع على نص صريح يؤيد ذلك أو ينفيه غير أنني وقفت على نص فى كتابه معانى القرآن جاء فيه « وسمعت رجلا من أهل الشام وكان صاحب تفسير ... » الخ[1] ، فهل نفهم من هذا أنه رحل إلى الشام وسمع من بعض علمائها — وليس هذا بغريب على الفراء ذلك الذى شغف بالعلم والعلماء — أو أنه التقى به فى موطن آخر ؟ كلاهما جائز ومحتمل على قدر سواء ، ولهذا لا أجد مجالا للترجيح إلى أن تسعفنا الأيام بنص صريح . وقد رأيت أن أثير هذه النقطة رغم أننى لا أملك عليها دليلا رجاء أن تلقى بعض الأضواء أمام من يعقبنا فى البحث من الدارسين .

وحين نلتمس دوافع هذه الرحلات نجدها تكاد تنحصر فى طلب العلم ، وطلب الرزق ، وطلب المثوبة من الله ، وتوزيع ذلك ميسور ، فربما كانت رحلته إلى البصرة ابتغاء العلم وحده ، كما كانت رحلته إلى مكة ابتغاء المثوبة وحدها ، أو أن المثوبة أظهر عامل فيها إلى جانب العلم والرزق ، أما رحلاته إلى بغداد فيبدو أن طلب الرزق فيها كان له الجانب الموفور ، وبخاصة فى أولى الرحلات ، وقد قالوا فى ترجمته « وكان الفراء شديد طلب المعاش ، وكان لا يستريح فى بيته[1] » ، وهذا لا يعنى أنه أهمل جانب العلم ، بل إنه جمع الدين والدنيا معا ، وقد رأينا أنه أملى معظم كتبه ببغداد ، بل إن الفترة الأخيرة التى أقامها فيها أخرجت للدنيا عصارة مافى هذا العقل الجبار ، ويتمثل ذلك فى كتاب الحدود ، وفى معانى القرآن للفراء .

تلك هى رحلات أبى زكرياء ، تصيدتها من هنا وهناك لأرسم صورة تقريبية لحياته الحادة الناشطة ، أما الصورة الحقيقية فما أحسب أننى وصلت إليها ، فما تزال هناك فجوات أهملها التاريخ فى حياته ، كما أهملها فى حياة

---

(١) ص ٣٧١ (مصورتى) .

(٢) انظر مثلا الوفيات جـ ٢ ص ٣٠٣ ط بولاق .

الكثيرين من نظرائه واشباهه ، مثل الكسائى ، وسيبويه ، والخليل بن أحمد ، وغيرهم ممن لم يفتح التاريخ لهم قلبه إلا بعد النضج والاكتمال ، أو على الأقل بعد أن ظهرت مواهبهم .

صلته بالخلفاء والأمراء :

اتصل الفراء بالطاهريين اتصالا وثيقا ، وألف بعض كتبه لبنيهم ، من[1] ذلك كتاب المذكر والمؤنث الذى ألفه للأمير عبد الله بن طاهر فيما يرويه ثعلب[2] ، وكذلك كتاب البهى[3] أو البهاء على اختلاف الروايات[4] على أن تاريخ هذا الاتصال مايزال فى ضمير الغيب ، فلسنا ندرى على وجه التحديد فى أى سنة كان ذلك ، بل فى أى فترة كان هذا الاتصال ، أفى الفترة التى سبقت قيام دولتهم فى (سنة ٢٠٥ هـ إلى سنة ٢٦٠ هـ) — (٨٢١م — ٨٧٣م)[5] أم كان هذا الاتصال بعد الإمارة ؟ .

أكبر الظن أن الفراء كان على صلة بهم قبل الإمارة وبعدها ، إذ أن كتاب المذكر والمؤنث الذى ألفه لعبد الله بن طاهر ثبت لدى أنه ألفه بعد كتاب المعانى الذى انتهى من إملائه سنة ٢٠٤ هـ[6] كما سيأتى به البيان . فإذا اعتبرنا أنه ألفه فى السنة التى تليها كان ذلك فى سنة ٢٠٥ هـ وهى السنة التى قامت فيها إمارة الطاهريين فى ظل خلافة المأمون .

أما اتصاله بأمير المؤمنين هارون الرشيد ، فقد رأينا فى بعض الروايات التاريخية أنه التقى به وتحدث إليه بحضور جعفر بن يحيى البرمكى[7] ،

---

(١) انظر البغية ص ١٧٣ ط اولى .

(٢) الفهرست ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٣) الوفيات ٣٠٢/٢ ط بولاق .

(٤) جاء فى معجم الادباء انه الفه لعبد الله بن طاهر جـ ٥ ص ١٣ ط دار المأمون .

(٥) انظر تاريخ الحضارة الاسلامية (بارتولد) ص ٦٧ ترجمة حمزة طاهر .

(٦) انظر الصفحة الأولى من معانى القرآن للفراء ط دار الكتب .

(٧) انظر طبقات الزبيدى ص ١٤٣ ط السعادة ، وانظر الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق .

ويبدو أن هذا الاتصال وغيره بالرشيد كان اتصالا عابرا لم يتمكن فيه الفراء من البقاء فى بلاط الخليفة للتأديب أو المسامرة كما كان الكسائى مثلا [1] ، أو كما كان الزبيدى مؤدب المأمون [2] أو كما كان الأحمر الذى اصطفاه الكسائى خليفة له بعد أن أصابه الوضح [3] ، فكره الرشيد ملازمته أولاده [4] ، وقد تناولت فى غير هذا المكان مدى مسئولية الكسائى فى زحزحة الفراء عن بلاط الرشيد ، خشية أن يحتل مكانه ومكانته فلا يبقى له موضع فى قلب الخليفة ، لهذا زحزح الفراء وهو الجدير بالتقدير ، وأتى بالأحمر [5] بعد أن تعهد له بتلقينه كل مايحتاج إليه فى تأديب أولاد الرشيد [6] .

وأما اتصاله بالخليفة المأمون ، فكان اتصالا أقل مايقال فيه أنه اتصال ثيق ، وقد بدأ على يد ثمامة بن الأشرس [7] من أئمة المعتزلة ، « وكان خصيصا بالمأمون [8] » ، .

ثم إن المأمون مالبث أن عرف فيه العالم الكفء « فأمره أن يؤلف مايجمع به أصول النحو [9] » .

وبلغت الصلة قمتها بين المأمون والفراء حينما أسند إليه تأديب ولديه وبلغه أن ابنيه يتنافسان على تقديم نعل الفراء ، فاستدعاه وبارك هذا الصنيع من ولديه

---

(١) انظر طبقات الزبيدى ص ١٣٨ فما بعدها ط أولى (ترجمة الكسائى) .

(٢) انظر طبقات الزبيدى ص ٦٣ ط أولى .

(٣) يريدون به (البرص) .

(٤) انظر معجم الأدباء ٦/١٣ ط دار المأمون (ترجمة على بن الحسن الأحمر) .

(٥) نفس المصدر ص ٧ فما بعدها .

(٦) المصدر السابق .

(٧) يروى الاشرس واشرس بال وبدونها مثل الحسن وحسن ونظائرهما من الصفات كما جاء فى مجالس ثعلب ص ٣٧٦ ط المعارف .

(٨) الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق ، وأنظر معجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

(٩) انظر تاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة ، وانظر الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق ، وانظر نزهة الالباء ص ١٢٧ ط سنة ١٢٩٤ هـ ، وأنظر معجم الأدباء ١٢/٢٠ ط دار المأمون .

وقال الفراء قولته المشهورة فى التقدير والتمجيد[1] كما سيأتى بالتفصيل .

تلك هى صلة أبى زكريا الفراء بالخلفاء والأمراء ، وما أراها إلا صلة إعزاز وإكبار .

أخلاقه :

كان الفراء فى خلقه ، كما يشتهى كل عالم فاضل أن يكون ، كان متدينا ورعا ، باراً بأهله وعشيرته ، وفياً لأشياخه حفياً بأصحابه ، عف اللسان ، سمحاً محبباً إلى النفوس ، كما كان حازماً صارماً حين ينبغى الحزم ، له صدر رحب وقلب كبير ، يتحرى الصدق فى المودة والعداوة ، ويصون نفسه عن التبذل ويعرف لها حقها فى الحياة الكريمة الحرة ، كما كان يتحلى بأخلاق العلماء فى الرجوع إلى الحق مهما صغر مصدره .

تلك هى صفات أبى زكرياء : رأيتها من خلال صلتى به ، بعد صحبة طال أمدها .... فاكتملت صورته فى ناظرى بشراً سوياً ، لم أجد فيه ما أنكره عليه ، أو هكذا بدا لى ، ولست فى هذا ممن يلقون القول على عواهنه ، بل لدى على كل إطراءة نص أو دليل :

١ ــ فهذا هو السيوطى يحدثنا فى البغية عن ورعه فيقول : « كان متدينا متورعاً »[2] ، رضع لبان الورع فى بواكير حياته العلمية من شيوخه العديدين وفى مقدمتهم شيخه المحدّث « الخير الفاضل الصدوق »[3] مندل بن على ، ذلك الذى يقول فيه الخطيب البغدادى « قال إسماعيل بن عمرو البجلى :

---

(١) انظر الوفيات ٣٠٢/٢ ط بولاق ، وانظر نزهة الالباء ص ١٣٠ ط سنة ١٢٩٤ هـ ، وانظر انباه الرواه للقفطى حـ ٢ قسم ٣ ص ٣١٦ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٢) ص ٤١١ ــ ط السعادة .

(٣) تهذيب الكمال ، مخطوطة دار الكتب رقم (٣٦) مصطلح الحديث ، فى (من اسمه مندل) لان الكتاب غير مرقوم ، وفى تاريخ بغداد ٢٥٠/١٣ ط السعادة .

عن معاذ بن معاذ العنبرى : دخلت الكوفة فلم أر أحداً أورع من مندل ابن على[1] » .

على أن بيئته الخاصة ربما كان لها أثر كبير ، وإن كنت لا أملك على ذلك الدليل غير أن التاريخ يحدثنا عن والده زياد الأقطع ، حين خرج مجاهداً — فى زعمه — مع الحسين بن على ، فقطعت يده فى تلك الحرب[2] ... الخ . فربما كان فى هذه الحادثة ما يوحى أو يشير من قريب أو بعيد ، إلى تدين هذه الأسرة ، وتعلقها بآل البيت الأولين من عترة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومهما يكن من شىء فالذى يعنينا هو تدين الفراء نفسه ، وقد كان ، وآية ذلك أن المترجمين يتحدثون عنه أطيب الحديث ، بما يتفق مع الخطوط العامة لشخصيته ، ثم إن أحداً منهم لم يذكر حادثة واحدة تحط من قدره ، أو تخدش من كرامته ، كما ذكروا ذلك كثيراً عن غيره من العلماء الأجلاء[3]

وهكذا ظل نقى العرض ، طاهر الذيل ، لم تعلق به ريبة قط ، رغم ما كان له من شانئين وحاسدين .

٢ — أما كرمه وبره بأهله فيتجلى فى قول المؤرخين « جعل أكثر مقامه ببغداد ، وكان لايستريح فى بيته » بل « كان يجمع طول السنة فإذا كان فى آخرها خرج إلى الكوفة فأقام بها أربعين يوما فى أهله يفرق فيهم ما جمعه ويبرهم »[4] وهذا النص يدلنا على أنه كان جوادا ، بارا بأهله وعشيرته ، لايضن عليهم بشىء ، ولا يدخر قليلا أو كثيرا من الأموال التى ظل يجمعها طوال العام

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٢٤٩ — ط السعادة .

(٢) انباه الرواه جـ ٢ قسم ٣ ص ٣١٢ مصورة دار الكتب (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٣) انظر مثلا ترجمة ابى بكر بن دريد فى نزهة الألباء ص ١٧٤ وفى معجم الادباء ١٨/١٣٠ فما بعدها ، وانظر ترجمة أبى على الفارسى فى معجم الادباء وفى (ابو على الفارسى) للدكتور عبد الفتاح شلبى ص ٧٢ ، وانظر ترجمة الامام الكسائى فى معجم الادباء ١٣/١٧٨ فما بعدها — الى غير ذلك من الطعنات القاصمة فى اخلاق العلماء الاجلاء ، وما أراها الا وليدة التنافس والتعصب المذهبى .

(٤) انظر مثلا : وفيات الاعيان ٢/ ٣٠٣ ط بولاق ، والفهرست ص ٩٩ ط الرحمانية ، والبغية ص ٤١١ ط السعادة .

كما أنه يدلنا من زاوية أخرى على ما كان يتمتع به الفراء من جد ودأب فى السعى وراء الرزق الحلال، عملا بقول الله تبارك وتعالى « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه[1] » فهو يتخلق بخلق القرآن فى أكثر صفاته ، كما سنرى فى مواطن متعددة . وقد نص المؤرخون على هذا الدأب حين قالوا : « وكان الفراء شديد طلب المعاش[2] » وكان لا يستريح فى بيته[3] . وهذه الرواية تفسر لنا ماجاء فى البغية حيث يقول عنه السيوطى « وكان شديد المعاش لايأكل حتى يمسه الجوع »[4] فقد سقطت كلمة « الطلب » عند السيوطى فتوهم أنه لا يأكل حتى يمسه الجوع ، ولم أر هذا التفسير عند أحد ممن سبقه ، ولعل السيوطى لايقصد إلى اتهامه بالتقتير ، وإنما يقصد وصف حاله التى كان عليها.

(٣) أما وفاؤه لأشياخه وعارفيه فكان يتمثل فى الثناء عليهم والاعتراف بفضلهم من ذلك مارواه سلمة بن عاصم أن الفراء حينما سئل عن شيخه الرؤاسى « أثنى عليه ... ثم قال له كان الرؤاسى رجلا صالحا[5] ومثله ماكان من الثناء على غالب بن نجيح حيث قال: « حدثنى جار لنا من القُراء يقال له غالب بن نجيح وكان ثقة ورعا ...الخ»[6] ، وقوله عن ابن المبارك « وحدثنى الثقة عبد الله بن المبارك[7]» .

وقوله عن عالم من أهل الكوفة « حدثنى يحيى بن المهلب وكان من أفضل أهل الكوفة » ، كما أنه كان يذيع فضل أستاذه الكسائى فيبالغ على لسانه فى أخذه عن أعراب البوادى حيث يقول : خرج إلى البوادى فأنفد خمس

---

(١) سورة الملك آية (١٥) .
(٢) انباه الرواة للقفطى ص ٣١٣ مصورة دار الكتب (٥٥٥٨٨) عمومية .
(٣) الوفيات ٣٠٢/٢ ـ ط بولاق .
(٤) ص ٤١١ ط السعادة .
(٥) معجم الادباء ١٢٣/١٨ ط دار المأمون .
(٦) معانى القرآن ص ١٦٥ مصورتى .
(٧) المصدر السابق ص ١٤٠
(٨) المصدر السابق ص ١٩٠

عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ[1] ثم يصفه بالفطنة إلى جانب اتساع قاموسه اللغوى، وذلك فيما يرويه عن الكسائى نفسه فيذيعه عنه حيث يقول : «قال الكسائى : كنت أسأل أعرابياً عن كلمة صواب، وأسأله عن كلمة خطأ يقارب لفظها (كذا) أمتحنه بذلك، فقال لى ما رأيت رجلا يأتى بكلمة إلى جنبها كلمة أشبه شىء بها ، أبعد شىء منها، منك»[2] ، كما يصفه بالطموح وأنه كان جديرا بالصدارة حين رجع من البوادى « فلم يكن له هم غير البصرة والخليل ، فوجد الخليل قد مات ، وجلس فى موضعه يونس النحوى ، فمرت بينهما مسائل أقر له يونس فيها وصدّره موضعه»[3] وكان يصفه بالصدق فيقول : « حدثنى الكسائى ــ وكان والله ما علمته إلا صدوقا»... الخ[4] ، وظل وفياً لأستاذه معترفا بفضله حتى بعد أن تفوق عليه بكثير ، ولحظ الناس ذلك فيه فقال قائلهم : « إنى لأعجب من الفراء كيف بعظم الكسائى وهو أعلم منه »[5] على حين كان الكسائى نفسه قليل الوفاء لأشياخه ، بل حدث التاريخ عنه أنه كان يسخر من بعض شيوخه مثل يونس بن حبيب وهو من هو فى العلم[6] والفضل

أما صاحبنا أبو زكرياء ، فكان كما رأيت مع أشياخه وفيا لهم حفيا بهم ويبدو أن هذا الوفاء الجميل كان جبلّة فيه ، فلم يقتصر على شيوخه بل جاوزهم إلى كل من حوله ، ولا سيما التلاميذ والأصحاب ، من ذلك ما حدثنا به ابن النديم وغيره من استجابة الفراء لتلميذه عمر بن بكير فى تأليف المعانى إنقاذا له من الحرج أمام الأمير حيث يقول : « إن عمر بن بكير كان منقطعا إلى الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفراء يقول له : إن الأمير الحسن لا يزال

---

(١) انظر معجم الادباء ١٦٩/١٣ ط دار المأمون .

(٢) انباه الرواة للقفطى ٢٧٣/٢ ط دار الكتب .

(٣) معجم الادباء ١٦٩/١٣ ط دار المأمون .

(٤) معانى القرآن للفراء مصورتى ص ٣١٨

(٥) انظر مثلا وفيات الاعيان لابن خلكان ٣٠٢/٢ ط بولاق ، ومرآة الجنان لليافعى ٤١/٢ ط أولى .

(٦) انظر تفصيل ذلك فى انباه الرواه ٢٦٩/٢ ط دار الكتب . (ترجمة الكسائى) .

يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني جواب عنها ، فإن رأيت ان تجمع لي أصولا ، أو تجعل في ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت»[1] ، فاستجاب الفراء لتلميذه على الفور « وقال لأصحابه اجتمعوا حتى أملّ عليكم كتاباً في القرآن »[2] فأملى عليهم كتاب المعاني كما سيأتي به البيان ، وتدل هذه القصة على مدى ثقة ابن بكير بالفراء ، كما تدل على استجابة الفراء لطلب تلميذه ، وفي هذا ما فيه من رفيع الخلق ، كما تدل على أن أبا زكرياء كان طاهر النفس ، سليم دواعي الصدر ، ما كان ينفس على أصحابه ماهم فيه من نعيم في كنف الأمراء ، بل كان يتعهدهم على البعد ، ويسعفهم بما ينقذهم من الحرج .

(٤) ويبدو أن الله كافأ الفراء ، على جميل الوفاء ، فأحسن له الجزاء حيث كان محببا إلى نفوس طلابه وعارفيه يبادلونه وداً بود ، ووفاء بوفاء ، فهذا هو محمد بن الجهم أحد تلاميذه — وكان قد تتلمذ عليه وعلى منافسه (علي ابن حسين الأحمر) — يحدثنا ويوازن بين الرجلين فيقول : كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرا من قصور الملوك ، فيه من فرش الشتاء في وقته مالم يكن مثله إلا دار أمير المؤمنين ، ويدفع إلينا دفاتر الكاغد ، والجلود قد صقلت ، والمحابر المخروطة ، والأقلام والسكاكين ويخرج إلينا وعليه ثياب الملوك ينفح منها رائحة المسك والبخور ، فيلقانا بوجه منطلق وبشر حسن حتى ننصرف ، ونصير إلى الفراء . فيخرج إلينا ... قد اشتمل بكسائه ، فيجلس لنا على بابه ، ونجلس في التراب بين يديه ، فيكون أحلى في قلوبنا من الأحمر وجميل فعله[3] ، ويقول ابن الجهم في قصيدة طويلة يرثي بها أستاذه وفاء بحقه وعلمه[4] .

يا طالب النحو التمس علم ما ألفه الفراء في نحوه

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٦٦ ط اوربا ، وطبقات الزبيدي ص ١٤٤ فما بعدها ط اولى .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٥ - ط الاولى .

(٣) معجم الادباء ٩/١٣ ط دار المأمون .

(٤) تاريخ بغداد ١٥٤/١٤ ط السعادة .

إلى أن يقول :

فرحمة الله على شيخنا يحيى مع الأبرار فى علوه

كافأه الرحمن عنا كما أروى الصدى بالسيب من نوه

الخ ..

وهى وإن لم تكن من عيون الشعر — بل إنها إلى النظم المرذول أقرب — إلا أنها تدل على وفائه لشيخه ، وتقديره إياه ، وذلك الذى نريد .

ومما يدل على أنه كان محببا إلى نفوس طلابه، ما رواه المؤرخون من تسابق تلميذيه على تقديم نعليه — وهما وليا عهد المؤمنين — كما سيأتى بالتفصيل[1] .

وفى قصة ثمامة دليل أىّ دليل على أن أبا زكرياء كان محببا إلى عارفيه ، تعلقه القلوب، وتهواه النفوس[2] .

على أنك واجد فى آثار القراء — فضلا عن كلام المؤرخين — ما يؤيد هذه الأريحية المثالية ، استمع إليه حين يترفق بمخالفيه ، فلا يجبههم بما يسوء من تخطىء أو تجريح وإنما يقول فى لطف محبب إلى النفوس «ولست أشتهى ذلك[3]» وحينما يعقب على رأيين يجيز أحدهما برجحان ، يشنف سمعك ، بعبارته اللطيفة المألوفة «وإنه لأحب الوجهين إلى»[4] أو يقول فى لغة مهذبة «فكأنه أشبه المعنيين بالصواب»[5] ، فكلاهما صواب عنده ، حبيب إلى قلبه ، ولكن أحدهما أحب إليه من الآخر .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الوفيات مثلا ٣٠٢/٢ ط بولاق ، وتاريخ بغداد ١٥٠/١٤ ط السعادة .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى معجم الأدباء مثلا ١١/٢٠ فما بعدها . ط دار المأمون .

(٣) انظر معانى القرآن مثلا ص ١٢٤ ، ص ١٢٥ ط دار الكتب ، و ص ٣١٩ مصورتى.

(٤) المصدر السابق ص ٧٥ ط دار الكتب ، و ص ٣٢٠ ، و ص ٣٥٧ مصورتى .

(٥) نفس المصدر ص ٤١ ط دار الكتب وكذلك ص ٤٢ مصورتى .

وحينما لا يرضى رأيا يعرضه فى لطفه المعهود — بعد رأيه الذى ارتضاه — ثم يعقب عليه بقوله « والله أعلم بصواب ذلك[1] » .

(٥) أما سماحته فتدل عليها قصته مع الوراقين حين اختزنوا كتابه «معانى القرآن» الذى أملاه من ذاكرته ، فضنوا به على الناس حين رأوا شغفهم به ، وحرصهم على اقتنائه وقالوا : « لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم » ، فشكا الناس إلى الفراء ، فدعا الوراقين فقال لهم فى ذلك ، فقالوا : « إنما صحبناك لننتفع بك .... فدعنا نعيش به » ، فقال : «قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا» فأبوا عليه ، فقال : «سأريكم» ، وقال للناس : « إننى مملٍ كتاب معان أتم شرحاً ، وأبسط قولا من الذى أمليت » ، فجلس يملى ، فأملى الحمد فى مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا : «نحن نبلغ الناس ما يحبون» ، فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم[2] ، ولئن دلت هذه الحادثة على سماحته التى تتمثل فى عبارته (قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا) من جهة ، فإنها تدل على حزمه من جهة أخرى فلم يشأ أن يجمد أمام احتكار الوراقين ، بل عزم على تأديبهم ، وتلقينهم درساً فى السماحة ، وكذلك فعل ، فجاءوا إليه خاضعين طائعين .

(٦) ومما يدلنا أيضاً على أنه كان حازما صارما حين ينبغى الحزم ماورواه صاحب الفهرست فى سبب « إملائه (الحدود) ، أن جماعة من أصحاب الكسائى صاروا إليه وسألوه أن يملى عليهم أبيات النحو ، ففعل ، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان ، والوجه أن يقعد عنه ، فقعدوا ، فغضب ، وقال : سألونى القعود فلما قعدت تأخروا ، والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان ، فأملى ذلك ست عشرة سنة ولم يُرَ فى يده كتاب .. » الخ[3] .

---

(١) معانى القرآن ص ٢٦٢ مصورتى .

(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ٣٠١/٢ ط بولاق ، وانظر تاريخ بغداد ١٥٠/١٤ ط السعادة

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٩٩ ط الرحمانية .

(٧) على أن هذا النص يشير كذلك إلى ما طبع عليه الفراء من السهولة والتيسير، حيث قالوا: «إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان» ففيها دلالة على سهولة منهجه ووضوحه مصداقا لقول بعض المحدثين «وكان له فضل تقريب النحو إلى الأذهان حتى ليستطيع أن يفهمه الصبيان[1]» ولعل هذه السهولة المركوزة فى خلقة ومنهجه تفسر لنا سر إعجابه بشعر أبى العتاهية على ما يرويه صاحب الأغانى فيقول بعد سلسلة طويلة «... حدثنا يحيى بن زياد الفراء. قال: دخلت على جعفر بن يحيى فقال لى يا أبا زكريا ما تقول فيما أقول؟ فقلت وما تقول أصلحك الله؟ قال أزعم أن أبا العتاهية أشعر أهل هذا العصر، فقلت هو والله أشعرهم عندى[2]».

بيد أن الفراء يجمع بين السهولة والعنف كما سيأتى بيان ذلك فى موطنه من البحث.

(٨) أما رحابة صدره فتتمثل فيما حدثنا به ثعلب فى أماليه: «قال حدثنى الطويل: قال كنت عند الفراء، فسألته عن مسألة فسرها لى، وقال لى أفهمت؟ فقلت لا، فأعاد وبينها عند نفسه، وقال أفهمت؟ فقلت لا. فقال أفلى ذنب؟ فقلت: لا، الذنب لى[3]».

ولئن دلت هذه الحادثة على شىء فإنما تدل على رحابة الصدر، ولين الجانب، وخلق المعلم الكريم، — وقد صمت التاريخ إزاء هذا المسألة كما يصمت إزاء الكثير، فلم يبين لنا كنهها، لنتعرف مدى استغلاقها على فهم الرجل... ولعلها كانت مسألة فلسفية دقيقة، أو كانت من مسائل المتكلمين، التى شغلت أذهان كثيرين فى تلك الحقبة من الزمن وإلا فكيف استعصت على طريقة الفراء ومنهجه فى التبسيط والتقريب إلى الأذهان، حتى

---

(١) ضحى الاسلام ٣٠٨/٢ ط الثانية.

(٢) الأغانى ١٢٧/٣ ط ساسى.

(٣) مجالس ثعلب ص ٦٥٧ ط المعارف.

أذهان الصبيان كما سلف به البيان! وربما لم تكن المسألة من هذا القبيل أو ذاك، وإنما كان السائل — فى طبيعته — محاوداً الاستمداد، كما أشار إليه قول الفراء «أفلى ذنب؟» وصرح به السائل فى الجواب حيث قال « الذنب لى»، ولعل هذا وأمثاله جعل الفراء يرثى لحاله فيقول: «أرحم رجلين: رجل يفهم ولا يطلب، ورجل يطلب ولا يفهم[1]» وفى هذه العبارة ما فيها من العطف والرثاء والإشفاق على من لم ينتفع بمواهبه من جهة، وعلى من حرم هذه المواهب ويحاول جاهداً أن يبلغ ما يريد، فتذهب محاولته أدراج الرياح.

تلك وأمثالها عند الفراء تكشف لنا عن جانب إنسانى مرهف، وعن قلب رحيم كبير.

(٩) أما عفة اللسان: فتشير إليها رواية ياقوت الحموى فى ترجمة برزخ العروضى حيث يقول: « وحدث ابن قادم، قال سئل الفراء عن «برزخ» فأنشد قول زهير:

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها فلاقت بيانا عند آخر معهد

يريد أن الناس اجتنبوه لشىء استبانوه منه[2]» فعف لسانه عن التجريح الصريح وأفاد السامع بما أقنعه، وفاء بحق العلم فى التمييز بين الثقات وغيرهم.

(١٠) ومما تحلى به أبو زكرياء تحرّى الصدق فى المودة والعداء، فيما رواه ياقوت حين قال: «... أخبرنا غير واحد عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء أنه قال: كان بين الفراء والأحمر تباعد وجفاء، فحج الأحمر فمات فى طريق مكة. فقيل للفراء: إن الأحمر قد نعى إلى أهله، فاسترجع وتوجع، وترحم عليه، وجعل يقول: أما والله لقد علمته صدوقاً سخياً ذكياً عالماً ذا مروءة ومودة رضى الله عنه. فقيل له: أين هذا مما كنت تقول فيه بالأمس؟ قال: والله

---

(١) مجالس ثعلب ص ١٩٠ ط المعارف.

(٢) معجم الأدباء ٧٢/٧ ط دار المأمون.

مايمنعنى ما كان بينى وبينه أن أقول فيه الحق، وما تعديت فيه قط فى قول، ولا تحرّيت فيه إلا الصدق قبل والآن[1]» .

وهذا النص يهدينا إلى أشياء فى خلق الفراء منها :

(ا) أنه كان ذا قلب كبير يتوجع ويترحم حتى على عدوه ومنافسه الذى ذاق على يديه هو والكسائى مرارة الحرمان ، كما سيأتى به البيان فى زحزحة الفراء عن بلاط الرشيد .

(ب) أنه كان يتحرى الصدق فى الحالين : فلا تغلبه النوازع فى العداوة، ولا يجرفه الهوى فى المودة .

(حـ) أنه كان يتخلق بخلق القرآن ، فيأتسى بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «اذكروا محاسن موتاكم » .

(١٢) ويبدو أن صاحبنا كان معتزاً بنفسه ، يصونها عن مواطن التبذل « على تيه وعُجْب وتعظُّم[2]» فيما يرويه السيوطى ، مهما كلفه ذلك من ثمن ، ولو كان الثمن حظوة الخليفة ، وبلاط الرشيد ، إذ أن اعتزازه بنفسه زحزحه طويلا عن قصر الخلافة ، حيث كان ينعم الأحمر ، ويُحرم الفراء ، على ما كان بينهما من فروق تلمسها فى رواية ياقوت حين يقول : « كان الأحمر . . . رجلا من الجند ، من رجال النوبة على باب الرشيد ، ... فلما أصاب الكسائى الوضح فى وجهه وبدنه كره الرشيد ملازمته أولاده، فأمر أن يرتاد لهم من ينوب عنه ممن يرتضى به . . . . فجعل يدافع بذلك ويتوقى أن يأتيهم برجل فيغلب على موضعه ، إلى أن ضيق عليه الأمر . . . فقلق لذلك ، ثم عزم على أن يدخل إلى أولاد الرشيد من لايخشى ناحيته ، ومن ليس ممن اشتد من أصحابه ، فقال للأحمر : — هل فيك خير ؟ قال نعم »]

---

(١) معجم الادباء ١٢/١٠ .

(٢) البغية ص ٤١١ — ط السعادة .

قال قد عزمت أن أستخلفك على أولاد الرشيد ، فقال الأحمر لعلى لا أفى بما يحتاجون إليه فقال الكسائى : إنما يحتاجون فى كل يوم إلى قليتين فى النحو وبيتين من معانى الشعر ، وأحرف من اللغة ، وأنا ألقنك فى كل يوم قبل أن تأتيهم ذلك ، فتحفظه وتعلمهم ، فقال نعم — فلما ألحوا عليه قال قد وجدت من أرضاه ، وإنما أخرت ذلك حتى وجدته ، وأسماه لهم ، فقالوا : إنما اخترت لنا رجلا من رجال النوبة ، ولم تأت بأحد متقدم فى العلم ، فقال ... لست أرضى لكم غيره ، فجعل يختلف إلى الكسائى كل عشية ، ويتلقن ما يحتاج إليه أولاد الرشيد ويغدو عليهم فيلقنهم . . . »[1] هكذا كان الأحمر كما رأيت على حين كان الفراء كما عرفت ، لكن اعتزازه بنفسه حال بينه وبين القصر أمدا طويلا ، ولئن فاتته رفاهة العيش فما فاتته فراهة العقل ورهافة الحس .

بيد أنى لا أستريح كثيراً إلى تعبير السيوطى « بالتيه والعجب والتعظم[2] » كما سبق ولعله كان يريد العزة التى لحظها الخليفة المأمون فى الفراء ، حين علم أن ابنيه كانا ، يتنازعان على تقديم نعل شيخهما أبى زكرياء فقال قولته المشهورة فى عزة الفراء كما سيجىء بالتفصيل[3] .

وربما لحظوا جانب العزة إلى جانب العلم حين لقبوه بأمير النحاة ، فقالوا : « الفراء أمير المؤمنين فى النحو »[4] .

(١٢) بيد أن هذا الاعتزاز ما كان يخرج عن دائرة الاحتفاظ بالكرامة إلى دائرة الإضرار بالناس ، فقد كان حريصا على ألا يؤذى أحداً فى مشاعره كائناً من كان ، « حكى أن الفراء سأل ابن السكيت عن نسبه ، فقال خوزى

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٦ فما بعدها ط دار المأمون .

(٢) البغية ص ٤١١ ط السعادة .

(٣) وانظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة .

(٤) انظر مثلا اخبار النحويين للسيرافى ص ١٢٦ تحقيق كرنكو ، وتهذيب التهذيب للعسقلانى ١١/٢١٢ ط أولى .

أصلحك الله من دَورق[1] ، قال فبقى الفراء أربعين يوما فى بيته ، لا يظهر لأحد من أصحابه فسئل عن ذلك . فقال : سبحان الله ، أستحى أن أرى ابن السِّكِّيت لأنى سألته عن نسبه فصدقنى ، وفيه بعض القبح »[2] ، وفى هذه القصة مافيها من دلالة على مدى حياء الفراء ، ورقة مشاعره ، وما كان يأخذ به نفسه من تأديب فى معاملات الناس ، حتى ولو كانوا من تلاميذه الصغار – رحم الله أبا زكرياء ، لقد كان فى هذا حيياً مفرط الحياء .

(١٣) كما أن هذا الاعتزاز ما كان يحول بينه وبين الرجوع إلى الحق مهما صغر مصدره ، فهذا هو أحد تلاميذه ، يراجعه فى رواية بيت للقتّال الكلابى حيث رواه الفراء هكذا :

يا قاتل الله صُلعـــانا تجيء بهم أُمّ الهنين من زنـــدٍ لها وارى

فراجعه فيه السكرى بعد انتهاء المجلس ، على ما يرويه الجوزى [3] فقال :

رويناه هكذا :

يا قاتل الله صلعـــانا تجيء بهم أم الهنيبر من زنـــد لها وارى[4]

ففكر الفراء ساعة ثم قال لتلميذه ، « أحسن الله عن الإفادة بحسن الأدب جزاءك »[5] .

---

(١) ضبطها ابن خلكان فقال « هى بفتح الدال المهملة وبعد الواو الساكنة راء ثم قاف ، وهى بلدة من اعمال خوزستان ، من كور الاهواز ، قلت والاهواز من خوزستان أيضا » انظر الوفيات ١٤٦/٣ – ترجمة (يعقوب بن السكيت) .

(٢) نفس المصدر ، وانظر الفهرست ص ١٠٧ فما بعدها ط الرحمانية .

(٣) هو ابو الكرم خميس بن على الجوزى النحوى الحافظ الواسطى – انظر معجم الادباء ٩٥/٨ ط دار المأمون .

(٤) الهنيبر تصغير هنبر بوزن الخنصر ولد الضبع . معجم الادباء ٩٦/٨

(٥) انظر معجم الادباء ٩٥/٨ فما بعدها – ط دار المأمون .

على أن هذه الرواية تحتاج إلى تمحيص وقد سبقنا إلى ذلك ياقوت الحموى ، حيث تعقب الجوزى ، وخطأه فى نسبة القصة إلى السكرى ، فقال : إن السكرى ولد فى سنة ٢١٢ هـ ، والفراء مات سنة ٢٠٧هـ فكيف يأتى ذلك ؟ ثم عقب عليها بقوله :

« ولعل هذه الحكاية عن غير السكرى[1] » ، وأضيف احتمالا آخر فأقول : أو لعلها عن السكرى ولكنها مع غير الفراء ، فإن تكن كذلك فقد سلم أبو زكرياء من نسبة الخطأ إليه فى الإنشاد ، وإن تكن الأخرى فإنها تهدينا إلى خلق جديد للفراء ، وهو الرجوع إلى الصواب مهما صغر مصدره . ويكفيه هذا شرفاً ، وبعداً عن الكبر والمكابرة ، ثم لا عليه بعد ذلك أن يخطئ فى الإنشاد ، فليس أول من أخطأ .

عقيدة الفراء

(١) اعتداله بين أهل السنة والاعتزال :

ليس من أهدافنا فى هذا البحث أن نتعرض لشىء من تاريخ الاعتزال ونشأته كمذهب مناهض لما توارثه السلف من طريقة المحدثين التى تعتمد على النقل والرواية أكثر مما تعتمد على العقل والدراية ، ولكن هذا لا يحول بيننا وبين اللمحة الخاطفة التى تلقى بعض الأضواء على موقف الفراء .

وقد لخص المستشرق (سيديو) تاريخ الاعتزال منذ نشأته الأولى إلى عهد الفراء حين قال فى المعتزله « ويمكن إرجاع أصل مذهبهم إلى ثلاثة متكلمين ألقوا الشك بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) فى المبدأ القائل بالقضاء والقدر وهؤلاء الثلاثة هم معبد الجهنى ، وغيلان الدمشقى ، وأبو على الأسوارى ، ثم انتحل مذهبهم أبو حذيفة واصل بن عطاء[2] فصار رئيس المعتزلة ،

---

(١) معجم الادباء ٩٧/٨ .

(٢) ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٣١ هـ ولكن المذهب ظهر على يديه كفرقة منظمة فى حدود المائة الاولى من الهجرة .

ثم انقسم المعتزلة إلى عدة فرق اختلفت فى المسائل الثانوية. ومن هذه الفرق ... الهذلية والبشرية ، والجاحظية ، والنظامية ..الخ ،،[1]

وكان الخلاف قبلا (فى أول نشأة المعتزلة) بينهم وبين مخالفى الإسلام من أرباب الديانات الأخرى، ثم اشتجر الخلاف بعد ذلك بين المعتزلة من جهة ، وبين أهل السنة ممثلين فى رجال الحديث وأصحاب الأثر من جهة أخرى ، وفى هذه الأجواء نشأ الفراء، فليس غريباً إذن أن يتأثر بهؤلاء وهؤلاء، وإلى هنا أقتضب الحديث لنرى أولاً ماذا قال المؤرخون فى عقيدته وهواه ؟ وما مبلغ هذه الأقوال من الصحة ؟

تضاربت أقوال المؤرخين من قدامى ومحدثين ، فقد نص الأزهرى (ت ٣٦٨ هـ) على أن الفراء كان من أهل السنة ، وسمت إزاء اعتزاله، فلم يصرح بشىء عن مذهبه أكثر من قوله :

« وكان من أهل السنة ، ومذاهبه فى التفسير حسنة [2] .

أما صاحب الفهرست فقد أثبت له التفلسف حيث قال : «وكان الفراء يتفلسف فى تآليفه ومصنفاته ، يعنى يسلك فى ألفاظه كلام الفلاسفة[3]» .

وزاد عليه ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) فقال : « وكان الفراء متكلما يميل إلى الاعتزال، وكان يتفلسف فى تصانيفه ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة»[4]

---

(١) تاريخ العرب العام ـ سيديو ـ ترجمة عادل زعيتر ص ٤٥٤ ، والهذلية نسبة الى أبى الهذيل العلاف (١٣٥ هـ ـ ٢٣٥ هـ) ، والبشرية الى بشر بن المعتمر رأس المعتزلة البغداديين (ت ٢١٠ هـ) أما الجاحظ فقد توفى سنة ٢٥٥ هـ والنظام سنة ٢٢١ هـ وكان أستاذ الجاحظ .

(٢) تهذيب اللغة (٨/١) مخطوطة دار الكتب رقم ٩ لغة .

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٦٦ ط أوروبا .

(٤) ١١/٢٠ ط دار المأمون .

ما القفطي فيقول في إنباه الرواة « وكان الفراء يميل إلى الاعتزال »[1]

ومثلها جاء في تلخيص ابن مكتوم[2] وقريب منها ما قاله ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) حين نسب إليه الفلسفة والاعتزال[3] ، ثم جاء السيوطي (ت ٩١١هـ) فأفادنا جديدا وهو حبه الكلام حيث قال : كان يحب الكلام[4] ويميل إلى الاعتزال وكان يتفلسف في تصانيفه ، ويسلك ألفاظ الفلاسفة[5] .

تلك هي أقوال المؤرخين القدامى ـ فيما وقفت عليه ـ حسب الترتيب الزمني ، على أن كثيراً منهم صمت صمتاً مطبقاً إزاء عقيدة الفراء ، ومن هؤلاء أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) والزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) ، وهما من الرعيل الأول من مترجمي القرن الرابع الهجري ، وكلاهما قريب عهد ـ نسبياً ـ بالفراء .

أما في العصر الحديث فنرى الأستاذ أحمد أمين يشدو شدو الأوائل في إثبات الكلام والتفلسف والميل إلى الاعتزال[6] ، ومثله ماجاء في دائرة معارف القرن العشرين[7] أما صاحب كتاب المعتزلة ، فقد جعل الفراء من مشهوري المعتزلة ، وسلكه في طائفة المثقفين[8] المتزهدين على عادة الكثير من أهل الاعتزال[9] :

---

(١) قسم (٣) ج ٢ ص ٣١٢ مصورة دار الكتب رقم ٥٥٥٨٨ عمومية .

(٢) انظر ورقة (٢٧٠) مخطوطة دار الكتب ٢٠٦٩ تاريخ تيمور .

(٣) انظر وفيات الاعيان ٣٠٢/٢ ط بولاق .

(٤) يرى المقدسي ان المعتزلة هم واضعوا أسس علم الكلام ، وانهم اول من فرق هذا العلم في الاسلام ـ انظر أحسن التقاسيم ص ٣٧ ط ليدن سنة ١٩٠٦ ، وقد تعرض النسفي لسبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم فذكر فيها ستة أقوال ـ انظرها في العقائد النسفية ص ٦ ط القاهرة سنة ١٦٠١ م .

(٥) بغية الوعاة ص ٤١١ ط السعادة .

(٦) انظر ضحى الاسلام ٣٠٧/٢ ط ثانية .

(٧) انظر ١٣٩/٧ ط ثانية .

(٨) انظر المعتزلة لزهدي حسن جار الله ص ٢٣٢ .

(٩) نفس المصدر ص ٢٣٣ .

أما علماء الشيعة فإنهم يحاولون – جاهدين – أن يستخلصوه لأنفسهم فيجعلوه من أعيان الشيعة ، وينفوا عنه الاعتزال ، فيقول قائلهم :

« ونص على تشيعه صاحب رياض العلماء ، وما فى بغية الوعاة من أنه كان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال مبنى على الخلط بين أصول الشيعة ، وأصول المعتزلة ، كما نبه عليه فى رياض العلماء[1] » ، ويقول صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة :

«وصرح خرّيت ميرزا عبدالله فى الرياض بأنه من الإمامية ، وأن النسبة إلى الاعتزال – كما عن السمعانى والسيوطى – من جهة اختلاط أصول الشيعة والمعتزلة فكان كثير منهم يتستر بالاعتزال[2] » .

ولست أدرى منافاة أو مجافاة بين المذهبين ، فماذا عليهم لو تركوه على ما هو عليه من اعتداله فى تشيعه واعتزاله ؟ إذن لكان أدنى إلى الحقيقة ، وأقرب إلى واقع الرجل كما سيأتى به البيان .

تلك هى آراء الباحثين ، من قدامى ومحدثين ، ويجمل بنا أن نصنفها إلى ما يأتى :

١ – رأى ينص صراحة على أنه من أهل السنة ، ويسكت عما عداه ، فلا يثبت الاعتزال ولا ينفيه ، ولا ضير عليه كثيراً فى هذا الصمت ، غير أنه يعطى حكماً مبتوراً من بعض الوجوه .

٢ – وآخرون – وهم الجم الغفير – ينصون صراحة على أنه كان يميل إلى الاعتزال ويحب الكلام ويسلك مذاهب الفلاسفة ، وليس فى هذا القول ما ينافى أنه من أهل السنة ، لما فيه من إشارة دالة على أنه كان فى طبيعته سنياً ولكنه مع هذا يميل إلى الاعتزال .

---

(١) أعيان الشيعة للعاملى ٣٥١/١ ط دمشق سنة ١٩٣٥ م .

(٢) ٣٩/١ ط الغرى بالنجف سنة ١٩٣٦ م ، (وصاحب الذريعة هو الشيخ آغا بزرك الطهرانى .

٣ ــ أما الرأى الثالث فهو الذى ينفى عنه الاعتزال نفياً صريحاً ، وأولئك هم المتشيعون ، وسيتضح لنا مدى تعصبهم وانحرافهم فى هذا الاتجاه بعد إثبات الرأى الذى ارتضيناه بالأدلة المتضافرة .

وأبادر فأقول : إن أقرب الأقوال إلى الصحة هو القول الوسط ، إذ أنه يتفق مع الخط الرئيسى لشخصية الفراء ، وهو التحرر الذى يرتكز على أساس من السلفية الصالحه ، فقد عرفناه « نسيج وحده[1] » يؤمن بعقله ، ولا يتقيد بمذهب دون الآخر ، وبالتالى لايتعصب له ، بل يدين بمذهب الاعتدال بين المتطرفين من هؤلاء وأولئك ، ويتخير أحسن ما فى المذاهب مما يتفق مع طبيعته المتدينة الورعة ، وعقليته الناضجة الواعية .

لهذا كله أرجح أنه كان سنياً يميل إلى الاعتزال ، ولست فى هذا ممن يعتمدون على أقوال المؤرخين وحدها مهما كثر مرددوها ، لعلمنا أن الخالف يتبع السالف فى كثير من الأحيان ، دون وعى أو تمحيص ، ولهذا تفقد كثيراً من أهميتها ، ولا يبقى لهم من قيمتها ــ مهما تظاهرت وتضافرت ــ إلا مقدار ما يظاهر النقل والاقتفاء ، فعلينا إذ نأن نبحث عن أدلة أخرى تؤيد ما ذهبنا إليه ــ وهذا الاتجاه من الفراء يقتضينا جهداً مضاعفاً حيث يحتم علينا أن نجمع نوعين من الأدلة :

ــ أدلة تثبت أنه كان سلفياً أثرياً من أهل السنة .

ــ وأخرى تؤيد أنه كان يميل إلى الاعتزال .

ثم نبين أثرهما فى تكوين عقيدته وهواه ، وقد تجمعت لدى أدلة عديدة تتمثل فى المظهرين الآتيين :

أولاً : فى اتصال الفراء بشيوخ وأصدقاء من الفريقين .

---

(١) انظر معجم الأدباء ٢٠/١٠١ فما بعدها ط دار المأمون ، وانظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة .

ثانياً : فى نصوص من آثار الفراء نفسه تثبت أنه تأثر بالمذهبين .

(ا) أما اتصاله بأهل السنة :

وأعنى بهم أهل الحديث ومن كان على شاكلتهم من أهل الرواية فيتجلى فى اتصاله بشيخه المحدّث أبى الأحوص ، ذلك الذى تتلمذ عليه الفراء أول ما تتلمذ فى بواكير حياته العلمية ، وقد روى الصفدى أنه « لم يكن مثله أحد فى الإنكار على القدرية [1] » والقدرية هنا هم المعتزلة لأن أبا الأحوص كان من شيوخ الحديث كما عرفنا ، والعداء بين الفريقين أشهر من أن يُدل عليه ، .

وكذلك اتصاله بشيخ آخر « لا يحسن شيئاً من النظر [2] » وهو الكسائى. فيما يرويه ياقوت الحموى ، فى المناظرة التى دارت فى (القدر) بين النظام وضرار بحضرة الرشيد [3] — والكسائى هو الشيخ الذى اعتمد عليه الفراء فيما يرويه المؤرخون [4] .

(ب) أما اتصاله بالمعتزلة فيتمثل فيما يأتى :

١ — فى اتصاله الوثيق بصديقه [5] ثمامة بن الأشرس « وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم ، والواثق [6] » ، «وانفرد —عن سائر المعتزلة— ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما [7] » :

---

(١) البغية ص ٢٦٠ ط أولى .

(٢) معجم الادباء ١٩٤/١٣ ط دار المأمون .

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) انظر مراتب النحويين ص ٨٦ نهضة مصر .

(٥) تاريخ بغداد ص ١٠٢ و ص ٢٠٤ ط السعادة .

(٦) انظر نزهة الالباء ص ٦٨ .

(٧) نفس المصدر .

٢ ــ وكذلك اتصاله بالجاحظ المعتزلى المتطرف حين التقى به فى بغداد سنة ٢٠٤ هـ « واشتهى أن يتعلم شيئاً من علم الكلام ...[١] » .

٣ ــ أما الأخفش المعتزلى[٢] القدرى الشمرى[٣] فقد كان بينه وبين الفراء وداد وتقدير يتمثل ذلك فى رد الفراء حينما امتدحه سعيد بن سالم فقال لأصحابه : « قد جاء كم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية » . فما كان من الفراء إلا أن قال تكريماً للأخفش « أما مادام الأخفش يعيش فلا [٤] » وكانا على اتصال دائم مذ دخل الأخفش بغداد ليثأر من الكسائى الذى هزم سيبويه باطلاً فى زعم الكثيرين ، وكان الأخفش « يقول بالعدل [٥] » ، « وكان أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل[٦] » فلعل أحدهما كان متأثراً فى هواه بالآخر أو أنهما اتفقا فى الأهواء والمنازع فتآلفت الأرواح .

٤ ــ ولاننسى اتصاله بالخليفة المأمون ، ذلك الذى كان أكبر نصير للمعتزلة ، وعلى يديه ذاق العذاب كثير من العلماء الذين أنكروا القول بخلق القرآن ، بإيعاز من القاضى أحمد بن دؤاد[٧] ، وإن كان ثمامة بن أشرس هو الذى أغواه أولاً ، ودعاه إلى الاعتزال[٨] ، لما كان له من مكانة عظيمة

---

(١) انباه الرواة قسم ٣ حـ ٢ ص ٣١٢ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٢) البغية ٢٥٨ ط السعادة .

(٣) انظر انباه الرواة ٣٨/٢ ط دار الكتب ، ففيها يقول القفطى « كان الأخفش غلام أبى شمر وكان على مذهبه : وهم صنف من القدرية نسبوا الى أبى شمر » .

(٤) معجم الأدباء ٢٢٧/١١ ط دار المأمون .

(٥) انباه الرواة ٣٩/٢ تحقيق ابى الفضل .

(٦) معجم الأدباء ٢٣٠/١١ ط دار المأمون .

(٧) انظر طبقات الشافعية الكبرى ٢١٨/١ ط سنة ١٩٠٦ م .

(٨) انظر الفرق بين الفرق ص ١٥٧ ط سنة ١٩١٠ م .

لديه [1] ، ولم تكن صلة الفراء بالمأمون، صلة ضعيفة بل كانت قوية إلى حد كبير . ومن أبرز مظاهرها .

(ا) ما كان بينهما من صلات التشيع ، فقد ذكر المؤرخون أن المأمون كان يفضل الإمام على بن أبي طالب على جميع الصحابة[2] ، كما ذكروا أن الفراء كان متشيعاً وسيأتى عن قريب [3] .

(ب) ما كان بينهما من صلة العلم الدائمة حيث خصص له المأمون مقصورة من المقاصير فى دار الخلافة ليتفرغ فيها للبحث والتأليف .

(حـ) ومن وراء ذلك كله اختياره لتأديب ولديه ، وما كان ذاك إلا لأنه يرتضى منه ما يراه من عقيدته وهواه ، وإلا لما ائتمنه على تعليم ولديه خشية أن يُطبعهما بطابع لا يرضاه .

فليس عجيباً إذن أن يتأثر الصديق بالصديق أو يكونا على اتفاق فى الهوى دون تأثر أو تأثير ، على أن اتصال الفراء بالمتطرفين من الجانبين — مع ما كان له من عقل راجح — أفاده استخلاص هذا المنهج المعتدل ، كما سيأتى به البيان .

هذا ما كان من أمر الفراء ، واتصاله بعلماء من الفريقين أما النصوص الدالة على تحقيق ما قال المؤرخون من أنه كان « يميل إلى الاعتزال » فقد استخرجناها من آثاره هو لتكون أبلغ فى الدلالة على عقيدة الرجل وهواه .

ويجدر بنا قبل إيراد النصوص أن نقدم بين يديها ما يلائمها من المبادئ

---

(1) انظر الملل والنحل للشهرستانى ٧٨/١ ط سنة ١٩٢٨ م .

(2) انظر تاريخ الاسلام السياسى ٢٨١/٢ — الطبعة الثالثة .

(3) انظر مبحث (تشيع الفراء) .

أو المسائل التى اشتجرت فيها الآراء بين أهل السنة والاعتزال ، لنرى فى ضوئها موقف الفراء من الفريقين وإليك البيان :

من المبادئ العامة عند المعتزلة القول بالعدل[1] وتفسير ذلك عندهم أن الله تعالى عادل لا يظلم الناس شيئاً ، ولذلك منحهم حرية الإرادة والاختيار ، فلم يقيدهم بقضاء وقدر سابق ، بل جعلهم أحرارا يختارون ما يشاءون ، ليكونوا محلا للثواب والعقاب ، وإلا فكيف يتأتى من الله العادل أن يعاقب شخصاً على ذنب قد فرضه عليه من قبل ، وقيده به فى كتاب ؟ .

ومن هنا لقب المعتزلة بالقدرية [2] ، لكنهم قلبوا التسمية فأطلقوها على أهل السنة وسموهم القدرية [3] كما سموا أنفسهم أهل التوحيد ، وأهل العدل .

على ضوء هذه اللمحة الخاطفة نعرض بعض نصوص الفراء ، ونراه هنا يميل إلى المعتزلة ويرد على أهل السنة فى مسألة « القضاء والقدر » ، حيث يقول فى تفسير :

(ا) قوله تعالى : « ويؤخركم إلى أجل مسمى » ،

« مسمى عندكم تعرفونه ، لا يميتكم غرقاً ولا قتلا — وليس فى هذا حجة لأهل القدر — لأنه إنما أراد مسمى عندكم [4] » ، فأنت تراه يفر من

---

(١) انظر القسم الأول من الملل والنحل للشهرستانى ص ٦٢ فما بعدها ط مطبعة الازهر وانظر صبح الاعشى ٢٥١/١٣ ط الاميرية .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٩٤ ط القاهرة سنة ١٩١٠ م ، وانظر الملل والنحل ٥٠/١ ط سنة ١٩٢٨ م .

(٣) انظر سبب ذلك فيما يرويه القلقشندى حين تحدث عن طوائف المعتزلة فقال : « الطائفة الثالثة من اهل البدع القدرية — وهم القائلون بأن لا قدر سابق ، وان الامر انف ، يعنى مستأنفا ، ولكنهم لما سمعوا قول النبى صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة . قلبوا الدليل وقالوا بموجب الحديث : « القدرية اسم لمن يقول بسبق القدر » — ثم غلب عليهم اسم المعتزلة ... وهم يسمون انفسهم اهل التوحيد واهل العدل ، انظر صبح الاعشى ٢٥١/١٣ ط الاميرية .

(٤) معانى القرآن ص ٣٤٣ مصورتى .

الأجل المكتوب . ويتأوله بأنه مسمى عندكم لئلا يقول بالجبر والقدر ، ثم يعقب على هذا التأويل بأنه إنما قصد به الرد على أهل القدر — وهم أهل السنة هنا — فيقول : « وليس فى هذا حجة لأهل القدر » ويلح على هذا التأويل فيكرره مرة أخرى حيث يقول فى نهاية العبارة : « إنما أراد مسمى عندكم » لا عند الله ، فلم يسبق به كتاب كما يعتقد أهل السنة .

(ب) وفى موطن آخر نراه يؤول الكتاب بمعنى العلم فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب » ، « يعنى فى العلم الأول من قبل أن نبرأ تلك النفس [1] » . فهو ينفر من إثبات الكتاب لئلا يقع فى القول بالجبر والقدر السابق ، فيتنافى — فى نظره — مع العدل الإلهى .

(ح) وفى موطن ثالث رأيته يرد على أهل السنة أيضاً ، وذلك عند تفسير قوله تعال : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ، فيقول بعد إيراد رأيه : « وليس فيه لأهل القدر حجة [2] » :

وحين يتعرض الفراء لآية من الآيات المخالفة لحرية الإرادة يتأولها كما يتأولها المعتزلة حين يتشددون فى وجوب تأويل معنى الهداية والإضلال ، حيث قالوا فى الهداية : إنها على معنى الإرشاد وإبانة الحق ، وليس له تعالى من هداية القلوب شىء [3] وقالوا فى الإضلال : إنه بمعنى الإخبار بأنه ضال ، أو على معنى أنه جازاه على ضلالته [4] إلى غير ذلك من التأويلات التى يقتضيها المقام .

---

(١) معانى القرآن ص ٣٢٧ مصورة .

(٢) نفس المصدر ص ٣١٢

(٣) انظر أصول الدين لعبد القاهر البغدادى ص ١٤١ ط استامبول سنة ١٩٢٨ م.

(٤) انظر مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ٢٦١/١ ط الاستانة سنة ١٩٢٩ م.

(د) استمع إلى الفراء يتأول الهداية بمعنى الإرشاد والدلالة فيقول فى معانيه : « وقوله (فهديناهم) بقول دللناهم على مذهب الخير ومذهب الشر . كقوله (وهديناه النجدين [1]) » .

(هـ) ويتأول الإضلال بما يناسب المقام فيقول : « وقوله تعالى : (إن الله لا يهدى من يضل) قال الفراء : يريد لا يهتدى [2] » بمعنى أنه يضل نفسه فلا يهتدى ، وليس لله سبحانه وتعالى دخل فى إضلاله وإغوائه [3] .

(و) ورأيته . أحياناً — يتلطف لامعنى الذى يريد ، ويتأتى له فى رفق فيقول عند تفسير قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً [4]) .... (.... والحرج — فيما فسر ابن عباس — الموضع الكثير الشجر الذى لاتصل إليه الراعية ، قال فكذلك صدر الكافر لاتصل إليه الحكمة [5]) .

فهو هنا يتأول المعنى على غرار ما يتأوله المعتزلة : ولكنه يستند إلى صحابى جليل فى تفسير معنى الحرج . ليتوصل به إلى ما يريد . فيجمع بين الحرية والسلفية .

(ز) ومن هذا القبيل فى التلطف تأويل قوله تعالى (ويضل الله الظالمين) حيث قال : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ... »

---

(١) معانى القرآن ص ٢٩٠ مصورتى .

(٢) تهذيب الصحاح للزنجانى . مادة (هدى) بالقسم الأول ص ١٠٩٢ ط المعارف .

(٣) انظر نهاية الاقدام فى علم الكلام للشهرستانى ص ٤١١ ط اكسفورد سنة ١٩٣٤ وانظر مقالات الاسلاميين للأشعرى ٢٦٥/١ ط الاستانة سنة ١٩٢٩ م .

(٤) الانعام آية (١٢٥) .

(٥) معانى القرآن ص ٣٥٣ ط دار الكتب .

فيقال : بلا إله إلا الله، فهذا فى الدنيا — وإذا سئل عنها فى القبر بعد موته ، قالها إذا كان من أهل السعادة وإذا كان من أهل الشقاوة لم يقلها . فذلك قوله عز وجل (ويضل الله الظالمين) عنها — أى عن قوله لا إله إلا الله»[1] — وإلى هنا نكتفى بهذه النصوص الدالة على أن الفراء كان يرى رأى القدرية فى حرية الإرادة والاختيار ، ومن ثم تدل دلالة واضحة على صحة ما ذهب إليه المؤرخون القدامى عن أنه كان «يميل إلى الاعتزال» ثم نمضى فى تحقيق ما قال المؤرخون ، فننتقل إلى مبدأ آخر من مبادئ المعتزلة وهو نفى التشبيه[2] عن الله سبحانه وتعالى وتأويل كل ما ورد من الآيات التى تشير إلى التشبيه من قريب أو بعيد على حين كان السلف يتمسكون بآيات التجسيم والتشبيه ويأخذونها على ظاهرها . أما الفراء فكان يعمد إلى التأويل تماماً كما كان يفعل المعتزلة ، استمع إليه يقول فى معانيه :

١ — (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) «عندكم فى معرفتكم»[3] فهو هنا يصرف الآية عن ظاهرها فراراً من التشبيه بالمخلوقين الذين يشعرون بالهين والأهون طبقاً لمقدراتهم المحدودة المتفاوتة .

٢ — ويقول فى موطن آخر فى تفسير قوله تعالى (ما أريد منهم من رزق) « ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم (وما أريد أن يطعمون) أن يطعموا أحداً من خلقى[4] » .

فأنت تراه هنا يجنح إلى التأويل تنزيها لله سبحانه وتعالى من التشبيه بالخلق فى الطعام والرزق .

---

(١) معانى القرآن ص ١٦٤ مصورتى .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى ص ٦٢ من القسم الاول ط مطبعة الازهر .

(٣) المعانى ص ٣٤٣ مصورتى .

(٤) المعانى ص ٣١٢ (مصورتى) .

٣ ـ وحين نذهب إلى آيات الاستواء نجد فيها اختلافاً كبيراً ، كما نجد الفراء قد شارك فى هذا الخلاف . فماذا قال هؤلاء وهؤلاء ؟ .

قال بعض المعتزلة « إن معنى استوى إلى السماء أقبل عليها[١] » .

أما أهل السنة فعظمهم يأخذها على ظاهرها ، وفريق منهم يفسرها بمعنى الملك والسلطان[٢] فيقول فى معنى استوى استولى[٣] .

ونرى الفراء يميل إلى المعتزلة فيما يرويه أبو العباس ثعلب فيقول : « ثم استوى إلى السماء .. قال الفراء : وأصحابنا يقولون أقبل عليها ، وآخرون يقولون استولى[٤] » فكأن الفراء كان معتزلياً فى هذا حيث يقول وأصحابنا يقولون أقبل عليها ، والقائل بالإقبال هم المعتزلة كما رأينا .

وما لنا نذهب بعيدا و بين أيدينا نص كلامه ، فهو الذى يقول فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء فسواهن) « .. ووجه ثالث أن تقول كان مقبلا على فلان ثم استوى علىّ يشاتمنى ، وإلىّ سواء . على معنى أقبل إلى وعلى فهذا معنى قوله (ثم استوى إلى السماء) والله أعلم »[٥] .

أبعد هذا كله يحاول علماء الشيعة أن ينفوا عنه الميل إلى الاعتزال ! . إن كانوا بحاجة إلى مزيد من التأكيد فليستمعوا إلى الطبرى (ت ٣١٠ هـ) يهاجم الفراء فى تأويل الاستواء بمعنى الإقبال ويتهمه بالخروج « على أهل الحق » وهم أهل السنة فى نظره . فيقول مشيراً إلى الفراء فى خفاء ، (كعادته كثيراً فى تفسيره ، وقد أثبتُّ ذلك بمقابلة النصوص بين تفسيرى الطبرى والفراء ،

---

(١) انظر الطبرى ١/١٩١ ط الحلبى .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر مجالس ثعلب ص ٢١١ ط المعارف

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) معانى القرآن ١/٢٥ ط دار الكتب .

وسيأتى به البيان) أو على الأقل يشير إلى كل من تأول الاستواء بمعنى الإقبال ومنهم الفراء . وإليك النص :

« فقال بعضهم . معنى استوى إلى السماء أقبل عليها . كما تقول كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى علىّ يشاتمنى . واستوى إلىّ يشاتمنى بمعنى أقبل علىّ وإلى بشاتمنى ، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب فى تأويل قول الله (ثم استوى إلى السماء) الذى هو بمعنى العلو والارتفاع ، هرباً عند نفسه من أن يلزمه (التشبيه) بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم ، كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ، ثم لم ينج مما هرب منه . فيقال له : زعمت أن تأويل قوله (استوى) أقبل : أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها . فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير . قيل له فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان ، لا علو انتقال وزوال . ثم لن يقول فى شىء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله ، ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال فى ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفاً[1] ؛ » .

فأنت ترى الطبرى هنا يتحامل على الفراء لأنه « يميل إلى الاعتزال » ويرميه بمخالفة أهل الحق ، كما يرميه بفساد القول ، وبالتأويل المجهول ، والتأويل المستنكر ؛ ثم يرميه بالهروب مما وقع فيه . ولا يخفى ما فى ذلك من التحامل ، لأن الطبرى نفسه وقع فيما وقع فيه الفراء من التأويل ، وإن اختلفت جهة كل منهما ، فالفراء تأول الاستواء بمعنى الإقبال ، والطبرى تأوله بمعنى علو الملك والسلطان ، وكلاهما تأول على أية حال ، فما كان له أن يتحامل هذا التحامل مع أنه يعرف مقصد الفراء بأنه لا يريد إقبال الفعل وإنما يريد إقبال التدبير وليس فى هذا شىء من التشبيه الذى زعم الطبرى أن الفراء وقع فيه بعد الهروب منه ، لكنها العصبية الهوجاء بين أهل السنة والاعتزال : دفعت الطبرى إلى أن يهاجم الفراء لأنه كان يميل إلى الاعتزال ، وكأنما الأقدا

---

(١) تفسير الطبرى ١/١٩١ فما بعدها ط الحلبى .

ارادت أن تقتص من الطبرى انتقاماً للفراء ، فسلطت عليه آلاف المستمعين ، من الحنابلة المتزمتين فرموه بمحابرهم « واضطر أمام حنق التلاميذ أن يدخل داره التى هاجمها العامة مواصلة لثورة التلاميذ وقذفوها بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم[1] » كل ذلك لأنه انحرف عن مذهب أهل الحق فى نظرهم[2] ، فالفراء كان متهماً عند الطبرى بالانحراف عن أهل الحق وميله إلى الاعتزال ، وهذا هو الذى يعنينا إثباته هنا رداً على المتشيعين الذين نفوا عنه الميل إلى الاعتزال ، كما أنه رد على بعض الباحثين المحدثين من أن الفراء « قد اكتفى من الاعتزال بمنهج البحث وحرية الرأى والفكر ودقة النظر فى الأمور[3] » ، فنحن نوافقه على هذا الاستنتاج القيم ولكننا نخالفه فى نقطة الاكتفاء بالمنهج فقط ، وقد رأينا من قبل كيف اعتنق مذهب المعتزلة فى مبدأ العدل ، كما وافقهم فى نفى التشبيه ، وفيهما أبلغ رد على من أنكر مشاركة الفراء فى العقيدة نفسها لا فى المنهج فحسب .

وربما كان الدافع للشيعة إلى إنكار ما أنكروا من اعتزال الفراء يرجع أولا إلى العصبية المذهبية فهم يريدون أن يستخلصوه لأنفسهم ليفاخروا به على أنه علم من أكبر الأعلام التى تعتنق حرية الرأى ، من تلقاء نفسها دون أن تكون متأثرة بمنهج المعتزلة والمتكلمين لأن هذا التأثير يعكر عليهم صفو الاعتزاز بالعصبية الشيعية .

ثانياً : أنهم لم يدرسوا الرجل دراسة متعمقة تكشف عن خصائصه النفسية فى عقيدته وهواه وآية ذلك أنهم لم يدخلوا فى اعتبارهم نصوص الفراء فى آثاره بل اكتفوا بمناقشة الرواية التاريخية ، وحصروها فى السمعانى (ت ٥٦٢ هـ) والسيوطى (ت ٩١١ هـ) ، وكلاهما من المؤرخين المتأخرين بالنسبة إلى الفراء

---

(١) انظر معجم الأدباء ٤٢٦/٦ ط (مارجليوث) وانظر مذاهب التفسير الاسلامى ـ جولد تسيهر ـ ترجمة أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ص ١٢٣

(٢) انظر مذاهب التفسير الاسلامى ص ١٢٣

(٣) انظر أثر القرآن فى تطور النقد ص ٦٧ ط دار المعارف . للدكتور زغلول .

مغالاة منهم فى توهين الرواية وإضعافها وأحسب أننى رددت عليهم أبلغ رد حينما تتبعت القضية حسب المنهج التاريخى ، وأوردتها طبقاً للتسلسل الزمنى فى أقوال المؤرخين[1] ، كما سبق البيان بالتفصيل ، ولم تقتصر عل السمعانى والسيوطى كما أراد أن يوهمنا المتشيعون استجابة للعصبية المذهبية أو قصوراً عن البحث والتعمق فيه .

وإلى هنا نكتفى بهذا الحديث ، ونعتقد أنه ألقى الأضواء على موقف الفراء فرأيناه حقاً كان يميل إلى الاعتزال ، كما قال المؤرخون القدماء .

والآن ننتقل إلى زاوية أخرى من زوايا الرجل ، وهى زاوية السلفية لإثبات أنه كان من أهل السنة ، وإن كانت فى غنى عن الإثبات لوضوحها وكثرتها الكاثرة ، ولكنه البحث العلمى يقتضينا استكمال الصورة التى رسمناها للفراء ، أو بعبارة أدق استكمال الصورة التى اختارها لنفسه بنفسه وإليك البيان :

النزعة السلفية بوجه عام :

رأيت الفراء فى طبيعته الأولى ينزع منازع السلف بوجه عام ، فهو ينكر على أبى عبيدة تفسير القرآن بالرأى ، ويقول : « لوحمل إلىّ أبو عبيد لضربته عشرين فى كتاب المجاز[2] » ، ورأيته يعطى الإجماع بعض اهتمام ، ثم يعتمد على الرواية اعتماداً كبيراً فى تفسير المعانى ، ويعنى بالإسناد عناية ملحوظة ، ثم هو يحتج بالحديث الشريف ، مخالفاً بذلك مذاهب أهل اللغة فى عهده ، كما هو من جهة أخرى ردٌّ عملى على المعتزلة الذين يغضون من شأن الحديث فلا يحتجون به ، وأبرز من هذا كله أنه اعتنق مبدأ الإعجاز اللغوى فى القرآن

---

(1) قرايناها عند الأزهرى (ت ٣٦٨ هـ) وابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) ، وياقوت (ت ٦٢٦ هـ) ، والقفطى (ت ٦٢٤ هـ) ، وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) كما رأيناها عند الباحثين المحدثين امثال المرحوم احمد أمين ، وصاحب دائرة معارف القرن العشرين .

(2) تاريخ الخطيب ٣٥٥/١٣ ط الخانجى .

ودافع عنه دفاعاً حاراً ضد منكريه من المعتزلة[1] ورواة الأشعار[2] كما سيأتى به البيان ، ولقد رأيته أحياناً يتحفظ إلى درجة التزمت حتى لأكاد أصدق أن النص الذى بين يدى هو للفراء المتحرر فى اعتدال ، من ذلك ما رأيته من تحفظه فى الحديث عن (رمضان) فيما يرويه ثعلب فى أماليه « قال الفراء أكره أن أقول فى رمضان لأنه اسم من أسماء الله[3] » نزعة سلفية تحتة تلك التى نراها فى هذا النص ، وكأننى لا أقرأ للفراء المتحرر ، وإنما أقرأ للأصمعى المتزمت . تلك هى مظاهر النزعة السلفية بالإجمال عند الفراء ، وسأعرض لها بالتفصيل مع شىء من الإيجاز . ولنبدأ بالإجماع :

(آ) الإجماع : هو دعامة من دعائم أهل السنة ، فى حين أن المعتزلة ينكرونه ، وعلى رأسهم النظّام كما يقول عنه (دى بور) وكان « ينكر حجية الإجماع[4] » أما موقف الفراء منه فإنه موقف سلفى مخالف لأهل الاعتزال ، وآية ذلك ما نراه فى آثاره حين يقول معقباً على ما نسب إلى عائشة رضى الله عنها — وقد سئلت عن قوله تعالى (إن هذان لساحران) وعن غيرها من الآيات التى تخالف ظاهر الإعراب — أنها قالت :

(يابن أخى هذا كان خطأ من الكاتب) فعقب على رأيها بقوله : « ولست أشتهى أن أخالف الكتاب[5] » . لما فيه من الإجماع فلا يتركه إلى قول عائشة لأنه من رأى الآحاد . . وأكثر من ذلك أننا رأيناه فى سورة الحشر يتمسك بهذا الإجماع ، فتسيطر عليه تلك النزعة السلفية سيطرة تحدوه إلى أن يعدل عن الأبلغ إلى البليغ من القراءات ، استمع إليه فى المفاضلة

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١١٤ ط سنة ١٩١٠ .

(٢) انظر العربية ص ٥ ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار .

(٣) مجالس ثعلب ص ١٤٦ ط المعارف .

(٤) تاريخ الفلسفة الاسلامية ترجمة ابى ريدة ص ٦١ — الطبعة الثانية .

(٥) انظر معانى القرآن ورقة ١١٢ مخطوطة دار الكتب رقم (٢٠ ش) تفسير .

بين قراءتى التخفيف والتشديد فى كلمة (يخربون) من قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) حيث اجتمع القراء على التخفيف فى (يخربون) إلا أبا عبد الرحمن السلمى فإنه قرأ بتشديد الراء ، فقال الفراء : « كأن يخرّبون (بالتشديد) يهدمون ، ويخربون بالتخفيف يخربون منها ويتركونها — ألا ترى أنهم كانوا ينقبون الدار فيعطّلونها ، فهذا معنى يخربون (بالتخفيف) ، والذين قالوا يخرّبون (بالتشديد) ذهبوا إلى التهديم الذى كان المسلمون يفعلونه (ليتسع موضع القتال) وكلٌّ صواب ، والاجتماع من قراءة القراء أحب إلى[1] » فأنت ترى أن موقف الفراء من هاتين القراءتين هو تصويبهما معاً ، وتخريجهما كذلك ، غير أنه مال إلى التخفيف فقال « والاجتماع من قراءة القراء أحب إلى » مع أن قراءة التشديد ربما كانت أبلغ فى التخريب على حد تفسيره ، ولكنه عدل عنها إلى التخفيف ، لا لشىء — فيما أرى — إلا لأنها قراءة الجماعة ، والاجتماع أحب إليه ، فهو هنا ينزع نزعة سلفية لا يبغى بها بديلا ، ولو كان غيرها وارداً فعلا فى القراءات ، وكان أبلغ مما اجتمع عليه القراء ، لأنه أنسب للعظة التى تهدف إليها الآية الكريمة فتقول فى ختامها « فاعتبروا ياأولى الأبصار » .

(ب) أما الرواية فكانت موضع العناية من الفراء ، تمشياً مع النزعة السلفية من جهة ، ورداً عملياً — من جهة أخرى — على المعتزلة الذين كانوا يتحللون منها ، حتى قال قائلهم : « لا تسترسلوا إلى كثير من

---

(١) معانى القرآن ص ٣٢٩ مصورتى .

المفسرين[1] » وقد أخذت الرواية مظاهر متعددة عند الفراء نجملها فيما يأتى :

١ ــ العبارات الدالة على ذلك مثل قوله « وبذلك جاء التفسير[2] » « ويقول بعض المفسرين[3] » ، وأمثال ذلك كثير وكثير[4] .

٢ ــ سلاسل الإسناد ومثالها قوله « حدثنى قيس بن الربيع عن مغيرة عن إبراهيم قال أفتمارونه .... الخ » .

وقوله « حدثنى قيس عن عبد الملك بن الأبجرى عن الشعبى عن مسروق أنه قرأ أفتمرونه ، وعن شريح أنه قرأ أفتمارونه ، وهى قراءة العوام وأهل المدينة .. الخ » .. وقوله « حدثنى حبان عن أبى إسحاق الشيبانى قال سئل زر بن حبيش وأنا أسمع (عندها جنة المأوى) .. الخ » .

وقوله « حدثنى بعض المشيخة عن العرزمى عن ابن أبى سليكة عن عائشة أنها قالت .. الخ » .

وقوله « حدثنى القاسم بن معن عن منصور بن المعتمر عن مجاهد أنه قال .. الخ » .

وقوله « حدثنى حبان عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزّى ليقطعها قال فعل وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك »

---

(١) القائل هو النظام فيما يرويه الجاحظ فى الحيوان انظر ٣٤٣/٦ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

(٢) المعانى ص ٢٩٠ مصورتى .

(٣) نفس المصدر ص ٣٢٢

(٤) انظر مثلا ص ٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٢٧١ ، ٣٧٢ من نفس المصدر .

كل ذلك فى صفحة واحدة[1] . وأمثالها كثير ، وبخاصة فى الجزء الأخير من المعانى مما لا تكاد تخلو منه صفحة من الصفحات ، وإن تفاوتت فيما بينها قلة وكثرة[2] .

(٣) النقول والنصوص وحيث كانت سلاسل الإسناد كثيرة فى معانى الفراء فإن النقول بالطبيعة تالية لهذه السلاسل ، إذ لا يؤتى بالسند — عادة — دون المسند إذا استثنينا علم المصطلح والعكس صحيح — لهذا ترانى قد اكتفيت بالإشارة إلى مواطن الإسناد لتهدينا إلى النصوص المنقولة عن السلف إيثارا للإيجاز .

(ج) أما الاحتجاج بالحديث فكان مظهرا قويا من مظاهر النزعة السلفية عند الفراء ، مخالفا بذلك مذهب المعتزلة من جهة ، ومسلك علماء اللغة الأولين من جهة أخرى[3] ، ولولا خشية الإطالة لأوردت كثيرا من النصوص الدالة على اعتماد الفراء على الحديث الشريف ، بل أكثر من هذا أنه احتج فى الحديث بلفظ (عمر) رضى الله عنه[4] فضلا عن لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأكتفى بهـذه الإشارة الخاطفة كما أننى أرجئ الرد على (يوهان فك) حيث تابع البغدادى فجعل ابن خروف أول من احتج بالحديث[5] ، ونسى أن الفراء قد سبقه إلى هذا الميدان ، وكذلك أبو حيان حيث سلك الفراء فى سلك علماء اللغة الذين أهملوا الاحتجاج بالحديث الشريف[6] .

---

(١) هى صفحة ٣١٥ من المعانى مصورة دار الكتب رقم (٢٤٧٧١) تفسير .

(٢) انظر مثلا ص ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ الخ مصورتى .

(٣) انظر الخزانة للبغدادى ١/٢٤ ط السلفية .

(٤) انظر المعانى ص ٣٦١ مصورتى .

(٥) العربية ص ٢٢٦ ط .

(٦) انظر خزانة الأدب للبغدادى ١/٢٤ ط السلفية .

(د) وأما الإعجاز اللغوى فى القرآن فقد نادى به الفراء ، ورأى أن القرآن معجز بلغته ، بخلاف من قصر الإعجاز على المعانى فقط[1] ، أو الإخبار بالمغيبات[2] ، وكان هذا المبدأ أبرز مظهر من المظاهر السلفية عند الفراء ، بمعنى أنه اختص به من بين القدماء من طبقته — فيما أعلم — بخلاف المظاهر الأخرى مثل الرواية والإسناد والإجماع فقد شاركه فيها كثيرون من أهل السنة وقد ظل الفراء يرد على من أنكر هذا المبدأ من المعتزلة ، وعلى رأسهم النظّام (ت ٢٢١)[3] ، كما كان « يرد على بعض علماء الشعر ورواة الأخبار التاريخية عن عرب البادية الذين لا يريدون أن يلتمسوا إعجاز القرآن فى قوالبه اللغوية[4] »

ومن هنا كان الإعجاز اللغوى مظهرا قويا من مظاهر النزعة السلفية عند أبى زكرياء وربما كان هذا المبدأ من أوليات[5] الفراء ، فإننى لا أعرف أحدا كان أسبق منه إلى القول بالإعجاز اللغوى فى القرآن ، كما سيأتى به البيان :

وإلى هنا أقتضب الحديث عزوفا عن التكرار ، وأحيل إلى موطنه من البحث[6]

وقد آن لنا بعد هذا كله أن نقوّم منهج الفراء فى الاعتدال بين أهل السنة والاعتزال وقبل أن نقوم منهج الفراء بالذات ينبغى أن نتوصل إليه بتقويم مذهب المعتزلة أولا لأنه كان موضع تهمة[7] فى بعض العصور ، وفى ظلاله ، يستبين لنا منهج الفراء ثم نفرده بالحديث فيما بعد .

---

(١) انظر رسائل الجاحظ ص ١٤٧ نشر السندوبى سنة ١٩٣٣ م ، وانظر مقالات الاسلاميين ٢٢٥/١ط استامبول .

(٢) انظر مقالات الاسلاميين للأشعرى ٢٥٥/١ ط استامبول سنة ١٩٢٩ م .

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ١١٤ ط سنة ١٩١٠ م .

(٤) العربية ص ٥ ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ط دار الكتاب العربى

(٥) غنى عن البيان أن نقول : انه لا تعارض بين السير فى الاتجاه السلفى وبين أن تكون هذه الفكرة من أوليات الفراء ، بمعنى انه جدد وسبق غيره من السلفيين داخل هذا النطاق السلفى .

(٦) انظر مبحث الآثار — نزول القرآن بأفصح اللغات .

(٧) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٤٧/٢ ط السعادة بتحقيق محيى الدين .

تقويم منهج المعتزلة :

اختلف الباحثون فى تقدير مذهب المعتزلة ، فمنهم من أيده ، ومنهم من فنده ، ومنهم من وقف منه موقف الاعتدال ، « وما كان أكثر المعتزلة فى الحقيقة إلا كما قال أحد العلماء الأوربيين : إننا لم نسمع صوت المخالفين للدين. ولكنا سمعنا صوت الضمير المتدين الذى يناضل كل مالا يليق بالله تعالى وعلاقته بعبده »[1] فهم نصبوا أنفسهم فى أول أمرهم للدفاع عن حوزة الإسلام فى رأي حر جرىء .

بيد أنه ينبغى علينا أن نتيقظ فلا نعمم ظاهرة الثناء على جميع مذاهب المعتزلة فقد رأينا لهم شططا فى كثير من الأحيان ، من ذلك :

قول الجاحظ فى فلسفته الماديه الطبيعية : إن الله لا يقدر على إفناء الأجسام البتة ، ولكنه يقدر أن يفرق أجزاءها ويعيد تركيبها[2] ، وقوله :

« إن القرآن جسم يجوز أن يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا »[3]

ومهما يكن قول المدافعين عن الجاحظ بأنه أراد التهكم فإن شيئا من ذلك الشطط أو قريباً منه كان يقع فى تلك الحقبة من الزمن حين انقسم المعتزلة إلى طوائف وفرق . ولهذا رأينا الفراء يخالفهم فى كثير من مذاهبهم ، ولا يوافقهم إلا فيما يتفق مع دينه القويم ، مثل القول بمبدأ العدل ، ونفى التشبيه عن الله سبحانه وتعالى .

أما القول بالعدل فيبدو أنه نشأ فى وقت مبكر فى صدر الإسلام حين نزل القرآن الكريم ، وجاءت فيه آيات تشير إلى الجبر مثل قوله تعالى (قل لن

---

(١) ابو حنيفة ص ١٥٠ ط دار الفكر العربى سنة ١٩٥٥ م .

(٢) انظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ط سنة ١٩٢٨ م .

(٣) الملل والنحل ٨١/١ ط مطبعة الأزهر .

يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)[1] .وأخرى تدل على حرية الإرادة،مثل قوله تعالى « قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها[2] » .

وكان طبيعيا أن يكثروا الحديث حول القضاء والقدر،حتى ورد فى الأثر «إذا ذكر القدر فأمسكوا » غير أن دعاة الفتنة من أعداء الإسلام كانوا حربا عواناعليه فشنوا الهجوم من هذه الثغرة،واضطرواحماة الدين إلى أن ينزلوا إلى هذا الميدان ليدفعوا عنه كل مغمز،وكان الفراء من أولئك الحماة الذين رأوا أن فكرة القدر المكتوب تصطدم بالعدل الإلهى فكيف يعذب الله عبدا على فعل قد كتبه عليه ؟ إن هذا لظلم بيّن — فى زعمهم — وحاشا لله أن يكون من الظالمين .

فهو حين يصدر فى دفاعه إنما يصدر عن عقيدة مؤمنة . تستهدف تنزيه الله عن الظلم . كما تستهدف الدفاع عن الإسلام بوجه عام ولا غبار على هذا الموقف فيما أرى — كما أنه لا ضير عليه فى موافقة المعتزلة فى هذا المبدأ ويعززنى فى ذلك رأى بعض الباحثين حيث يقول: «وإنى لأعتقد أن المعتزلة بنفيهم القدر عن أفعال العباد الاختيارية المكتسبة قد أصابوا هدفين فى وقت معا وحققوا غايتين عظيمتين . فإنهم لم ينفوا الظلم عن الله تعالى . ويدافعوا عن العدالة الإلهية فحسب بل دافعوا أيضا عن الحرية الإنسانية»[3] وكلاهما جدير بالتأييد والتقدير .

وتعليل هذه النزعة القدرية عند الفراء يكمن فى إيمانه العميق بعدل الله أولا ثم فى اتصاله الوثيق بزعماء القدرية وعلمائها ،ممثلين فى أصدقائه من المعتزلة أمثال ثمامة

---

(١) التوبة آية — ٥١

(٢) يونس آية — ١٠٨

(٣) المعتزلة ص ١١٢

ابن الأشرس[1]، والأخفش[2]، والخليفة المأمون[3] ويبدو أن هذه القدرية كانت العامل المشترك بين هؤلاء الأقطاب، فهي التي ربطت بين قلوبهم، وجمعت بين الفراء وثمامة والمأمون من جهة، وبين الفراء والأخفش من جهة أخرى غير أن الفراء هو الوحيد الذي امتاز بالاعتدال بين هؤلاء. أو بعبارة أدق نقول: إنه كان أكثرهم اعتدالا، على أن القدرية ربما تكون قد تسللت إلى الفراء من خلال نزعته البصرية، فقد أثبت التاريخ كما أثبت البحث أنه كان على صلة بالبصرة وشيوخها، فأخذ عن يونس البصري، واستكثر منه[4]، واتصل بالأخفش البصري كما رأينا[5] وعكف على كتاب سيبويه يدرسه وينقده[6]، ونحن نعلم أن احتكاك الأفكار له تأثير كبير كما يقول (نيبرج): «للعدو تأثير في تكوين الأفكار ليس بأقل من تأثير الحليف فيه»[7]، وقد ثبت لدينا أن الفراء تأثر بمنهج البصريين تأثرا أدى به إلى تأسيس مذهب جديد هو المذهب البغدادي كما سيأتي به البيان، وقديما قالوا إن البصرة «عش القدر»[8] فلا يبعد أن تكون النزعة القدرية قد تسللت من عشها إلى الفراء، عن طريق واحد من هؤلاء أو عن طريقهم مجتمعين بالإضافة إلى العوامل الأخرى.

أما تقويم مذهبهم في نفي التشبيه: فقد عبر عنه يحيى الدمشقي أحسن تعبير حيث قال: «إنه قد وردت في الكتاب المقدس كلمات كثيرة تحمل معنى التجسيم والتشبيه وإن الناس في حديثهم عن الله تعالى يستعملون عبارات تؤدي إليها... فحيثما وجدنا مثل هذه العبارات والصور التي تتضمن معنى التجسيم والتي تشبه الله بخلقه سواء في الكتاب المقدس أو غيره. يجب أن نعتبرها مجازا أو

---

(1) انظر تاريخ بغداد ص ١٠٢ ط السعادة.
(2) انظر طبقات الزبيدي ص ٧٦ ط الخانجي.
(3) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة.
(4) بغية الوعاة ص ٤١١ ط السعادة.
(5) انظر مبحث (اتصاله بالمعتزلة).
(6) البغية ص ٤١١ ط السعادة.
(7) انظر مقدمة طبع الانتصار في الرد على ابن الراوندي.
(8) ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ٢/٢٠٧ ط سنة ١٩٠٧ م.

رموزا ، وننظر إليها كأداة تعين الناس على معرفة الله تعالى ويجب أن نعمد لذلك إلى تأويلها »[1] ، لهذا رأينا الفراء يختار هذا المنهج القويم ، ويتأول كل ما من شأنه أن يؤدى إلى التشبيه والتجسيم كما رأينا من قبل ، وهو منهج لا غبار عليه ، وقد أخذ به الأشاعرة من أهل السنة كما سيأتى عن قريب . ومن كل ما سبق يتضح لنا منهج الفراء فى توسطه ، واعتداله فى سنيته واعتزاله ، وهو ما يسمى بمذهب المتكلمين فيما يراه المستشرق (سيديو) حين يميز بين مذهب المعتزلة والمتكلمين والمتصوفين فيقول :

« ويضع المعتزلة مناحى العقل فوق مناحى الإيمان مع محاولتهم التوفيق بينهما ، والمتكلمون بالعكس يرون أن العقائد الدينية هى أساس البراهين العقلية . وأما المتصوفة فيرفضون كل برهان عقلى لما يؤدى إليه من الضلال مسترشدين بفيوض الإيمان وحده[2] » وحين نبحث عن جذور هذه النزعة التى تتفق مع مذهب المتكلمين نجدها كما أسلفنا تتمثل فى الخط الرئيسى فى شخصية الفراء وهو الحرية الفكرية التى ترتكز على أساس من الدين القويم ، يصونها من الزيغ ، ويدفعها دائماً إلى التحرر من قيود العصبية المذهبية أياً كان لونها وموطنها .

وربما كان من العوامل أنه تتلمذ على مدرسة أهل الرأى بالعراق ، ومن مظاهر ذلك اعتماده فى تفسيره (معانى القرآن) على عبد الله بن مسعود زعيم مدرسة الرأى هناك اعتماداً يلفت النظر .

ومن العوامل العامة ذلك الجو الذى كان يضطرب فيه الفراء من الخلافات الحادة بين أهل السنة والاعتزال ، فليس بعيداً أن يكون الفراء قد تأثر بالحجج

---

(١) المعتزلة ص ٢٩

(٢) انظر تاريخ العرب العام ـ سيديو ـ ترجمة عادل زعيتر ص ٤٥١ (بتصرف يسير جدا) .

الناصعة عند هؤلاء وهؤلاء ، وتمثلها فأصبحت له مذهباً فيما بعد ، وكان رائداً للأشاعرة الذين نهجوا منهجه ، كما سيأتى بالتفصيل . وإليك البيان :

الفراء رائد الأشاعرة :

إن صح حدسى ولم تخطئنى الدلائل فإننى أرى الفراء (ت ٢٠٧ هـ) رائد مذهب الأشاعرة ، إن لم يكن المؤسس الأول لهذا المذهب : ذلك الذى من أهم خصائصه أنه يجمع بين محاسن المذهبين ، مع اعتماده القوى على مذهب أهل السنة والميل فى القليل إلى مذهب الاعتزال ، وإن لم يكن هذا ولا ذاك فلا أقل من أنه سبق أبا الحسن الأشعرى (ت ٣٢٤ هـ) إلى الجمع بين المذهبين وهذا هو الذى أميل إليه الآن ، وأكتفى بإثارة هذه القضية ، وإثبات السبق فقط ، اقتصاداً فى الدعوى العريضة ، التى ما تزال تعوزها الأدلة القاطعة فى نظرى ، وحسبى ما تجمع لدى من دلائل تشير إلى اتفاق المنهجين ، وتؤيد سبق الفراء فى هذا الميدان . إلى أن تتاح لى — أو لغيرى — فرصة التخصص فى هذا الاتجاه وإفراده ببحث مستقل .

ملامح التشابه بين الرجلين والمذهبين :

١ — كان الفراء (ت ٢٠٧ هـ) متديناً[١] ورعاً بطبيعته ، وكذلك كان أبو الحسن الأشعرى[٢] .

٢ — الفراء فقه المذهبين جميعاً ، فضم إلى مذهب أهل السنة مذاهب المعتزلة التى كانت تموج من حوله ، ولذا وصفه المؤرخون بأنه كان « متكلما يميل إلى

---

(١) انظر البغية ص ٤١١ ط السعادة .

(٢) انظر ترجمته فى الوفيات ٢/٤٤٦ فما بعدها ط السعادة تحقيق محيى الدين .

الاعتزال[1]» ، ويذهب مذاهب الفلاسفة[2] وكذلك كان أبو الحسن الأشعرى يفقه المذهبين جميعاً حيث كان مع المعتزلة ثم انشق عليهم[3] والتجأ إلى أهل السنة وأعلن ذلك على الملأ[4] .

٣ ــ الفراء خالف أهل السنة فى مسائل التشبيه ، وتأول الآيات الواردة فيها كما تأولها المعتزلة وقد مر بنا تفصيل ذلك فلا حاجة إلى التكرار . وكذلك كان موقف الأشاعرة بالضبط حين خالفوا أهل السنة فى مسائل التشبيه والتجسيم ، وتأولوا الآيات الواردة فيها ، كما كان يتأولها المعتزلة[5] .

٤ ــ ليس التخالف أو التوافق قاصراً على مسألة التشبيه . فقد رأينا الفراء يخالف أهل السنة فى مسألة القدر ، كما رأيناه يخالف المعتزلة فى عقيدة الإعجاز اللغوى فى القرآن . إلى غير ذلك من الموافقات والمخالفات . وكذلك كان موقف الأشاعرة . استمع إلى صاحب المعتزلة يحدثنا عنهم فيقول : « أما الأشاعرة فإنهم وافقوا السلف فى بعض هذه المسائل وخالفوهم فى بعض ، وكذلك وافقوا المعتزلة فى بعضها وخالفوهم فى البعض الآخر[6] . » نفس المنهج الذى سار عليه الفراء من قبل .

٥ ــ وإذا كان الفراء يعتمد على المعقول والمنقول معاً . فقد رأينا الأشاعرة فيما بعد « لا ترى معاندة بين الشرع المنقول ، وبين المعقول[7] » كما يقول الإمام الغزالى ، بخلاف المتصوفة فإنهم يرفضون كل برهان عقلى لما يؤدى إليه من الضلال مسترشدين بفيوض الإيمان وحده[8] .

---

(١) معجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

(٢) انظر الفهرست ص ٦٦ ط أوربا ، والبغية ص ٤١١ ط السعادة .

(٣) انظر تاريخ الفلسفة فى الاسلام ــ دى بور ــ ترجمة أبى ريدة ص ٦٥ ط الثانية.

(٤) انظر الوفيات ٤٤٦/٢ فما بعدها ط السعادة .

(٥) نفس المصدر (وانظر المعتزلة ص ٢٦٠) .

(٦) المعتزلة ص ٢٦٠

(٧) الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص ٢ ط سنة ١٩٠٩ م .

(٨) انظر تاريخ العرب العام ــ سيديو ــ ترجمة عادل زعيتر ص ٤٥١

٦ — وإذا كان الأشعرى قد اتخذ لنفسه طريقاً وسطاً بين أهل السنة والمعتزلة فإن الفراء قد سبقه إلى ذلك بنحو قرن من الزمان ، واختط له هذا المنهج القويم فى الإفادة من المذهبين جميعاً . وهذا النهج غير جديد على الفراء بل هو أبرز خط فى شخصيته المنهجية وقد وضحت ذلك فى أكثر من مناسبة كلما احتاج الأمر إلى توضيح لإثبات مذهب جديد من مذاهبه . وما أكثر الحديد فيها ، تلك هى المشابه بين المنهجين ، وإذا كان هناك فرق بين الرجلين فإنما هو الفرق بين عصرين ، عصر كان الاعتزال فيه عقيدة مقدسة ، بيدها السلطان والصولجان تحكم بالسجن على من تشاء ، وبالتعذيب على من تريد ، وذلك هو عصر الفراء ، عصر المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـ . وبين عصر أصبحت فيه الصولة والدولة ، بيد أهل السنة ، حين قربهم الخليفة المتوكل (ت ٢٤٧ هـ) وأمرهم بإظهار السنة والجماعة ، وقد كان يبغض الجدل وأهل النظر[١] ، وتلك هى الفترة التمهيدية التى سبقت ظهور المذهب الأشعرى زهاء القرن الثالث الهجرى ، وما كان لمثل أبى الحسن الأشعرى أن تخطئه الفرصة وقد واتته بعد انفصاله عن المعتزلة ، وتسلحه بأسلحتهم المنطقية التى حاربهم بها بقية حياته[٢] ، فانتهزها سانحة ، وأعلنها حرباً شعواء على المعتزلة ، فانتصر عليهم ، وقدر لمذهب أهل السنة أن يظهر بجهوده[٣] . وإن كان الفراء صاحب السبق فى هذا الميدان .

(ب) حول تشيع الفراء ، واعتداله فيه :

إن أحداً من المترجمين القدماء ، لم يتعرض — فيما أعلم — لتشيع الفراء ، ولقد رأيته أول ما رأيته عند صاحب الذريعة[٤] ، وعند العاملى فى أعيان الشيعة ،

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودى ٢٨٨/٢ ط .

(٢) انظر تاريخ الاسلام السياسى ٢٢٩/٣ ط الثانية سنة ١٩٤٩ م .

(٣) انظر مفتاح السعادة ٣٧/٢ ط حيدر اباد .

(٤) هو الشيخ آغا بزرك الطهرانى ، استغرق ستة وعشرين عاما فى تأليف كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة من سنة ١٣٢٩ هـ الى سنة ١٣٥٥ هـ . — انظر كلمة الاوردبادى) عن حياة المؤلف فى مقدمة الكتاب ، وهى خالية من الترقيم .

وكلاهما متأخر ، وقد أيدا دعواهما بالاستناد إلى ما قاله صاحب الرياض[1] ، وإليك ما قيل :

(ا) « صرح خريّت ميرزا عبد الله فى الرياض بأنه من الإمامية ، وأن النسبة إلى الاعتزال . . . . من جهة اختلاط أصول الشيعة والمعتزلة ، فكان كثير منهم يتستر بالاعتزال[2] .

(ب) وترجم له العاملى تحت عنوان (طبقات النحويين واللغويين من الشيعة) فقال فيما قال :

« ونص على تشيعه صاحب رياض العلماء »[3] .

(ح) وقال فى مقدمة كتابه : « نقتصر فى كتابنا هذا على تراجم الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، ولا نذكر غيرهم إلا نادرا أو مع جهل الحال[4] » ، وقد ذكر الفراء فى أكثر من طبقة على أنه من أعيان الشيعة ، وقد ظفرت بما يؤيد هذه الدعوى من الأدلة الكثيرة ولو لم نجد من الأدلة ما يؤيدها لقلنا إنها نبتت من اعتزاز الشيعة بالفراء ، وحرصهم على أن يكون فى طليعة أعيانهم ، ولكن البحث العلمى قد أثبت صحة ما يقولون .

ولئن كانت النصوص التاريخية قد أفادتنا تشيع الفراء ، كما أفادتنا أنه كان من الإمامية الاثنى عشرية ، فإن لدينا من الأدلة ما يدعم هذه النصوص غير أنها تؤيد أنه كان متشيعا فى اعتدال كما سيأتى به البيان ، وقد تجمعت هذه الأدلة بعضها فى صورة دلالات ، وأخرى فى صورة إشارات ، منها ماهو عام يتعلق بالموطن والنسب ، ومنها ما هو خاص يتعلق باتصالاته الشخصية

---

(١) « أجمع ماكتب فى الباب هو (رياض العلماء) لخريت الصناعة العلامة ميرزا عبد الله الشهير بالأفندى ، وقد تلفت جملة من مجلداته قبل أن ينسخ منها » انظر الذريعة ٣٩/١ ط النجف .

(٢) الذريعة ٣٩/١ ط الغرى بالنجف .

(٣) اعيان الشيعة ٣٥١/١ ط دمشق .

(٤) المقدمة الاولى لكتاب اعيان الشيعة (١٠/١) ط دمشق .

بالمتشيعين ثم منها ماهو متصل بالعقيدة ، ومنها مالمسناه فى منهجه ، وفى نصوصه وآثاره وإليك البيان بالتفصيل :

أولا — دلائل عامة تتعلق بالموطن والنسب :

(ا) إن الفراء نشأ بالكوفة[1] ، وهى بالعراق «أهم موطن للشيعة من قديم»[2] و « فيها جامع معروف بمشهد على وولده الحسين عليهما السلام وإليه يحج الشيعة »[3] وقديما وازن الأصمعى بينها وبين البصرة فقال : «البصرة كلها عثمانية والكوفة كلها علوية ... وإنما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل إذ قاموا مع عائشة ، وطلحة والزبير فقتلهم على بن أبى طالب . . . والكوفة علوية لأنها موطن على رضى الله عنه وداره »[4] . فليس غريباً أن يتأثر الفراء بما فى بيئته من التشيع .

(ب) وقد علمنا من قبل أنه كان فارسى الأصل ، وبلاد فارس كانت مرتعا للشيعيين بوجه عام وإن «كانت مدينـة (قُم) مركزا للعصبية الشيعية منذ زمن بعيد[5] » فهى فى بلاد فارس تضاهى الكوفة فى العراق ، وقد اجتمع للفراء ذلك النسب الفارسى ، وتلك النشأة الكوفية ، فربما كانت إحداهما أو كلتاهما ذات تأثير قليل أو كثير فى تشيعه .

(حـ) والفراء ديلمى النسب كما رأينا « وبلاد الديلم [6] قد اعتنق أهلها الإسلام على يد الحسن بن زيد ، ثم الحسن الأطروش ، وكلاهما زيدى من الشيعة لذلك رسخت الدعوة الشيعية ، وتغلغلت فى نفوس الديالمة إلى مدى

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٩٨ ط الرحمانية .

(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر للدكتور شوقى ضيف ص ٢٠٣

(٣) دائرة معارف القرن العشرين (مادة الكوفة) ٢٣١/٨ ـ الطبعة الثانية .

(٤) العقد الفريد ٢٦٤/٢ ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ .

(٥) تاريخ الحضارة الاسلامية للمشترق الروسى (ف . بارتولد) ترجمة حمزة . طاهر / ٦٣ الطبعة الثانية .

(٦) نستدل بهذا على احتمال أنه من بلاد الديلم ؛ وان كنت قد رجحت غير ذلك .

عميق لا سيما[1] وبلادهم قد أصبحت ملاذ بعض زعماء الشيعة أمثال يحيى بن عبد الله العلوى[2]» على أن بعض الباحثين يرجع تشيع الديالمة إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيربط تاريخ تشيعهم بالإمام على نفسه فيقول : « أصلهم مهاجرون هاجروا إلى على بن أبى طالب [3] » ، هذا إلى أن ابن الجوزى يذكر أن الديالمة ببغداد كانوا يغالون فى تشيعهم فيمنعون « الناس أن يذكروا فضائل الصحابة ، وكتب سب السلف على المساجد[4]» ، بيد أن الفراء سلم من هذا التطرف ، وكان معتدلا فى تشيعه كما سيأتى به البيان :

(د) ثم إن الفراء ينتسب إلى بنى أسد بالولاء ، أولئك القوم الذين «وجدت منهم فرق فى جيش على والحسين[5]» .

ثانيا — اتصاله بالمتشيعين :

(ا) من الشيوخ الذين تلقى عنهم الفراء فى حياته الباكرة . مندل بن على ، « وكان يتشيع [6]» .

(ب) وكذلك اتصل بشيخه أبى الأحوص سلام بن سلم ، ذلك الذى روى الأحاديث عن إمام من أئمة الشيعة هو « جعفر بن محمد الصادق[7]» :

(حـ) كما أنه تتلمذ على الكسائى الذى نص على تشيعه العاملى[8] .

---

(١) كذا بالواو بعد لا سيما — ومعلوم ان الاستعمال العربى الفصيح يخلو منها .

(٢) مهيار الديلمى وشعره ص ٦٠ ط الاعتماد بمصر .

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ١٠٦/٤ — الطبعة الثانية .

(٤) انظر المنتظم لابن الجوزى ٣٢/٧

(٥) دائرة المعارف الاسلامية — ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس وزملائه — المجلد الثانى ص ١٠٢

(٦) تهذيب الكمال مخطوطة دار الكتب رقم ٢٦ مصطلح الحديث فى (من اسمه مندل) لان الكتاب غير مرقوم ، وانظر تاريخ بغداد ٢٤٩/١٣ ط السعادة .

(٧) انظر تهذيب الكمال مخطوطة دار الكتب ٢٦ مصطلح الحديث فى (من اسمه سلام) .

(٨) انظر أعيان الشيعة ٢٢١/١ ط أولى .

(د) وصلة الفراء بالخليفة المأمون صلة قوية رأيناها فى كثير من المواطن ، والمأمون كان يفضل « على بن أبى طالب على سائر الخلفاء الراشدين[1] » ثم هو الذى رفع علم الشيعة حين دخل بغداد[2] .

(هـ) كما كان الفراء على صلة وثيقة بالطاهريين ، الذين ألف لأبنائهم كتباتعليمية كثيرة من بينهاكتاب « البهى » وكتاب « المذكر والمؤنث »[3] ، ويذكر المستشرق الروسى (ف . بارتولد) أن طاهرا هذا هو « رأس الإمارة الطاهرية الفارسية » وهو الذى أشار على الخليفة المأمون بالتقاليد التى اتبعها حين دخل بغداد ، ومن بينها رفع علم الشيعة[4] .

ثالثا — قرينة تتصل بالعقيدة :

ربما كان من القرائن الدالة على تشيع الفراء أنه كان يميل إلى الاعتزال لما بين الشيعة والمعتزلة من علاقة بوجه عام[5] ، وليس معنى هذا أن كل معتزلى شيعى ، وإنما هى للاستئناس فحسب .

رابعا — قرائن أخرى من هنا وهناك :

١ — ذكر المترجمون أن الفراء كان يتفلسف فى تصانيفه[6] ، وللفلسفة اتصال وثيق بالتشيع ومذاهبه[7] « فقد كان إخوان الصفا ... يضعون سقراط وأفلاطون فى صف محمد وعلى[8] » .

---

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسى ٢٨١/٢ — الطبعة الثانية .

(٢) انظر تاريخ الحضارة الاسلامية — بارتولد — ترجمة حمزة طاهر من اللغة التركية ص ٦٣ ط الثانية .

(٣) انظر معجم الادباء ١٣/٥ ط دار المأمون (فى ترجمة ثعلب) .

(٤) انظر تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٦٣ . الطبعة الثانية .

(٥) انظر الذريعة الى تصانيف الشيعة ٣٩/١ ط النجف وانظر الحضارة الاسلامية لمتز ١٢٣/١ ط الثانية .

(٦) انظر مثلا معجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون ، والوفيات ٣٠٢/٢ ط بولاق والبغية ص ٤١١ ط السعادة .

(٧) انظر الفن ومذاهبه فى الشعر العربى للدكتور شوقى ضيف ص ٢٠٦

(٨) نفس المصدر .

(ب) ويرى جولد تسيهر أن الشيعة كانوا يتوسعون فى اقتراح قراءات للقرآن الكريم توافق مذهبهم[1] . . وقد رأينا الفراء يتوسع فى اقتراح قراءات توافق مذاهب العربية ولو لم تكن قد وردت بها الروايات[2] فربما كان متأثراً بمنهج الشيعة فى التوسع ، إلى جانب العوامل الأخرى وفيه دلالة مّا على تشيعه أو قربه من الشيعة بوجه من الوجوه .

(حـ) وإذا كان من خصائص الشيعة أن يلتزموا عدم إعادة الخافض على الآل فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد رأينا الفراء يفعل ذلك حيث يقول فى مطلع كتابه «الأيام والليالى»: «صلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[3] » ، وكذلك فعل فى الختام حين قال : « تم الكتاب بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمد وآله[4] » .

وفى كتاب آخر له وهو (المقصور والممدود) رأيناه يفعل ذلك فيقول :

« الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين[5] » فأنت تراه يحذف حرف الجر ولا يدخله على الآل ، وهذا مما يلتزمه الشيعة ، كما جاء فى حاشية عصمت على الحامى حين قال : « منع الشيعة إدخال (على) على الآل عند التصلية على النبى وآله ، ونقلوا فى ذلك حديثاً ، والتزم أهل السنة ذكرها رداً عليهم ، فإن جميع الأحاديث الصحيحة المذكورة فيها الصلاة على النبى عليه السلام وآله دخلت فيها كلمة (على) على آله ، فالظاهر أن ما نقلوه موضوع[6] » .

---

(1) انظر مذاهب التفسير الاسلامى ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ص٣٠٦ فما بعدها .

(2) انظر مثلا معانى القرآن ص ١٦٤ مصورتى .

(3) انظر بداية مخطوطه (لاله لى ،) ومخطوطة (سليم اغا) ، وصورة كل منهما فى حوزتى ، وانظر النسخة المطبوعة بتحقيق الابيارى ص (١) ط الاميرية .

(4) نفس المصادر السابقة .

(5) ص ٣٣ مصورتى .

(6) انظر مقدمة الخصائص ص٣٨ ط دار الكتب .

هذا ولا يعكر علينا ما جاء فى بداية معانى القرآن من دخول حرف الجر على الآل لأن هذه البداية ليست من كلام الفراء ، وإنما هى من كلام الراوى حين قال بعد البسملة والاستعانة « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1] » .

أما كلام الفراء نفسه فقد جاء بعد ذلك خالياً من كل ما اعتاد المؤلفون أن يفتتحوا به كتبهم من البسملة ، والحمدلة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإليك النص بالإسناد :

« قال : حدثنا محمد بن الجهم قال : حدثنا الفراء ، قال (تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه) قال : فأول ذلك اجتماع القراء وكتاب المصاحف .. الخ[2] » وذلك لأن الفراء كان يملى إملاء ... فهو يأتى بالصلاة وغيرها شفوياً — فيما أرى — لما عرف عنه من تدين وحرص على التصلية[3] ، أما الورّاقون فإنهم أهملوا تسجيلها فى كلام الفراء استناداً إلى أنهم سجلوها من كلامهم فى مطلع الكتاب .

على أن نهاية المعانى جاءت على ما كان يرتسمه الفراء من حذف حرف الجر فى الآل حين قال الناسخ :

« تمت هذه النسخة المباركة بحمد الله وحسن توفيقه ، وصلى الله على محمد وآله ...[4] » . وواضح أن هذه العبارة (تمت هذه النسخة ...) إنما هى من كلام الناسخ وليست من كلام الفراء . ولعل حذف الخافض كان من اتفاق الأهواء والنزعات .

---

(١) الصفحة الأولى من المعانى ط دار الكتب .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر مثلا ص ٣٧٧ من المعانى (مصورتى) فقد ذكر فيها التصلية خمس مرات فى كل موطن يرد فيه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) انظر معانى القرآن ص ٣٧٨ مصورتى .

على أن بعض كتب الفراء جاء غفلا من التصلية فى المطلع والمقطع معاً ، مثل كتاب «المذكر والمؤنث»[1]. بل إن كتاب المقصور والممدود [2] جاء خالياً من التصلية ومن الحمدلة كذلك ، ولعل هذا أو بعضه من فعل الوراقين الذين لا يعنيهم إلا جمع المادة العلمية فحسب. بل إننا نكاد نستيقن ذلك لما نعلمه من تدين الفراء، ومن أنه كان شيخ إملاء ، يملى الكتاب كله عن الذاكرة الواعية، والرواة يكتبون ويتصرفون .

من كل ماسبق نستطيع أن نتعرف على تشيع الفراء بالأدلة والإشارات إلى جانب النصوص التاريخية التى رأيناها فى كتب الشيعة ، ولدينا أدلة اخرى بعضها يتعلق بانتمائه إلى طائفة الإمامية، وهى فى الوقت نفسه تأييد لتشيع الفراء. وقبل أن نبدأ فى هذه الأدلة نود أن نلقى ضوءاً مركزا على طوائف الشيعة ومن بينها الإمامية التى ينتمى إليها أبو زكرياء .

لقد تناول القلقشندى فى صبح الأعشى طوائف الشيعة وقسمها إلى خمس فرق ، وذكر خصائص كل فرقة منها ، وأعطى الإمامية اهتماماً أكبر[3]، وكذلك فعل الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ، فقد ذكر أنها خمس فرق[4]، وقسم كل فرقة إلى أصناف ، وتحدث عن كل صنف مبيناً ماله من خصائص غير أن الفرق الرئيسية الخمس التى ذكرها تختلف اختلافاً ما عن التى ذكرت فى صبح الأعشى ، ولا يعنينا من كل ذلك إلا فرقة الإمامية ، وهم القائلون بإمامة على كرم الله وجهه بعد النبى صلى الله عليه وسلم نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين[5].والخوارزمى

---

(١) انظر ص ٢ وص ٤٥ ط حلب (ضمن مجموعة لغوية) .

(٢) انظر مصورتى (الصفحة الاولى) .

(٣) انظر ج ١٣ من ص ٢٢٩ فما بعدها ط الاميرية .

(٤) انظر ص ٢٨ فما بعدها ط اوربا .

(٥) انظر الملل والنحل ٢٢٤/١ ط مطبعة الازهر سنة ١٩٤٧ م (بتحقيق محمد فتح الله بدران) .

يقول عنهم : «إنهم هم الرافضة سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي عليهما السلام[1]».
أما السمعاني فيقول :

« الإمامية جماعة من غلاة الشيعة[2]» — فهل كان الفراء من هؤلاء الغلاة ؟ كلا ولا كانت الإمامية كلها على شاكلة واحدة ، بل كانت عدة فرق[3] ، منهم الاثنا عشرية وهم الأكثر عدداً[4] واعتدالا[5] ، أولئك الذين يبرءون «من كل غال في أحد من أهل البيت مخرج له عن درجة العبودية[6]» أو مثبت له نبوة أو مشاركة فيها ، أو شيئاً من صفات الإلهية[7] وأولئك هم الذين ينتمي إليهم الفراء[8] فيما يقول العاملي . لهذا نراه قد جمع بين اعتدال فرقته واعتدال شخصيته وإليك البيان :

مظاهر اعتداله :

(١) الإمامية « يعتمدون في القرآن الكريم على مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دون المصحف الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم فلا يثبتون ما لم يثبت فيه قرآنا[9]» ولكن الفراء يخالفهم في ذلك . فهو وإن كان يعنى كثيراً بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه — وهذا يدل على أنه كان ينهج منهج الإمامية — إلا أنه لا يعتمد على مصحفه دون المصحف الإمام فقد رأينا الفراء في معانيه يثبت المعوذتين[10] ، ويتعرض لهما بالتفسير على حين كان ابن مسعود يعتبرهما من الدعاء .

---

(١) مفاتيح العلوم ٣١/١٣ ط أوروبا .
(٢) انظر أعيان الشيعة ٢١/١ ط أولى .
(٣) نفس المصدر — ذكرها هناك بالتفصيل .
(٤) المصدر السابق ٢٢/١
(٥) انظر عقيدة الاثنى عشرية في أعيان الشيعة ٩١/١ فما بعدها .
(٦) نفس المصدر ٢١/١
(٧) المصدر السابق .
(٨) انظر المقدمة الاولى لاعيان الشيعة ١٠/١ ط دمشق .
(٩) صبح الاعشى ٢٣٣/١٣ ط الاميرية .
(١٠) انظر معاني القرآن ص ٣٧٨ مصورتي .

(ب) ولئن كان الإمامية يعتقدون عدم الزيادة فى القرآن فإن الفراء خالفهم فى ذلك ، وقال بالزيادة فى مواطن عدة طبقاً لمنهجه[1] فى التحرر من القيود المذهبية ، بالإضافة إلى استجابته إلى الحس اللغوى المطلق ، الذى يعتمد على الأساليب العربية ، ولا يعرف الخضوع للنزعات والأهواء .

(ح) ثم إن الشيعة بوجه عام ـ ومنهم الإمامية ـ كانوا يتعمدون[2] إغفال ذكر الصحابة رضوان الله عليهم ، وكان هذا شعارهم[3] حين يتعرضون لصيغة الصلاة على النبى صلى الله عليه ، وآله وصحبه أجمعين ، فيقفون عند ذكر الآل ، ولا يذكرون الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، أما الفراء فإنه يتعمد ذكر الصحابة كما رأينا فى الصيغ السالفة[4] ، اتباعاً للدين الحنيف من جهة ، واستجابة لنزعته المعتدلة من جهة أخرى .

(د) ومن مظاهر اعتداله أنه يسوى بين الإمام على وبين غيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فلا يخصه بالصيغة المتعارفة عند الشيعة وهى (عليه السلام) فلم أعثر عليها عنده ، برغم التتبع والتيقظ ، وإنما يذكر اسمه مجرداً من الصلاة[5] والتسليم كما يذكر أى صحابى آخر[6] ، فيقول مثلا « وذكر عن على بن أبى طالب ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت أنهم قرءوها

---

(1) انظر مثلا معانى القرآن ص ٢١ ، ٤٦ ، ٢٤٤ ط دار الكتب .

(2) بل انهم احيانا يتطرفون فيسبون السلف الصالح ويكتبون ذلك على المساجد انظر المنتظم ٣٢/٧ .

(3) انظر مقدمة الخصائص ص ٣٧ ط دار الكتب .

(4) انظر مثلا بداية مخطوطة (لاله لى) من كتاب الأيام والليالى ، وكذلك مخطوطة (سليم أغا) وانظر النسخة المطبوعة بتحقيق الابيارى ط الأميرية ، ثم انظر كتاب المقصور والممدود (مصورتى) .

(5) جاء فى خطط المقريزى « ان جوهرا القائد بعد أن تم له فتح مصر ـ أمر بالجهر بالصلاة على بن ابى طالب .. » انظر الخطط ١٥٦/٤ ط الميجى .

(6) انظر مثلا ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢٩٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٥٠ ، ٣٦٧ : ٣٤٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٤ ، ٣١٨ ، من معانى القرآن مصورة دار الكتب رقم (٢٤٧٧١ تفسير) .

كذلك بفتح الألف[1]».ولقد رأيته يترحم على أبى بكر[2]،وعمر بن الخطاب[3] رضى الله عنهما، بل لقد رأيته يخص عمر بالثناء فيقول : «إذا نظرت فى ةسير عمر رحمه الله لم يسئ[4]» فأنت تراه يمتدح فعاله ويمجده على حين كان بعض المتشيعين يمقت عمر لمناوأته علياً – فى زعمهم – بصرف الخلافة عنه إلى أبى بكر وهو أحق الجميع فى رأيهم . وأكثر من هذا أن يشيد بسخاء عثمان بن عفان رضى الله عنه فيقول فى سبب نزول قوله تعالى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات[5]) «وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فجاء عمر بصدقة ، وعثمان بن عفان بصدقة عظيمة[6]... » وكان فى استطاعته أن يتحاشى ذكر عثمان وتمجيده بالتصدق العظيم ، وذلك بألا يذكر سبب النزول كما يفعل فى كثير من الآيات أو أن يتخطى الآية نهائياً كما هو منهجه فى معظم الأحيان لأنه يهدف أول ما يهدف إلى آيات المشكل . كما سيأتى به البيان .

وأوضح من هذا وذاك فى الاعتدال أنه يعيب قتلة عثمان ويشبههم باللصوص فيقول فيما يرويه عن ابن الزبير : «أخبرنى بعض الأعراب المحدثين عن ابن الزبير يعيب قتلة عثمان ، فقال خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية فقتلهم الله عز وجل شر قتلة ، ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب ، يريد هربوا ليلا[7]» ومما سبق يتضح لنا أن الفراء خالف الاثنى عشرية فى قولهم : «إن علياً وولده الأحد عشر أحق بالخلافة من كل أحد ، وأنهم أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[8]» وهو وإن لم ينص على

(١) المعانى ص ٣٠٥ مصورتى .
(٢) نفس المصدر ص ١٦٠
(٣) المصدر السابق ص ٦١ ط دار الكتب .
(٤) معانى القرآن ص ٦١ ط دار الكتب .
(٥) التوبة آية (٧٩) .
(٦) المعانى ص ٤٤٧ ط دار الكتب .
(٧) معانى القرآن ص ٣٢١ مصورتى .
(٨) أعيان الشيعة ٩١/١ ط أولى .

مخالفتهم صراحة فى ذلك إلا أن اتجاهه فى التسوية بين الصحابة يدل على ذلك وربما كان له نص صريح فى آثاره الأخرى التى ابتلعها الزمان ، فلم تصل إلى أيدينا حتى الآن .

كما أننى لم أعثر فيما وصل إلينا من كتبه على نص ينفى أو يثبت القول « بعصمة الأئمة الاثنى عشر ، وبحياة المهدى ، وأنه موجود»[1] ، كما قالت طائفة الاثنى عشرية ولعله خالفهم فى ذلك تطبيقاً لمنهجه المعتدل ، وهذا هو الذى أرجح ولو لم أملك عليه الدليل لفقدان كثير من آثاره .

على أننى لست أدرى علام اعتمد العاملى فى نسبته إلى الاثنى عشرية بالذات؟ فالمصادر التى بين أيدينا لاتفصح عن شىء من ذلك .

هذا إلى أن تشككى فى انتسابه إلى هذه الفرقة ، أو بعبارة أدق توقفى فى نسبته إليها لفقدان الدليل ، لايعنى أننى أشك فى أنه كان شيعياً معتدلا ، فالتشيع عند الفراء لم يكن مجرد لفظ يقال ، أو عبارة تلقى ، وإنما كان أعمق من ذلك كله ، فقد تغلغل فى التكوين الداخلى لمنهج الفراء ، فكان يتوسع فى القراءات على نحو ما كان يتوسع علماء الشيعة .

تلك هى عقيدة الفراء كما رأيناها ، فقد عرفناه فى معظم أحواله معتدلا لايعرف التطرف وإنما يختار لنفسه موقفاً وسطاً بين الغلاة من هؤلاء وأولئك وهنا نراه يقف نفس الموقف بين غلاة الرافضة من جهة وبين الخوارج من جهة أخرى ، فلا إفراط ولا تفريط كما فعل أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم من الفريقين ، فأحبه قوم حتى دخلوا فيه النار ، وهم بعض الرافضة ، وأبغضه قوم حتى دخلوا فيه النار كذلك ، وهم الخوارج « فإنهم حين رأوا غلو الرافضة فى حب على ، وتقديمه على من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبى صلى الله عليه وسلم فى نبوته . . . ورأوا شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرأهم منهم — قابلوا ذلك أيضاً

---

(١) اعيان الشيعة ٩١/١ ط اولى .

بالغلو فى تأخير على كرم الله وجهه ، وبخسه حقه . . . واعتدوا عليه بسفك الدماء بدون حق ، ونسبوه إلى المماألأة على قتل عثمان رضى الله عنه وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن[1] ... » .

وكأنى أرى ابن قتيبة الذى تأثربالفراء فى بعض مناهجه[2] ، يتقمص روحه فيعبر عنها خير تعبير حين يرسم منهج الاعتدال فى موقفنا من الإمام على كرم الله وجهه فيقول : « والسلامة لك ألا تهلك بمحبته ولا تهلك ببغضته ، ولا تحمل عليه ضغناً بجناية غيره — فإن أنت فعلت ، فأنت جاهل مفرط فى بغضه — وأن تعرف له مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . من غير أن تتجاوز به الموضع الذى وضعه به خيار السلف[3] » وذلك هو موقف الفراء فى تشيعه واعتداله ، وليس غريباً أن يقف هذا الموقف المعتدل ، فقد رأيناه فى مواطن عدة يتخذ الاعتدال رائده ، ويرتفع بشخصيته القوية على كل تعصب مذهبى أيا كان لونه ، سواء أكان متصلا بالعقيدة كما هنا ، أم كان متصلا بالمنهج العلمى ، كما سيأتى فى تأسيس المذهب البغدادى . بل أصبح من الغريب علينا أن نرى الفراء يحيد عن هذا الاعتدال الذى هو أبرز خط فى الخطوط التى تتكون منها شخصيته النادرة .

عقليته :

أما عقلية الفراء فحدث عنها ولاحرج ، فقد منحه الله ذاكرة لاقطة ، وحافظة أمينة ، ثم هو فوق ذلك ذو عقل جبار وموهبة مبتكرة بشهادة القدامى والمحدثين كما سيأتى بالتفصيل .

---

(1) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص ٤٧ ط السعادة سنة ١٣٤٩ هـ .

(2) كان بغدادى المذهب كما جاء فى الفهرست ص ١١٥ ط الرحمانية ، وقد أثبتنا ان الفراء هو مؤسس هذا المذهب .

(3) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص ٤٧ ط السعادة سنة ١٣٤٩ هـ .

يتجلى أثر هذه العقلية الجبارة فى تأسيس مذهبه الجديد [1] ، كما يتمثل فى استقلاله الفكرى فى تفسير الظواهر اللغوية تفسيراً يستهدى فيه روح العربية مخالفا بذلك مادرج عليه سيبويه والخليل[2] ، كما يتمثل فى اختيار مسلك وسط بين أهل السنة والاعتزال ، فقد اختط هذا المنهج ودافع عنه دفاعاً حاراً ضد المتطرفين بين هؤلاء وأولئك فكان بحق رائد مذهب الأشاعرة ، إذ أنه هو الذى خلق هذا التيار وسيطر على مجراه . حتى تلقفه من بعده أبو الحسن الأشعرى وكون منه مذهبه الجديد ، فيما أرجح ، كما سلف به البيان .

هذا إلى أوليات للفراء ابتكرها ابتكاراً فى الجزئيات وفى الكليات كما سيأتى بالتفصيل فى موطنه من البحث ، ومنها وضع الأصول النحوية تلك التى سبق بها ابن السراج بنحو قرن من الزمان أو يزيد ، وليس غريباً عليه ذلك فقد عرف بعقليته الحاصرة الضابطة حتى ندبه الخليفة المأمون لوضع أصول النحو[3] ، هذا إلى رجاحة عقله ، وصحة رأيه فى كثير من المسائل كما سيأتى بالتفصيل .

ولعل القدامى لمسوا فيه هذا العقل القوى ، فقال الكسائى يوازن بينه وبين الأحمر : «الفراء أحسن عقلا ، وأبعد فكراً ، وأعلم بما يخرج من رأسه[4]» .

وقال هناد السرى معجباً بعقلية الفراء ، واعتماده على الذاكرة فحسب : كان الفراء يطوف معنا على الشيوخ فما رأيناه أثبت سوداء فى بيضاء قط . ولكنه إذا مر له حديث فيه شىء من التفسير ، أو متعلق بشىء من اللغة قال للشيخ (أعده على) ، وظننا أنه كان يحفظ ما يحتاج إليه [5] » .

---

(١) انظر مبحث (مذهبه فى النحو) .

(٢) انظر مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار (مخطوطة تحت الطبع) .

(٣) انظر معجم الادباء ١٢/٢٠ ط دار المأمون .

(٤) تاريخ بغداد ١٥٣/١٤ ط السعادة .

(٥) نفس المصدر ١٥٢/١٤

ولعل هذه الذاكرة القوية هى التى أسعفته فيما بعد بإملاء ، معظم آثاره عن ظهر الغيب[1] ، ولهذا عرف بأنه شيخ الإملاء ، فهو يعتمد على الذاكرة الواعية متعلما ومعلما على السواء .

ومن الأقاصيص التى يروونها لبيان مباغ ذكائه قصة السهو فى سجود السهو فقد روى المؤرخون أن محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة النعمان تحدى الفراء بسؤاله عن ذلك فأجاب إجابة الملهم الحصيف ، استمع إلى العسقلانى يروى لنا هذه القصة بأسانيدها فيقول : قال الدار قطنى : حدثنا ابن سعيد ، حدثنا أخو حمدان الكندى ، قال سمعت عبد الله ابن الوليد صعوداً فيقول : كان محمد بن الحسن يجالسه الفراء ، فكان الفراء عنده يوما فقال الفراء : قلّ رجل أمعن النظر فى فن من العلم إلا سهل عليه غيره فقال له محمد : فأنت الآن قد أمعنت النظر فى العربية فنسألك عن مسألة من الفقه ، فقال هات ، قال ماتقول فى رجل صلى فسها فسجد فسها فى السجود ؟ ففكر ساعة ، فقال لاشيء عليه . قال : ولم ؟ قال : لأن المصغر عندنا لا يصغر، وأما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام ، فقال له محمد :ما ظننت آدميا يلد مثلك[2] .

فإن تكن هذه القصة حقاً ، ومن الجائز أن تكون — فإنها تدل على ذكاء الرجل بحق ، وإلا فإن مجرد نسبتها إليه تدل على أن الفراء كان مشهوراً بتوقد الذكاء .

---

(١) انظر الوفيات ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(٢) تهذيب التهذيب للعسقلانى حـ ١١ ص ٢١٢ ط حيدر اباد . على ان هذه القصة جائزة النسبة ، فتارة يروونها للفراء كما رايت ، وتارة يروونها للكسائى مع محمد بن الحسن نفسه ، واخرى يروونها للفراء ولكنها مع بشر المريسى بدلا من محمد بن الحسن والراجح عندى هو ما رواه العسقلانى لعدة أمور : أولا لانه اتى بها مسندة معنعنة زيادة فى التوثيق . وثانيا : للقرابة التى بين الفراء ومحمد بن الحسن فهما ابنا خالة فربما كان للقرابة اثر فى هذه المجالسات التى اعتادها الفراء كما يفهم من السياق .

وثالثا : لان بشرا المريسى من ائمة المعتزلة ، فالسؤال فى الفقه يناسب الفقيه محمد بن الحسن اكثر مما يناسب المريسى المعتزلى والله أعلم .

ثقافته ومنابعها :

لقد كان أبو زكريا الفراء واسع الثقافة ، متعدد الجوانب ، تعمق فى القديم كما أفاد من الحديث فمزج بين الثقافة العربية الخالصة وبين الثقافات الحديثة الوافدة على الفكر العربى آنذاك يتجلى ذلك من كلمة ثمامة بن الأشرس حين قال : « جلست إليه ، ففاتشته[1] عن اللغه فوجدته بحراً ، وفاتشته عن النحو فوجدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهرا ، وبالطب خبيراً ، وبأيام العرب وأخبارها ، وأشعارها حاذقا . . . . » الخ[2] ، كما يتجلى من تفلسفه وتأثره بعلم الكلام كما سيأتى بالتفصيل .

ولست أزعم أن الفراء كان فلكيا أو كان طبيباً انسياقاً وراء كلمة ثمامة ، وإنما كل الذى يعنينى هو إثبات أنه كان ملما بالثقافات التى كانت تموج فى عصره الزاخر ، (عصر الرشيد) ، ومن بعده الخليفة (المأمون) .

ويبدو أن الفراء فى بواكير حياته العلمية كان يطوف بأشياخ كثيرين كما يفهم من حديث هنّاد السرىّ[3] ، وكما يظهر من أشياخه العديدين ، والكوفة إذ ذاك كانت تموج بالعلم والعلماء ولهذا كانت مرتعا خصبا لكل دارس جاد كالفراء ، ينتقل من مكان إلى مكان ، ويلتقى بشيخ ثر شيخ ، فيأخذ من هذا ويدَع ، كالنحلة الدائبة الكسوب ، تنتقل من بستان إلى بستان ، ومن زهرة إلى زهرة ، ترشف من رحيق هذه وتلك ، ثم تحيله شرابا له خصائصه التى تميزه عن كل ما سواه ، وكذلك كان يفعل الفراء ، فقد أخذ عن شيوخ كثيرين لا أكاد أحصيهم ، ولكن كان له طابعه الخاص ،

---

(١) هذه رواية الوفيات أما رواية معجم الأدباء فهى (فناقشته) وكلاهما يؤدى المعنى المراد .

(٢) انظر الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق ومعجم الأدباء ٩/٢٠ ط دار المأمون .

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٥٢/١٤

ذلك الذى مَازَه عن معاصريه حين كان يرسم معالم الطريق ، ويرسى قواعد مذهب جديد كما سيأتى بالتفصيل .

ولعل طابع التخصص فى ذلك العهد لم يكن له هذا الشأن الذى نراه اليوم ، بل إنهم كانوا فى القديم يزدرون التخصص ويقبحونه حتى قال قائلهم : ما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يحل فيه[1] .

على أن الفراء وإن أفاد من ألوان الثقافات المتعددة إلا أنه كان أشبه ما يكون بالمتخصص فى علوم العربية ، بل فى النحو واللغة بالذات ، ولهذا اشتهر بالطابع النحوى فى حين أنه كان يجمع ألواناً من الثقافات ، مثل الثقافة الفقهية[2] ، والثقافة الفلكية[3] ، إلى آخر ما هنالك من ثقافات .

أما منابع هذه الثقافة فإنها لاتكاد تختلف عن منابع الثقافة عند معاصريه ، ولكن الذى يختلف إنما هو العقل الذى يتمثل هذه الثقافات ويطبعها بطبعه الخاص.

ومن أشهر هذه المنابع : القرآن الكريم ، وقراءاته المتعددة ، والحديث الشريف ، والشعر العربى ، والنثر الأدبى من حكم وأمثال ، وكذلك لغة التخاطب العربى بوجه عام على اختلاف طرائق التحصيل من الرواية أو المشافهة ، وما إلى ذلك من مؤلفات فى التفسير ، يدل عليها قوله كثيراً « كما جاء فى التفسير » ، أو نحو ذلك[4] . ومؤلفات فى العربية ، وأبرزها

---

(١) تاريخ بغداد ٤٠٧/١١ وفى انباه الرواة رواية أخرى ١٦٢/٢ ط دار الكتب .

(٢) انظر مثلا حديثه عن الطلاق وعن التفرقة بين طلاق العدة وطلاق السنة ـ معانى القرآن ص ٣٣٥ (مصورتى) .

(٣) انظر مثلا حديثه عن النجوم الخنس ص ٣٥٩ مصورتى ، وعن القمر حين يستمد ضوءه من الشمس ص ٣٦٧ (مصورتى) .

(٤) انظر المعانى ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ مثلا ط دار الكتب .

كتاب سيبوية الذى يمثل النحو البصرى ، وقد كان للفراء اهتمام بالغ به كما سيأتى بالتفصيل ، إلى غير ذلك من المنابع والمصادر التى كانت سائدة فى ذلك الحين .

الفراء والأدب

يحدثنا ابن خلكان ، فيقول عن الفراء فى وفيات الأعيان « كان أبرع الكوفيين ، وأعلمهم بالنحو ، واللغة ، وفنون الأدب »[1] وكذلك يقول صاحب دائرة معارف القرن العشرين[2] ، وقريب منه قول اليافعى « كان رأسا فى النحو واللغة وأبرع الكوفيين ، وأعلمهم بفنون الأدب[3] » . ويقول ياقوت الحموى فيما يرويه : « رأيت صورة أديب وأبهة أدب »[4] فأى أدب يريدون ؟ أيريدون الأدب بمعناه العام ، أم يريدون الأدب بمعناه الخاص ؟ إن كانوا يريدون الأول فنحن معهم على وفاق ، وإن أرادوا الثانى فذلك الذى فيه خلاف .

ثم نذهب إلى العسقلانى فنراه فى حديثه عن الفراء يفرق بين شهرته بالعربية ، وبين ما غلب عليه من معرفة الأدب فيقول « وشهرته بالعربية ومعرفتها غير محتاجة إلى إكثار ....وكان الغالب عليه معرفة الأدب[5] » فكأنه يريد الأدب بمعناه الخاص حيث مَيَّزه عن العربية بوجه عام . وهنا يحلو لنا الوقوف لنجلّى مكان الفراء بين العلماء والأدباء فنرجع إلى مؤلفاته وما خلف من آثار . فلا نجد بينها أثرا واحدا يسلكه فى عداد الأدباء ، من أمثال الجاحظ ، وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وابن العميد .

---

(١) ٣٠١/٢ ـ ط بولاق .

(٢) ١٣٩/٧ ـ الطبعة الثانية .

(٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣٨/٢ ـ الطبعة الاولى .

(٤) معجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

(٥) تهذيب التهذيب للعسقلانى ٢١٣/١١ ط حيدر اباد .

وإذا تجاوزنا آثاره التى وصلت إلينا ، واتجهنا إلى أسماء مؤلفاته التى وردت فى ثنايا الأحاديث ، رأيناها لا تمت بصله إلى الأدب ، إذا استثنينا « كتاب النوادر[1] » و« آلة الكتاب[2] » و « الفاخر[3] » فى « الأمثال[4] » .

وكلها عناوين لانشم فيها رائحة الأدب إلا على وجه الاحتمال ، فمن الجائز أن تكون مجرد جمع وسرد للنوادر والأمثال . دون تذوق أو استمتاع أو دراسة تسلك صاحبها فى عداد الأدباء .

وهذا لا يعنى أننى أجرده من جمال أسلوبه فى التأليف . فهو حين يتحدث نراه قد استوى له المعنى واستقامت له العبارة ، فى معظم الأحيان ، كما سيأتى به البيان ، فالنثر العلمى شىء ، والنثر الفنى شىء آخر .

كما أننى أعيذه ، مما كان عليه أبو سعيد السيرافى حين أراد أن يقيم كتاباً للصيمرى ردا على ابن العميد فلم يستقم له ذلك ، على ماروواه أبو حيان[5] . وإنما أرى مكانه فى مرحلة وسط بين أمثال هذا من النحاة وبين عمالقة الأدب .

ومن هنا يتضح لنا أن الفراء أديب بالمعنى العام للأدب ، كما يتضح لنا مراد المترجمين من وصفه « بالأدب » وأكبر الظن أنهم كانوا إلى ذلك العهد لا يكادون يفرقون بين الأدب بمعناه العام والأدب بمعناه الخاص ، فهذا هو أبو البركات الأنبارى يرى كما يرى غيره أن الأدب يشمل ثمانية علوم ، وهى النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافى وصنعة الشعر ، وأخبار العرب وأنسابهم ، ثم يقول : «وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما ، وهما علم الجدل فى النحو ، وعلم أصول النحو[6] » ومن ثم أطلق الأدب على الفراء فكان أديبا[7] ، كما سمى النحاة بالمؤدبين .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٠٠ ط الرحمانية .
(٢) المصدر السابق .
(٣) نفس المصدر .
(٤) تاريخ الأدب العربى ـ بروكلمان (ترجمة الفراء) .
(٥) انظر الامتاع والمؤانسة لأبى حيان ١٣٢/١ فما بعدها ط الثانية .
(٦) نزهة الالباء ص ١١٦ فما بعدها .
(٧) معجم الادباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

الفراء والشعر :

يقول صاحب الفهرست فى ترجمة الفراء[1] « ولم يؤثر من شعره غير هذه الأبيات ، رواها أبو حنيفة الدينورى عن الطوال :

يا أميراً على جريب من الأر ض له تسعة من الحجاب

جالسا فى الخراب يحجب فيه ما سمعنا بحاجب فى خراب

لن ترانى لك العيون بباب ليس مثلى يطيق رد الحجاب

ثم جاء القفطى فنقل رواية ابن النديم دون تعقيب ، أو تغيير[2] ، أما السيوطى فقد جعل البيت الثالث أولا[3] ، ولم يكن موفقا فى هذا ، وربما كانت رواية ابن النديم أوفق وأنسب لأنها تبدأ بالنداء ، ثم تختم بالخطاب ، على أن رواية السيوطى اختلفت فى جانب آخر وهو وضع كلمة (ذل) مكان كلمة (رد) فشطر البيت عنده هكذا ، «ليس مثلى يطيق ذل الحجاب » والتعبير بالذل فيه معنى الرد وزيادة . وهو و إن كان أصرح فى صفة التحقير التى لا يطيقها مثل الفراء إلا أن التعبير « بالرد » فقط ربما كان أبلغ من سواه أى أن الفراء بلغت به العزة مبالغا لا يطيق معه مجرد الرد فضلا عن الإذلال .

أما رواية ابن خلكان فقد جاءت على غرار رواية ابن النديم من حيث ترتيب الأبيات غير أنها اختلفت عنها فى إبدال كلمة « الحواب » بكلمة الحجاب » فهو يقول : (ليس مثلى يطيق رد الحواب[4] وليس فيها ما يدعو إلى التفضيل .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٦٧ ط اوروبا وص ٩٩ ط الرحمانية .

(٢) انظر انباه الرواه للقفطى حـ ٢ قسم ٣ ص ٣١٢ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٣) انظر البغية ص ٤١٢ ـ الطبعة الاولى .

(٤) انظر الوفيات ٣٠٣/٢ ط بولاق .

تلك رواياتٌ أربع يظاهر بعضها بعضاً تنسُبُ إلى الفراء شعرا ، فهل كان له شعر حقا ؟ ذلك ما نحن بصدده الآن .

ويقول الزبيدى فيما يرويه عن ثعلب فى طبقاته « ولم يبلغنى أن الكسائى ولا الفراء قالا شعرا قط [1] »

وكذلك فعل القفطى فى إنباه الرواة فى ترجمة الكسائى ، ولم يتنبه إلى أنه أصدر حكما فى ترجمة الفراء بأنه قال شعرا ممثلا فى الأبيات الثلاثة ، فكان عليه أن يرجح إحدى الروايتين إن أراد إثباتها معا ، أو يقتصر على إحداهما لئلا يقع فى التناقض ، ولكنه لم يفعل أكثر من أنه رضى لنفسه أن يكون تابعاً لابن النديم تارة ، وللزبيدى تارة أخرى .

ومهما يكن من أمر . فالذى أطمئن إليه أن الفراء لم يقل شعرا قط ، ويعززنى فى هذا ما يأتى :

(١) أن ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) ذلك الذى يثبت شعرا للفراء ، والزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) ذلك الذى روى نفى الشعر عن الفراء ، كلاهما عند المؤرخين بمنزلة سواء ، إذ أنهما متعاصران ، وليس لأحدهما فضل فى السبق أو الفَوق ، ولو كان هناك فضل يمكن أن ينسب إلى سبق زمنى بعدة سنوات ، لكان الزبيدى صاحب هذا الفضل ، ولست أرى موجبا له ، فالروايتان إذن تقفان على قدم المساواة من حيث الراوى ، أما من حيث العوامل الأخرى فإننا نراها جميعا فى جانب الزبيدى كما سيأتى :

على أننى أبادر فأقول : إن تعدد الروايات التى تنسب إلى الفراء شعرا ، وتضافرها فى ظاهر الأمر . ليس فيه من التقوية إلا بمقدار ما يظاهر النقل والاقتفاء ، وآية ذلك أن القفطى تابع هذا تارة ، وتابع ذاك تارة أخرى كما سلف به البيان .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٤٠ ط الخانجى (ترجمة الكسائى) .

(٢) أن ثعلبا ذلك الذى لم يبلغه عن الفراء شعر قط كما جاء فى رواية الزبيدى كان قريب عهد بالفراء، بل إنه تتلمذ على أصحابه من أمثال سلمة[١] وابن الجهم ، وكلاهما كان وراقا[١] وراوية للفراء .

(٣) كما أن ثعلبا هذا حفظ جميع كتب الفراء فيما يرويه عن نفسه ، فلو كان بينها شعر لكان أعلم به ، قال «.. وحفظت كتب الفراء كلها لم يشذ عنى حرف منها ولى خمس وعشرون سنة[٢]» .

(٤) إن الموهبة الشعرية موهبة مستقلة ، ليس بينها وبين الموهبة النثرية تلازم، فقد يكون أديبا ناثرا كما كان الفراء على ماجاء فى بعض الروايات[٣] ولا يكون شاعرا ، والعكس صحيح فى العقل والخارج ، وقد يكون شاعرا وناثرا معا ، وقد يخلو منهما جميعا .

على أن نثر الفراء لم يكن من « النثر الفنى » فى نظرى ، وإنما كان من النثر العلمى الذى لا يدخل فى دائرة الأدب بمعناه الخاص .

(٥) ثم إن حفظ الأشعار بكثرة كاثرة — كما كان عند الفراء لا ينتج شاعرا حتما على أن محفوظه من الشعر كان يهدف إلى الاستشهاد النحوى واللغوى بوجه عام . أكثر مما يهدف إلى الاستمتاع الفنى ، والتذوق الأدبى ، بل إن رواية الشعر الأدبى، وتذوقه الفنى قد لا ينتج شاعرا أيضا، فهذا أبو العباس المبرد — على ما كان عليه من غزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان ،وبراعة البيان[٤] ، لم يكن شاعرا ، بل كان « لا ينتحل ذلك ، ولا يعتزى إليه ، ولا يرسم نفسه به»[٥]، وإن حفظ له التاريخ بعض الأشعار التى لا تسلكه فى عداد الشعراء .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/١٥٠

(٢) معجم الأدباء ٥/١٠٩ ط دار المأمون .

(٣) انظر مثلا تهذيب التهذيب للعسقلانى ١٨/٢١٢ ط الأولى ، ومرآة الجنان لليافعى ٢/٣٨ ط الأولى ، والوفيات لابن خلكان ٢/٣٠١ ط بولاق .

(٤) طبقات الزبيدى ص ١١٠ ط الخانجى .

(٥) المصدر السابق ص ١٢٢

(٦) أنني رأيت فى الوفيات « هذه الأبيات لابن موسى الملفوف[١] » وهو بالصواب أشبه .

صحيح أن المعنى الذى اشتملت عليه الأبيات يتفق مع ماطبع عليه الفراء من عزة وإباء ، غير أنى لا آخذ هذا دليلا على أن الأبيات للفراء ، وإنما آخذه دليلا على أنها ليست له ، ولكنها حينما اتفقت مع ما طبع عليه ، نسبوها إليه .

على أن الفراء ليس بدعا فى ذلك ، فقد كان له نظراء بين النحاة ، فهذا هو الكسائى فيما يرويه الزبيدى لم يقل شعرا قط[٢] ، وهذا هو إمام النحاة سيبويه لم يكن من الشعراء[٣] وغيرهما كثير وكثير بين النحاة واللغويين .

هو والفارسية :

أكان الفراء يعرف الفارسية ؟ إننى لا أملك من النصوص ما يثبت هذا أو ينفيه ، غير أنى عثرت على نص فى المعانى تعرض لتفسير جملة فارسية فقال بعد أن فرغ من وصف اليهود والنصارى : « ثم إنه وصف المجوس فقال (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) وذلك أن تحيتهم فيما بينهم (ذه هزار سال) فهذا تفسيره (عش ألف سنة)[٤] » .

فهل معنى ذلك أن الفراء كان يجيد الفارسية أو يعرفها ؟ لا أظن هذا وحده ينهض دليلا على معرفة الفارسية فضلا عن إجادتها . فكثير من الناس يعرفون عبارات من اللغات الأجنبية ومع ذلك لا نستطيع الحكم عليهم بأنهم يعرفون اللغة ، والفراء عاش فى زمن قد انتشرت فيه الفارسية التى « كانت سائدة

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٣/٢ ط بولاق وفى طبعة دار الطباعة المصرية جـ ٢ ص ٣٤٠

(٢) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٠ ـ ط الخانجى .

(٣) انظر ترجمة سيبويه فى طبقات الزبيدى . (٦٦ ـ ٧٤) ط الخانجى .

(٤) معانى القرآن للفراء ٦٣/١ ط دار الكتب .

فى مدن العراق[1]» كما يقول يوهان فك، فليس بعيدا أن يكون الفراء قد تأثر بالجو المحيط به فعرف شيئا من اللغة «ومعرفة الفارسية التى كانت تظهر هنا أو هناك فقط عند العرب فى العصر الأول صارت غير نادرة فى صفوفهم إلى ذلك العهد[2]» ثم إن الفراء بالذات فارسى الأصل. ديلمى النسب، والديالمة لهم فى الكوفة محلة معروفة[3]. فمن الجائز أن يكون لهم خطاب بلغتهم الخاصة، وقد تأثر بها الفراء.

على أن معرفة هذه الجملة الفارسية ربما لم تكن من تأثير البيئة بقدر ما هى من تأثير المفسرين السابقين فى الفراء، أمثال ابن عباس وابن جبير، فقد روى عنهما مثل هذا التعبير، أو قريب منه، على ما يرويه الطبرى «عن ابن عباس فى قوله: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) قال هو قول الأعاجم: (سال زه نوروز مهرجان)، وعن ابن جبير قال: هو قول أهل الشرك بعضهم لبعض إذا عطس (زه هزار سال)»[4] — فنحن نرى تفسير الفراء وتعبيره يتفقان تماما مع تفسير ابن جبير وتعبيره، ولعله كان متأثراً به، فقد ثبت لدينا أن الفراء كان له اطلاع واسع على تفسير السابقين من الصحابة والتابعين، وقد بينت ذلك فى موطنه من البحث.

ولو فرضنا أن هذا كان من توافق الخواطر، فإن النص يحمل دليلا آخر، وهو أن ابن عباس وابن جبير — وكلاهما لايعرف الفارسية — قد استشهدا بعبارة منها كما يستشهد كثير من الناس، وكذلك الفراء:

---

(١) العربية — يوهان فك — ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ٨٣ ط الكتاب العربى.

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٥٦ ط أولى.

(٤) تفسير الطبرى المسمى (جامع البيان عن تأويل القرآن) ٣٧٣/٢ ط دار المعارف بمصر.

ورغم كل هذه الدلائل القوية التى يأخذ بعضها بحجز بعض ، رأيت أن أقف عند حد الترجيح فقط ، لأدع مجالا لأى احتمال . ولو كان احتمالا هزيلا كالذى وثب فى ذهنى أثناء البحث ، ويتلخص فى أن الفراء ربما كان يعرف الفارسية ويجيدها ، ولكنه كان يترفع عن الحديث بها ، لما نسب إليها من الضعة فى ذلك العهد ، فقد روى أن « الأصمعى كان يحسن الفارسية[1] » ولكنه إلى جانب ذلك كان يتعصب للعربية ، و« يعد أمارة على ضعة الشخص أن يتكلم بالفارسية[2] » .

مذهبه الفقهى :

ليس بيدى من المصادر ما ينص صراحة على مذهبه التعبدى — برغم البحث الطويل — وكل ماهنالك أقوال عامة من مثل قولهم : « وكان الفراء فقيها عالما بالخلاف[3] » ، ولكن على أى مذهب ؟ لست أدرى على وجه اليقين ، وإن كان لدى من الدلائل مايشير إلى أنه كان حنفى المذهب ، أو على الأقل كان على صلة وثيقة به ، ومن هذه الدلائل ما يأتى :

(١) أن الفراء من نحوى العراق ، وأغلب النحويين بالعراق كانوا على مذهب الأحناف « كالسيرافى الذى كان يقضى على مذهب العراقيين[4] »

---

(١) العربية — يوهان فك — ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ٨٣ ط دار الكتاب العربى .

(٢) نفس المصدر .

(٣) معجم الادباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

(٤) مقدمة الخصائص ص ٤٠ ط دار الكتب .

(٢) أنه كان « يميل إلى الاعتزال »[١] ، وقد ذكروا « أن الغالب في الحنفية من أهل الاعتزال »[٢] .

(٣) أنه كان من بلاد فارس ، والمقدسي يقول : « وأصحاب أبي حنيفة في بلاد فارس كثير »[٣] .

على أنني لا أعتمد كثيراً في الترجيح على فارسيته فحسب ، فليس بلازم أن يكون المرء حنفياً لأنه فارسي ، فهذا هو ابن قتيبة لم يكن حنفياً رغم أنه كان فارسي الأصل[٤] وأكثر من هذا أنه ولد بالكوفة على رواية ابن الأثير أوولد ببغداد على رواية ابن النديم وكلاهما معقل حصين من معاقل الأحناف فقد شهدت الكوفة ومن بعدها بغداد نشأة المذهب الحنفي على يد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، كما شهدت بغداد عنفوان هذا المذهب بقيادة أبي يوسف قاضي القضاة ، ثم القاضي محمد بن الحسن الشيباني من بعده ، وكلاهما من تلاميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بل هما أبرز تلاميذه على الإطلاق ومع كل هذا فإن ابن قتيبة لم يكتف بمجانبة المذهب الحنفي فحسب ، بل إنه هاجم الأحناف هجوماً عنيفاً في بعض آثاره — وكان « يقع في حق كبار العلماء »[٥] حيث يقول فيهم « ثم نصير إلى أصحاب الرأي فنجدهم أيضاً يختلفون ويقيسون ، ثم يدعون القياس ويستحسنون ، ويقولون بالشيء ، ويحكمون به ثم يرجعون[٦] »

---

(١) انباه الرواه للقفطي ج ٢ قسم (٣) ص ٣١٢ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية . وبغية الوعاة ص ٤١١ وتلخيص بن مكتوم ورقة (٢٧٠) مخطوط دار الكتب رقم ٢٠٦٩ تاريخ تيمور ، ومعجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون ووفيات الأعيان ٣٠٢/٢ ط بولاق .

(٢) انظر الفيث المنسجم للصفدي ٤٧/٣ ط المطبعة الوطنية بالاسكندرية ١٢٩٠ هـ.

(٣) احسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٣٩ ط ليدن — الطبعة الثانية سنة ١٩٠٩م.

(٤) مقدمة تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد احمد صقر ص ٤ ط الحلبي .

(٥) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧٥/٣

(٦) تأويل مختلف الحديث ص ٦٢ ط كردستان سنة ١٣٢٦ هـ .

وهذا هو ابن راهويه (١٦١ هـ - ٢٣٨ هـ[١]) أستاذ ابن قتيبة يهجم هجوماً أعنف على الأحناف حين يروى مسائل تدل - فى نظره - « على تحكم أبى حنيفة فى الدين ومخالفة كتاب الله[٢] » .

لهذا وذاك لم أعتمد على أنه فارسى وكفى بل بحثت عن أدلة أخرى تظاهر ما أقول، منها ما هو عام كما رأينا ، ومنها ما هو خاص كما سنرى .

الأدلة الخاصة بالفراء :

(١) أنه تتلمذ على شيوخ أحناف منهم محمد بن حفص كما جاء فى طبقات القراء[٣] ومنهم أبو الأحوص سلام بن سليم على ما رواه العسقلانى فى تقريب التهذيب[٤] .

(٢) أنه عاصر زعيما من زعماء المذهب الحنفى هو القاضى محمد بن الحسن الشيبانى (ت ١٨٩ هـ)[٥] مدون مذهب الأحناف، وليست معاصرة فحسب بل هى قرابة ورحم ماسة حيث كانا ابنى خالة[٦]، وكانت بينهما مودة وتقدير[٧] ، فلا غرابة إذن أن يكونا على مذهب واحد .

---

(١) هو أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه ، صحب الشافعى وناظره ، وروى عنه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى واحمد بن حنبل الذى قال عنه (لا اعرف لاسحاق بالعراق نظيرا) انظر ترجمته كاملة فى دائرة معارف القرن العشرين ١٥٢/٤ ط ثانية .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٦٥ فما بعدها .

(٣) لابن الجزرى ٣٧١/٢ ط اولى تحقيق برجشتراسر .

(٤) انظر (باب الكنى) فى هذه المخطوطة ، وهى غير مرقومة الصفحات .

(٥) النجوم الزاهرة ١٣٠/٢ - ط دار الكتب .

(٦) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٢/٢ - ط بولاق .

(٧) المصدر السابق .

(٣) أنه جاء فى كتاب معانى القرآن للفراء نص صريح حيث يقول فى معرض التمثيل : « اتبعت قول أبى حنيفة ، وأخذت بقول أبى حنيفة »[١] ولا يوهنه إلا أنه جاء على سبيل المثال لا على سبيل التقرير ، غير أنه مع هذا لا يخلو من دلالة قوية .

(٤) أنه تعرض لخلاف الفقهاء الأحناف فى الشفق ، أهو الحمرة أم هو البياض ؟ حيث قال فى تفسير قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق) « والشفق الحمرة التى فى المغرب من الشمس . . . . . وكان بعض الفقهاء يقول : الشفق البياض لأن الحمرة تذهب إذا أظلمت ، وإنما الشفق البياض الذى إذا ذهب صليت العشاء الآخرة ، والله أعلم بصواب ذلك »[٢] .

(٥) كما أن التاريخ حفظ لنا رأيه فى حكم من سها فى سجدة السهو حين قرر أنه لا سجود عليه لأن المصغر لا يصغر ، وقد أقره محمد بن الحسن على ذلك بل وأعجب به حينما سأله ممتحناً [٣] كما سلف به البيان .

(٦) أننى عثرت على نص له يتفق مع مذهب الأحناف فى طلاق العدة وطلاق السنة حيث يقول : « فينبغى للرجل إذا أراد أن يطلق امرأته للعدة أمهلها حتى تحيض حيضة ، ثم يطلقها ، فإذا حاضت حيضة بعد الطلاق طلقها أخرى فإذا حاضت بعد الطلقتين طلقها ثالثة ، فهذا طلاق العدة ، وقد بانت منه فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره .

وطلاق السنة أن يطلقها طاهراً فى غير جماع ، يدعها حتى تحيض ثلاث حيضات فإذا فعل ذلك بانت منه ، ولم يحل له نكاحها إلا بمهر جديد ولا رجعة له عليها »[٤] .

---

(١) انظر المعانى ص ٣٦٧ مصورة دار الكتب رقم (٢٤٧٧١ تفسير) .

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٢

(٣) انظر تفصيل ذلك فى تهذيب التهذيب للعسقلانى ٨/٢١٢ ـ الطبعة الاولى وانظر وفيات الاعيان لابن خلكان حـ ٢ ص ٣٠٢ طـ بولاق .

(٤) معانى القرآن للفراء ص ٣٣٥ مصورة دار الكتب رقم (٢٤٧٧١ تفسير) سورة الطلاق .

ذلك هو ما تجمع لدى من أدلة عامة وخاصة تشير إلى مذهبه التعبدى ، وهى وإن لم تكن قاطعة فهى مرجحة على الأقل . إلى أن يسعفنا التاريخ بمصدر يأتينا بنص صريح .

شيوخه ومن أخذ عنهم :

تتلمذ الفراء على شيوخ كثيرين كما تشعر به كلمة هناد السرى[1] ، ولكن المترجمين لايذكرون إلا القليل من هؤلاء إيجازاً فى القول ، أو عجزاً عن الحصر ، وسأذكر بعض ما وقفت عليه فى كتب الطبقات وما إليها ، ثم ما وقفت عليه من آثار الفراء نفسه ، وإليك البيان :

من شيوخ الفراء قيس بن الربيع[2] (ت ١٦٥ هـ) ، ومندل بن على[3] (ت ١٦٧ هـ) وأبو الأحوص سلام بن سليم[4] (ت١٧١هـ) ، وأبو بكر ابن عياش[5] (ت١٩٢هـ) ، وسفيان بن عيينه[6] (١٩٨هـ) ، وخازم بن الحسين البصرى[7] ، ومحمد بن حفص الحنفى[8] ، وأبو جعفر الرؤاسى[9]

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/١٥٢ ط السعادة .

(٢) انظر مثلا المعانى ص ٣١٥ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ (مصورتى) ـ وقد اختلف فى تاريخ وفاته الى اقوال اخر منها ١٦٦ هـ ، ١٦٧ هـ ١٦٨ هـ .

(٣) انظر المعانى ص ٣٧٧ مصورتى .

المعانى ص ٣٤٨ ، ٣٥٩ وفيها (سليم) بياء بعد اللام ، وكذلك فى الانساب للسمعانى ظهر ورقة ٤١٩ ، وتقريب التهذيب للعسقلانى مخطوطة دار الكتب (غير مرقومة) اما طبقات القراء لابن الجزرى فقد جاء فيها (سلم) بدون ياء ، انظر جـ ١ ص ٣٠٩ ط السعادة .

(٥) تاريخ بغداد ١٤/٣٨١ ، وطبقات ابن الجزرى ٢/٣٧١ ط اولى ، وقد اختلف فى تاريخ وفاته الى أقوال اخر منها ١٩٣ هـ ، ١٩٤ هـ .

(٦) انظر المعانى ص ٣١٨ ، ص ٣٤٠ (مصورتى) .

(٧) تاريخ بغداد ١٤/١٤٩ ط السعادة .

(٨) طبقات ابن الجزرى ٢/٣٧١ ط اولى .

(٩) المعانى ص ٣٧٦ مصورتى . (الرؤاسى) أو (الرواسى) ـ قال السيوطى فى البغية ص ٣٣ « سمى الرؤاسى لانه كان كبير الرأس » ، لكن رأيت فى تاج العروس ما يأتى « قال الأزهرى : وكان ابو عمر الزاهد يقول فى ابى جعفر الرواسى احد القراء والمحدثين انه الرواسى بفتح الراء وبالواو من غير همز منسوب الى (رواس) قبيلة من سليم ، وكان ينكر ان يقول الرؤاسى بالهمز ، كما يقوله المحدثون وغيرهم » ـ مادة (رأس) ج ٤ ص ١٥٨

(ت١٩٠هـ) ، ويحيى بن حمزة الكسائى[١] (ت١٨٩هـ) ، ويونس بن حبيب البصرى[٢] (ت ١٨٢ هـ) .

وكذلك أخذ عن (حبان بن على)[٣] أخى (مندل بن على)[٤] والحسن بن عياش[٥] أخى أبى بكر بن عياش[٦] ومحمد بن الفضل المروزى[٧]، ومحمد بن مروان[٨]، وعلى بن غراب[٩]، ويحى بن سلمة بن كهيل[١٠]، وإسماعيل بن جعفر المدينى[١١]، وشريك بن عبد الله[١٢]، ومحمد بن عبد العزيز التيمى[١٣]، والفضيل بن عياض[١٤] وأبى ليلى السجستانى[١٥] ، كما أخذ عن عبدالله بن المبارك كثيراً[١٦]، ووصفه بأنه «الثقة»[١٧] كما روى عن القاضى الكوفى العظيم القاسم

---

(١) طبقات ابن الجزرى ٣٧١/٢ ط أولى .

(٢) مراتب النحويين ص ٨٦ ط نهضة مصر .

(٣) انظر المعانى ص ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٩ مصورتى .

(٤) انظر تهذيب الكمال ، للحافظ المقدسى مخطوطة دار الكتب رقم (٢٦) مصطلح الحديث فى حرف الميم (من اسمه مندل) .

(٥) انظر المعانى ص ٣٤٣ فما بعدها . مصورتى .

(٦) نفس المصدر .

(٧) انظر المعانى ص ٣٣٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ مصورتى .

(٨) المعانى ص ٣٧٣ مصورتى .

(٩) نفس المصدر ص ٣٥٩

(١٠) المعانى ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ مصورتى .

(١١) نفس المصدر ص ٣٧٥

(١٢) المعانى ص ٣٥٦ مصورتى .

(١٣) نفس المصدر .

(١٤) انظر المعانى عند تفسير قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) سورة الواقعة آية (٧٥) .

(١٥) نفس المصدر .

(١٦) انظر المعانى ص ١٤٠ ، ٣٦٦ مثلا ، (روى عنه فيها مرتين) مصورتى .

(١٧) انظر المعانى ص ٣١٥ مثلا مصورتى .

ابن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود[1] ، قال ياقوت : « والفراء كثير الرواية عنه»[2] وعن الراوية المشهور المفضل الضبي[3] ــ ، وكذلك أخذ عن أعراب وثق بهم مثل أبي الجراح[4] ، وأبي زياد الكلابي[5] ، وقد عدها ابن النديم فى جملة الفصحاء[6] ، كما أخذ عن أبي ثروان العكلى ، وغيره من الأعراب .

ولست أزعم أنى أحصيت كل من أخذ عنهم الفراء ، فهناك كثيرون ضربت صفحاً عن ذكرهم وإنما ذكرت من ترددت أسماؤهم كثيراً فى آثار الفراء . والحديث عن هؤلاء جميعاً بالتفصيل يحتاج إلى موسوعة ضخمة ، لهذا سأختار شيخين اثنين أحسب أنها أكبر أثراً فى الفراء من غيرهما ، ثم إنهما إلى جانب ذلك يمثلان النزعتين البصرية والكوفية عند الفراء ، وهما الكسائى الكوفى ، ويونس بن حبيب البصرى .

أما شيوخ الحديث مثل قيس ، ومندل ، وأبى الأحوص فما أظن لهم كبير أثر فى تكوينه العلمى ، إذا استثنينا منهج المحدّثين فى الدقة والتحرى ، ثم فى ظهور النزعة السلفية التى تعتمد على الأثر ، إلى جانب النزعة التحررية التى اكتسبها من شيوخ آخرين بالإضافة إلى طبيعته المتحررة .

---

(١) معجم الادباء ٧/١٧ ط دار المأمون .

(٢) انظر المذكر والمؤنث للفراء ص ١٨ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ مثلا ط حلب .

(٣) نفس المصدر ص ٢٦ مثلا . والمزهر ٤١٠/٢ ط الحلبى .

(٤) المزهر ٤١٠/٢ ط الحلبى .

(٥) نفس المصدر ، وانظر المذكر والمؤنث للفراء ص ١٢ ، ٢٤ ، ٣٩ ط حلب .

(٦) مثل ابى معاوية ، وأبى اسرائيل ، وهشيم ، وغيرهم ــ وغيرهم .

ترجمة الكسائى[1] :

هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز[2] الكسائى[3]، النحوى[4]، الكوفى[5]، مولى بنى أسد[6]، أحد القراء السبعة[7]، «وهو من أولاد الفرس من سواد العراق[8]»، كان من أهل (باحمشا)، ودخل الكوفة وهو غلام[9]، ونشأ بها وتلقى العلم على علمائها[10]، ثم طاف بالبلاد، واستوطن بغداد فيما بعد[11]، — حين استقدمه الخليفة المهدى ليسأله عن فعل الأمر من (السواك) بعد أن عجز عنه المؤدب السابق للرشيد وحين وفق الكسائى أمر له بعشرة آلاف درهم[12]، وعهد إليه بتأديب الرشيد، ثم كان مؤدب الأمين من بعده[13]، وقد ذكر المؤرخون سبب تسميته بالكسائى واختلفوا فيه[14]، كما ذكروا أنه تعلم النحو على الكبر وذكروا سبب ذلك[15]، وكان قد «أخذ القراءة عرضاً عن حمزة (الزيات) أربع مرات، وعليه

---

(١) هذا هو الكسائى الكبير، وهناك كسائى صغير، وكان من القراء ايضا، انظر معجم الأدباء ١٦٨/١٣ ط دار المأمون.

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٥٣٥/١ تحقيق (برجشتراسر).

(٣) الوفيات ٤٥٧/٢ ط سنة ١٩٤٨ م.

(٤) تاريخ بغداد ٤٠٣/١١

(٥) الوفيات ٤٥٧/٢ ط سنة ١٩٤٨ م.

(٦) تاريخ بغداد ٤٠٣/١١ وانظر التيسير لابى عمرو الدانى مخطوطة دار الكتب رقم ١٤ قراءات.

(٧) الوفيات ٤٥٧/٢

(٨) غاية النهاية ٥٣٥/١ تحقيق برجشتراسر.

(٩) انباه الرواة للقفطى ٢٥٢/٢ ط دار الكتب، و (باحمشا) بسكون الميم. قرية بين (أوانا والحظيرة) كانت بها وقعة للمطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى أيام الرشيد.

(١٠) انظر مثلا ترجمة الكسائى فى البغية ص ٣٣٤ ط السعادة.

(١١) طبقات القراء لابن الجزرى ٥٣٧/١ ط السعادة.

(١٢) انظر انباه الرواة ٢٥٩/٢ ط دار الكتب.

(١٣) الوفيات ٤٥٧/٢ ط سنة ١٩٤٨ م.

(١٤) انظر طبقات الزبيدى ص ١٣٩ ط أولى، ففيها أن حمزة الزيات هو الذى أطلق عليه هذا اللقب حينما افتقده فى درسه فلم يجده، وفى تاريخ بغداد أنه سمى بذلك لأنه أحرم فى كساء.، وقيل غير ذلك حـ ١١ ص ٤٠٤

(١٥) انظر معجم الأدباء ١٦٨/١٣ ط دار المأمون.

اعتماده »[1] ، كما « روى الحروف (أيضاً) عن أبى بكر بن عياش ، وإسماعيل ، ويعقوب ابنى جعفر عن نافع ، ولا تصح قراءته على نافع كما ذكره الهذلى بل ولا رآه »[2] ، وأقرأ ببغداد زماناً بقراءة حمزة ، ثم اختار لنفسه قراءة فأقرأ بها الناس . وقرأ عليه خلق كثير ببغداد وبالرقة وغيرها من البلاد[3] .

« وأخذ اللغة عن الخليل»[4]، ثم خرج إلى البوادى وأخذ عن العرب كثيرا[5] ثم حضر – بعد وفاة الخليل – مجلس يونس بن حبيب ، وكان « يناظره مناظرة النظير »[6] ، فيما يرويه الزبيدى .

وكان إمام أهل الكوفة فى عصره، امتاز باللباقة وفصاحة اللهجة[7]، كما كان ذكياً أريباً استطاع بذكائه ودهائه أن يستولى على قلب الخليفة هارون الرشيد « حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين »[8] يروى المؤرخون أن قاضى القضاة أبا يوسف دخل يوماً على الرشيد والكسائى عنده يمازحه ، فقال له أبو يوسف : هذا الكوفى قد استفرعك وغلب عليك فقال : يا أبا يوسف إنه ليأتينى بأشياء يشتمل عليها قلبى[9] ،

كما أنه استمال الأخفش الأوسط واستطاع أن يكسر حدته فضمه إلى كنفه وأجرى له راتبا فنسى الأخفش ما كان قد وفد من أجله وهو الانتقام

---

(١) طبقات القراء ٥٣٥/١ ط السعادة . تحقيق برجشتراسر .
(٢) طبقات القراء لابن الجزرى ٥٣٥/١ تحقيق برجشتراسر .
(٣) تاريخ بغداد ٤٠٣/١١
(٤) غاية النهاية ٥٣٦/١ تحقيق برجشتراسر .
(٥) انظر انباه الرواة ٢٥٨/٢ ط دار الكتب .
(٦) طبقات النحويين واللغويين ص ١٣٨ ط أولى (ترجمة الكسائى) .
(٧) نفس المصدر ص ١٤١ وانظر طبقات القراء لابن الجزرى ٥٣٨/١ ط السعادة.
(٨) انباه الرواة للقفطى ٢٧٢/٢ ط دار الكتب .
(٩) طبقات الزبيدى ص ١٣٨ فما بعدها ط أولى .

لشيخه سيبويه[1] ، ذلك الذى هزمه الكسائى فى المناظرة المشهورة دون حق فى نظر الأخفش ومن لف لفه من البصريين وكثير من الباحثين .

كما أنه استمال الفراء بكتاب رقيق بعث به إليه مع الإجابة الصحيحة عن المسائل التى كان الفراء قد تعنته بها فأخطأ فيها الكسائى ، فلما ذهب إلى داره أرسل إليه الإجابة والعتاب[2] فكان هذا العتاب الرقيق سبب ملازمة الفراء إياه .

ويذكر المؤرخون أنه ما تزوج ولاتسرّى[3] ، ولذلك كثرت المغامز من حوله[4] ، وربما كان سبب هذا الاتهام الجائر ماكان فى الكسائى من دعابة[5] وفكاهة ، ثم إلى جانب ذلك حقد البصريين عليه تعصباً مع سيبويه شيخ البصرة وإمام النحاة ، هذا إلى حسد المنافسين ممن لم يبلغوا مثل مكانته عند أمير المؤمنين .

وكان حديد اللسان على منافسيه من العلماء ، يروى أنه زجر الأصمعى بحضرة الرشيد حين راجعه فى رواية بيت فقال له «اسكت ليس هذا من صنعتك[6] » ، وفى تاريخ بغداد فيما يرويه عن ابن الجراح يقول : قال اليزيدى[7] للكسائى : يا أبا الحسن : أمور تبلغنا عنك ، وحكايات تتصل بنا نذكر بعضها ؟ فقال الكسائى : أو مثلى يخاطب بهذا ؟ وهل مع العالم من العربية إلا فَضْل بصاق هذا — ثم بصق — فسكت اليزيدى[8] ، ثم إنه سخر

---

(١) انظر تفصيل الخبر فى معجم الادباء ١١/٢٢٧ فما بعدها ط دار المأمون .

(٢) انظر مجالس اللغويين والنحاة لوحة رقم (٧٨) .

(٣) انظر الوفيات ٢/٤٥٧ ط سنة ١٩٤٨

(٤) انظر مثلا معجم الادباء ١٣/١٧٩ فما بعدها ط دار المأمون .

(٥) انظر طبقات الزبيدى ص ١٤٠ أولى .

(٦) هو بصرى وكان مؤدب المأمون .

(٧) تاريخ بغداد ١١/٤٠٩ وانظر طبقات القراء لابن الجزرى ١/٣٥٩ تحقيق برجشتراسر .

(٨) انظر طبقات الزبيدى ص ١٣٨ ط أولى وانباه الرواة ٢/٢٦٩ ط دارالكتب.

من يونس البصرى وهو فى حلقة درسه حين سأله عن (حتى) لم تنصب الأفعال المستقبلة ؟ فقال يونس : « هكذا خلقت » فما وسع الكسائى إلا أن ضحك منه[1] ، مع أنه شيخه[2] ، وكان حقه أن يضحك من الكسائى كذلك حين سئل عن (أى) فقال نفس الجواب (أى كذا خلقت[3]) غير أن هذه الإجابة وأمثالها تتفق — إلى حد ما — مع المنهج اللغوى السليم إذ أن اللغة لها منطقها الخاص كما سيأتى به البيان .

ولم يعدم الكسائى الكوفى من يقدح فى علمه من البصريين . قال أبو حاتم السجستانى « لولا أن الكسائى دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئا ، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل إلا حكايات لأعراب مطروحة لأنه كان يلقنهم ما يريد[4] » .

على أن هذا الطعن الجائر ربما كان له ظل من الحقيقة فى بعض زواياه ، حيث كان الكسائى بعيداً عن فلسفة البصريين فى عللهم وحججهم إلى حد كبير . وهو فى هذا يتفق مع المنهج اللغوى السليم وإن كان لايعجب البصريين.

ويبدو أن الكسائى كان بعيداً كذلك عن كل ما يتعلق بالفلسفة « من النظر » والكلام فى القدر . يدلك على ذلك ما جاء فى المناظرة التى جرت فى « القدر » بحضرة الرشيد بين ضرار وإبراهيم النظام زعيم المعتزلة آنذاك . حيث قال النظام لضرار « أنت تعلم أن الكسائى لا يحسن شيئا من النظر الخ » .

ومهما يكن دفاع المدافعين بأنها مناظرة مصنوعة . فإن شيئا من ظلالها يظل يشير إلى أن الكسائى لا يحسن النظر وهذا هو الذى أميل إليه من دراسة تاريخه والتعرف على المنحى العقلى عنده .

---

(١) انظر انباه الرواة للقفطى ٢/٢٧٤ دار الكتب .

(٢) شرح الرضى على كافية ابن الحاجب .

(٣) معجم الادباء ١٣/١٩٠ ط دار المأمون .

(٤) معجم الادباء ١٣/١٩٤ ط دار المأمون .

وفى أخريات حياته أصيب بالوضح فكره الرشيد ملازمته أولاده فطلب إليه أن يختار من يخلفه فماطل . . ثم أتى بالأحمر وكان أحد الجنود فى خلافة الرشيد بعد أن تعهد له بتلقينه ما يحتاج إليه[1] كما سلف به البيان .

أما آثاره فقد عدت عليها العوادى . ولم يبق منها فيما يقول (هوارت) إلا رسالة فى غلط العامة ، تسمى (ما تلحن فيه العوام) محفوظة بجامعة برلين ، وربما كانت أول رسالة من نوعها[2] قد حققها بروكلمان ، كماحققها الميمنى[3] وقد تشكك فيها (يوهان فك) وكتب عنها كلمة قيمة فى كتابه (العربية)[4]

أما وفاته فقد اختلف فيها زمانا[5] ، ومكانا[6] ، وأرجحها أنه توفى برَنْبويه[7] ، فى رحلة مع الرشيد سنة ١٨٩ هـ [8] ودفن بها هو والفقيه محمد ابن الحسن الشيبانى فى يوم واحد ، فقال الرشيد : «دفنا الفقه والنحو بالرى[9]» فرحمة الله على الجميع .

---

(١) انظر معجم الأدباء جـ٣ ص ٦ فما بعدها ط دار المأمون (ترجمة الأحمر).

(٢) Eau t ltteratu e Arabe p. 150.

(٣) انظر ما تلحن فيه العوام طبع (برسلاو) بدار الكتب رقم ٢٣٧ لغة ضمن مجموعة رسائل طبع السلفية .

(٤) انظر ص ٨٩ فما بعدها ط دار الكتاب العربى تحقيق أستاذنا الدكتور عبد الحليم النجار .

(٥) اختلف فيها الى ثمانية اقوال فيما أحصيت تبتدئ من سنة ١٨٠ هـ حتى تبلغ سنة١٩٣هـ .

(٦) انظر هذه الخلافات متناثرة فى الفهرست ص ٩٨ ط الرحمانية وأنباء الرواة جـ ٢ ص ٢٦٩ ط دار الكتب وطبقات القراء لابن الجزرى جـ ١ ص ٥٣٩ فما بعدها تحقيق برجشترا سر طبع السعادة .

(٧) قرية من اعمال الرى ـ انظر طبقات القراء لابن الجزرى ١/٥٤٠ تحقيق برجشتراسر .

(٨) رجح ابن الجزرى هذا التاريخ وقال : عليه أكثر العلماء والحفاظ ـ طبقات القراء ١/٥٣٩ (بتصرف يسير) .

(٩) غاية النهاية جـ ١ ص ٥٤٠ ط السعادة .

أثر الكسائى فى الفراء :

تأثر الفراء فى أحد اتجاهيه بمنهج الكسائى الكوفى . وسيأتى أن الفراء قد مزج بين المدرستين (البصرية والكوفية معا) فظهور النزعة الكوفية عنده يظهرنا على ما كان للكسائى من أثر فى تكوين هذه النزعة ، بالإضافة إلى العوامل الأخرى ويدخل فى هذه النزعة الكوفية عدة مظاهر سنأتى عليها بالتفصيل فيما بعد .

ومنها الروايات الكثيرة التى كان يرويها عن الكسائى[1] ومعظمها يتعلق باللغويات والأشعار ، أما الجانب النحوى الموضوعى فما أظن أن الفراء قد تأثر به كثيراً ، بل على العكس من ذلك كثيراً ما كان يخالف الكسائى فيه وأكبر ظنى أن المسائل التى اتفق فيها الشيخان ، إنما — كانت وليدة اتفاق فى الفكرة أكثر منها نتيجة للتأثر والتقليد ، إذ أن الفراء كان يتسم بالأصالة فى تفكيره النحوى ، وآية ذلك أنه انتهج منهجا خاصا به ، فأرسى قواعد مذهب جديد ، كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل . وكثيرا ما رأيت الفراء يستهجن رأى الكسائى فى النحو ، كما أنه لا يضعه فى النحو بعامة — موضع التقدير — وسيأتى بيان ذلك فى موطنه من البحث .

يونس بن حبيب البصرى :

هو أبو عبد الرحمن[2] يونس بن حبيب البصرى[3] مولى بنى ضبة[4] كان من أهل (جَبَّل)[5] وكان مقدماً[6] ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء[7] ، وكان

---

(١) انظر ردنا على الأستاذ الابيارى فى مبحث (الايام والليالى) .

(٢) طبقات الزبيدى ص ٤٨ ط أولى والبقية ص ٤٢٦ .

(٣) البغية ص ٤٢٦ ط السعادة .

(٤) مراتب النحويين ص ٢١ ط نهضة مصر .

(٥) (جبل) بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها ، بلدة بين النعمانية وواسط — طبقات الزبيدى ص ٤٨ .

(٦) مراتب النحويين ص ٢١ ط نهضة مصر .

(٧) البغية ص ٤٢٦ ط السعادة وطبقات الزبيدى ص ٤٨ ط اولى واخبار النحويين البصريين ص ٣٣

النحو أغلب عليه[1]، يصفه السيرافى بأنه «بارع فى النحو»[2] روى عنه سيبويه فأكثر[3]، كما أخذ عنه الفراء فاستكثر[4] وكان له قياس فى النحو ومذاهب ينفرد بها[5]، وهذا هو الجانب الذى يعنينا، ونظن أن الفراء قد تأثر به كما ثبت لدينا بالبحث وسيأتى فيما بعد، وكما يرى (فايل) فى مقدمة الإنصاف[6]. ومن قياسه الذى تفرد به إبقاء التاء فى مثل (بنت وأخت وثنتان) حين النسب فيقول فى النسبة إليها (بنتِىّ، وأختِىّ، وثنتِىّ) بإثبات التاء فى الجميع، ولم يقل به أحد من النحاة المتقدمين قال سيبويه فى الكتاب وأما يونس فيقول: ثنتى، وينبغى له أن يقول هنتى فى هنة، لأنه إذا وصل فهى تاء كتاء التأنيث، زعم الخليل أن من قال: بنتى، قال: هنتى ومنتى، وهذا لا يقوله أحد[7]، غير أن بعض النحاة المتأخرين مثل الأشمونى دافع عن رأى يونس بالتفرقة بين التاءين فى (بنت وهنت) ردا على زعم الخليل فى التسوية بينهما وهو دفاع معقول[8].

ومن الأقيسة التى وافقه فيها الفراء والكوفيون بعامة ما جاء بكتاب الإنصاف من جواز إدخال نون التوكيد الخفيفة على فعلى الاثنين وجماعة النسوة خلافا للبصريين[9].

واعتمد يونس ومن وافقه على قراءة ابن عامر (ولا تتبعان) بنون التوكيد الخفيفة، وردها البصريون محتجين بأنها «قراءة تفرد بها (ابن

---

(1) مراتب النحويين ص ٢١ ط نهضة مصر وطبقات الزبيدى ص ٤٨ أولى.

(2) البغية ص٤٢٦ ط السعادة وأخبار النحويين البصريين ص ٣٣ ط بيروت.

(3) نفس المصدر.

(4) انظر مراتب النحويين ص ٨٦ ط نهضة مصر. وقد اثبت فيما بعد أن الفراء استكثر من يونس حقا رغم مزاعم البصريين.

(5) البغية ص ٤٢٦ ط السعادة وأخبار النحويين للسيرافى ص ٣٣ ط بيروت.

(6) انظر ترجمة الدكتور النجار لهذه المقدمة ـ مخطوطة تحت الطبع.

(7) الكتاب ٨٢/٢ ط بولاق.

(8) انظر شرح الأشمونى ١٤٥/٤ فما بعدها.

(9) انظر الانصاف ص ٣٨١ ط صبيح مسألة (٩٤). وقد عزاها ابن الانبارى الى الكوفيين بعامة كما تعود، وربما كانت للفراء وحده، كما نبهت على ذلك فى أكثر من موطن، وسيأتى بيان أوضح فى (مذهبه النحوى).

عامر) وباقى القراء على خلافها وحاولوا أن يتمحلوا لها تخريجا طبقا لفلسفتهم الصناعية[1] .

ومثل هذا القياس ما جاء فى الإنصاف كذلك من جواز دخول علامة الندبة على الصفة نحو قولك (وازيد الظريفاه) ، وإليه ذهب يونس بن حبيب البصرى[2]، كما ذهب إليه الكوفيون وفيهم الفراء ، خلافا للبصريين[3] .

ذلك جانب من قياسه فى النحو ، ثم هو إلى جانب هذا كان ذواقا للأدب ذا بصر بالنقد حصيف ، وقد أُثرت عنه أقوال تدل على مدى إدراكه للنقد الذى كان مايزال يحبو فى ذلك العهد ، من هذا أنه وازن بين شعراء الجاهلية موازنة ارتضاها النقد الحديث حيث فصل ولم يفضل على الإجمال ،وذلك حينما سئل عن أشعر الشعراء فقال : لا أومئ إلى رجل بعينه ، ولكنى أقول : أمرؤ القيس إذا ركب،والنابغه إذا رهب، وزهير إذا رغب،والأعشى إذا طرب[4] .

ومن هذا القبيل ما كان من تفضيل قصيدة لشاعر ناشئ هو مروان بن أبى حفصة على قصيدة لشاعر قديم من أصحاب المعلقات وهو (الأعشى) حيث أدخل فيها كلمة (الطحال) فقال يونس : الطحال لايدخل فى شىء إلا أفسده[5] ، إلى آخر ماهناك من نظرات ناقدة صائبة[6] .

---

(١) انظر ص ٣٩٠ من الانصاف .

(٢) الانصاف ص ٢٢٤ ط صبيح مسألة (٥٢) .

(٣) نفس المصدر . وانظر هامش الكتاب ٣٢٤/١ ط بولاق .

(٤) معجم الادباء ٦٥/٢٠ ط دار المأمون .

(٥) انظر تفصيل الخبر فى معجم الأدباء ٦٥/٢٠ ط دار المأمون . والقصيدتان هما : (رحلت سمية غدوة أجمالها) للاعشى وقد جاء فيها : (فأصاب حبة قلبها وطحالها) أما قصيدة مروان بن ابى حفصه فمطلعها : (طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالجمال دلالها) وقد برئت مما وصفت به قصيدة الأعشى .

(٦) انظر مثلا تفضيلة الاخطل على زميليه جرير والفرزدق ، وتعليله لوجهة نظره حيث قال : انه اكثرهم عدد قصائد طوال جيـاد ، لا فحش فيها ولا سـقط ـ معجم الأدباء ٦٥/٢٠ ط دارالمأمون فهى نظرة وان لم تسلم من معارضين الا انها وجهة نظر مبنية على اساس من النقد السليم .

ومن طرائف مايروى عنه أنه قال : « ثلاثة والله أشتهى أن أُمكَّن من مناظرتهم يوم القيامة ، آدم عليه السلام ، فأقول له : قد مكنك الله من الجنة وحرم عليك الشجرة . فقصدتها حتى طرحتنا فى هذا المكروه .

ويوسف عليه السلام فأقول له : كنت بمصر وأبوك يعقوب بكنعان ، وبينك وبينه عشر مراحل يبكى عليك حتى ابيضت عيناه من الحزن ، ولم ترسل إليه : إنى فى عافية ، وتريحه مما كان فيه .

وطلحة والزبير أقول لهما : إن على بن طالب بايعتماه بالمدينة ، وخلعتماه بالعراق ، فأى شىء أحدث[1] » .

ومما يعنينا فى هذا النص أن نشير إلى ما فيه من دلالة على تشيعة ، أوعلى الاقل ميله فى اعتدال إلى الأمام على كرم الله وجهه ، كما تعنينا الإشارة إلى ما فيه من تحرر وانطلاق يدفعه إلى مناظرة الأنبياء .

لهذا وأشباهه لازمه أبو عبيدة معمر بن المثنى أربعين سنة فيما يرويه السجستانى فيقول : سمعت أبا عبيدة يقول اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحى من حفظه[2] كما كانت حلقته بالبصرة « ينتابها أهل العلم ، وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية كذلك[3] »

وبالرغم من هذا التحرر الذى رأيناه فإنه ضاق يوماً بمن ينقد رؤبة بن العجاج : إذ كان شديد الاختصاص به حتى خرج عن طبيعته المتحررة الوادعة[4] .

---

(١) نزهة الالباء فى طبقات الادباء لابن الانبارى ص ٦٢ فما بعدها ط سنة ١٢٩٤ هـ .

(٢) مراتب النحويين ص ٢١ ط نهضة مصر .

(٣) البغية ص ٤٢٦ ط السعادة وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ص٣٢ ط بيروت .

(٤) انظر تفضيل الخبر فى مراتب النحويين ص ٢٢ ط نهضة مصر وطبقات الزبيدى .

كما ضاق برجل كان يتهمه على مودته حين رآه يُهادى بين اثنين من الكبر فقال له الرجل « بلغت ما أرى ياأبا عبد الرحمن » فأجابه يونس محنقاً : هو الذى ترى فلابلغته[1] .

ويبدو أن عامل الكبر كان له أثر فى ضيق أخلاق الرجل فقد عمّر حتى جاوز المائة أو كاد فى بعض الروايات[2] .

كما يبدو أنه كان بعيداً عن القدر وأهل النظر ، قال ابن سلام « تذاكرنا القدر مرة فى مجلس يونس ، فقالوا : ما تقول يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : لافكر لى فيه[3] » .

وكانت وفاته سنة اثنين وثمانين ومائة فيما يرويه السيوطى[4] ، والزبيدى[5] وأبو الطيب اللغوى[6] وله من العمر ثمان وثمانون سنة[7] فى أرجح الروايات.

أثر يونس فى الفراء :

يبدو أن أبا زكريا الفراء تأثر منهجياً بأستاذه يونس فأخذ عنه التحرر الفكرى الذى لا يبالى بموافقة هؤلاء أو أولئك ، إنما كل الذى يعنيه هو انتهاج منهج خاص يرتضيه ولو تفرد بأقيسته دون سائر الناس كما رأينا عند أستاذه يونس غير أن الفراء استطاع أن يكوّن من هذا الاتجاه مذهباً جديداً حين اكتملت له الأدوات بخلاف يونس فإن الفكرة عنده كانت ما تزال لمحات خاطفة كما سيأتى به البيان[8] .

---

(١) انظر طبقات الزبيدى ص ٤٨ ومراتب النحويين ص ٢١ فما بعدها .
(٢) انظر طبقات الزبيدى ص ٥٠ ط أولى .
(٣) نفس المصدر .
(٤) البغية ص ٤٢٦ ط السعادة .
(٥) طبقات النحويين ص ٥٠ ط أولى .
(٦) مراتب النحويين ص ٢١ نهضة مصر .
(٧) المصدر السابق وانظر طبقات الزبيدى ص ٤٨ ط أولى .
(٨) انظر مذهبه فى النحو (تدرج المدرسة البغدادية) .

كما تأثر به موضوعياً فنقل كثيراً من آرائه كماسيأتى بالتفصيل[1] وربما كان متأثرا به كذلك فى العقيدة من حيث التشيع ، فقد رأيت موقفهما سواء . وهو الاعتـدال فى التشيع فلا تفريط ولا إفراط ، على أن هذا الموقف المعتدل ربما كان نتيجة اتفاق الخواطر أكثر منه نتيجة تأثّر أو تأثير ، فللفراء شخصيته المستقلة الناضجة التى يستطيع أن يميز بها بين الخبيث والطيب .

*
* *

إلى هنا انتهى ما قصدنا إليه من الحديث عن الشيوخ ، أما المعاصرون فلست أجد بينهم نظيراً للفراء فى عقليته ومذاهبه ، ولهذا سأقتضب الحديث وأشير إلى أسماء بعض المعاصرين النحويين إشارة خاطفة إيثارا للإيجاز ، فمن معاصريه قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ والأحمر المتوفى سنة ٢٠٦ هـ أو سنة ٢٠٧ هـ على خلاف فى ذلك ، وابن كناسة المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وغير هؤلاء كثير ، ولكنهم جميعا لم يبلغوا شأو الفراء .

تلاميذه :

تتلمذ على الفراء كثيرون لا أكاد أحصيهم ، بل إن التاريخ نفسه عجز عن حصرهم فى ذلك العهد [2] ، فكيف بنا وقد باعدت بيننا القرون . ! لهذا سأكتفى بالإشارة الخاطفة لبعض ما وقفت عليه من هذه الأسماء . ثم أخص بالترجمة راويتيه محمد بن الجهم ، وسلمة بن عاصم ، لا لأنهما أبرز من

---

(١) أنظر مثلا المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٢ ط حلب وأخبار النحويين البصريين ص ٣٥ط بيروت ومعجم الادباء (ترجمة الفراء) .

(٢) اشارة الى ما رواه الخطيب البغدادى عن ابى بديل الوضاحى أنه قال : اردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعانى ـ (يريد معانى القرآن للفراء) ـ فلم نضبط لهم عددا لكثرتهم ، قال : فعددنا القضاة فقط . فكانوا ثمانين قاضيا ـ انظر تاريخ بغـداد ١٤/١٥٠ ط السعادة بتصرف يسير .

غيرهما ، بل لأنهما كانا يلازمان الفراء حين الإملاء ، ولما كان لهما من مزيد اختصاص بأكبر أثر للفراء وهو كتاب (معانى القرآن) ، فقد وصل إلينا عن طريق ابن الجهم ، وحفظ للتاريخ لسلمة هذه المشاركة الواعية فى رواية الكتاب وإن لم تصل إلينا بعد . كما سيأتى فى موطنه من البحث[1] .

أما من حيث الناحية العلمية فما أظن أحدا من تلاميذ الفراء استطاع أن يكون صورة صادقة له ، أو أن تظهر فيه خصائص الفراء بوضوح ، وتعليل ذلك أن الرجل كان نسيج وحده وكان مدرسة قائمة بذاتها كما سيأتى بالتفصيل[2] لهذا رأينا تلاميذه قد تقاسموا علمه واتجاهاته : فيعقوب بن السكيت يأخذ الجانب اللغوى[3] ثم يضعف عن حمل الجانب النحوى كما وردت به الأخبار[4] ولولا أن ابن السكيت ظهر فيه — إلى جانب أثر الفراء — أثر شيخ آخر كان أبرز من أثر الفراء فيه ، لعددناه من خاصة التلاميذ اللغويين ، ولتحدثنا عنه بالتفصيل وذلك شىء يسير ، غير أن مزيد اختصاصه بابن الأعرابى جعلنا نعدل عن الترجمة التفصيلية إلى جانب عامل آخر أهم وهو الإيجاز بعد أن تضخم حجم الرسالة أو كاد .

على أن هذا لا يحول بيننا وبين الإشارة الخاطفة إلى أثر آخر للفراء فيه ذلك هو الاتجاه البغدادى بصورة واضحة حين جمع بين علم البصريين والكوفيين على السواء[5] ، ثم هناك أثر آخر ربما كان للفراء فيه يدان ، أو لعله من اتفاق الخواطر ، وهو (التشيع) غير أنه ظهر بصورة أوضح ، بل لعلها

---

(١) انظر مبحث آثار الفراء — (معانى القرآن) .

(٢) انظر (مذهبه فى النحو) ثم انظر مسالكه المتعددة فيما وراء ذلك ، وسأشير اليها فى مواطنها من البحث ان شاء الله .

(٣) يقول ياقوت : « كان من اعلم الناس باللغة » معجم الادباء ٢٠/٥٠ ط دار المأمون .

(٤) يقول ابن خلكان « لم يكن له نفاذ فى علم النحو » — الوفيات ٣/٢٤٦ ، وانظر ص ٢٤٧ .

(٥) انظر معجم الادباء ٢٠/٥٠ ط دار المأمون (ترجمة يعقوب بن اسحاق) .

بلغت الذروة فى الوضوح ، وآية ذلك أنه لقى حتفه بسبب هذا التشيع ، على يد الخليفة المتوكل فى صورة بشعة تقشعر منها الأبدان[1] .

أما الجانب النحوى فقد ظهر عند تلميذه سلمة بن عاصم وسنتحدث عنه بالتفصيل عما قليل .

أما (أبو عبد الله الطوال) فيحدثنا التاريخ أنه كان تلميذا للفراء وأنه كان حاذقا بالعربية ، فلعله جمع الجانبين (النحوى واللغوى) على السواء ، غير أن شيئا من آثاره لم يصل إلينا — فيما نعلم — بل إن ابن النديم نفسه يقول فى الفهرست : « ولا كتاب يعرف له[2] » ، كما أن آراءه المنثورة فى الكتب تكاد تكون عزيزة نادرة[3] ، وإنما اعتمدنا فى هذا الحكم على كلمة قالها ثعلب[4] وربما كان فيها مغاليا ، أو أن الرجل كان حاذقا فى نفسه دون أن ينثر علمه على الرواة والمريدين ، ولهذا قلت الرواية عنه .

أما جانب القراءات عند للفراء فقد تولاه من تلاميذه هارون بن عبد الله ، ومحمد بن عبد الله بن مالك ، وغيرهما ممن روى قراءة الفراء ، إذ كانت له قراءة خاصة به ، غير أن ابن مجاهد عزف عنها حين جمع القراءات السبع

---

(1) وذلك أن المتوكل قال له يا يعقوب : ايهما احب اليك ابناى هذان (واشار الى المعتز والمؤيد) ام الحسن والحسين ؟ فقال : والله ان قنبرا خادم على احب الى منك ومن ابنيك فأمر المتوكل الاتراك ان يمثلوا به ، فسلوا لسانه من قفاه ، وداسوا بطنه بالاقدام حتى مات — هذه خلاصة الروايات المتعددة فى وفيات الاعيان ، ومعجم الادباء — (ترجمة يعقوب بن السكيت) .

(2) الفهرست ص ٦٧ (ترجمة الطوال) .

(3) منها ما جاء فى الهمع من أن اللام الداخلة على خبر (ان) هى جواب قسم مقدر قبل ان) — انظر الهمع للسيوطى ١٤/١ . ومنها جواز اعادة الضمير على متأخر لفظا ورتبة — انظر الهمع ٦٦/١ .

(4) جاء فى الفهرست أن أبا العباس ثعلبا قال : « كان الطوال حاذقا بالعربية ، وكان سلمة حافظا بتلاوة ما فى الكتب ، وكان أبو قادم حسن النظر فى العلل » — انظر ص ٦٧ الطوال) .

والعشر فيما بعد ، لأن الفراء كان يعتمد فى اختيارها على ما يجوز فى العربية دون تقيد بالأثر الوارد كما سيأتى به التنوية ، وربما كان لمذهب الفراء فى القراءة أثر فيما ظهر عند ابن مقسم[1] ، وابن شنبوذ[2] ، فيما بعد لما كان لهم من صلة علمية بآثار الفراء . وليس هذا مجال التفصيل .

ومن تلاميذه الذين وقفت على أسمائهم ، وتراجمهم غير هؤلاء : أبو جعفر محمد بن قادم [3] ، وعمر بن بكير [4] ، وابن سعدان [5] ، وجودى بن عثمان [6]

---

(١) انظر البغية ص ٣٦ ط السعادة .

(٢) انظر معجم الادباء ١٦٨/١٧ فما بعدها ط دار المأمون .

(٣) ترجم له ابن النديم فى الفهرست ص ٦٧ وتوفى فى حدود سنة ٢٥١ هـ كما ترجم له الزبيدى فى طبقاته ص ٩٦ ط أولى ، وياقوت فى معجم الادباء ٢٠٧/١٨ ط دار المأمون ، والقفطى فى انباه الرواة ١٥٦/٣ ط دار الكتب ، والسيوطى فى البغية ص ٥٨ فما بعدها ط السعادة ، وابن قاضى شهبة فى طبقات النحاة واللغويين ـ المجلد الأول ص ٦٤ ـ مخطوطة دار الكتب رقم (٢١٤٦) تاريخ تيمور . ولم أجد له ترجمة فى مراتب النحويين ، ولا فى الوفيات ، ولا فى تاريخ بغداد ، ولا فى غاية النهاية لابن الجزرى ـ ومن آرائه فى النحو ما جاء فى مجالس ثعلب ص ١٤ ط دار المعارف . ومن انشاده ما جاء فى اصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٣٢ ط المعارف .

(٤) ترجم له ابن النديم فى الفهرست ص ١٦٢ ط الاستقامة ، كما ترجم له السيوطى فى بغية الوعاة ص ٣٦٠ ط السعادة ، وياقوت فى معجم الأدباء ٢٦٢/١٥ فما بعدها ط المأمون .

(٥) ترجم له صاحب الفهرست ص ١٠٤ كما ترجم له الزبيدى فى طبقاته ص ١٥٣ ط أولى ـ ومن آرائه النحوية ما جاء فى باب المنادى ـ انظر همع الهوامع للسيوطى ١٧٤/١ وما جاء فى الأشمونى ٦٩/٣ من جواز اتباع أى شئت ، من المرفوع أو المنصوب فى مثل قولك خاصم محمد عليا الكريمان أو الكريمين ، لأن كلا منهما مخاصِم ومخاصَم ، خلافا لأستاذه الفراء الذى غلب المرفوع فجعل النعت مرفوعا فحسب .

(٦) ترجم له الزبيدى فى الطبقات ص ٢٧٨ ط أولى ، وياقوت فى معجم الادباء ٢١٣/٧ ، والسيوطى فى البغية ص ٢١٣ ط السعادة وهو من اهل المغرب رحل الى المشرق فى طلب العلم فأخذ عن الفراء وغيره ، « وكان أول من أدخل كتاب الكسائى الى الغرب وولى القضاء ، وصنف كتبا فى النحو ـ وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق » توفى سنة ١٩٨ هـ .

وأبو عبيد القاسم بن سلام[1]، وغير هؤلاء كثير[2] ، وإنما أقتضب الحديث إيثاراً للإيجاز .

محمد بن الجهم السِّمَّري :

هو أبو عبد الله محمد بن الجهم بن هارون السمري[3] ، الكاتب النحوي[4] « صاحب الفراء ، روى كتابه فى معانى القرآن[5] » ، بل إنه روى جميع تصانيفه[6] ، إذ كان راوية له وأحد وراقيه[7] ، وهو «شيخ كبير وإمام شهير[8]» « روى عن جماعة من الأئمة ، وروى عنه الأئمة ، ووثّقه أئمة الحديث »[9] ، قال الدار قطنى : « ثقة صدوق[10] »، «وهو أحد الثقات من رواة المسند»[11].

---

(١) ترجم له صاحب الفهرست ص ٧١ ط أوربا ، ومراتب النحويين ص ٩٣ ط نهضة مصر ، وطبقات الزبيدى ص ٢١٧ ط اولى ؛ والمزهر ٤١٢/٢ ط الحلبى وغير ذلك من كتب الطبقات وقد أثنى الجاحظ على مؤلفاته ثناء مستطابا ـ انظر ص ٢١٧ من طبقات الزبيدى ـ وتوفى بمكة ٢٢٤ هـ .

(٢) مثل محمد بن حبيب انظر ترجمته فى طبقات الزبيدى ص ١٥٣ فما بعدها ط أولى ، وممن تتلمذ على الفراء اسحاق الموصلى المغنى المشهور ـ انظر الاغانى ٥٠/٥ ط ساسى ، وانظر ترجمته فى معجم الأدباء ٧/٦ ط دار المأمون .

(٣) ضبطها ابن الجزرى فقال : « السمرى بكسر السين المهملة وفتح الميم المشددة » طبقات القراء ١١٣/٢ تحقيق برجشتراسر ، وهى نسبة الى (سمر) « بلدة من أعمال كسكر ، ثم دخلت فى أعمال البصرة ، وموقعها بين البصرة وواسط ، واليها ينسب المترجم له » انظر معجم الأدباء ١٠٩/١٨ ط دار المأمون ـ غير ان ابن الأنبارى جعلها (النمرى) بدل (السمرى) ، ـ وربماكان ذلك وليد تحريف ـ انظر نزهة الالباء ص ١٢٦ ط ١٢٩٤هـ.

(٤) انباه الرواة ٨٨/٣ ط دار الكتب .

(٥) معجم الشعراء للمرزبانى صـ ٤٥٠ ط القدسى بتحقيق (كرنكو) .

(٦) انظر انباه الرواة للقفطى ٨٨/٣ ط دار الكتب .

(٧) انظر مثلا تاريخ بغداد ١٥٠/١٤ ط السعادة .

(٨) غاية النهاية صـ ١١٣ تحقيق برجشتراسر .

(٩) انباه الرواة ٨٨/٣ .

(١٠) تاريخ بغداد ١٦١/٢ ط السعادة .

(١١) معجم الشعراء صـ ٤٥٠ تحقيق (كرنكو) .

روى عنه القاسم بن بشار الأنبارى[1]، وأبو بكر بن مجاهد المقرئ[2]، ونفطويه النحوى[3]، وغير هؤلاء كثير[4]» .

وكان تياهاً بشيخه أبى زكريا الفراء ، معجباً به إلى حد كبير ، ظهر ذلك فى قصائده العديدة فى رثاء الفراء وإطرائه ، واعتزازه بآثاره[5]، إلى جانب أنه كان يعتز بمذهب الفراء فى النحو ، وكأنه كان يحس بأن الفراء يؤسس مذهباً جديداً يغاير مذاهب المعاصرين . وفى هذا يقول المرزبانى فى معجم الشعراء فى ترجمة ابن الجهم : « وهو القائل يمدح الفراء ويصف مذهبه فى النحو[6]» ، ويأتى بقصيدة وصفها القفطى بأنها من الشعر الجميل[7] ومنها هذه الأبيات[8] :

نحـــوه أحسن النُّحُـــوِّ فـــافيـــــه معيب ولابـــــه إزراء
ليس من صنعة الضعائف لكن فيه فقـــه وحكمة وضيـــاء
وبيان تصغى القلوب إليـــــه تجتبيـــه الملوك والحكمـــاء
حجـة توضح الصواب وماقا ل سـواه فبـاطل وخطـــاء
ليس من قال بالصواب كمن قا ل بجهل والجهـــل داء عيـــاء

---

(1) غاية النهاية ١١٣/٢ .

(2) تاريخ بغداد ١٦١/٢ .

(3) نفس المصدر .

(4) انظر مثلا غاية النهاية ١١٣/٢ ، وتاريخ بغداد ١٦١/٢ ومعجم الادباء ١٠٦/١٨ ، ط دار المامون .

(5) انظر مبحث (آراء العلماء فى الفراء) .

(6) ص ٤٥٠ تحقيق (كرنكو) .

(7) انظر انباه الرواة ٨٨/٣ ط دار الكتب .

(8) مطلع القصيدة :

اكثر النحو يزعم الفراء من وجوه تأويلهن الجزاء

وهو مطلع ضعيف فيما أرى لا يتسق فى القوة مع سائر الأبيات .

وكأنى أراه يملى علينـــــا ... وله واجب علينـا الدعـــاء

«كيف نومى على الفراش ولما ... تشمـلِ الشـــامَ غارة شـعواء

تذهل المرء عن بنيــه وتُبــدى ... عن براها[1] العقيـلةُ العذراء[2]»

*

وتبدو فى هذه الأبيات روح الأديب ومسحة الأدب مصداقاً لما رآه صاحب إنباه الرواة ، حيث قال : « له أدب غزير وشعر جميل[3] » .

وقد اتفق المترجمون فيما نعلم على تحديد السنة التى مات فيها — إذا استثنينا ابن الجزرى[4] ولكنهم اختلفوا فى تحديد الشهر ، فمنهم من قال: إنه مات فى رجب سنة ٢٧٧ هـ ومنهم من قال: إنه مات فى جمادى الآخرة[5] ، وحكى الروايتين معاً الخطيب البغدادى[6] ، كلا منهما بإسنادها الخاص مع تحديد اليوم والوقت كذلك ، وكان له من العمر تسع وثمانون سنة[7] ، فكأن ميلاده كان

---

(١) براها جمع برة ، وهى كل حلقة من سوار وخلخال وقرط — معجم الادباء ١١٠/١٨ .

(٢) اختلفت الروايات فى هذه الأبيات اختلافا يسيرا فى بعض الكلمات أو فى الزيادة والنقص وقد اصطفيت هذه الرواية من مرجعين هما : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٥٠ تحقيق (كرنكو) ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ١١٠/١٨ ط دار المأمون . والبيتان الأخيران ليسا من القصيدة ، وانما من الحكاية والتضمين .

(٣) حـ ٣ صـ ٨٨ ط دار الكتب .

(٤) جاء فى نهاية النهاية انه « مات ببغداد سنة ثمان ومائتين » ١١٢/٢ تحقيق برجشتراسر . ولم يقل بهذا التاريخ أحد من المترجمين ، ويبدو انه من قبيل السهو او دخله شىء من التحريف بسقوط كلمة (سبعين) مثلا وكان حقه أن يقول (ثمان وسبعين ومائتين)وان لم أطلع على هذا التاريخ أيضا ، لكنه قريب .

(٥) وكذلك القفطى فى انباه الرواة ٨٨/٣ ط دار الكتب .

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٦١/٢ ط السعادة .

(٧) نفس المصدر .

سنة ١٨٨ هـ ، وإذا علمنا أن الفراء توفى سنة ٢٠٧ هـ وبدأ فى إملاء كتابه (معانى القرآن) ذلك الذى رواه ابن الجهم سنة ٢٠٢هـ[١] ، كان معنى ذلك أن ابن الجهم تتلمذ على الفراء وله من العمر أربعة عشر عاماً فقط ، وربما ثبت أنه كان أصغر من ذلك حين نعرف تاريخ بقية الآثار التى رواها ابن الجهم عن شيخه الفراء .

والذى يعنينى من إثبات حداثه السن أن ابن الجهم لازم الفراء وهو فى ريعان الشباب ثم هام بآثاره بعد وفاته . ومع ذلك لم أعثر له على آثار أو آراء تناسب نشاطه من جهة ، وتناسب مكانته التى ذكرها المؤرخون من جهة أخرى .

ويبدو أن الرجل سُهر بشيخه وآثاره .فظل يرددها ويقرؤها لمن يريد[٢] ، دون أن يأتى بعده بجديد ، ولذلك تعذّر على الدارس أن يتلمس آثار الفراء فيه .

سلمة بن عاصم :

هو أبو محمد سلمة بن عاصم[٣] ،البغدادى النحوى[٤] ،أحد رواة الفراء وكان مختصاً به[٥] كما «كان أديباً فاضلا عالما[٦]» ، «على ورع كان فيه شديد،وتألُّهٍ عظيم[٧]» كما «كان ثقة ثبتاً[٨]» «حافظاً لتأدية ما فى الكتب[٩]»

(١) انظر الصفحة الأولى من معانى القرآن للفراء ط دار الكتب .

(٢) انظر انباه الرواة للقفطى حـ (٢) قسم (٣) مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٣) مراتب النحويين ٩٤ ط نهضة مصر والمزهر صـ ٢٥٨ ط السعادة .

(٤) غاية النهاية ٣١١/١ ط السعادة .

(٥) مراتب النحويين صـ ٩٤ .

(٦) انباه الرواة ٥٦/٢ ط دار الكتب .

(٧) مراتب النحويين صـ ٩٤ .

(٨) تاريخ بغداد ١٣٤/٩ ـ

(٩) معجم الأدباء ٢٤٢/١١ ط دار المأمون .

روى عن الفراء كتبه كلها فيما يقول ابن النديم[1]. ومنها معانى القرآن أكبر أثر للفراء ، ويبدو أن روايته كانت أدق من رواية ابن الجهم – استمع إلى ابن الأنبارى يقول : « كتاب سلمة أجود الكتب – يعنى كتابه فى معانى القرآن – قال لأن سلمة كان عالماً ، وكان لا يحضر مجلس الفراء يوم الإملاء ويأخذ المجالس ممن يحضر ، ويتدبرها ، فيجد فيها السهو فيناظر عليها الفراء فيرجع عنه[2] » ومن هنا كانت روايته أصح الروايات. وعن طريقه روى معانى الفراء أبو العباس ثعلب[3] ، ولكنها لم تصل إلينا. كما أن ثعلباً كان يعتمد على سلمة فى النحو[4]. ويبدو أن النحو كان أبرز خصائص سلمة ، وقد ألف فيه كتاباً سماه « المسلوك فى النحو[5] »ولئن كان هذا الكتاب لم يصل إلينا ، كما أن أثر الفراء فى سلمة لم يكن واضحاً لدينا لفقدان المصادر – برغم أن ابن النديم ينعته بأنه كان « عالماً بالنحو[6] » – إن هذا الأثر قد وضح فى ثعلب تلميذ سلمة الذى هو تلميذ الفراء ، ولهذا كان ثعلب يفاخر بأنه حفظ كتب الفراء كلها[7] لم يشذ منها حرف واحد[8] ، غير أن هذا الأثر – مع الأسف كان يتمثل فى حفظ المسائل الجزئية أكثر مما يتمثل فى الناحية المنهجية ، فلم يستطع ثعلب ولا أحد من تلاميذ الفراء أن يحلق فى سماء الفكر كما كان يحلق الفراء ، وسنرى عما قريب كيف كان هذا التحليق ، حين أبت عليه نفسه

---

(١) انظر الفهرست صـ ٦٧ (ترجمة سلمة بن عاصم) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر طبقات الزبيدى صـ ١٢٠ ط أولى .

(٤) انظر مراتب النحويين صـ ٩٦ ط نهضة مصر ، وانظر المزهر حـ ٢ صـ ٢٥٨ ط السعادة .

(٥) البغية صـ ٢٦٠ (ترجمة سلمة بن عاصم) على أن ابن النديم يسميه (الحلول فى النحو) الفهرست صـ ٦٧ وربما كان كتابا آخر .

(٦) الفهرست صـ ٦٧ .

(٧) انظر مثلا الوفيات ٤٣/١ ط باريس (ترجمة ثعلب) .

(٨) انظر معجم الأدباء ١٠٩/٥ ط دار المأمون .

الطموح أن يكون مقلداً ، وإنما أرادت له أن يكون مجدداً ، فأرسى قواعد مذهب جديد ، وسيأتى به البيان[1] .

ومن مؤلفات سلمة (معانى القرآن[2]) و (غريب الحديث[3]) ولسنا ندرى على أى نحو كان كتاب المعانى ؟ أكان على منوال كتاب أستاذه الفراء ؟ أم كان اختصاراً له ؟ أم كان على نحو مخالف ؟ لسنا ندرى لأن المصادر لا تُعين والكتاب مفقود .

هذا إلى أن سلمة كان مشهوراً بالتواضع والصلاح وله حكايات مأثورة يحكيها المؤرخون[4] غير أنه برغم هذا التواضع والورع كان شديد التعصب للكوفيين فيما يرويه أبو الطيب اللغوى[5] .

ويبدو أنه كان رقيق الأحاسيس يحب الغزل من الشعر ، ويحرص على قراءته فى السر ، خشية أن يتعارض فى أذهان العامة مع ما عليه من « ورع شديد[6] » روى القفطى فى إنباه الرواة أنه « رئى فى كم سلمة بن عاصم شعر العباس بن الأحنف — (وكان متخصصاً فى الغزل) فقيل له : مثلك — أعزك الله — يحمل هذا فقال : ألا أحمل شعر من يقول :

أسأت إذ أحسنت ظنى بكم ... والحزم سوء الظن بالناس

يقلقنى الشوق[7] فآتيكم ... والقلب مملوء من الياس[8] »

---

(١) انظر (مذهبه فى النحو) .

(٢) البغية صـ ٢٦٠ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) انظر ذلك كله فى مراتب النحويين مثلا صـ ٩٥ ط نهضة مصر .

(٥) نفس المصدر صـ ٩٤ .

(٦) المزهر صـ ٢٥٨ .

(٧) الشوق بالتعريف هى رواية الأغانى ١٨/٨ — أما رواية الانباه فانها (شوقى) بالاضافة .

(٨) انباه الرواة ٥٧/٢ .

أما وفاته فقد سكت عنها معظم المترجمين غير أن ابن الجزرى قال فى طبقاته « توفى بعد السبعين ومائتين فيما أحسب[1] » .

إلى هنا نُنهى الحديث عن التلاميذ ولا نسترسل ، فربما كان الاسترسال ضاراً بالناحية المنهجية للرسائل ، إذ أنه بحث فى قطاع عرضى يسهل على كل شادٍ فى الدراسات أن يتوسع فيه فيستقصى التلاميذ ، وتلاميذ التلاميذ ، ويتحدث عن كل واحد بالتفصيل ، وما إلى هذا نريد .

وفاة الفراء :

اختلف الرواة فى الوفاة زماناً ومكاناً ، أما اختلافهم فى الزمان فقد رأيته هكذا :

(١) توفى سنة ١٨٧ هـ على ما جاء فى طبقات الزبيدى[2] .

(٢) « « ٢٠٤ هـ كما جاء فى معجم الأدباء[3] .

(٣) « « ٢٠٧ هـ وعليه معظم المؤرخين كما سيأتى بالتفصيل .

(٤) « « ٢٠٩ هـ كما جاء فى الأنساب[4] ، واللباب[5] .

(٥) توفى بعد سنة ٢٧٠ هـ كما جاء فى هامش طبقات النحويين للزبيدى نقلا عن طبقات القراء لابن الجزرى[6] .

---

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء حـ ١ صـ ٣١١ ط السعادة .

(٢) انظر صـ ١٤٦ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ـ (ترجمة الفراء) ـ

(٣) انظر ٥/١٣ ط دار المأمون (ترجمة الأحمر على بن الحسن) .

(٤) انظر الأنساب للسمعانى صـ ٤٢٠ ط ليدن .

(٥) انظر اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير ١٩٨/٢ نشر القدسى .

(٦) انظر هامش رقم (٣) ص ١٥٠ من طبقات النحويين واللغويين للزبيدى تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم .

وأرجح هذه الأقوال فى نظرى – هو سنة ٢٠٧هـ . ويتضح الترجيح من مناقشة التواريخ الأخرى وإليك البيان :

أولا : أن تاريخ سنة ١٨٧هـ لا يتفق مع ما رجحناه سابقاً من أن الفراء ولد سنة ١٤٤ هـ وعاش ثلاثاً وستين عاماً ، فإذا اعتبرنا هذا التاريخ المزعوم تكون ولادة الفراء سنة ١٢٤ هـ ، وذلك ما لم يقل به أحد من المؤرخين ، اللهم إلا قولة الأستاذ الأبيارى ، وقد اعتذرنا له عنها بأنها خطأ مطبعى حين اتسق التاريخ الميلادى الذى ذكره وهو (سنة ٧٦١ م) – مع القول الراجح فى تاريخ الميلاد وهو سنة ١٤٤ هـ كما جاء فى أطلس التاريخ الإسلامى ، وقدسلف به البيان[١] .

هذا إلى أن محقق الطبقات استدرك فى آخر الكتاب واعترف بأن الأصل جاء محرفا[٢] .

ثانياً: أن تاريخ سنة ٢٧٠هـ يمكن أن يقال فيه ما قيل فى سابقه من عدم الاتساق بين تاريخ الميلاد (سنة ١٤٤ هـ) وتاريخ الوفاة المزعومة (سـ٢٧٠هـ) فإذا نحينا عمر الفراء (وهو ٦٣ سنة) من هذا التاريخ المزعوم كانت ولادته سنة ٢٠٧هـ) مع أن هذا هو تاريخ الوفاة على التحقيق . فمثل هذا القول ظاهر البطلان .

ثم إن التحريف فيه قريب بتبادل المكان بين الصفر والسبعة .

هذا إلى أن المحقق الذى ذكر هذا التاريخ نسبه إلى ابن الجزرى فى طبقات القراء[٣] ، وحين رجعت إلى طبقات ابن الجزرى وجدته يأتى بتاريخ الوفاة صحيحا فيقول فى ترجمة الفراء: « توفى سنة سبع ومائتين »[٤] ، وهنا أيقنت أن الخطأ من النقل وأخيرا اهتديت إلى أن هذا الخطأ نشأ فيما أرجح من

---

(١) انظر مبحث (مولد الفراء) .

(٢) انظر الاستدراكات صـ ٤٠٦ من طبقات الزبيدى تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم.

(٣) انظر هامش (٣) من صـ ١٥٠ طبقات الزبيدى .

(٤) انظر جـ ٢ صـ ٣٧٢ تحقيق برجشتراسر .

وضع الرقم فوق (الفراء)، وكان حقه أن يوضع على (سلمة بن عاصم) فى عبارة الزبيدى التى يقول فيها«.... عن سلمة بن عاصم ، عن يحيى بن زياد الفراء»[1]، إذ أن سلمة بن عاصم هو الذى توفى بعد السبعين ومائتين كما جاء فى طبقات ابن الجزرى[2]، على أننى رأيت المحقق نفسه فى كتاب آخر هو (مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى) يضع على ترجمة سلمة بن عاصم نفس الهامش الذى وضعه على اسم الفراء فى طبقات الزبيدى ويأتى بنفس العبارة التى نقلها عن ابن الجزرى فيقول: توفى « بعد السبعين ومائتين فيما أحسب[3]» فنراها هى هى ، لم تتغير عبارتها فى الكتابين ، كما لم تتغير نسبتها إلى ابن الجزرى ولهذا رجحت أن الخطأ نشأ من وضع الرقم على الفراء بدلا من سلمة ابن عاصم فوجب التنبيه عليه فى تحقيق وفاة الفراء .

ثالثاً : أن تاريخ (سنة ٢٠٤هـ) ذلك الذى رواه ياقوت فى معجم الأدباء[4] يتنافى مع الروايات التاريخية التى تثبت أن الفراء خرج حاجاً سنة ٢٠٦هـ[5]، فكيف يكون ميتا ثم يحج ، كما أنها تتنافى مع الروايات العديدة التى تثبت أن الفراء ألف كتاب الحدود بأمر المأمون ومكث فى تأليفه سنتين[6]، أو سنين[7] فى قصر الخلافة ببغداد ، مع أن المأمون دخل بغداد سنة ٢٠٤ هـ كما هو ثابت فى النصوص التاريخية[8].

---

(١) طبقات النحويين صـ ١٥٠ ط أولى .

(٢) انظر حـ ١ صـ ٣١١ .

(٣) انظر مراتب النحويين صـ ٩٤ هامش رقم (٢) ط نهضة مصر ، وانظر طبقات الزبيدى صـ ١٥٠ هامش (٣) ط أولى .

(٤) انظر ١٣/٥ ط دار المأمون (ترجمة الأحمر) .

(٥) انظر طبقات القراء لابن الجزرى ٣٧١/٢ تحقيق برجشتراسر .

(٦) الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق .

(٧) تاريخ بغداد ١٥٠/١٤ .

(٨) انظر مثلا معجم الأدباء ١٠٧/٥ فما بعدها ط دار المأمون وانظر انباه الرواة للقفطى حـ (٢) قسم (٣) صـ ١١٢ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

هذا إلى أن ياقوتاً الحموى قد ناقض نفسه حين روى فى معجم الأدباء أيضا أن أبا زكريا الفراء توفى سنة ٢٠٧ هـ[١] ، فما علينا إذن إلا أن نرجح هذه الرواية إذ أنها وردت فى ترجمة الفراء نفسه، بينما تلك وردت فى ترجمة شخص آخر (هو الأحمر)، ومن السهل أن نتصور تحريف كلمة (سبع) إلى كلمة (أربع) إلى غير ذلك من أسباب الترجيح التى سنذكرها فيما بعد .

رابعاً : أن رواية السمعانى تلك التى تزعم أن الفراء توفى سنة تسع ومائتين تتنافى مع الرواية التى تنص على أنه توفى «بعد دخول المأمون العراق بثلاث سنين»[٢] أى فى سنة ٢٠٧ هـ ، وقد علمنا أن المأمون دخلها سنة أربع ومائتين من الهجرة .

كما أن طباعة الأنساب للسمعانى لا تشجّع على الوثوق بها كما أسلفنا. فربما كان هذا التاريخ وليد التحريف ، وتحريف (سبع) إلى (تسع) قريب، بل إنه أقرب من تحريفها إلى (أربع) .

أما ابن الأثير فقد رجحنا سابقا أنه نقل عن كتاب السمعانى كما ارتآه دون تمحيص ، فلا نعتد بروايته .

خامساً: لم يبق معنا إلا تلك الرواية التى تنص على أن الفراء توفى سنة ٢٠٧ هـ وهى سليمة من كل مغمز لحق الروايات الأخريات ولهذا رجحناها فضلا عن تضافر أكثر الروايات عليها، مثل رواية الفهرست لابن النديم (ت ٣٨٥ هـ)[٣] وهو قريب عهد بالفراء إلى حد ما، والسيرافى فى أخبار النحويين[٤] ، والخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ[٥]) وابن الأنبارى[٦] (ت ٥٧٧ هـ) وياقوت الحموى

---

(١) انظر حـ ٢٠ صـ ١٣ ط دار المأمون .

(٢) اخبار النحويين للسيرافى صـ ٥١ ط بيروت .

(٣) انظر صـ ١٠٠ ط الرحمانية .

(٤) انظر صـ ٥١ ط بيروت .

(٥) تاريخ بغداد ١٤/١٥٥ ط السعادة .

(٦) نزهة الالباء صـ ١٣٧ ط سنة ١٢٩٤ هـ .

(ت٦٢٦هـ)[١] وابن خلكان (ت ٦٨١هـ)[٢] والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)[٣] والسيوطي (ت ٩١١ هـ)[٤] إلى غير ذلك من الروايات التاريخية العديدة[٥] .

هذا بالإضافة إلى تأكيد التاريخ ، وتحقيقه بالحروف فى بعض الروايات التى تنص على أنه توفى سنة « سبع بتقديم السين على الباء ومائتين »[٦] ، خشية التباسها بـ (تسع) فيما أرى .

ذلك هو اختلاف الرواة فى تاريخ الوفاة ، حققناه ورجحنا ما ارتأيناه . أما اختلافهم فى مكان الوفاة فأمره يسير ، حيث اختلفوا فيه إلى رأيين اثنين ، فقال البغدادى فى إحدى روايتيه : إنه توفى ببغداد[٧] ، وتابعه السمعانى فى الأنساب[٨] .

وفى الرواية الأخرى ذكر أنه توفى بطريق مكة[٩] ، وتابعه السمعانى[١٠] كذلك وبها أخذ السيوطى فى البغية[١١] ، والمزهر معا[١٢] ، غير أن أحدا من هؤلاء القائلين

---

(١) معجم الادباء ١٣/٢٠ ط دار المأمون .

(٢) الوفيات ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(٣) تذكرة الحفاظ صـ ٣٤١ ط حيدر أباد .

(٤) البغية صـ ٤١١ ط السعادة ، والمزهر ٤٦٣/٢ ط الحلبى .

(٥) انظر مثلا مفتاح السعادة ١٤٤/١ ط أولى ، والذريعة ٣٩/١ ط النجف ، والاعلام ١٧٨/٩ ط ثانية وتاج العروس حـ ١٠ مادة (فرا) بالالف ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان الملحق ١٧٨/١ ط سنة ١٩٣٧ م .

(٦) طبقات النحاة واللغويين لابن فاضى شهبه حـ ٢ ص ٢٨٥ مخطوطة دار الكتب . رقم (٢١٤٦) تاريخ تيمور .

(٧) تاريخ بغداد ٩٥٥/١٤ .

(٨) انظر ظهر ورقة (٤١٩) ط ليدن .

(٩) تاريخ بغداد ١٥٥/١٤

(١٠) ظهر ورقة (٤١٩) ط ليدن .

(١١) ص ٤١١ ط السعادة .

(١٢) ٤٦٣/٢ ط الحلبى .

بأنه توفى بطريق مكة لم يوضح ما إذا كانت الوفاة فى الذهاب أو الإياب إذا استثنينا ابن الجزرى ولهذا اختلفت فيها الأفهام، فقال بعض الباحثين : إنه توفى فى طريقه إليها[1]، وبعضهم ذهب إلى أنه توفى أثناء عودته منها[2]، بعد أداء فريضة الحج ، وهو الراجح فى نظرى ، إذ أن ابن الجزرى أكده فى طبقاته ونص على الوفاة أثناء الرجوع فقال: « توفى سنة ٢٠٧ هـ فى رجوعه من طريق مكة »[3] ، بهذا رجحت هذه الرواية على قسيمتها ، كما رجحتها على رواية « بغداد » ، فضلا عن تضافر معظم الروايات .

أيهما أكبر سنا : الكسائى أم الفراء ؟:

« خرج الكسائى إلى بغداد وأنت أسن منه »[4] قالها الرؤاسى للفراء يستحثه على الخروج إلى بغداد بعد أن خرج إليها الكسائى .

*

هذه القضية التى تنص صراحة على أن الفراء أكبر سنا من شيخه الكسائى رأيتها أول ما رأيتها عند ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) فى الفهرست[5] ثم تدرجت مع الزمن حتى رأيتها عند ياقوت (٦٢٦ هـ) فى معجم الأدباء[6] .

فوقر فى نفسى بادئ الرأى أن الأمر كما قال بعض المؤرخين وقلت : لعلها من رواية الأكابر عن الأصاغر ، وأمثال ذلك فى التاريخ كثير ، ولا تثريب

---

(١) انظر ص ١٠٧ من بحث مخطوط للدكتور يحيى الخشاب بكلية آداب القاهرة رقم (٩١٠١) نحو .

(٢) انظر المقدمة التى كتبها فضيلة الشيخ محمد على النجار والأستاذ احمد يوسف نجاتى لمعانى القرآن ص ١٠ ط دار الكتب .

(٣) غاية النهاية ٢/٣٧١ تحقيق برجشتراسر ط السعادة .

(٤) انظر الفهرست لابن النديم ص ٩٦ ط الرحمانية ، ومعجم الادباء ١٨/١٢٢ ط دار المأمون .

(٥) ص ٩٦ ط الرحمانية .

(٦) ١٨/١٢٢ ط دار المأمون .

فيها على صاحبي وبخاصة فى ذلك العهد الذى كان يقدَّر فيه العلم للعلم دون نظر إلى فارق السن .

هذا إلى أن ابن النديم من الموثَّقين بين المؤرخين ، ثم هو إلى جانب ذلك قريب عهد — إلى حدما — بزمن الفراء (ت ٢٠٧ هـ)[١] .

وكنت أود أن أطمئن إلى هذا وأستريح ولكن طبيعة البحث تفرض على الباحث أن يتشكك فى كل قضية ، ويتيقظ لكل صغيرة وكبيرة ، ويتصيد الشارد والوارد من اللمحات والأخبار ، وقد كان ذلك ، فتجمع لدى قدر غير قليل ، ولعلى أستطيع به تصحيح هذه القضية التاريخية التى رسخت خطأ فى الأذهان منذ مئات السنين ورأيت خير وسيلة للوصول إلى كبد الحقيقة هو المنهج التاريخى فى البحث عن مولد الكسائى من جهة ، وعن لقائه مع أقدم شيوخه من جهة أخرى ، ثم الموازنة بينه وبين ماثبت لدينا من تاريخ ميلاد الفراء .

غير أننى لم أر واحدا من المترجمين القدماء ينص على ميلاد الكسائى حتى المتقدمين منهم أمثال أبى الطيب اللغوى[٢] (ت ٣٥١ هـ) والزبيدى[٣] (ت ٣٧٩هـ)وابن النديم[٤](ت ٣٨٥ هـ) وأبى عمرو الدانى[٥](ت٤٤٤هـ).

وكذلك من جاء بعدهم من المؤرخين أمثال الخطيب البغدادى [٦](ت ٤٦٣هـ) (والقفطى)[٧] (ت ٦٢٤هـ) وياقوت الحموى[٨](ت٦٢٦هـ)وابن خلكان[٩]

---

(١) انظر مثلا غاية النهاية ٢/٣٧١ تحقيق برجشتراسر .

(٢) انظر ترجمة الكسائى فى مراتب النحويين لابى الطيب ص ٧٤ ط نهضة مصر .

(٣) انظر ترجمة الكسائى فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٣٨ ط الخانجى .

(٤) انظر ترجمة الكسائى فى الفهرست لابن النديم ص ٩٧ ط الرحمانية .

(٥) انظر ترجمة الكسائى فى التيسير للدانى مخطوطة دار الكتب رقم (١٤) قراءات .

(٦) انظر ترجمة الكسائى فى تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ فما بعدها ط السعادة .

(٧) انظر ترجمة الكسائى فى انباه الرواة على انباه النحاه ٢/٢٥٦ فما بعدها ط دار الكتب .

(٨) انظر ترجمة الكسائى فى معجم الأدباء ١٣/١٦٩ فما بعدها ط دار المأمون .

(٩) انظر ترجمة الكسائى فى وفيات الأعيان ٢/٤٥٧ فما بعدها ط سنة ١٩٤٨ م .

(ت ٦٨١ هـ) وابن الجزرى[١] (ت٨٣٣هـ) وكذلك السيوطى (ت٩١١ هـ) فى كتابيه المزهر[٢] وبغية الوعاة[٣] . إلى غير هؤلاء وأولئك من المترجمين والمؤرخين ، بل إن تاريخ الوفاة — برغم مايمنحونه عادة من اهتمام خاص — قد اختلفوا فيه إلى تسعة أقوال فيما وقفت عليه :

فمن قائل إنه توفى سنة (١٨٠هـ)[٤] — وهو الحد الأدنى — ومن قائل إنه توفى سنة ١٩٧هـ[٥] — وهو الحد الأعلى — ثم اضطربت سائر الأقوال بين هذين التاريخين[٦].

على أن ابن الجزرى رجح أنه توفى «سنة تسع وثمانين ومائة»[٧] ومن قبله «جزم به أبو الطيب[٨]».

وأيا ماكان الأمر فالذى يعنينا هنا هو تحديد الميلاد لنرى أى الرجلين أكبر؟

وطفقت أبحث حتى عثرت على نصوص تنير الطريق أو تكاد ، ذلك أن الحافظ أبا العلاء الهمذانى قال فيما يرويه ابن الجزرى فى الطبقات : «إن الكسائى عاش سبعين سنة»[٩] ونحوا من هذا قال صاحب الإنباه[١٠] ، وكذلك قال ياقوت فى معجم الأدباء فيما يرويه عن الخطيب[١١] .

---

(١) انظر ترجمة الكسائى فى طبقات القراء ٥٣٥/١ فما بعدها ط السعادة بتحقيق برجشتراسر .

(٢) انظر ترجمة الكسائى فى المزهر ٢٥٤/٢ ط السعادة .

(٣) انظر ترجمة الكسائى فى البغية ص ٦٣٦ — الطبعة الأولى .

(٤) انباه الرواة للقفطى ٢٦٨/٢ ط دار الكتب .

(٥) الفهرست لابن النديم صـ ٩٨ ط الرحمانية .

(٦) انظر معجم الادباء لياقوت ١٦٧/١٣ فقد جاء فيه انه توفى سنة ١٩٢ هـ ، اما ستة الأقوال الباقيات فقد وردت فى طبقات القراء لابن الجزرى ٥٤٠/١ ط السعادة وانما طوينا ها ايثارا للايجاز .

(٧) غاية النهاية ٥٣٩/١ ط السعادة .

(٨) انظر المزهر ٤٦٣/٢ ط الحلبى .

(٩) ٥٤٠/١ ط السعادة لتحقيق برجشتراسر .

(١٠) انظر انباه الرواة للقفطى ٢٩٦/٢ دار الكتب ونص عبارته (وبلغ عمره سبعين سنة) .

(١١) ١٦٨/١٣ ط دار المأمون ونص العبارة « ان عمر الكسائى بلغ سبعين سنة » .

فإذا أخذنا الحد الأعلى مأخذ الاعتبار وهو سنة ١٩٧ هـ – وذلك أقصى ماوصل إليه اختلاف المؤرخين – ونحّينا منه سبعين من السنين ، كان مولد الكسائى سنة ١٢٧ هـ . ومعلوم أن الفراء ولد سنة ١٤٤ هـ[١]، فيكون الفرق بين الميلادين سبع عشرة سنة على أقل تقدير .

وإذا أخذنا الحد الأدنى بنفس المأخذ وهو سنة ١٨٠ هـ كان الفارق بينهما أربعا وثلاثين ، وحين نضرب صفحا عن هذا وذاك ونعتمد القول الراجح وهو سنة ١٨٩هـ ، يكون مولد الكسائى سنة ١١٩ هـ ، وعليه يكون الفرق بينهما خمسا وعشرين .

*

وإمعانا فى البحث والتحقيق يجمل بنا أن نقلّب المسألة على جميع الوجوه قبل أن ندلف إلى رأينا فى الموضوع ، وذلك بأن نسلم جدلا بأن الفراء أسن من الكسائى ، فعلى هذا القول ينبغى أن يكون مولد الكسائى بعد مولد الفراء ولو بعام واحد تحقيقا للأسبقية بأقل وحدة من وحدات السنين . وقد علمنا سابقا أن الفراء ولد سنة ١٤٤ هـ وعليه ينبغى أن يقدر مولد الكسائى سنة ١٤٥هـ وعلى هذا التقدير يكون عمر الكسائى حين الوفاة أربعة وأربعين عاماً ، مالم يقل به أحد من المؤرخين .

ثم إن الرواة يحدثوننا أن الكسائى لقى عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ)[٢] وأخذ عنه النحو[٣] كما أنهما اجتمعا فى مدينة السلام عند الحسن بن قحطبة[٤]، ودار بينهما

---

(١) انظر مثلا وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(٢) تاريخ الوفاة جاء فى طبقات الزبيدى صـ ٤١ ط الخانجى ، كما جاء فى البغية ص ٣٧٠ الطبعة الأولى .

(٣) انظر معجم الأدباء ١٨٢/١٣ ط دار المأمون .

(٤) هو أحد قواد المنصور (ت ١٨١ هـ) كما جاء فى الشذرات لابن العماد ٢٩٥/١ نشر القدسى .

حديث فى «مسألة ألقاها عيسى على الكسائى»[1]، فلو قدرنا أن الكسائى التقى به فى آخر سنة من سنى حياته – وهى آخر ما يتحقق فيه اللقاء من السنين – يكون عمر الكسائى إذ ذاك أربع سنوات فقط ، وغنى عن البيان أن نقول : إن هذا مستحيل عادة مهما بلغ ذكاء الكسائى وتعلمه صغيرا ، فضلا عن أن المترجمين ينصون على أن الكسائى تعلم النحو وهو كبير ، فهذا هو القفطى يروى لنا مقالة الفراء فى أستاذه الكسائى فيقول: «إنما تعلم الكسائى النحو على الكبر»[2] وكذلك يقول ياقوت فى معجم الأدباء نقلا عن الخطيب[3] وهكذا قال الجاحظ فيما يرويه صاحب الإنباه[4] .

ومن كل هذا يتبين لنا أن الكسائى أكبر عمرا من الفراء ، وأن الرواية الشائعة بين بعض المؤرخين تنقصها الدقة، وأنها بحاجة إلى تحقيق، فكيف ساغ لبعض المترجمين إذن أن يصفوا الفراء بأنه كان أسن من الكسائى .

إننا إذا أحسنا الظن بهم بدا لنا أن الأمر تجاوز خطأ المؤرخين إلى تحريف الناسخين، لهذا أستظهر أن كلمة (أسن) كانت فى الأصل (أحق) فدخلها شىء من التصحيف اليسير ، وهما متقاربتان فى الرسم، وما أكثر هذا لدى النساخ

يؤيدنى فى ذلك ما رأيته من قولة الرؤاسى فى كل من الفراء والكسائى وكلاهما تتلمذ عليه، فإنه يفضل الفراء ويرى أنه أحق بالتقديم من صاحبه[5]

كما يعضدنى فى هذا الترجيح ما نراه من رواية ابن الأنبارى حيث يقول:

« قد خرج الكسائى إلى بغداد وأنت أميز منه»[6]، فإنه عبر بكلمة (أميز) وهى فى المعنى تتفق مع كلمة (أحق) أكثر مما تتفق مع كلمة (أسن)،

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى طبقات النحويين للزبيدى صـ ٣٧ ط الخانجى .

(٢) انباه الرواة للقفطى ٢٥٧/٢ ط دار الكتب .

(٣) انظر ١٦٨/١٣ ط دار المأمون .

(٤) انظر ٢٧١/٢ دار الكتب .

(٥) انظر ترجمة الرؤاسى فى نزهة الالباء صـ ٦٥ وما بعدها ط سنة ١٢٩٤ هـ .

(٦) نزهة الالباء فى طبقات الادباء لابن الانبارى صـ ٦٥ ط سنة ١٢٩٤ هـ .

ومن الجائز أن تكون كلمة (أميز) هى التى دخلها التحريف فصارت (أسن)

هذا إلى أن رواية (أسن) قد أبطلها البحث ، وزيّفها التحقيق ، كما رأينا من قبل فلم يعد لها مكان بين الصحيح من قضايا التاريخ .

*

ذلك هو تحقيق عمر الفراء بالنسبة إلى عمر شيخه الكسائى كما انتهى إليه البحث دفاعاً عن الحقيقة، ودفعاً لما قديفهم من تعبير للفراء فى تلك الرواية ، ولئن كانت هناك أمور يسيرة يمكن التجاوز عنها لدى الباحثين فما حياة الفراء وتحقيق عمره بالشيء اليسير ، ولعلى بلغت ما أريد، ووُفقت فيما أردت .

آراء العلماء فى الفراء : (مدحا وقدحا) :

عرف القدماء مكانة الفراء ، وكذلك المحدثون من الشرق والغرب على السواء ، فكان له من الثناء والتقدير والإعجاب من هؤلاء وأولئك ، مارأيناه يتفق فى جملته مع شخصيته وعبقريته ، وسنورد بعض ما قيل فيه ، وفاء بحقه ومشاركة فى التقدير والإعجاب من جهة، واستيفاء للبحث من جهة أخرى، مع الوقوف عند بعض النصوص ومناقشتها كلما دعا الأمر إلى ذلك، ثم التعقيب عليها فى النهاية لإبداء رأيي الخاص فى مثل هذه الآراء مدحا وقدحاً .

والآن أكتفى بهذه العجالة ، وأدلف إلى ما نحن بصدده من البيان :

كان الفراء « أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب[1] » بل كان « شيخ النحاة[2] » « وإمام العربية[3] » — « كان رأساً فى قوة الحفظ ،

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠١/٢ ط بولاق ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى ٣٨/٢ ط أولى ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى صـ ١٤٣ ط السعادة وتلخيص ابن مكتوم ورقة (٢٧٠) مخطوطة دار الكتب (٢٠٦٩) تاريخ تيمور .

(٢) طبقات القراء لابن الجزرى ، تحقيق المستشرق برجشتراسر ٣٧١/٢ ط أولى ، والذريعة الى تصانيف الشيعة ٣٩/١ ط النجف .

(٣) بغية الوعاة للسيوطى ص ٤١١ ط أولى .

أملى تصانيفه كلها حفظاً[1] » « لم يأخذ بيده نسخة إلا فى كتابين »[2] « جمع إلى علم الكوفيين علم البصريين ، ثم هو كبير العقل إلى جانب سعة الاطلاع[3] » لولاه ما كانت اللغة[4] ولا كانت العربية[5] « لأنه حصّلها[6] ، وخلّصها[7] ، وهذبها[8] وضبطها[9] »، « لأنها كانت تُتَنَازَع ، ويدعيها كل من أراد ، ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب[10] ».

وقالوا : « لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائى والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس[11] » وقال التاريخى : « حدثنى أبو الحصين البجلى قال : تقول أهل الكوفة لنا ثلاثة فقهاء فى نسق لم ير الناس مثلهم : أبو حنيفة ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن ولنا ثلاثة نحويين كذلك ، وهم : أبو الحسن على بن حمزة الكسائى ، وأبو زكريا يحيى ابن زياد الفراء ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب[12] » ومقالة هنّاد بن

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ٣٤١/١ ـ ط حيدر آباد .

(٢) الوفيات ٣٠٣/٢ ط بولاق ، ومعجم الأدباء ١٣/٢٠ ط دار المأمون .

(٣) ضحى الاسلام ٣٠٧/٢ ط ثانية .

(٤) معجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

(٥) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ١٩/٢ ط أولى .

(٦) معجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

(٧) دائرة معارف القرن العشرين ١٣٩/٧ ط ثانية .

(٨) شذرات الذهب ١٩/٢ ط أولى .

(٩) طبقات القراء ٣٧١/٢ ط أولى .

(١٠) انظر مثلا وفيات الأعيان ٣٠١/٢ ط بولاق ، وتاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة. ومعجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون ، ومرآة الجنان ٣٨/٢ والطبقات لابن الجزرى ٣٧١/٢.

(١١) معجم الأدباء ١٣/٢٠ ط دار المأمون .

(١٢) معجم الأدباء ١٤٣/٥ (ترجمة ثعلب) .

السرى فى تقدير ذكاء الفراء ، واعتماده على الذاكرة اللاقطة مقالة مشهورة مكررة[1] .

وكذلك موازنة الكسائى بين الفراء والأحمر ، وكلاهما كان تلميذا له ، بل إن الأحمر كان أقرب إلى قلبه ، ولكنه لم يستطع أن يغمط الفراء حقه فى التفوق على زميله عقلا وفكراً[2] .

أما منزلة الفراء بالنسبة إلى شيخه الكسائى ، فيحدثنا عنها أبو جعفر الرؤاسى — وكان شيخاً لهما — حينما حث الفراء على الخروج إلى بغداد ، قائلا له : « قد خرج الكسائى وأنت أميز منه[3] » كما يهدينا إليها قول سلمة ابن عاصم « إنى لأعجب من الفراء كيف يعظم الكسائى وهو أعلم منه[4] » .

وبعض المحدثين يوازن بينهما موازنة جميلة حيث يقول : « وكان الفرق بين الفراء والكسائى كالفرق بين المأمون والرشيد ، وكالفرق بين محافظة الرشيد ، وحرية العقل عند المأمون ، وكالفرق بين الحركة العلمية الناشئة فى عهد الرشيد ، والناضجة فى عهد المأمون[5] » وهذا هو الإمام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة النعمان يقول للفراء معجباً به « ما ظننت آدمياً يلد مثلك[6] » ، وهذا هو الجرمى الإمام البصرى ، يذهب إلى منافسه الفراء ليناظره فيخلب لبه ، ويبهره بالإلزامات التى أوردها على مذهبه البصرى ، فلم يملك أبو عمر الجرمى إلا أن يظهر إعجابه به قائلا لسلمة صاحب الفراء « يا أبا محمد : ما هذا

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٢ ط السعادة . وانظر مبحث (عقليته) .

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٢ ط السعادة أو انظر النص فى مبحث (عقيلته) .

(٣) نزهة الالباء ص ٦٥ ط سنة ١٢٩٤ هـ .

(٤) وفيات الاعيان ٢/٣٠٢ ط بولاق ، وانباه الرواة ٣١٣ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٥) ضحى الاسلام للاستاذ المرحوم احمد امين ٢/٣٠٧ ط ثانية .

(٦) تاريخ بغداد ١٤/١٥٢ ط السعادة .

إلا شيطان يكرر ذلك مرتين أو ثلاثاً [1] » ثم هذا هو أبو بشر ثمامة بن الأشرس، زعيم المعتزلة فى عهده — وهو مَن هو علماً وذكاء وسعة اطلاع — يبهره الفراء حين المناقشة . فى أول لقاء بينهما ، ودون معرفة سابقة ، فيقول له ثمامة : « من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء [2] »؛ فيقول فى مزيج من التواضع والاعتزاز « أنا هو » : فيعرف له قدره ويقول فيه « قولته المشهورة ، كما سلف به البيان[3] .

ثم هو إلى جانب ذلك يثنى على الفراء ثناء مستطاباً عند الخليفة المأمون « فيأمر بإحضاره لوقته [4] » ويكون « سبب اتصاله به [5] » .

ثم إن الخليفة المأمون لم يلبث أن رأى فى الفراء ما لم يره فى غيره ، فاصطفاه لتأديب ولديه [6] ، ومع هذا ندبه لعمل خطير ، يعز على العدد الوفير ، ولكن الفراء نهض بالعبء وهو به زعيم ، ذلك هو وضع أصول النحو ، وجمع ما سمع من العربية على وجه العموم ؛ استمع إلى ابن خلكان يحدثنا عن ذلك فيقول : « إن الفراء لما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو ، وما سمع من العربية ، وأمر أن يُفرد بحجرة من حجر الدار (وأن يوصل إليه كل ما يحتاج إليه [7]) ووكل به جوارى وخدماً يقمن بما يحتاج إليه حتى لايتعلق قلبه ، ولا تتشوق نفسه إلى شيء ، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة ، وصيّر له الوراقين ، وألزمه الأمناء والمنفقين فكان يملى والوارقون يكتبون ، حتى

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٢ ط السعادة .

(٢) تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة .

(٣) انظر معجم الأدباء حـ ٢٠ و ص ١١ و ص ١٠١ فما بعدها وانظر حـ ١٤ ص ١٥١ ط دار المأمون .

(٤) انظر المصدر السابق .

(٥) نفس المصدر .

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة .

(٧) مرآة الجنان ٢/٣٨

صنف الحدود فى سنتين ، وأمر المأمون بِكَتْبِه فى الخزائن[1] » تقديراً له واعتزازاً به .

فأى تقدير أبلغ من هذا التقدير ؟ الخليفة المأمون يكرم الفراء هذا التكريم على ما كان بينهما من تفاوت فى الهوى إذ أن صاحبنا كان سلفياً متحرراً يميل إلى الاعتزال[2] على حين كان المأمون أكبر نصير لعقيدة الاعتزال ، حتى إنه غالى فى عقيدته ، وعذب فيها من عذب من مخالفيه .

إن يكن هناك تقدير أبلغ من هذا ، فذلك الذى رأيناه من المأمون نفسه حين علم أن ابنيه يقتتلان على تقديم نعل الفراء فاستدعاه وقال له: من أعز الناس قال : ما أعلم أحداً أعز من أمير المؤمنين . قال : لا أعز الناس من يقتتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى يصطلحا على أن يقدّم كل واحد منهما فرداً . ثم لم يكتف بهذا التقدير الكلامى ، وإنما أردفه بالتقدير المالى فأمر له بعشرة آلاف درهم مكافأة له على حسن تأديبه ولديه[3] .

وجدير بالفراء أن يكون موضع تقدير الجميع ، فهو من عرفتَ علماً وخلقاً ، وهو الذى وثّقه ابن حيان ، فذكره فيمن ذكر من الثقات[4] — وقال فيه صاحب النزهة « وكان إماماً ثقة[5] » ، ثم هو الذى يرتضيه البخارى رضى الله عنه ، وهو فى ذروة المحققين من أصحاب الحديث ، فيروى عنه فى أكثر من موضع « فى تفسير الحديد ، والعصر[6] » ثم هو الذى يقول فيه سعيد

---

(١) انظر مثلا الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق ، ومعجم الأدباء ١٢/٢٠ ط دار المأمون ، وتاريخ بغداد ١٤٩/١٤ فما بعدها ط السعادة .

(٢) انظر مثلا الوفيات ٣٢٠/٢ ط بولاق ، البغية ص ٤١١ ط السعادة .

(٣) انظر تفصيل هذه القصة فى وفيات الاعيان مثلا ٣٠٢/٢ ط بولاق وتاريخ بغداد ١٥٠/١٤ ط السعادة .

(٤) انظر تهذيب التهذيب للعسقلانى ٢١٢/١١ ط أولى .

(٥) نزهة الالباء فى طبقات الأدباء ص ١٢٧ ط سنة ١٢٩٤ هـ .

(٦) انظر تهذيب التهذيب ٢١٢/١١ ط أولى .

ابن سالم لأصحابه ، حينما دخل عليهم الفراء : « قد جاءكم سيد أهل اللغة ، وسيد أهل العربية[1] » .

ثم إن العلماء بوجه عام كانوا يُكبرونه، ويعرفون له منزلته فى كل علم كان على ذلك العهد ولاسيما فى النحو حتى جعلوه نفس النحو فقالوا : « النحو الفراء[2] » كما جعلوه أميرا على النحاة جميعا فقالوا : «الفراء أمير المؤمنين فى النحو[3]» على أن الثناء لم يقتصر على ميدان النثر فحسب ، بل تجاوزه إلى ميدان الشعر كذلك[4] .

من ذلك ما رواه المرزبانى فى معجم الشعراء من المساجلات الأدبية بين العلماء حين ألغز أبو العباس المبرد، وعمّى بيتاً من الشعر القديم وأرسله إلى صديقه محمد بن الحسن الحرون ، فاستخرجه وكتب إليه أبياتاً تشير إلى تقدير الفراء[5] .

وهناك قصيدة طويلة أنشأها محمد بن الجهم تمجيداً وتقديراً للفراء[6] .

حقاً إن هذه القصيدة خالية من القيم الشعرية الفنية ، فهى من نظم النحاة الذين عرفوا ببرودة شعرهم[7] ، وكل ما فيها بعد ذلك هو تقدير الفراء والثناء على ما خلف من آثار ، إذا استثنينا الغض من شأن نحاة منافسين أمثال سيبويه وقطرب ، وهشام ، والأحمر ... وإذا جاز لنا أن نعزو هذا إلى العصبية المذهبية بالنسبة إلى سيبويه وقطرب البصريين ، فإننا لانجد تعليلا أقرب من التقدير المطلق حين نرى ابن الجهم الكوفى يغض كذلك من شأن الكوفيين أمثال

---

(١) معجم الادباء ٢٢٧/١١ ط دار المأمون .
(٢) تهذيب التهذيب للعسقلانى ٢١٢/١١ ط أولى .
(٣) نفس المصدر .
(٤) انظر معجم الادباء ٢٣٥/١١ ط دار المأمون .
(٥) انظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٤٩ نشر القدسى .
(٦) انظر تاريخ بغداد ١٥٤/١٤ ط السعادة .
(٧) انظر انباه الرواة للقفطى ٢٩٠/١ ط دار الكتب سنة ١٩٥٠ م .

هشام ، والأحمر ، وقد تعجب إذا عرفت أنه كان تلميذاً للأحمر ، كما كان تلميذاً للفراء .ولكن إعجابه بأبي زكرياء جعله يلهج بالثناء عليه ويفضله على البصريين والكوفيين على السواء .

هذا ما كان من تقدير الأوائل، وإعجابهم بصاحبنا يحيى بن زياد الفراء . أما أقوال المحدثين عدا ما ذكرنا من موازنة الأستاذ أحمد أمين، فإنها تتمثل فيما يأتي :

(ا) أن المستشرق الألماني (يوهان فك) صاحب كتاب العربية يقدر الفراء حق قدره ، فينعته في كتابه القيم بأنه « الفراء العظيم[1] » .

(ب) وكذلك المستشرق (ب . كاله) يقدره ويكبره ، ويرى فيه « النحوي الكوفي الضليع[2] » .

(حـ) أما باحثو الشرق فنراهم لايقلون عن باحثي الغرب إعجاباً بالفراء ، وإكباراً لعبقريته الفذة ، حيث يقول قائلهم « وعندي أن الفراء أشبه بالخليل ابن أحمد ..... حذقاً وسعة اطلاع ، واستفادة من الثقافات الأجنبية التي عرفت في البيئات الدراسية[3] » .

(د) وهذا هو الدكتور طه حسين يبدي لنا مدى إعجابه بالفراء ، في ثنايا حديثه العذب في مقدمة (إحياء النحو) للأستاذ إبراهيم مصطفى حين شبهه بالفراء في مجال التقدير والتمجيد حيث يقول :

« وإني لأعجب أشد الإعجاب بهذا الصبر الطويل، وهذا الجلد الذي لا أعرف له نظيراً في هذا الجيل الذي نعيش فيه ، فليس يسيراً أن تعاشر النحويين فتطيل عشرتهم ، فضلا عن أن تنفق حياتك كلها في مصاحبتهم ، والتحدث

---

(١) انظر ص ٨٥ ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ط دار الكتاب العربي .

(٢) نفس المصدر ص ٤ .

(٣) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص ١٥١ ط اولى .

إليهم ، والتحدث عنهم ، — والناس بعدُ يضيقون بالنحو ، ويتبرمون بحديثه ، فما بالك برجل قد أصبح يضيق بكل شيء لايتصل بالنحو ، ويتبرم بكل حديث لا يمس النحو من قريب أو بعيد ، حتى سميناه فيما بيننا بالفراء[1] » .

إلى هنا رأينا جانباً واحداً من الصورة ، وهو جانب المديح والثناء ، وبقى أن نرى الجانب الآخر من آراء العلماء ، وهو جانب القدح والطعن على الفراء ، من ذلك :

(أ) ما قاله المبرد البصرى حين أحرز قصب السبق على منافسه ثعلب الكوفى فى بعض المناظرات المشهورة بينهما[2] ، وأراد أن يرتفع بنفسه عن هذه الطبقة إلى طبقة السابقين الأولين من الكوفيين ، فلم يجد أمامه إلا شيخ الكوفة الفراء ، ذلك الذى يلهج به ثلعب ، فيكاثره به ، ويفتخر عليه بأنه حفظ كتبه كلها لم يشذ عنه حرف واحد[3] ، فى هذا الجو الذى رأيت ، قال المبرد : « أعلم الكوفيين ثعلب ، فذكر له الفراء فقال لا يعشره[4] » .

وغنى عن البيان أن المبرد فى هذا لايقصد إلى مدح ثعلب ، وإنما يهدف إلى رفعة نفسه وإظهارها فى صورة المتفوق على عبقرى الكوفة (الفراء) ، وذلك أن الناس علموا تفوقه على ثعلب ، حتى إن كثيراً من تلاميذ ثعلب نزحوا عنه إلى المبرد ، فإذا امتدح ثعلباً ورفعه على الفراء ، كان قد امتدح نفسه ورفعها عن منزلتهما جميعاً ، ثم إن الواقع يكذب المبرد ، فأين ثعلب من الفراء !

(ب) وهناك بصرى آخر هو الجاحظ المعتزلى نراه يتهم الفراء بأنه لايعرف شيئاً من علم الكلام وأنه لم يكن له فيه طبع ، حيث يقول : « دخلت بغداد

---

(١) انظر مقدمة احياء النحو ص (ل) ط مطبعة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١ م.

(٢) انظر نزهة الالباء ص ٢٨٧ فما بعدها ط القاهرة .

(٣) انظر مثلا طبقات الزبيدى ص ١٦٣ ط اولى .

(٤) تاريخ بغداد ٥/٢١٠ ط السعادة ، وانباه الرواة ١/١٤٢ ط دار الكتب .

حين قدمها المأمون فى سنة أربع ومائتين وكان الفراء يحبنى ، وأنا أشتهى أن يتعلم شيئاً من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع[1] » .

والرد على هذه التهمة ميسور لكل من يدرس الفراء ويتعمق مذهبه فى الاعتدال بين أهل السنة والاعتزال ، وقد بينت ذلك بالتفصيل والتعليل فى موطنه من البحث ، وطبعىّ ألا يرضى الحاحظ المتطرف عن موقف الفراء المعتدل ، فهو يريده أن يكون معتزلياً متطرفاً مثله ، ويشتهى ذلك ليكسب إلى صفوف المعتزلة علماً من الأعلام ، وحين عز عليه ذلك قال ما قال مدفوعاً بعاملين قويين ، هما البصرية والاعتزال ، وإن كان مردهما إلى شىء واحد ، هو العصبية المذهبية على أية حال كما أن المتطرفين من أهل السنة أغضبهم موقف الفراء المعتدل بين هولاء وأولئك ، وقد آلى على نفسه أن يكون رائد الحرية الفكرية المتزنة ، دون تطرف أو تعصب لمذهب على مذهب ، وهذا المنهج فى نظرى — هو المنهج المثالى الذى يجمع محاسن المذهبين معاً — ثم هو المنهج الذى يتفق مع الخطوط الرئيسية فى شخصية الفراء كما بينت ذلك فى موطنه من البحث .

(ح) على أن البصريين بصفة عامة يتهمون الفراء بأنه « كان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه[2] » ، ثم يقول قائلهم « إن الفراء لم ينتفع بالنظر فى هذا الكتاب كبير نفع[3] » يقولون ذلك وما دروا أن الفراء كان يؤسس مذهباً خاصاً به[4] ، فيُرسى قواعد مذهب جديد كما سيأتى بالتفصيل ، ونود أن نقف قليلا مع هؤلاء ، لنرى ما ذا كانوا يريدون من الفراء ؟ أيريدونه نسخة أخرى من سيبويه وكتابه ؟ أم يريدونه صدى من الأصداء التى تردد أقوالهم وتسير فى ركابهم ؟ حاشا للفراء العظيم[5]

---

(١) الوفيات ٣٠٢/٢ ط بولاق .

(٢) البغية ص ٤١١ ط أولى .

(٣) انظر انباه الرواة ص ٣١٤ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٤) انظر مبحث (مذهبه فى النحو) .

(٥) العربية — يوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

أن يكون كذلك . لقد جهلوا مكانة الرجل أو تجاهلوها ، وأرادوه تابعاً لهم يدور فى فلكهم حيثما داروا ، ولا يخالف سيبويه فى قليل أو كثير .

لقد جهلوا حقيقة كشفت عنها الأيام ، وهى أن الفراء كان المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى ، وجدير بمن يؤسس مذهباً جديداً ألا يتقيد بأحد المذهبين ، بل لابد له من أن يستقل بفكره أولاً ، ثم يتخير ما يروقه من المذاهب بعد ذلك . وهذا هو ملاك المذهب البغدادى وهو ما فعله الفراء بعينه — لقد جهلوا ذلك فعابوا عليه مخالفة سيبويه ، ورموه بقارص القول ، وعيّروه بأن « كتابه تحت رأسه » .

وهذا التعيير الساذج يكشف لنا مدى جهل هؤلاء القوم بالطريقة المنهجية ، فى استقلال الشخصية ، وبناء المذهب الجديد ، تلك الطريقة التى تفرض على الباحث المجدد أن يطلع على خطوات السابقين فى هذا الميدان ، فينتفع بالخبرات السالفة من ناحية ، ثم يتعرف على مواطن الضعف من ناحية أخرى لينقدها وليتفاداها فى بنائه الجديد ، ثم هو بعد هذا وذاك يبدأ حيث انتهى الأقوام :

هكذا كان يفعل الفراء ، ولهذا الهدف كان يلازم كتاب سيبويه ، وآية ذلك أنه أسس مذهباً جديداً — فيما أرى — فكان يبنى من ناحية ، ويحارب المتعصبين من ناحية أخرى . استمع إليه يفحم الجرمى بالإلزامات التى أوردها على مذهبه البصرى ، فيما يرويه لنا الخطيب البغدادى حيث يقول : « . . . حدثنا سلمة ، قال خرجت من منزلى فرأيت أبا عمر الجرمى واقفا على بابى ، فقال : يا أبا محمد امض إلى فراتكم هذا ، فقلت له : امض ، فانتهينا إلى الفراء وهو جالس على بابه ، يخاطب قوما من أصحابه فى النحو ، فلما عزم على النهوض قلت له : يا أبا زكرياء : هذا أبو عمر صاحب البصريين يحب أن تكلمه فى شىء ، فقال نعم : ما يقول أصحابك فى كذا وكذا ؟ قال كذا وكذا ، قال يلزمهم كذا وكذا ، ويفسد هذا من جهة

أكذ وكذا ، قال: فألقى عليه مسائل وعرفه الإلزامات فيها فنهض وهو يقول : يا أبا محمد ما هذا الرجل إلا شيطان – يكرر ذلك مرتين أو ثلاثا[1] » فلو لم يكن الفراء خبيراً بمغامز الأعداء ما استطاع أن يثبت أمام هذه الهجمات العنيفة ، وذلك التحدى السافر من المنافسين البصريين ولكن يقظة الفراء حصنته من ذلك ، كما حملته على أن يتسلح بنفس السلاح الذى يحاربه به العدو المناجز ، فقرأ وفقه ، ونسخ كتاب سيبويه بخط يده[2] ، ولازمة إلى آخر نفس من حياته ، حتى أخرجوه من تحت وسادته[3] بعد مماته ، فكان ذلك فخراً له لاعيباً عليه كما يظن الجاهلون ، أو المتعصبون المتجاهلون .

هذا إلى أننى لست أزعم أن الفراء مبرأ من كل عيب ، فما هو بمعصوم ، ولقد أخذت عليه مآخذ فى آرائه ومذاهبه ، بينتها فى مواطنها بالتفصيل ، فلست إذن بالغاوى ولا المتعصب ، ولكنها الصورة التى انطبعت فى نفسى وحسى ، بعد دراسة الرجل دراسة فاحصة واعية فيما أحسب . ثم إننى لم اعتمد على الروايات التاريخية وحدها كما رأيت ، إذ أن التاريخ يتأثر لظروف كثيرة كما يقول الدكتور طه حسين ، وكما هو معلوم لكل باحث مستنير ، « منها أنه يأتى إلينا من طريق النقل والرواية . . . وهى لاتصل إلينا كما وقعت ، ولا تصل إلينا وحدها ، وإنما تصل إلينا ومعها شىء آخر ، أضافه إليها الذين نقلوها إلينا عن ذات نفوسهم ، ومن طبيعة أمزجتهم ، يفعلون ذلك عن عمد أحيانا ، ويضطرون إليه اضطراراً أحيانا أخرى ، فالتاريخ إذن لا يصوّر الأحداث الماضية تصويراً مجرداً ، وإنما يصورها تصويراً فيه كثير من الإضافة وفيه كثير من التعقيد[4] » :

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/١٥٣ ط السعادة .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية (ترجمة سيبوية) .

(٣) انباه الرواة قسم ٣ جـ ٢ ص ٣١٣ مصورة دار الكتب .

(٤) انظر مقدمة الدكتور طه حسين لفصول مختارة من التاريخ ص (ح) فما بعدها بتصرف يسير .

لهذا ينبغى أن نتلقى ما جاءنا من الثناء على الفراء فى شىء من الحذر ، لاسيما ما جاءنا عن طريق الكوفيين ، وبخاصة ثعلب ذلك الذى يجاهر ويفاخر بالثناء على آثار الفراء فربما كان مدفوعا فى ثنائه ، بدافع العصبية المذهبية التى بلغت الذروة فى ذلك العهد ، ولعل من هذا القبيل ما رأينا من إسراف فى الإطراء ، على كتاب المعانى للفراء ، حيث قال قائلهم : « هو كتاب لم يعمل قبله ولا بعده مثله ، ولم يتهيأ لأحد من الناس جميعاً أن يزيدوا عليه شيئا »[1] وقد أثبتت الأيام فساد هذا الزعم ، بما جاء بعده من الزيادات فى التفاسير العديدة . ومن هذا القبيل ما كان من سعيد بن سالم حيث وصفه بأنه « سيد أهل اللغة . . . الخ » ، فأطلق السيادة ، دون تحديد زمان أو مكان ، إلى غير ذلك من المجاملات التى تعوزها الدقة ، والمبالغات التى تبلغ حد الإسراف .

على أن هذا الحذر ينبغى ألا يحول بيننا وبين الروايات التاريخية التى تظاهرها البراهين ، فالإسراف فى الرد يساوى الإسراف فى القبول سواء بسواء ، وكلاهما معيب فى مذهب العقلاء ، لهذا ترانا قد تلقينا بعض الروايات فى شىء من القبول والارتياح ، وكان حقاً علينا ذلك ، إنصافا للرجل من جهة ، وإنصافا للحقيقة التاريخية من جهة أخرى .

ولئن كان من واجبنا أن نتلقى آراء القدامى فى كثير من الحذر ، — وقد فعلنا — خشية أن ينحرف بها التعصب المذهبى هنا أوهناك ، فلاريب أن أقوال المحدثين قد برئت من هذه الوصمة ، فليسوا فى شىء من ذلك ، وما كان لهم أن يتعصبوا لمذهب لايعنيهم فى قليل ولا كثير — وموقفهم هذا يساندنى ويؤيد وجهة نظرى فى صاحبى إلى حد كبير .

وفى نهاية المطاف ، أعود فأقول : رحم الله أبا زكرياء ، لقد كان شخصية قوية فى جبين التاريخ ، أحبها قوم فبالغوا ، وأبغضها قوم فأسرفوا على أنفسهم ، وما زال هو هو أمير النحاة ، أو « أمير المؤمنين فى النحو[2] » كما يقولون .

---

(1) طبقات النحويين للزبيدى ص ١٤٤ — الطبعة الأولى .

(2) تهذيب التهذيب للعسقلانى ٢١٢/١١ ط حيدر اباد .

الفصل الثالث

آثار الفراء : الموجود منها والمفقود

حفظ التاريخ لأبى زكرياء أسماء بعض آثاره ، فذكر له السيوطى فى البغية أحد عشر مؤلفا[1] ، وارتفع بها ابن النديم إلى ثلاثة عشر مصنفا[2] ، أما صاحب معجم الأدباء فقد بلغ بها زهاء العشرين[3] ، ومع هذا أردف الإحصاء بالعبارة التقليدية التى درج عليها المترجمون حين يقولون : « وغير ذلك » فليتهم ذكروا كل ما وقفوا عليه وأراحوا من جاء من بعدهم من عناء كثير ، وقد رأيت أن أتتبع آثاره فى كل ما وقع تحت يدى من كتب التراجم وغيرها فوجدتها زهاء الثلاثين ، بالرغم من أن معظم المراجع التاريخية — عدا ما ذكرنا — لا يكاد يشير إلا إلى النزر اليسير من آثار الفراء . وأحياناً يطوى الحديث فلا يصرح بقليل أو كثير . على أن جل هذه الآثار قد عدَت عليها العوادى ، فطواها الزمن فيما طوى من ذخائر ، ولم يصل إلينا إلا كتب أربعة[4] سنعرض لها عما قريب بالتفصيل والتحليل .

وقد حاولت جاهدا أن أتعرف تاريخ كل كتاب على حدة ليكون تاريخ الإنتاج أساس هذا الترتيب ، ولكن عبثا حاولت . وحين عز علىّ ذلك عمدت إلى ترتيبها حسب أحرف الهجاء ، وربما كان من أسباب عدم الإشارة فى الكتاب اللاحق إلى الأثر السابق أن الفراء كان شيخ إملاء فقد أملى كتبه كلها من الذاكرة

---

(١) انظر ص ٤١١ ط السعادة .

(٢) انظر الفهرست ص ١٠٠ فما بعدها ط الرحمانية .

(٣) انظر جـ ٢٠ ص ١٣ فما بعدها ط دار المأمون .

(٤) ليس صحيحا ما جاء فى مدرسة الكوفة من أنه لم يبق من كتبه الا كتابان — انظر ص ١٥٦ ط بغداد

لم يأخذ بيده نسخة قط إلا فى كتاب (ملازم) وكتاب (يافع ويافعة) على ما يرويه المؤرخون[1] ، فكأن الفراء كان يعمد إلى المحاضرات أكثر مما يعمد إلى التأليف ، لهذا لم يأبه بالإشارة إلى سابق المحاضرات ، غير أننى عثرت له على إشارة عابرة فى كتاب المذكر والمؤنث إلى كتابى الجمع والمصادر ، وأغفلت هذه الإشارة الواحدة ولم أتخذها أساساً للترتيب العام لسببين اثنين : أولهما أنها إشارة جزئية لا تصلح لترتيب بقية الآثار ، وثانيهما أن المشار إليه مفقود فلا قيمة للترتيب بين مفقود وموجود ، إذ الهدف الأسمى من الترتيب إنما هو الوقوف على مدى التطور الفكرى عند المؤلف ، هذا وسأحاول جاهدا أن أوثق نسبة كل كتاب إلى الفراء وذلك بذكر المراجع التى أشارت إليه ، وبالنصوص التى نقلت منه كلما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وإليك هذه الآثار .

١ ــ آلة الكتاب :

ذكره ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ)[2] . كما ذكره ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)[3] .

والقفطى (ت ٦٤٦ هـ) فى إنباه الرواة[4] .وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) فى وفيات الأعيان[5] .وحذا حذوهؤلاء (طاش كبرى زاده)ــ(ت ٩٦٢ هـ) فى كتابه مفتاح السعادة[6] ، ومثل هذا جاء فى دائرة معارف القرن العشرين[7] إلى غير

---

(١) انظر مثلا انباه الرواه للقفطى جـ ٢ قسم (٣) ص ٣١٨ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) ــ عمومية وانظر تاريخ بغداد ١٥٣/١٤ ط السعادة .

(٢) انظر الفهرست ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٣) انظر معجم الادباء ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٤) انظر ص ٣١٩ من الجزء الثانى القسم الثالث مصورة دار الكتب (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٥) ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(٦) ١٤٤/١ ــ الطبعة الأولى .

(٧) حـ ٧ ص ١٤٣ الطبعة الثانية .

ذلك من كتب التراجم قديما وحديثا . غير أنني لست أدرى شيئا عن موضوع الكتاب فهو مفقود، ولعل اسمه يوحى بموضوعه من أنه كتاب تعليمى على مستوى رفيع هو مستوى الكتّاب لا مستوى الناشئين المبتدئين ، وربما كان موضوعه توجيهات أدبية أو معلومات نحوية صرفية لغوية بمعنى عام ، يستعين بها الكاتبون ، وهذا هو الذى أميل إليه لما كان للفراء من مزيد اهتمام بالدراسات اللغوية على وجه العموم أكثر من اهتمامه بالدراسات الأدبية بمعناها الخاص كما سلف به البيان [1]

٢ ــ كتاب (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام فى المصاحف):

ذكره صاحب الفهرست [2] كما ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء [3] وهو من الآثار المفقودة ويدل اسمه على ما كان للفراء من اهتمام خاص باختلاف المصاحف فى الأمصار كما يدل على عنايته بالدراسات القرآنية بوجه عام .

٣ ــ الأيام والليالى والشهور :

سأفرد له بحثا مستقلا فيما بعد ، إذ أنه من الآثار التى وصلت إلينا .

٤ ــ كتاب (البهى أو البهاء) :

جاء فى الفهرست باسم (البهى) [4] ، وكذلك فى معجم الأدباء [5] ، وإنباه الرواة للقفطى [6] ، ومفتاح السعادة (لطاش كبرى زادة) [7] ، غير أنه جاء فى وفيات

---

(١) انظر (مبحث الفراء والأدب) .

(٢) ص ٦٠ ط الاستقامة .

(٣) ١٣/٢٠ ط دار المأمون .

(٤) انظر ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٥) انظر ١٣/٢٠ ط دار المأمون .

(٦) انظر القسم الثالث من الجزء الثانى ص ٣١٩ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٧) ١٤٤/١ ــ الطبعة الأولى .

الأعيان باسم (البهاء)[1] وكذلك جاء فى دائرة معارف القرن العشرين[2] ويبدو أنهما اسمان لمسمى واحد ، وربما كان هذا الاختلاف من تحريف الناسخين ، أو من تساهل المؤرخين ، والكتاب بعدُ مفقود ، فليس لدينا دليل نرجح به إحدى الروايتين ، والأمر يسير .

على أن السيوطى فى البغية طلع علينا بإضافة جديدة حين قال: « البهاء فيما تلحن فيه العامة[3] » ويلوح لى أن الأمر قد التبس عليه حين نقل عن السابقين فجعل الكتابين كتابا واحدا ، أو أن هذا الخلط أثر من آثار التحريف والتصحيف الذى يشيع فى هذه الطبعة العتيقة ، وآية ذلك أن المترجمين يذكرونهما على أنهما كتابان مستقلان كما سيأتى به البيان .

وقد ألفه الفراء لعبد الله بن طاهر ، « قال أحمد بن يحيى (ثعلب) كان محمد بن عبد الله يكتب ألف درهم واحدة فإذا مرّ به ألف درهم واحد أصلحه واحدة.... فقال يوماً أتدرى لم (كذا) عمل الفراء كتاب البهى ؟ قلت لا ، قال لعبد الله أبى بأمر طاهر جدّى ... الخ[4] » .

والبهاء أصل «الفصيح» فيما أحسب، ويبدو أن ثعلبا عدا عليه ثم أخرجه للناس فى صورة جديدة . غير أنها لا تخفى على الباحثين المدققين. يقول ابن خلكان فى ترجمة الفراء : « كتاب البهاء — وهو صغير الحجم — وقفت عليه بعد أن كتبت هذه الترجمة ، ورأيت فيه أكثر الألفاظ التى استعملها أبو العباس ثعلب فى كتاب الفصيح وهو فى حجم الفصيح، غير أنه غيّره ، ورتبه على صورة أخرى ، وعلى الحقيقة ليس لثعلب فى الفصيح سوى الترتيب وزيادة يسيرة

---

(1) ٢٠٢/٢ ط بولاق .

(2) ١٤٣/٧ — الطبعة الثانية .

(3) ص ٤١١ ط السعادة .

(4) معجم الأدباء ١٣/٥ ط دار المأمون (ترجمة ثعلب) .

وفى كتاب البهاء أيضا ألفاظ ليست فى الفصيح قليلة ، وليس فى الكتابين اختلاف إلا فى شىء قليل[1] » ولوأن الكتاب وصل إلينا لا ستطعنا أن نتبين مدى ما قال ابن خلكان ، وهو عندنا غير متهم ، إذ أنه مؤرخ وعالم ، بل فى طليعة المحققين من المؤرخين العلماء .

وبما أن (البهاء) أصل (الفصيح) فيما جزم به ابن خلكان ، والأول مفقود والثانى موجود ، وقد تناوله الباحثون من القدامى والمحدثين بالبحث والدرس فمن حق (البهاء) علينا أن نشير إلى مكانة (الفصيح) فهى بالتالى مكانة (البهاء) .

أثار الفصيح إعجاب القدماء كما أثار انتباههم وانتقادهم ، ولقى من العناية — برغم صغره — مالم يحظ بها كثير من المؤلفات ، وهاهو ذا صاحب كشف الظنون يحدثنا عن ذلك ، فيذكر أسماء سبعة وعشرين عالما ممن عنوا بالفصيح عناية خاصة بين شارح وناظم وناقد[2] ، ولئن كان بعض العلماء مثل الزجاج يخطئ ثعلبا فى نصف كتاب الفصيح[3] . إن كثيرا من العلماء عرفوا له مكانته ، وردوا كيد المتعصبين من المنافسين ، قال ياقوت الحموى بعد أن أورد مآخذ الزجاج : « وهذه المآخذ التى أخذها الزجاج على ثعلب لم يسلم إليه العلماء باللغة فيها ، وقد ألفوا تآليف فى الانتصار لثعلب يضيق هذا المختصر عن ذكرها[4] »

هذا إلى أن كتاب الفصيح قد اختلف فى نسبته إلى ثعلب فيما يرويه السيوطى فى البغية والمزهر حيث يقول : « وذكر طائفة أن الفصيح ليس تأليف ثعلب إنما هو تأليف الحسن بن داود الرقى ، وقيل تأليف يعقوب بن السكيت[5] » وسكت

---

(١) وفيات الأعيان ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(٢) انظر كشف الظنون لحاجى خليفة حـ ٢ عمود ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ط سنة ١٩٤٣ م .

(٣) انظر الأشباه والنظائر حـ ٤ (الفن السابع) ، وانظر معجم الأدباء (ترجمة الزجاج وانظر المزهر للسيوطى (معرفة الفصيح) فى النوع التاسع . وانظر التنبيهات على أغاليط الرواة مصورة دار الكتب رقم (٨٥٥) لغة ، وانظر المثل السائر لابن الأثير ص١٧٥

(٤) انظر معجم الأدباء (ترجمة ثعلب) فى الجزء الخامس ط دار المأمون .

(٥) المزهر ٢٠٧/١ — الطبعة الثالثة ط الحلبى . وانظر البغية ص ١٧٣ ط السعادة

السيوطى عن الترجيح . أما صاحب كشف الظنون فقد رجح أنه لثعلب ، وهو المتعارف قال بعد أن أورد الخلاف :

«والأصح أنه لأبى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب... وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة[1]» على أن نسبة الكتاب لا تعنينا بمقدار ما تعنينا الإشادة بمكانة الفصيح ، وأنه مأخوذ من كتاب البهاء للفراء .

٥ ــ كتاب (التحويل) :

إن أحدا من المترجمين لم يذكر هذا الكتاب[2] ــ فيما أعلم ــ ولقد عثرت عليه فى القصيدة التى أنشدها محمد بن الجهم فى رثاء أستاذه الفراء ، وأودعها إشارات خاطفة إلى كثير من مؤلفاته ، وقد أثبتها البغدادى فى تاريخه[3] ، ومما جاء فيها :

(وصنف المقصور والممدود (والتحويل) فى الخاطين من شلوه) .

وهو من الآثار التى طواها الزمن ، فلا نكاد نعرف عن موضوعه قليلا أو كثيراً . وقد وقع فى نفسى بادئ الأمر أنه ربما كان هو كتاب التصريف . استناداً إلى اتفاقهما أو تقاربهما فى المعنى ، فما التصريف إلا تحويل أو يكاد ، وقلت لعل ابن الجهم بدا له أن يجور الاسم لأمر ما ، أو أن الكتاب كان يسمى بهذين الاسمين كما رأينا فى كتاب ــ الهى أو البهاء ــ ، أما الوزن الشعرى فلا يتأثر بإحلال أحد الاسمين محل الآخر . ثم رجعت إلى القصيدة مرة أخرى فرأيت فيها كتاب التصريف كذلك حيث قال :

ومصدر الفعل (وتصريفه) . . . . . .

وحينئذ رجحت أن (التصريف) كتاب آخر يغاير كتاب (التحويل) .

---

(١) كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون تأليف حاجى خليفة حـ ٢ عمود ١٢٧٢ ط سنة ١٩٤٣ م .

(٢) أى لم يذكروه فى عداد الكتب التى يتعرضون لها عادة عند ذكر المؤلفات .

ومطلعها (يا طالب النحو التمس علم ما ألفه الفراء فى نحوه) ــ انظر تاريخ بغداد ٣٥٤/١٤ ط السعادة .

٦ ــ كتاب التصريف :

أغفله المترجمون ، فلم أر أحداً منهم تعرض له برغم اليقظة والرغبة فى الاستقصاء ، وقد رأيته أول ما رأيته فى قصيدة ابن الجهم كما سبق به البيان ، ثم عثرت على نص منه رواه أبو شامة عن أبى على الفارسى ونقله البغدادى فى خزانته حين تعرض لكسر ياء المتكلم فى قراءة حمزة والأعمش (بمصرخى) بكسر الياء ، « قال أبو على قال الفراء فى كتابه (التصريف) : زعم القاسم بن معن أنه صواب ، قال وكان ثقة بصيراً وزعم أنه لغة بنى يربوع [1] » ذلك مبلغ العلم بهذا الكتاب ، ولعل الزمان يسعدنا بالعثور عليه .

٧ ، ٨ ــ كتاب (الجمع واللغات) وكتاب (الجمع والتثنية فى القرآن):

هكذا وجدت عنوان الكتابين كلًّا على حدة ، وتوهمت أول الأمر أنهما كتاب واحد ثم وقر فى نفسى أنهما كتابان مستقلان ، وإن اشتركا فى بعض الجموع كما تشترك بعض المباحث مع أخريات،فالاشتراك بينهما لا يمنع استقلالهما . وقد أشار الفراء إلى الكتاب الأول فى كتابه (المذكر والمؤنث)[2]. ومن هذا يتبين لنا أن تأليف (الجمع واللغات) كان أسبق من تأليف (المذكر والمؤنث) .

وممن أشاروا إلى الكتاب الثانى (الجمع والتثنية فى القرآن) ياقوت الحموى فى معجم الأدباء[3] . والسيوطى فى بغية الوعاة[4] . وابن النديم فى الفهرست [5]. والعاملى فى أعيان الشيعة[6] .

---

(١) خزانة الادب للبغدادى ٣٢٩/٤ ط السلفية .

(٢) انظر ص ٣٠ ــ الطبعة الاولى ضمن مجموعة لغوية .

(٣) انظر ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٤) ص ٤١٤ ط السعادة .

(٥) ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٦) جـ ١ ص ٢١٤ ــ الطبعة الاولى .

ويبدو أنهما متغايران فأحدهما يختص بالجموع الواردة فى القرآن الكريم كما ترى فى حديثه عن الساق [1] ، أما كتاب (الجمع واللغات) فإنه ينهج منهجا آخر كما يبدو من النص الآتى : « كل جمع كانت واحدته بالهاء ، وجمعه بطرح الهاء فإن أهل الحجاز يؤنثونه وربما ذكّروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون ذلك وربما أنثوا والأغلب عليهم التذكير [2] » ومن هذا يتبين لنا أن الهدف من هـذا الكتاب إنما هو الموازنة بين اللغات المختلفات كما رأينا فى الموازنة بين لغة أهل الحجاز ولغة نجـد فإذا لم يكن الجمع محل خلاف فى اللغات فليس له موضع فى هذا الكتاب وإن كان وارداً فى القرآن الكريم .

(أما كتاب الجمع . . . فى القرآن) فإنه — فيما أرى — يهدف إلى مناقشة الجموع التى وردت فى القرآن الكريم دون نظر إلى اتفاق اللغات عليها أو اختلافها فيها ، وإن كان هذا لا يمنع من اشتراك الكتابين فى بعض الجموع ، وهى التى اختلفت فيها اللغات وكانت واردة فى القرآن الكريم ، وإذا جاز لنا أن نضبط هذا بأسلوب منطقى نقول (بينهما عموم وخصوص من وجه) يجتمعان فى شىء ويتفرد كل منهما فى شىء آخر ، فهما يجتمعان فى الجمع المختلف فيه وكان وارداً فى القرآن ، وينفرد كتاب (الجمع . . . فى القرآن) بالجموع المتفق عليها فى اللغات وقد وردت فى القرآن ، وينفرد كتاب (الجمع واللغات) بجموع اختلف فيها ولم ترد فى القرآن الكريم .

كل هذا من قبيل الترجيح . ولم أطلع على الكتابين أو أحدهما ، فكلاهما مفقود » .

٩ — كتاب الحدود :

من أشهر آثار الفراء كتاب الحدود وكتاب المعانى فلا يكاد يذكر أحدهما إلا ويتلوه الآخر . وربما كانت شهرة الحدود أقوى وأوسع لما

---

(١) انظر المذكر والمؤنث للفراء ص ١٤ — الطبعة الأولى .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠ .

لابسها من الظروف التى سنتحدث عنها فيما بعد ، غير أن الكتاب — للأسف — عدت عليه العوادى فلم نعثر له على أثر ، وقد اضطربت الروايات اضطراباً كبيراً فى أمور عدة تتعلق بهذا السفر الجليل ، اضطربت فى سبب تأليفه ، كما اضطربت فى عدد السنين التى استغرقها تأليفه ، وكذلك اختلفت فى عدد الحدود التى اشتمل عليها وسنضع بعض النصوص التاريخية بين أيدينا تيسيراً للمناقشة والاستنتاج :

قال ابن النديم فى ترجمة الفراء « وكان السبب فى إملائه الحدود أن جماعة من أصحاب الكسائى صاروا إليه وسألوه أن يملى عليهم أبيات النحو ففعل ، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض: إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان ، والوجه أن يُقعَد عنه ، فقعدوا فغضب ، وقال سألونى القعود فلما قعدت تأخروا ، والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان ، فأملى ذلك ست عشرة سنة ولم يُرَ فى يده كتاب . . . » [1] .

وقال الخطيب البغدادى (ت٤٦٣ هـ) « . . . حدثنا أبو بديل الوضاحى[2] قال: أمر أمير المؤمنين المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب . . . فكان يملى والوراقون يكتبون حتى صنف الحدود فى سنين ، وأمر المأمون بكتبه فى الخزائن ، فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ يملى كتاب المعانى . . . [3] » وقريب من هذه الرواية ما جاء فى معجم الأدباء[4] . ثم جاء ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) فنقل مقالة الخطيب كما جاءت فى تاريخ بغداد ، دون أن يعقب عليها بشىء من نظراته الصائبة كما عودنا ، غير أنه قال : « صنف الحدود فى سنتين[5] »

---

(١) الفهرست ص ٩٩ ط الرحمانية .

(٢) فى معجم الادباء ابو زيدة الوضاحى ١٢/٢٠ ط دار المأمون .

(٣) تاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة .

(٤) انظر ١٢/٢٠ ط دار المأمون .

(٥) انظر الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق .

ونستنتج من هذه النصوص دلالات لها أهميتها ، منها :

(ا) الاختلاف فى سبب التأليف ، (وسيناقش) .

(ب) أن موضوع كتاب الحدود هو أصول النحو والعربية .

(ح) سهولة منهج الفراء وتيسير النحو حتى على الصبيان . بشهادة أصحاب الكسائى .

(د) أن الفراء تصدى للتدريس بعد موت الكسائى . وسيفيدنا ذلك فى تحديد الفترة التى استغرقها تأليف الحدود .

(هـ) اختلاف الروايات فى تقدير هذه الفترة فمن قائل ست عشرة سنة . ومن قائل سنتين ، ومن قائل سنين بالجمع والإبهام .

(و) التصريح بأن تأليف الحدود أسبق من تأليف المعانى ، (وسيناقش) .

سبب تأليف الحدود والفترة التى استغرقها :

أيهما الصحيح ؟ هل كان التأليف بأمر المأمون حقاً كما يرى الخطيب البغدادى ومن لف لفه . أوأنه كان استجابة لرغبة أصحاب الكسائى كما يراه ابن النديم ؟ وكم من السنين استغرقها هذا التأليف ؟ وهل يمكن التوفيق بين هذه الروايات المتضاربة ؟ وكيف ؟ .

معلوم أن المأمون دخل بغداد سنة ٢٠٤ هـ ، وأن الفراء اتصل به بعد دخوله بغداد ، ثم مات الفراء سنة ٢٠٧ هـ فكل المدة التى مكثها بعد اتصاله بالمأمون هى ثلاث سنوات ، فكيف يتفق ذلك مع ما يرويه المؤرخون من أن الفراء ألف الحدود بأمر المأمون وأنه ظل يمليه فى ست عشرة سنة ؟ .

ظاهر الأمر يوحى بالتناقض أوا لاستحالة ويقضى بإبطال إحدى الروايتين ، ليتسق أمر المأمون مع عدد السنين . ولكن حقيقة الموضوع تشير إلى التوفيق

بين الروايتين دون إبطال . وذلك أن الفراء — فى نظرى — بدأ بإملاء الحدود عقب وفاة الكسائى استجابة لرغبة أصحابه ، وظل كذلك يملى .. ويملى ... دون أن يجمع الإملاء فى كتاب ، فلما اتصل بالخليفة المأمون ، وأمره بأن يجمع أصول النحو والعربية نشط للأمر من جديد ، وعكف عليه فى دار الخلافة حتى أخرجه فى سنتين بعد الأمر ، ولعله انتفع بأشتات ما كان أملاه من قبل ، ومن هنا قال من قال إنه ألف الحدود فى ست عشرة سنة ، كما قال القائلون إنه ألفه فى سنتين أو سنين ، وتوجيه ذلك أن وفاة الكسائى كانت سنة ١٨٩ هـ فإذا فرضنا أن الفراء بدأ الإملاء سنة تسعين بعد المائة ، وهى السنة التى تلى الوفاة مباشرة وانتهى من إملائه وجمعه بعد اتصاله بالمأمون بسنتين ، وهى أقل مدة ذكرها المؤرخون كان ذلك فى سنة ٢٠٦ هـ ، وبهذا تكون سنوات الإملاء ست عشرة سنة ، ونكون قد وفقنا بين الرواية التى تقول بذلك وبين الأخرى التى تقول إنه ألفه فى سنتين ، كما وفقنا بين الروايات فى سبب التأليف . بقى علينا أن نوفق بين الرواية التى تقول إن الفراء ألفه فى سنتين ، وبين تلك التى تقول إنه ألفه فى سنين ، مع أنهما يتفقان معاً فى أنه ألفه بأمر المأمون أى بعد سنة ٢٠٤ هـ ومن هنا جاء الإشكال ، وإلا فكان من الممكن أن نصرف السنين المبهمة إلى السنين المحددة بست عشرة سنة ، ولكن اتفاقهما فى سبب التأليف واختلافهما فى تقدير السنين جعلنا نرجح أنه تصحيف أكثر منه تجاوزا فى التعبير ، وآية ذلك أن ابن خلكان القائل بأنها سنتان [1] نقل مقالة الخطيب البغدادى القائل بأنها سنين [2] ، فمصدر الروايتين واحد ، ولهذا نميل إلى أن الاختلاف وليد التصحيف . ونؤيد رواية ابن خلكان ونرتضيها لما اشتهر به من الضبط من جهة ، ولما رأيناه من اتساقها مع رواية ابن النديم من جهة أخرى ليكتمل العدد بهما ست عشرة سنة .

---

(١) انظر الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق .

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة .

أما أن تأليف الحدود كان أسبق من تأليف المعانى فذلك لا أرتضيه بالصورة التى ذكرها البغدادى ومن حذا حذوه من المؤرخين ومنهم ابن خلكان فقد ذكروا – كما رأينا – أن الفراء ألف الحدود بأمر المأمون ، وبعد أن فرغ منه خرج إلى الناس وابتدأ يملى كتاب المعانى[1] ، وذلك لأن اتصال الفراء بالمأمون كان بعد سنة ٢٠٤ هـ فلم يكن بين الفراغ والوفاة إلا عام واحد فى حين أن إملاء المعانى استغرق نحو عامين ، على أن هذين العامين كانا قبل اتصاله بالمأمون ، وبالتالى قبل دخول الخليفة بغداد ، فكيف يكون تأليف المعانى بعد الحدود ؟ .

ولست فى هذا ممن يلقون القول على عواهنه ، فلدى نص صريح يعزز دعواى ، ذلك هو قول محمد بن الجهم السمرى راوى كتاب معانى القرآن للفراء « هذا كتاب فيه معانى القرآن أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء – يرحمه الله – عن حفظه من غير نسخة فى مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاوات والجمع فى شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين ، وفى شهور سنة ثلاث ، وشهور من سنة أربع وما ئتين [2] » .

ومن هذا يتبين لنا أن المعانى كان أسبق من الحدود إذا اعتبرنا أن تأليف الحدود يبدأ بعد أمر الخليفة المأمون ، أما إذا اعتبرنا أنه يبدأ منذ أن اجتمع أصحاب الكسائى عقب وفاته وطلبوا إلى الفراء إملاء الحدود فإنه يكون سابق البداية متأخر النهاية ، وتأليف المعانى كان بين هذه وتلك كما سلف به البيان .

عدد الحدود :

أما عدد الحدود التى اشتمل عليها الكتاب فقد اختلف فيه المؤرخون كذلك فمن قائل إنها ستون ، ومن قائل إنها دون ذلك ، قال الزبيدى فى طبقاته :

---

(١) انظر الوفيات ٣٠١/٢ ، ومعجم الادباء ١٢/٢٠ ، وتاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة

(٢) معانى القرآن ص ١ ط دار الكتب .

« والحدود فى النحو ستون حداً سمعها (كذا) [1] من أبى العباس أحمد ابن يحيى ثعلب عن سلمة بن عاصم عن يحيى بن زياد الفراء[2] » ، وكذلك فعل القفطى فى إنباه الرواة[3] ، ويعزز هذه الرواية ما جاء فى مرثية ابن الجهم حيث قال :

ستين حداً قاسها عالمـا أملّها بالحفظ من شَدْوِه[4]

أما السيوطى فى البغية فذكر أنها ستة وأربعون حداً[5] وكذلك فعل صاحب كشف الظنون[6] . أما صاحب الفهرست فصمت عن تحديد العدد ولكنه ذكرها واحداً بعد الآخر ، وأحصيتها فوجدتها خمسة وأربعين حداً ، وإليك البيان :

قال ابن النديم « أسماء الحدود له (أى الفراء) نسختها من خط سلمة ابن عاصم على هذا الترتيب :

(١) حد الإعراب فى أصول العربية . (٢) حد النصب المولد من الفعل .

(٣) حد المعرفة والنكرة . (٤) حد (من) و (رب) .

(٥) حد العدد . (٦) حد ملازمة رجل .

(٧) حد العماد . (٨) حد الفعل الواقع .

(٩) حد إن وأخواتها . (١٠) حد كى وكيلا .

---

(١) يبدو أن بها سقطا والا فالكلام سمعها أبو العباس..الخ ويؤيد ذلك ماجاء فى رواية أنباه الرواة ـ انظر ص ٣١٠ حـ ٢ قسم ٣ مصورة دار الكتب .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٠ ـ الطبعة الاولى بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم .

(٣) انظر ص ٣١٠ من القسم الثالث بالجزء الثانى مصورة دار الكتب (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٤) تاريخ بغداد ١٤/١٥٤ ط السعادة .

(٥) انظر ص ٤١١ ط أولى .

(٦) انظر جـ ١ ص ٣٢٣ (باب الحاء) .

(١١) حد (حتى) .
(١٢) حد الإغراء .
(١٣) حد الدعاء .
(١٤) حد النونين الشديدة والخفيفة .
(١٥) حد الاستفهام .
(١٦) حد الجزاء .
(١٧) حد الجواب .
(١٨) حد الذى ومن وما .
(١٩) حد رب وكم .
(٢٠) حد القَسَم .
(٢١) حد ... المثنى .
(٢٢) حد النداء .
(٢٣) حد الندبة .
(٢٤) حد الترخيم .
(٢٥) حد أن المفتوحة .
(٢٦) حد إذ وإذا وإذاً .
(٢٧) حد ما لم يسم فاعله .
(٢٨) حد الحكاية .
(٢٩) حد التصغير .
(٣٠) حد التثنية .
(٣١) حد الهجاء .
(٣٢) حد راجع الذِّكر .
(٣٣) حد الفعل الرباعى .
(٣٤) حد الفعل الثلاثى .
(٣٥) حد المعرب من مكانين .
(٣٦) حد الإدغام .
(٣٧) حد الهمزة .
(٣٨) حد الأبنية .
(٣٩) حد الجمع .
(٤٠) حد المقصور والممدود .
(٤١) حد المذكر والمونث .
(٤٢) حد (فَعَلَ وأَفْعَلَ) .
(٤٣) حد النهى .
(٤٤) حد الابتداء والقطع .
(٤٥) حد ما يُجْرَى وما لا يُجْرَى.[1]» .

فأنت ترى العدد قد تقلص إلى خمس وأربعين بعد أن كان ستين فى رواية الزبيدى ومن شدا شدوه، ولست أدرى على وجه اليقين أى الروايتين أصدق؟ إذ أن الكتاب لا يزال فى ضمير الغيب ، وفقدانه يحول بينى وبين التثبت وقطع الشك باليقين ، أما من حيث الراوى والسند ، فكلاهما عندى موثَّق ،

---

(١) انظر الفهرست ص ١٠٠ فما بعدها ـ ط الرحمانية .

كما أن كلا الراويين قريب عهد بالفراء إلى حد ما، ومعدود فى الطليعة الأولى من المترجمين ، كما أنهما متعاصران ، فالزبيدى توفى سنة ٣٧٩ هـ ، وابن النديم توفى سنة ٣٨٥ هـ ، فليس بينهما من الفرق الزمنى — كما ترى — إلا بضع سنوات ، هذه واحدة ، وأخرى أن الروايتين كلتيهما تستندان إلى سلمة ابن عاصم تلميذ الفراء ، وهو ممن عرفوا بالدقة والضبط[1] ، فما مرد الخلاف إذن ؟ يخيل إلى أن مرد الخلاف يرجع إلى الإيجاز فى إحدى الروايتين ، والإسهاب فى الأخرى ، فمن عمد إلى الإيجاز أدمج حدين أو ثلاثاً فى حد واحد ، كما ترى فى (حد من ورب) رقم (٤) ،و (حد الذى ومن وما) رقم (١٨) و (حد إذ وإذا وإذاً) رقم (٢٦) إلى غير ذلك من الحدود ، ومن أسهب جعل لكل شىء حدا مستقلا. وربما كان سبب النقص يرجع إلى سقوط بعض هذه الحدود من نسخ الوراقين وبخاصة أن سلمة بن عاصم برغم دقته لم يكن من المواظبين على التلقى حين الإملاء كما حدث له فى كتاب معانى القرآن للفراء [2] ، لهذا وذاك أرجح أنها ستون حداً كما تضافرت عليها معظم الروايات .

ما موضوع الحدود ؟

يقول الزبيدى فى طبقاته « والحدود فى النحو ستون»[3] فهى إذن نحو ، وليست من المنطق فى شىء ، غير أنها نحو بمعناه العام ، كما كان من قبل أن ينفصل عنه علم الصرف وإلا فأنت واجد فيها حدوداً عدها المتأخرون من علم الصرف مثل التصغير ، وحد الفعل الثلاثى والرباعى ، وحد الأبنية ، كما أنك واجد فيها بعض الدراسات الصوتية مثل الإدغام ، وخير مايقال فيه أنه كتاب جمع بين « أصول النحو وما سمع من العربية » فجاء كما طلبه المأمون .

---

(١) انظر ترجمته فى طبقات الزبيدى ص ١٥٠ الطبعة الاولى .

(٢) انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٥٠ بتحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم .

(٣) ص ١٥٠ من الطبعة الأولى .

ولكن أى نحو هذا ؟ أكان مقصورا على التعاريف كما يوهمه ظاهر العناوين (حد كذا . . وحد كذا) أم كان يشملها ويشمل تناول الموضوع من جميع أطرافه مثل الأحكام المتعلقة بهذه الحدود ؟ ليس لدينا من الكتاب قليل أو كثير حتى نستطيع الإجابة بوجه الدقة عن هذا التساؤل ، وكنت أظن فى مبدأ اضطلاعى بهذا البحث أننى سأستطيع جمع كتاب الحدود أو جُلّه من بطون المراجع الأخرى ، أو على الأقل جمع قدر صالح منه ينير لنا الطريق ويهدينا سواء السبيل ، وطفقت أبحث فى لهفة ونهم وأعلل النفس بتحقيق هذا الحلم الجميل ، واتجهت أول ما اتجهت إلى أشباهه ونظائره من المؤلفات التى تحمل اسم (الحدود) طمعاً فى أن أجد فيها طِلْبتى من إسناد النقول أو بعضها إلى الفراء المتقدم على عادة المؤلفين من تأثر الخالف بالسالف ، وحاولت جاهداً أن التمس ضالتى فى كتاب (الحدود) للفاكهى[1] وشرحه عليه[2] ،وكتاب (حدود الأبدى)[3] وغيرهما من الآثار الخطية التى تحمل هذا الاسم فى مجموعة مخطوطة خاصة بالحدود النحوية بدار الكتب[4] ولكنى لم أظفر بطائل ، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى الإيجاز والتركيز الشديد فى هذه الحدود ، حتى الشرح قد اصطبغ بالإيجاز فلم يشر إلى الفراء فى حين أن الفاكهى نص فى مقدمة حدوده على أنه جمعها من مؤلفات غيره وربما كان من بينهم الفراء ، بل لعله كان عمدته فى ذلك ، ولكن — للأسف — لم يشر إليه ولا إلى غيره من السابقين ، قال فى المقدمة « أما بعد فقد كنت ألفت حدوداً فى النحو جمعتها من كتب ، ثم سنح لى أن أضع عليها شرحاً. . . . [5] » .

---

(١) مخطوطة دار الكتب رقم ٤٥٤ نحو طلعت .

(٢) المخطوطة السابقة .

(٣) مخطوطة دار الكتب رقم (٩٥٩٣) هـ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) شرح الحدود للفاكهى ظهر الورقة الأولى من مخطوطة دار الكتب رقم (٤٢٩) نحو مكتبة طلعت .

ولم أيئس بل يممت وجهى شطر المراجع الأخرى التى لا تحمل هذا الاسم وتتبعت المواطن التى توهمت أنها مظنة ذلك على ضوء ما جاء فى عناوين الحدود التى ذكرها ابن النديم . وبالرغم من هذا الجهد لم أعثر إلا على النزر اليسير ، من ذلك ماجاء من الإشارة الخاطفة فى كتاب الإنصاف لابن الأنبارى حين قال : « العماد هو لفظ اصطلاحى أورده الفراء فى كتاب الحدود للضمير الذى يذكر بعد المبتدأ إذا تلاه خبر يصلح نعتا له ، وهوما يسمى عند البصريين ضمير الفصل[1] » ومنه ماجاء فى همع الهوامع للسيوطى حيث قال : « وألحق الفراء بها (أى بكان وأخواتها) أَسْحَر ، وأَفْجَر ، وأَظْهَر ذكرها فى كتاب الحدود [2] » أى أنه قاس هذه الأفعال التى اشتقها من الأزمان (السحر والفجر والظهر) على أصبح وأمسى المشتقين من الصباح والمساء ، فجعل لها نفس العمل ، وألحقها بكان وأخواتها .

وهذا النص يهدينا إلى أن كتاب الحدود لم يكن خاصا بالتعاريف فحسب بل كان يحتويها ويحتوى ما يتعلق من الباب من القضايا والأحكام . يعززنى فى هذا الاتجاه مارأيته فى المناظرة التى دارت بين ضرار وإبراهيم النظام بحضرة الرشيد فحولها إلى الكسائى للاحتكام بعد المناقشة ، ومما جاء فيها « قال ضرار : أسألك — أصلحك الله — عن مسألة من النحو ؟ قال هاتها ، قال : ماحد الفاعل والمفعول به ؟ قال الكسائى حد الفاعل الرفع أبداً ، وحد المفعول به النصب أبدا . . . الخ[3] » ومن هذا نفهم أن الحد معناه الحكم ، فحد الفاعل الرفع أبداً ، أى حكمه الرفع أبدا ، وحد المفعول به النصب أبدا ، أى حكمه النصب فى الأعراب ، وهل من هذا القبيل قول الفراء ، مات الكسائى ولم يكن يعرف حد نعم وبئس ، وكذلك قوله عن الخليل وسيبويه فى حدود أخر ؟ قد يكون هذا وقد يكون المراد بالحد التعريف ، كماهو مألوف عندنا ، والاستعمال اللغوى يؤيد كلا منهما ، إما على وجه الحقيقة ، وإما على وجه التوسع والمجاز .

---

(١) انظر المسألة المائة من كتاب الانصاف .

(٢) انظر حـ ١ ص ١١٢ فما بعـدها .

(٣) انظر القصة كاملة فى معجم الادباء ١٣/١٩٥ فما بعدها ط دار المامون .

هذا ولعلك لحظت معى أن بعض هذه الحدود التى ذكرها ابن النديم قد ألف فيها الفراء كتبا مستقلة مثل (المقصور والممدود) ومثل « المذكر والمؤنث » وكتاب (فعل وأفعل) وقد وصل إلينا الكتاب الأول مصوراً عن نسخة وحيدة فى العالم كما سيأتى به البيان ، أما كتاب (المذكر والمؤنث) فقد وصل مطبوعا ضمن مجموعة لغوية كما سيأتى بالتفصيل .

وقد رأى بعض الباحثين أن كتاب الحدود للفراء « يدل على تأثره بالمنطق فهو يريد بالحدود التعاريف كحد المعرفة والنكرة ، وحد النداء وحد الترخيم . . . . وهى أثر من آثار الفلسفة والمنطق[1] » ولكن بعض الباحثين أنكر عليه ذلك بحجة أن كتاب المعانى للفراء خلا – فى نظره – من التفلسف والمنطق[2] وقد رددت هذا القول فى موطنه من البحث حين أثبت أن الفراء تأثر بالفلسفة والمنطق إلى حد كبير ، وحققت مقالة المؤرخين « وكان الفراء يتفلسف فى تصانيفه[3] » .

توثيق الحدود :

وبالرغم من أن الكتاب لم يصل إلى أيدينا إلا أن الدارس يستطيع أن يلمح من هذه العناوين المقتضبه مقدارا لا بأس به من خصائص الفراء .

أولا : نلمح فيه التقعيد والضبط (بحد كذا وحد كذا) وتلك خصيصى من خصائص أبى زكرياء ، حتى قال بعض الباحثين تعقيبا على ذكر الحدود حدا بعد حد ، وهذه أمور لم يُعْن بها سيبويه فى كتابه كثيرا[4] وقد بينت بالتفصيل مقدرة الفراء على التقعيد فى موطنه من هذا البحث .

---

(١) ضحى الاسلام للأستاذ المرحوم أحمد امين ٢/٢٠٧ – الطبعة الثانية .

(٢) ابو على الفارسى .. للدكتور عبد الفتاح شلبى ص ٢٦٦ ط نهضة مصر .

(٣) انظر مبحث (تفلسف الفراء) .

(٤) ضحى الاسلام ٢/٢٠٧ – الطبعة الثانية .

ثانياً : المصطلحات التى ابتكرها الفراء مثل اصطلاح (العماد) الذى يقابل (ضمير الفصل) عند البصريين ، ومثل (ما يجرى وما لا يجرى) فى مقابل (ما ينصرف وما لاينصرف) فهذان وأمثالها من المصطلحات التى وردت فى عناوين الحدود مما هو خاص بمصطلحات الفراء يؤكدان أو يشيران إلى أن هذا الكتاب من ذلك المعين . وسيأتى بيان أو فى بالمصطلحات التى ابتكرها يحيى بن زياد الفراء .

ثالثا : بعض الخصائص الإعرابية لمذهب الفراء ، مثل إعراب الأسماء الخمسة حيث يرى فى بعض أقواله أنها معربة من مكانين . وقد رأيناه فى هذه الحدود يفسح لها مكاناً مستقلا حيث يقول : (حد المعرب من مكانين)[1] .

ذلك مبلغ ما اهتديت إليه فى بحثى وراء كتاب الحدود ، وأحسب أنه ألقى بعض الأضواء وإن لم يبلغ من النفس شفاء ، ولن يكون ذلك إلا بالعثور على نفس الكتاب . ومن يدرى لعل البحث الجاد من الهيئات الرسمية بإرسال البعثات إلى مواطن المخطوطات العالمية يكشف لنا عن كثير من الذخائر المفقودة ومن بينها كتاب الحدود للفراء ، حينذاك يحلو الحديث ، ويستند البحث العميق على ركائز من النصوص وما ذلك على الله بعزيز .

١٠ — كتاب (حروف المعجم) :

لم يتعرض له أحد من المترجمين القدماء — فيما أعلم — غير أن (بروكلمان) ذكره فيما ذكر من آثار الفراء[2] ، وقد نقل منه ابن رشيق فى كتابه العمدة نصا يتعلق بالقافية فقال فى باب القوافى « إلا أن الفراء يحيى بن زياد قد نص فى كتاب (حروف المعجم) أن القافية هى حرف الروى ، واتبعه على ذلك أكثر الكوفيين منهم أحمد بن كيسان ، وغيره ، وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الحامض فقال القافية ما لزم الشاعر تكراره

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٢) انظر الملحق من تاريخ الأدب العربى ١٧٨/١ ط ليدن (ترجمة المرحوم الدكتور النجار) .

فى آخر كل بيت[1] » ذلك هو النص وما دار حوله ولا يستطيع الدارس أن يتبين موضوع الكتاب كله من خلال هذا النص المقتضب ومن المجازفة أن نحكم بأن الكتاب كله يتعلق بالقوافى وأحكامها ، لهذا ينبغى التوقف حيث لادليل أو ما يشبه الدليل حتى يأذن الله بالعثور عليه ، أو نظل كذلك فى متاهة عمياء .

١١ — الفاخر فى الأمثال :

عرفنا فيما سبق قصة استيراد كتاب (الفاخر) من استامبول [2] ، وكان ذلك نتيجة لخطأ (بروكلمان) حينما ذكر فى تاريخه أن كتاب (الفاخر فى الأمثال) للفراء موجود فى مكتبة الفاتح برقم (٤٠٠٩)[3] وبدراسة هذه المخطوطة المستوردة من تركيا اتضح لى أنها ليست للفراء بحال من الأحوال وإنما هى للمفضل بن سلمة بن عاصم كما سيأتى بالتفصيل

سبب اللبس :

ربما كان سبب الخطأ الذى وقع فيه (بروكلمان) أن الذى فهرس لهذه المخطوطة خطف العنوان خطفا فلم يتثبت مما جاء فى صدر الكتاب ، وقد رأيت فى طرّته هذه العبارة الآتية : (كتاب الفاخر — صنعة المفضل ابن سلمه بن عاصم صاحب أبى زكرياء يحيى بن زياد الفراء رحمه الله تعالى) ومن هنا جاء اللبس حيث ظنوا أن الكتاب للفراء ومادروا أن هذا تعريف للمؤلف ، بأن (المفضل) المقصود إنما هو (المفضل) الذى كان والده صاحب الفراء وبالرجوع إلى ترجمة سلمة بن عاصم والد المفضل ترى أنه

---

(١) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيروانى حـ ١ ص ١٠٠ ط السعادة .

(٢) انظر (المقدمة) .

(٣) انظر تاريخ الأدب العربى — الملحق ١٧٨/١ ط ليدن .

كان تلميذ الفراء حقاً[1] فهو إذن من أصحابه . . . وربما كان من الخطف أو من التساهل ما جاء فى مختصر الزاهر « وقد كان المفضل صاحب الفراء أنشأ كتابا فى هذا المعنى سماه الفاخر [2]» فليس المفضل هو الصاحب وإنما الصاحب هو والد المفضل .

لبس آخر : أهى للمفضل بن سلمة أم للمفضل الضبى ؟

جاء فى الصفحة الأخيرة من المصورة المستوردة ما يأتى :

« آخر كتاب الفاخر الذى أملاه علينا محمد بن يحيى الصولى عن المفضل الضبى ، وأخبرنى أبو الحسن على بن هارون أيضا به وقال قرأه علينا أبو طالب المفضل وأخبرنى به عبد العزيز بن الطاهرى وقال:حدثنا به المفضل ، وكان معلمنا . . . [3] » .

يقول هذا فينسبها إلى المفضل الضبى فى حين أنه فى صدر الكتاب نسبها نسبة صحيحة إلى مؤلفها الحقيقى المفضل بن سلمه حيث قال فى أعلى الصفحة الأولى فى تقريرة هامشية خارجة عن أصل الكتاب : « قرأت هذا الكتاب أجمع على شيخنا الإمام العالم . . . عن أبى طالب المفضل بن سلمة ابن عاصم صاحب الفراء . . . [4] » ثم عاد فكرر هذه النسبة فى صلب الكتاب فقال بعد الافتتاح : « أخبرنا القاضى أبوعبد الله . . . قال أخبرنا أبو طالب المفضل بن سلمه بن عاصم صاحب الفراء . . . [5] » .

ولم أشأ أن أكتفى بهذا التحقيق العارض ، بل رأيت أن أتعمق فيه أكثر وأكثر فاتهمت جامع المخطوطة ، وقلت فى نفسى لم لا تكون هذه

---

(١) انظر مثلا ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٥٠ الطبعة الأولى .

(٢) انظر مقدمة مختصر الزاهر لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى (مخطوطة دار الكتب) .

(٣) انظر ص ١٤٢ من (مصورتى) ـ الفاخر فى الأمثال للمفضل بن سلمة عاصم .

(٤) نفس المصدر .

(٥) المصدر السابق .

الصفحة الأخيرة من كتاب آخر يسمى بهذا الاسم (الفاخر) وهو فى حقيقته للمفضل الضبى ، ويكون صدر الكتاب بل سائره لمؤلف آخر هو المفضل بن سلمه ، ولما جاء جامع الكتاب وأراد أن يجمعه بين دفتين ضم هذا إلى ذاك فكان منه هذا الخليط كما يحدث فى بعض المخطوطات ؟

ورأيت خير وسيلة لنفى هذه الشبهة إمعانا فى التحقيق أن أدرس السند وأبحث عن تاريخ الرواة وأقارن بين الوفيات . . . وقد فعلت ، فأخذت الراوى عن المفضل الضبى وهو محمد بن يحيى الصولى وبحثت عن تاريخ وفاته فوجدتها فى وفيات الأعيان لابن خلكان حيث قال « توفى سنة ٣٣٥ هـ [١] » ورجعت إلى المفضل الضبى أبحث عن تاريخ وفاته فوجدتها فى طبقات القراء لابن الجزرى حيث قال : توفى سنة ١٦٨ هـ [٢] ، أما صاحب النجوم الزاهرة فقد جعل وفاته سنة١٧١ هـ ، وكلا التاريخين بعيد جداً عن تاريخ وفاة الصولى فبين الوفاتين — كما ترى — أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان . فنسبة الرواية بينهما مستبعدة . أما وفاة المفضل بن سلمه فكانت فى سنة ٣٠٠هـ كما جاء فى طبقات ابن قاضى شهبة [٣] ولهذا كان من المعقول أن يتلقى الصولى التلميذ المتوفى سنة ٣٣٥ هـ عن شيخه المفضل المتوفى سنة ٣٠٠ هـ .

من أجل هذا كله ترجح لدى أن كلمة (الضبى) التى جاءت فى الصفحة الأخيرة من كتاب الفاخر ربما كانت كلمة خاطئة مضللة .

وهناك دليل آخر لحظته أثناء الدرس وهو أنه فى الصفحة الأخيرة نفسها ذكر (المفضل الضبى) ثم كناه بقوله (أبو طالب المفضل) ومعلوم أن كنية

---

(١) انظر الوفيات ٥٠٨/١ — (ترجمة أبى بكر الصولى) .

(٢) انظر حـ ٢ ص ٣٠٧ .

(٣) انظر طبقات النحاة لابن قاضى شهبة حـ ١ ص ٢٥٤ .

الضبي (أبو العباس) أو (أبو عبد الرحمن) [1] وليست أبا طالب ، ويتضح لك الخلط إذا علمت أن (أبا طالب) إنما هى كنية المفضل بن سلمة [2] .

على أن بعض الباحثين قديماً وحديثا وقعوا فى هذا اللبس بين المفضلين فلم يفرقوا بين المفضل بن سلمة وبين المفضل الضبي . فمن القدماء الذين التبس عليهم الأمر صاحب الخزانة عبد القادر البغدادى [3] ، ومن المحدثين محقق كتاب مراتب النحويين [4] .

وبعد أن فرغت من هذا الاتجاه الذى يقارن بين تاريخ الوفيات أخذت فى اتجاه آخر تأكيداً للتحقيق وهو البحث فى تراجم المفضل الضبي التى وردت فى كتب الطبقات ما وسعنى الجهد فلم أعثر له على أى كتاب يحمل هذا الاسم (الفاخر) فأيقنت — أو رجحت — أنه لم يترك لنا أثراً بهذا العنوان ، وإنما جاءت النسبة إليه نتيجة الخلط واللبس بينه وبين المفضل بن سلمة .

وإخلاصاً للتحقيق العلمى رأيت أن أقلب المسألة على جميع الوجوه ، وقلت فى نفسى : أفلا يكون من المحتمل أن المفضل بن سلمة بن عاصم ينتسب إلى قبيلة ضبة كما ينتسب إليها المفضل الضبي المعروف ؟ وطفقت ألتمس هذه النسبة فى كتب الأنساب [5] فلم أجد لذلك أثراً . أما كتب التراجم فمعظمها جاء خالياً من نسبته إلى بنى ضبة : مثل مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ، والفهرست لابن النديم ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ، والبغية للسيوطى إلى آخر ما هنالك ... كل أولئك لم

---

(١) السيوطى فى البغية ذكر الكنيتين ص ٣٩٦ ، أما صاحب اقليد الخزانة فقد اقتصر على الثانية — انظر ص ٧٩ ط — الهند .

(٢) انظر المصدرين السابقين .

(٣) انظر اقليد خزانة الأدب للميمنى ص ٧٩ ط الهند .

(٤) انظر ترجمة المفضل الضبى ص ٧١ تحقيق الأستاذ أبى الفضل ابراهيم حيث قال (هو من ولد سالم) غير أن المحقق جاء فى الفهرست ص ١٢٠ فقال (المفضل بن سلمة الضبى) .

(٥) من ذلك كتاب الانساب للسمعانى ظهر ورقة (٣٦٠) ووجه ورقة (٣٦١) .

يتعرضوا فى ترجمة المفضل بن سلمة إلى أنه ضبى ، ولا فى ترجمة والده سلمة بن عاصم . لهذا لا نقيم وزناً كبيراً لما جاء عرضاً فى بعض المراجع مثل : إنباه الرواة فى ترجمة ثعلب ، ومثل شذرات الذهب فى ترجمة أبى الطيب محمد بن المفضل ، فمرد هذا وأشباهه إلى اللبس أو التحريف .

وهناك نص لعله يشفى الغليل ، ويضع الأمر فى نصابه ، وهو تعليق الأستاذ الميمنى صاحب إقليد الخزانة على عبارة البغدادى التى يقول فيها (الفاخر للمفضل بن سلمة الضبى) عقب على نسبته إلى بنى ضبة فقال « هذا خطأ منه فاحش وكأنه رحمه الله لم يميز بين المفضلين فأما الأقدم منهما فهو صاحب المفضليات ، المفضل بن محمد الضبى أبو عبد الرحمن ، والآخر أبو طالب المفضل بن سلمة تلميذ ابن الأعرابى صاحب الاستدراك على العين وكتاب الفاخر وقد طبع بليدن ، وكلاهما كوفيا المذهب [1] » .

هذا وحيث كانت نسبة الكتاب إلى الفراء نسبة خاطئة ، لم أجد ما يبيح لى التحدث بالتفصيل عما يحتويه الكتاب ، وتحليله تحليلا علمياً كما سنرى فى تحليل الكتب التى وصلت إلينا من آثار الفراء . غير أننى أشير إلى أنه متأثر بكتاب الفاخر للفراء ، ولا غرابة فى ذلك فالمفضل بن سلمة من أهل الكوفة ، ثم هو تلميذ لبعض تلاميذ الفراء ، من هذا التأثر قوله عند تفسيره (مرحباً وأهلا) « قال الفراء معناه رحب الله بك ، وأهلك على الدعاء له فأخرجه مخرج المصدر فنصبه [2] » .

وليس من شك فى أن الفراء كان له كتاب يسمى الفاخر فعدم وصوله إلينا لايشككنا فى حقيقته التاريخية التى أشار إليها ابن النديم [3] وياقوت الحموى [4]

---

(١) اقليد خزانة الادب للميمنى ـ ص ٧٩ ط الهنـد .

(٢) الفاخر فى الامثال للمفضل بن سلمة (ميكروفلم) بالجامعة العربية مأخـوذ من مخطوط من مكتبة نور عثمانية رقم (٤١٣٩) .

(٣) انظر الفهرست ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٤) انظر معجم الادباء ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

وغيرهما من المؤرخين القدماء والمحدثين [1] ويؤيد هذا ما سبقت الإشارة إليه آنفاً من تأثر المفضل بن سلمة بفاخر الفراء .

ومما يتعلق بهذا الكتاب أنه أحياناً يذكر باسم (الفاخر) وأحياناً باسم (المفاخر) بالميم [2] ويبدو أن زيادة الميم من تحريف الناسخ ، قال الميمنى فى التعليق على فاخر المفضل بن سلمة « والمفاخر (بالميم) غلط [3] » وربما كان هذا القول منطبقاً على الفاخر للفراء .

(وبعد) فلئن كان هذا الخطأ من جانب (بروكلمان) قد أجهدنى طويلا دون أن أحصل على طلبتى الحقيقية ، وهى كتاب الفاخر للفراء ، إنه أفادنا فائدة جليلة لاتقل أهمية عن العثور على الكتاب ، وهى تصحيح المعارف العامة بالكشف عن ناحية علمية هامة تتمثل فيما يلى :

(١) أن كتاب الفاخر للفراء ما يزال مفقوداً .

(٢) أن النسخة الموجودة فى تركيا — تلك التى أشار إليها (بروكلمان) برقم (٤٠٠٩) بمكتبة الفاتح — إنما هى للمفضل بن سلمة بن عاصم ، وليست للفراء — ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أنها نقلت من مكتبة الفاتح إلى مكتبة السليمانية باستامبول أيضاً ، نقلت بنفس الرقم كما أخبرنى بذلك صديقنا الذى تولى تصوير (الميكروفيلم) بتركيا .

(٣) أن المفضل الضبى ليس له كتاب بهذا العنوان ، وإنما جاءت النسبة إليه نتيجة اللبس والخلط بينه وبين المفضل بن سلمة .

(٤) أن المفضل بن سلمة لاينتسب إلى بنى ضبة كما كشف عنه البحث والتحقيق فيما أعلم .

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربى — بروكلمان — الملحق ١٧٨/١ ط ليدن .

(٢) انظر الوفيات ٣٠٣/٢ ط بولاق .

(٣) اقليد الخزانة ص ٧٩ ط الهند .

١٢ – كتاب (فعل وأفعل) :

ذكره ابن النديم فى الفهرست [١] وياقوت فى معجم الأدباء [٢] والسيوطى فى البغية [٣] ، ولكن أحداً منهم لم يوضح موضوع الكتاب ، ولست أدرى أصرف هو أم لغة أم كتاب فى العربية بمعناها العام كما هى عادة معظم المؤلفين فى ذلك العهد ، كما أننى لست أدرى علام اعتمد بعض الدارسين المحدثين حين زعم أنه كتاب صرف [٤] ، اللهم إلا أن يكون قد خدعه العنوان فاحتسبه من مباحث الصرف ولكى أتبين موضوع الكتاب رجعت إلى أشباهه ونظائره من المؤلفات التى تحمل هذا الاسم وما أكثرها [٥] غير أن الذى وصل إلينا منها قليل ، من ذلك كتاب أبى بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ) بعنوان (أفعل وفعلت) [٦] وكتاب أبى إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) بعنوان (فعلت وأفعلت) [٧] ، وفيه يذكر ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى واحد ، وعلى لفظ فعلت وأفعلت والمعنى مختلف ، وعلى لفظ فعلت وحده وعلى لفظ أفعلت وحده ...إلخ ورأيت أنهما يعالجان الصيغتين من الناحية اللغوية واستعمالهما فى العربية بوجه عام دون تخصيص للمباحث الصرفية . كما أننى وقفت على نص لابن درستوية تناول فيه صيغتى (فعل وأفعل) تناولا لغوياً لا يمت إلى الصرف بصلة ، جاء فيه « لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجىء بذلك فى لغتين مختلفتين ،

---

(١) ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٢) ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٣) ص ٤١١ ط السعادة .

(٤) انظر نشأة النحو للشيخ الطنطاوى ص ٣٤ – الطبعة الرابعة .

(٥) من ذلك مثلا (فعل وافعل) لأبى العباس الأحوال انظر البغية ص ٣٣ ط السعادة .

(٦) انظر نسخة الأمانة العامة بالجامعة العربية مأخوذة عن نسخة الاسكوريال رقم (٤٤٢) .

(٧) انظر نسخة معهد المخطوطات بالجامعة العربية مصورة عن نسخة بمكتبة أحمد الثالث رقم (٢٧٢٩)

فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم ذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتها . وتعارفها ، ولم يعرف السامعون العلة فيه والفروق ، فظنوا أنها بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم ، فإن كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطئوا عليهم فى تأويلهم ما لا يجوز فى الحكمة ، ولا يجىء شىء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا أو يكون على معنيين مختلفين[1] » وعثرت على نص للفراء نفسه فى أدب الكاتب لابن قتيبة فى باب (أفعلت الشىء عرضته للفعل) جاء فيه « وأبعت الشىء عرضته للبيع ... وقال الفراء : تقول أبعت الخيل إذا أردت أنك أمسكتها للتجارة والبيع ، فإن أردت أنك أخرجتها من يدك قلت بعتها ، قال (أى الفراء) وكذلك قالت العرب أعرضت العرضان أى أمسكتها للبيع ، وعرضتها ساومت بها ، فقس على هذا كل ما ورد عليك[2] » .

وأحسب أنك توافقنى على أنه حديث لا يمت إلى الصرف بصلة إلا أن تكون صلة العربية بوجه عام .

هذا وربما كانت عقيدة (القدرية) هى إحدى العوامل التى دفعت الفراء إلى تأليف هذا الكتاب (فعل وأفعل) ، كغيره من العلماء الذين أسهموا فى هذا الميدان ، وكانت لهم كتب بهذا العنوان ، لأنها تتناول الأفعال التى تتصل بمسألة الجبر والقدر إلى جانب اتصالها بالزاوية اللغوية البحتة ، ومما يؤسف له أن الكتاب قد ابتلعه الزمان ، فلم نعد قادرين على الحكم عليه حكماً يقطع الشك باليقين .

---

(١) المزهر للسيوطى ص ٣٨٤ .

(٢) ص ٣٣١ .

١٣ – (الكتاب الكبير) فى النحو :

ذكره صاحب تهذيب اللغة (ت ٣٦٨ هـ) [١] ، وهو قريب عهد بالفراء إلى حد ما إذ أنه فى طليعة من كتبوا فى تراجم العلماء ، ولم يسبقه (فيما أعلم) إلا أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) .

ويبدو أن الفراء ألف هذا الأثر فى النحو وسماه (الكتاب الكبير) تعريضاً بكتاب سيبويه المعروف (بالكتاب) ، وقد كان شديد المعارضة له [٢] ، كما كان زائد العصبية عليه [٣] فيما يراه البصريون ، فليس غريباً آن يؤلف فى النحو هذا السِّفر الجليل ، وهو المشهور بالنحو حتى قال فيه القدماء (النحو الفراء) [٤] فجعلوه نفس النحو ، كما لقبوه (بأمير المؤمنين فى النحو) [٥] ، كما أنه ليس من الغريب عليه أن يسمى كتابه بهذا الاسم الذى يوحى بالمعارضة السافرة ، فمنطق الأحداث يؤيد هذا وذاك . ومن المؤسف حقاً فقدان هذا الكتاب ولو قدّر له أن يصل إلى أيدينا لرأينا فيه (نحو) هذا الشيخ مجموعاً فى كتاب ، ورأينا فيه اتجاهه الجديد ، الذى سنراه عما قريب ممثلا فى مذهبه النحوى ، باعتباره المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية .

١٤ – كتاب (لغات القرآن) :

وا ضح من العنوان أن هذا الكتاب من الدراسات القرآنية التى عنى بها الفراء ، وجعلها ميدان بحثه لغة ونحواً وصرفاً وقراءة وتفسيراً ، ذكره ابن النديم

---

(١) انظر مخطوطة دار الكتب للأزهرى رقم (٩ لغة) حـ ١ ص فما بعدها .

(٢) انظر الأعلام مثلا ١٧٨/٩ الطبعة الثانية .

(٣) انظر البغية مثلا ص ٤١١ ط السعادة .

(٤) تهذيب التهذيب للعسقلانى ٢١٢/١١ ط حيدر اباد .

(٥) نفس المصدر .

تحت عنوان (الكتب المؤلفة فى لغات القرآن) [1] باسم (كتاب لغات القرآن للفراء) ، ومرة أخرى ذكره باسم (كتاب اللغات) [2] ولم يضفه إلى القرآن الكريم ، وكذلك فعل ياقوت فى معجم الأدباء [3] ، وحذا حذوهما السيوطى فى كتابيه البغية [4] والمزهر [5] وما أحسب ذلك وليد تغاير وإنما هو اختصار فى التسمية على عادة المؤلفين . هذا والكتاب بعدُ مفقود .

١٥ — كتاب (ما تلحن فيه العامة) :

ذكره صاحب الأعلام على أنه كتاب مستقل [6] أما السيوطى فألصقه بكتاب البهاء حيث قال (البهاء فيما تلحن فيه العامة) [7] ولست أدرى أيهما الصواب إذ أن الكتاب مفقود، غير أننى أميل إلى أنهما كتاب واحد، وذلك لقرينتين : أولاهما قرينة سلبية وهى أن كتب الطبقات الأولى أهملت ذكر هذا الكتاب فيما أعلم وأعترف أنها قرينة واهية [8] إذ أن كتب التراجم والطبقات لا تلتزم ذكر جميع المؤلفات ، ومن هنا جاء الوهن .

أما القرينة الثانية فهى قرينة إيجابية تتمثل فى أن كتاب الفصيح المأخوذ من كتاب البهاء كما يرى ابن خلكان ، وكما رجحنا فيما أسلفنا يتناول كثيراً من الكلمات التى تلحن فيها العامة ، والدارس المطلع على الفصيح يُحسّ ذلك ويراه جلياً ، ومن هنا جاء الترجيح بأنهما كتاب واحد ، ولعل صاحب الأعلام قد التبس عليه الأمر فظنه كتاباً مستقلا مثل الكتاب المنسوب إلى الكسائى [9] بهذا العنوان ، وقد عثرت له على موقف آخر يشبه هذا حين

---

(١) انظر الفهرست ص ٥٩ ط الاستقامة ، أو ص ٣٥ ط أوروبا .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٠ ط الرحمانية (ترجمة الفراء) .

(٣) ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٤) ص ٤١١ ط السعادة .

(٥) ٩٦/١ الطبعة الثالثة تحقيق أبى الفضل وآخرين .

(٦) انظر الأعلام لخير الدين الزركلى ١١٤٧/٣ الأولى (ترجمة الفراء) .

(٧) انظر البغية ص ٤١١ ط السعادة .

(٨) اعتمد على مثلها المستشرق العلامة (يوهان فك) فى حديثه عن كتاب الكسائى دون أن يضعفها ـ انظر العربية ص ٨٩ فما بعدها ترجمة الدكتور النجار .

(٩) (يوهان فك) فى كتابه العربية يتشكك فى نسبة الكتاب ويرجح أنه لغير الكسائى انظر ص ٨٩ سنة ١٩٥١ م .

التبس عليه الأمر فنسب إلى الفراء كتاباً ليس له وهو (مختصر فى النحو) وحينما ناقشته فى ذلك اعتذر بأنه من قبيل السهو وقال قد عدلت عنه فى الطبعة الثانية . وسيأتى بيان ذلك عن قريب .

١٦ — كتاب (مجاز القرآن) :

لم أعثر على هذا الكتاب فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع ، غير أن العاملى فى أعيان الشيعة حكى أن بعض المعاصرين نسب هذا الكتاب إلى الفراء، وعقب على ذلك بقوله : « عد بعض المعاصرين من المؤلفين فى مجاز القرآن الفراء يحيى بن زياد النحوى ولم نجد أحداً ذكر له مؤلفاً فى ذلك بعد مزيد التتبع [١] » .

ذلك مبلغ العلم بهذا الكتاب ، وفوق كل ذى علم عليم .

١٧ — مختصر فى النحو :

ذلك هو الكتاب الذى أشرت إليه آنفاً فى حديثى عن كتاب (ما تلحن فيه العامة) ولم أعثر له على ذكر فى أى مرجع من المراجع إذا استثنينا معجم الأعلام للأستاذ الزركلى ، ويخيل إلى أن اللبس جاءه من عبارة السيوطى فى البغية حين ترجم لأبى عمر الجرمى فقال « وناظر الفراء . . . وله من التصانيف التنبيه ... ومختصر فى النحو [٢] » فسبق إلى ذهنه أن المختصر للفراء والحقيقة أنه للجرمى .

١٨ — كتاب (المذكر والمؤنث) :

وصلنا هذا الكتاب ، وسأتحدث عنه بالتفصيل فى موطنه من البحث .

---

(١) أعيان الشيعة للعاملى ٢٠٩/١ الطبعة الأولى .

(٢) بغية الوعاء ص ٢٦٨ ط السعادة .

١٩ ، ٢٠ — مشكل اللغة الصغير ، ومشكل اللغة الكبير :

للفراء كتابان فى مشكل اللغة أحدهما صغير والآخر كبير ، ذكرهما ياقوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء [١] . وهما غير كتاب (مشكل إعراب القرآن ومعانيه) [٢] فذلك فى التفسير وهو الذى عرف باسم معانى القرآن للفراء ، وآية المغايرة أن موضوعهما لغوى بحت ، وموضوع المعانى تفسير يشتمل على جميع الدراسات القرآنية والعربية التى كانت سائدة فى ذلك العهد فهو أشبه ما يكون بالموسوعة العلمية الجامعة وسيأتى الحديث عنه بالتفصيل . ثم هناك دليل آخر هو أن كل من تصدى لهذه الآثار من المؤرخين ميز بينها فجعل كل كتاب مستقلا على حدة ومنسوباً إلى الفراء كذلك . ومعنى هذا أنها آثار متغايرة متعددة . وقد وصل إلينا كتاب التفسير ولم يصل إلينا شىء من كتابى مشكل اللغة .

٢١ — المصادر فى القرآن :

هذا الكتاب من الدراسات القرآنية للفراء كما يبدو واضحاً من العنوان ، وهو ما يزال مطوياً فى ضمير الغيب ، وقد أشار إليه صاحب الفهرست [٣] كما أشار إليه ياقوت الحموى فى معجم الأدباء [٤] والسيوطى فى بغية الوعاة [٥] وذكره العاملى تحت عنوان (مؤلفو الشيعة فى معان شتى من القرآن) [٦] وقد اطلع عليه الأزهرى ونقل عنه نصاً فى كتابه تهذيب اللغة فقال : « وقرأت فى كتاب المصادر للفراء اللُّقَطَة لما يلتقط [٧] » .

---

(١) انظر ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٢) الصفحة الأولى من معانى القرآن ط دار الكتب .

(٣) ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٤) ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٥) ص ٤١١ ط السعادة .

(٦) اعيان الشيعة ٢١٤/١ الطبعة الأولى .

(٧) مخطوطة دار الكتب حـ ٢ ص ٧ برقم (٩) لغة .

٢٢ — معانى القرآن :

هو أهم كتاب وصل إلينا من آثار الفراء ، وسأعطيه اهتماماً خاصاً فى موطنه من البحث .

٢٣ — كتاب (المقصور والممدود) :

هذه هى المخطوطة التى استوردتها من تركيا مع الفاخر فى الأمثال ، وسأفردها عما قريب بالبحث والتحليل .

٢٤ — كتاب (ملازم) :

لا أدرى عنه شيئاً أكثر من الإشارات الخاطفة فى كتب الطبقات [١] اللهم إلا ما يخصونه به من أن الفراء حين الإملاء أخذ بيده نسخة كان يملى منها ، ولم يشاركه فى هذه الخصيصاء إلا كتاب (يافع ويافعة) ، يقول الخطيب البغدادى فى تاريخه « ... حدثنا سلمة ، قال أملّ الفراء كتبه كلها حفظاً لم يأخذ بيده نسخة إلا فى كتابين (كتاب ملازم) وكتاب (يافع ويفعة) (كذا) ، قال أبو بكر بن الأنبارى ومقدار الكتابين خمسون ورقة ، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة [٢] » .

ولست أدرى سبباً واضحاً لتخلف ظاهرة الإملاء عند الفراء فى هذين الكتابين بالذات . فربما كان موضوعهما يستدعى التثبت أكثر من غيرهما وما أحسب أن هذا يستعصى على ذاكرة الفراء ، تلك الذاكرة اللاقطة الواعية كما سلف بها البيان ، أو لعله كان لسبب خارجى يتعلق بانحراف الصحة مثلا فى فترة من الزمان فحيل بينه وبين ما يشتهى من الإملاء وإن لم يحل بينه وبين الإلقاء من الأوراق .

---

(١) انظر مثلا الفهرست ص ٦٦ ط أوروبا وشذرات الذهب ١٩/٢ ، ومعجم الأدباء ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٢) تاريخ بغداد ٥٣/١٤ ط السعادة .

٢٥ ــ كتاب النوادر :

أشار إليه صاحب الفهرست [١] ، وياقوت [٢] ، والسيوطى فى البغية[٣] أما روايته فى المزهر فجاءت هكذا « النوادر واللغات للفراء [٤] » وأحسب أنه يقصد كتابين لا كتاباً واحداً مسمى بهذا الاسم كما يوهمه ظاهر التعبير فخدع به بعض المحدثين [٥] .

ومن توثيق الكتاب أن الأزهرى فى تهذيب اللغة يتحدث عنه فيقول : « سمعنيه أبو الفضل بهذا الإسناد [٦] » يشير إلى الإسناد الآتى : «أبو الفضل ابن أبى جعفر المنذرى عن أبى طالب بن سلمة ، عن أبيه ، عن الفراء » [٧] .

هذا إلى أن الصاغانى فى العباب نقل عن الكتاب فيما يرويه صاحب الخزانة فيقول : « قال الصاغانى فى العباب : العصلبى بفتح العين وسكون الصاد المهملتين الشديد الباقى على المشى والعمل ، وأنشد الأبيات [٨] عن الفراء فى نوادره ، لبعض بنى دبير بضم الدال وفتح الموحدة مصغراً ، وهى قبيلة من بنى أسد [٩] » .

---

(١) ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٢) معجم الادباء ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٣) ص ٤١١ ط السعادة .

(٤) ٩٦/١ ــ الطبعة الثالثة بتحقيق أبى الفضل وآخرين .

(٥) انظر لغة العرب وكيف ننهض بها ــ محمد عطية الابراشى ص ١٢٣ ط النهضة المصرية .

(٦) ٨/١ مخطوطة دار الكتب رقم (٩) لغة .

(٧) نفس المصدر .

(٨) يشير الى قول الشاعر :

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى * مهاجر ليس بأعرابى ...الخ .

(٩) خزانة الادب للبغدادى ٤٣/٤ فما بعدها .

هذه واحدة ، وأخرى نقل عنه أيضاً فى العباب قال البغدادى « قال صاحب العباب قال الفراء فى نوادره : الحلقة بكسر اللام لغـة بلحارث ابن كعب فى الحلقة بالسكون والحلقة بالفتح[1] » ، والكتاب من الذخائر المفقودة .

٢٦ – كتاب الهاء :

عمله الفراء للأمير عبد الله بن طاهر بتكليف من والده طاهر [2] رأس الدولة الطاهرية ، ولاندرى على وجه اليقين ما يحتويه هذا الكتاب ، ويلوح لى أنه من الدراسات القرآنية استناداً إلى ما عثرت عليه من أشباهه ونظائره مثل كتاب الكسائى المعروف « (بكتاب الهاءات المكنى بها فى القرآن) [3] » ويفهم من هذا العنوان أن المراد بالهاءات ضمائر الغيبة الواردة فى القرآن الكريم، وربما كان كتاب الفراء من هذ القبيل ، وإن كنا لا ندرى كذلك على أى نحو تناول دراسة الهاءات (أى الضمائر) ؛ أكانت دراسة نحوية تتعلق بمواقع الإعراب ؟ أم كانت دراسة صوتية تتعلق بالتركيب والبساطة فى الضمائر ؟ أم كانت دراسة بلاغية تتعلق بالالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة مثلا أو العكس ، أو غير هذا وذاك من أضرب الالتفات ؟ أم كانت من دراسة الظواهر اللغوية البلاغية أيضاً كالإظهاز مكان الإضمار أو العكس ؟ أم كانت من الدراسات اللغوية البحتة كثنائية الكلمة وثلاثيتها ؟ .

لست أدرى على أى نحو كان ذلك الكتاب وإن كنت أميل إلى أنه كان من الدراسات اللغوية العامة للقرآن الكريم . وسنظل كذلك دون دليل قاطع ما دام الكتاب مفقوداً .

---

(١) خزانة الادب للبغدادى ١٥٦/٣ ط السلفية .

(٢) انظر البغية ١٧٣ ط السعادة (ترجمة ثعلب) .

(٣) انظر معجم الأدباء ٢٠٣/١٣ ط دار المأمون .

٢٧ – كتاب الواو :

ذكره ياقوت فى معجم الأدباء [١] ويبدو أنه كان موجوداً إلى عهد القفطى (ت ٦٤٦ هـ) حيث يقول فى ترجمة الفراء: « ورأيت له بحلب كتاب الواو فى مجلد عند رجل يعرف . . . بابن المغربى الوكيل فى مجلس القضاة ، ثم تطلبته بعد موته فما ظفرت به [٢] » ذلك مبلغ العلم بهذا الكتاب .

٢٨ – كتاب (الوقف والابتداء) :

أشار إليه ابن النديم فى الفهرست [٣] ، وياقوت فى معجم الأدباء [٤] ويبدو أنه كان فى الدراسات القرآنية ولم يكن خاصاً بالدراسات النحوية كما استظهر باحث محقق فى الكتاب المنسوب إلى ابن جنى [٥] ، وآية ذلك ذلك أن ابن الجهم السمرى صرح فى مرثيته بأنه فى القرآن [٦] كما أن صاحب الفهرست وضعه تحت عنوان (الكتب المؤلفة فى الوقف والابتداء فى القرآن) [٧] .

ومن النصوص التى تشير إليه وتروى عنه نص جاء فى ترجمة (عبيد الله ابن محمد الأسدى) قال فيه : قرأت على شيخنا أبى سعيد (يريد السيرافى) رحمه الله كتاب الوقف والابتداء عن الفراء . روايته عن أبى بكر بن مجاهد عن ابن الجهم عنه ، فمضى فيه بيت أنشده الفراء :

بأبى امرؤ ، والشام بينى وبينه أتتنى ببشرى بردُه ورسائله

---

(١) ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٢) انباه الرواة فى اخبار النحاة للقفطى مصورة دار الكتب ص ٣٢٠ من القسم الثالث بالجزء الثانى .

(٣) ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٤) ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٥) انظر مقدمة الخصائص لفضيلة الشيخ محمد على النجار ص ٦٦ ط دار الكتب .

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٥٤/١٤ ط السعادة .

(٧) ص ٢٦ ط اوربا .

فقلت هذا البيت لا يستقيم ، فقال أبو سعيد كذا أنشده ابن مجاهد عن الفراء وهو كما قال أنشدناه غيره من شيوخنا عن أبي بكر وعن ابن بكير عن ابن الجهم ، وعن ابن الأنباري عن أحمد بن يحيى عن سلمة عن الفراء هكذا .

فقال أبو سعيد ما عندك فيه ؟ فقلت رأيت هذا البيت بخط أبي سهل النحوي في هذا الكتاب (بِأَبْوِي امرؤ)، وقال: رَدَّ الأب إلى أصله لأنه في الأصل عند الكوفيين أبو على فعل مثل نحو وغزو ، فقال لي أبو سعيد: لاينبغي أن تلتفت إلى هذا لأن الرواة والناقلين أجمعوا على أنه مكتوب بأبي وكذا لفظوا به، ولكن إصلاحه (بأبَيَ امرؤ) فيكون (بِأَبَيْمْ)* فعولن وسكن كسرة الباء من أبي لأنه قدره تقدير فخذ [1] ... » .

ومن هنا يتبين لنا أن هذا الكتاب وإن كان مختصاً بالقرآن الكريم إلا أنها دراسات تأخذ طابع الدراسات العربية بوجه عام ، وهو بعد مفقود .

٢٩ — كتاب (يافع ويافعة) :

ليس لدى ما أقوله عن (يافع ويافعة) أكثر مما ذكرته آنفاً في حديثي عن كتاب (ملازم) لاشتراكهما في النصوص ، فلا حاجة إذن إلى التكرار . غير أنني أشير إلى بعض المراجع التي أشارت إليه توثيقاً لنسبته إلى الفراء مثل تاريخ بغداد [2] . ، وتهذيب اللغة للأزهري[3]، ومعجم الأدباء [4] وهو من جملة الذخائر المفقودة .

والآن آن لنا أن نتحدث بالتفصيل عن الكتب التي وصلت إلينا من آثار الفراء مرتبة حسب وحدة الموضوع ، وسأبدأ بالآثار اللغوية الثلاث ، ثم أعقبها بالحديث عن معاني القرآن .

---

(١) معجم الأدباء ٦٣/١٢ فما بعدها .

(٢) ٥٣/١٤ ط السعادة .

(٣) مخطوطة دار الكتب حـ ١ ص ٨ فما بعدها ـ رقم (٩) لغة .

(٤) ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

* بتقطيع العروضيين .

أولا ــ كتاب الأيام والليالى والشهور

نسخ الكتاب :

كنت قد أعددت وصفاً شكلياً للنسخ الخطية لهذا الكتاب قبل أن يطبع الأستاذ إبراهيم الإبيارى تحقيقه عليه ، فلما ظهر الكتاب مطبوعاً محققاً ألغيت ما كنت أعددت واكتفيت بالمطبوع إلا فى القليل الذى ينبغى التنبيه إليه ، غير أنى أشير إلى أماكن المخطوطات ليسهل الرجوع إليها عند الفصل بينى وبين الأستاذ المحقق فيما اختلف فيه الرأى :

(ا) مصورة (فى حوزتى) عن مخطوطة سليم أغا باستامبول رقم (٨٩٣). لها (ميكروفيلم) بمعهد المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية[1].

(ب) مصورة أخرى (فى حوزتى أيضاً) مأخوذة عن مخطوطة مكتبة (لاله لى) (باستامبول رقم (١٩٠٣) ، ولها (ميكروفيلم) بالجامعة العربية [2] .

(جـ) نسخة بدار الكتب بخط الشنقيطى جاء فى نهايتها (وكتبه لنفسه ثم لمن شاء الله تعالى بعده محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقطيى ... غرة المحرم الحرام (فاتح) سنة أربع وثلاثمائة وألف ، بمدينة القسطنطينية ..) ثم كتب فى هامش هذه الصفحة ما يأتى :

(كتبه من نسخة كثيرة التحريف والتصحيف عليها بخط الحافظ السيوطى والمحقق عبد القادر البغدادى ، ولولا حفظى ــ ولله وحده الحمد وله المنة ــ ما حصلت من الأصل على طايل) . وهى محفوظة بالدار ضمن مجموعة خطية برقم (١٣ ــ أدب ش) .

---

(١) انظر فهرس المخطوطات المصورة ص ٢٤٢ .

(٢) انظر المصدر السابق .

(د) وعلى هذه المخطوطات الثلاث اعتمد الأستاذ الإبيارى فى تحقيقه فكان منها الكتاب المطبوع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م ، وهو من إنتاج قسم التراث الثقافى بالإدارة العامة للثقافة ، وزارة التربية والتعليم .

تلك هى نسخ الكتاب – فيما أعلم – المخطوط منها والمطبوع ، وقد أشار (بروكلمان) إلى أماكن بعضها كما سيأتى به البيان .

توثيق الكتاب :

لتوثيق هذا الكتاب ينبغى أن نهدم الشبهات التى قامت فى ذهن كل من (كراتشكوفسكى) المستشرق الروسى [1] ، والأستاذ إبراهيم الأبيارى محقق (الأيام والليالى) حول نسبة هذا الكتاب إلى الفراء .

وتوضيح ذلك أن (كراتشكوفسكى) حين وقف على المجموعة الخطية العربية المحفوظة بمكتبة (سانتبطرسبورج – لننجراد) وجد من بينها مخطوطة تحمل اسم الأيام والليالى ، لكنها منسوبة إلى غلام ثعلب أبى عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) وبحث لها عن نسخة خطية أخرى فلم يعثر لها على أثر فى المجموعات الأخريات ، فأصبحت نسخة وحيدة فى نظره ، غير أنه بدا له أن يعززها بنسخة أخرى فأخذ يشكك فى كتاب الفراء ، تلك النسخة المحفوظة فى مكتبة سليم أغا باستامبول ، والتى وجدها المستشرق (ريتر) منسوبة إلى الفراء زاعماً أنها هى نفس النسخة المنسوبة إلى غلام ثعلب واستظهر بل جزم عن ظهر الغيب دون اطلاع على نسخة الفراء بأنها ليست للفراء ، وشبهته فى ذلك – بل دليله على هذا الزعم – أن الرجل الثالث فى الإسناد الأول

---

(١) او بعبارة اخرى (المستعرب الروسى) كما جاء فى الجمهورية بتاريخ ١٩٦٠/٨/٢٢م .

فى مخطوطة (سانتبطرسبورج) هو الفراء ، ولم يتريث حتى يستبين الأمر . بل تسرع فحكم بالخطأ على النسبة التى وجدها (ريتر) وإليك نص ما قال مترجماً من مقاله الذى كتبه فى مجلة (إسلامكا) :

« هذه الرسالة فى أسماء الأيام لغلام ثعلب المشهور (المتوفى سنة ٣٤٥ هـ سنة ٩٥٦ م) ليست معروفة لى من مجموعات أخرى للمخطوطات ، وهى مذكورة بعنوان كتاب اليوم والليلة فى خزانة الأدب [١] ، ويجوز أن تكون هى نفس الكتاب الذى وجده (ا . ريتر) فى مكتبة سليم أغا باستامبول منسوباً للفراء ، وهذا خطأ يسهل تبينه ، إذ أن العضو الأخير فى أول إسناد فى مخطوطتنا هو أيضاً الفراء ، أما أن هذا الكتاب يرجع أصله فى الحقيقة إلى أبى عمر الزاهد فهذا ما يؤيده كتاب العشرات الذى رواه أيضاً تلميذه ابن خالويه [٢] » .

ويؤخذ من هذا النص أمور كثيرة نلخص ما يعنينا منها فيما يأتى :

(ا) أن النسختين هما كتاب واحد .

(ب) وأن هذا الكتاب هو لغلام ثعلب وليس للفراء .

(حـ) وأن سبب الخطأ فى نسبة الأيام والليالى إلى الفراء إنما هو وجود اسمه فى السند ، فتوهم الناس — فيما يزعم — أن الكتاب للفراء ، والحقيقة تخالف ذلك فى نظر (كراتشكوفسكى) .

(د) ودليله على ذلك وجود اسم الفراء فى آخر الإسناد لا فى أوله .

(هـ) وهناك دليل آخر على أن المخطوطة التى بيده إنما هى لأبى عمر الزاهد غلام ثعلب ، ذلك الدليل هو تأييد كتاب العشرات .

---

(١) بروكلمان — تاريخ الادب العربى مجلد (١) ص ١١٩ .

(٢) Islamica. Editor: Erbrăunlich Volumen Secundum. Fasc. 3. H. 323 فما بعدها . رقمها ورمزها بدار الكتب . (822 per)

نقطة الخلاف بيننا وبين (كراتشكوفسكى) أنه جعل النسختين كتاباً واحداً ، والحقيقة أنهما كتابان مستقلان فيما أرى كما سيأتى به البيان حين المقابلة بين عناوين هذا وذاك وقد زعم (كراتشكوفسكى)ـ كما يؤخذ من مفهوم حديثه ـ أن الناس وهموا فنسبوا الكتاب إلى الفراء حين وجدوا اسمه فى أول إسناد ، وهذا الزعم لا يستند إلى أى دليل حقيقى . فالكتاب الموجود فى استامبول هو حقاً للفراء ، كما أن الكتاب الموجود فى (سانتبطر سبورج) هو حقاً لأبى عمر الزاهد ، وليس هناك ما يدعو إلى التشكك فى نسبة أحدهما إلى صاحبه لمجرد أنهما يحملان اسما واحداً هو (الأيام والليالى) ، فكثير من المؤلفات تحمل هذا الاسم مع اختلاف المؤلفين ولم يشك أحد فيها ويزعم أنها جميعاً لمؤلف واحد ، من ذلك ما جاء فى كشف الظنون .

(١) كتاب الأيام والليالى لثاوذوسيوس (كذا) ثلاثة وثلاثون شكلا .

(٢) كتاب الأيام والليالى لأبى العباس المستغفرى .

(٣) كتاب الأيام لابن السكيت يعقوب بن إسحاق .

(٤) كتاب الأيام لأبى عبيدة .

على أن تلك الحقبة من الزمن قد اشتهرت بأن يقفو الخالف منها السالف فى تأليف الكتب بنفس العنوان الذى سبق به ، من ذلك عنوان (المقصور والممدود) وعنوان (المذكر والمؤنث) وعنوان (النوادر) وعنوان (فعل وأفعل) ... كل أولئك قد اشترك فيه أكثر من مؤلف ، ونظرة سريعة إلى مثل كتاب (حاجى خليفة) ترينا مدى اتفاق أسماء المؤلفات ولهذا عجبت للمستشرق (كراتشكوفسكى) كيف انزلق من هذه الثغرة رغم أنها لاتخفى على كثير من الدارسين .

هذا إلى أن النسخة المحفوظة فى مكتبة سليم أغا ـ تلك التى تحدث عنها (كراتشكوفسكى) ولم يطلع عليها ـ ، قد وصلت صورتها إلى يدى واطلعت

عليها فوجدت أول إسناد فيها مصدراً باسم الفراء ليس غير ، وفى هذا دلالة جزئية على أن هذا الكتاب غير الذى بيده ، وإليك النص بعد الافتتاح : « قال الفراء يحيى بن زياد أبو زكرياء[1] يقال يوم وأيام والأصل أَيْوام . الخ [2] » .

وليس هذا هو التغاير الوحيد بل هناك تغاير آخر أكبر وأكبر استنتجته من المقارنة بين عناوين أبواب كتاب الفراء كما رأيتها فى النسخة التى أملكها ، وبين عناوين أبواب كتاب أبى عمر الزاهد كما رواها لنا (كراتشكو فسكى) نفسه فى مقاله التحليلى فى مجلة إسلامكا ، وإليك العناوين فى الكتابين :

(أ) ترتيب كتاب الفراء كما يلى :

(١) باب تسمية الأيام وتثنيتها وجمعها على لغتين .

(٢) باب تسمية الأيام باللغة الثانية وهى لاتنصرف .

(٣) باب تسمية الشهور وتثنيتها وجمعها على لغتين .

(٤) باب تسمية الشهور باللغة الثانية .

(٥) باب الهلال وما يقال فيه .

(٦) باب من صفة الليالى .

(٧) باب من ذكر الأيام .

(٨) باب تسمية ساعات الليل .

(٩) باب فى الحديث عن الدهر .

(١٠) باب فى تفسير الأيام المعلومات والأشهر المعلومات وما إلى ذلك :

---

(١) فى الاصل يحيى بن زكريا وصوابه ما اثبته .

(٢) انظر (مصورتى) فى الايام والليالى للفراء عن مخطوطة سليم اغا باستامبول رقم (٨٩٣)

(١١) باب فى الحديث عن العام وأوصافه .

(١٢) باب الشمس والقمر وما يقال فيهما .

(١٣) باب يشتمل على متفرقات من صلاة الشاهد والملث والأصيل .

تم الكتاب بحمد الله وعونه ، وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا (١) .

هذا هو ترتيب الكتاب ، وتلك هى عناوين الأبواب كما يصورها لنا كتاب الفراء (٢) .

(ب) ترتيب كتاب أبى عمر الزاهد وعناوين أبوابه :

(١) باب من أسماء أيام .

(٢) باب آخر فى الشهور .

(٣) باب الشهور .

(٤) باب أسماء السنين .

(٥) باب من الأيام والشهور والأعوام .

(٦) باب العام وأسمائه والدهور .

ثم قال (كراتشكو فسكى) : بين ورقة ٩ و ١٠ يوجد خرم من عدة ورقات ، ثم يلى ذلك الكلام عن ليلة وظلمة ، البداية فى الأول بلا عنوان . . ثم عاد فقال :

(٧) باب أسماء الشهور بلسان حِمْيَر .

(٨) باب تسمية ساعات الليل .

---

(١) مصورتى عن مخطوطة سليم اغا رقم (٨٩٣) .

(٢) بعض هذه العناوين ليست من وضع المؤلف ، وانما وضعتها على غرار منهجه فى سائر العناوين وهى (١ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٣) مع ملاحظة ان ترقيم الأبواب فى الكتابين من عندى .

(٩) باب آخر من أوقات الليل .

(١٠) باب الشمس .

(١١) باب الهلال وأسمائه .

(١٢) باب أسماء الليالى ثلاثا ثلاثا .

(١٣) باب فى ذكر الأيام .

(١٤) باب ذكر أيام البرد .

(١٥) باب ذكر الشهور .

(١٦) باب فى صفة أيام الحر .

(١٧) باب فى اليوم الطويل .

(١٨) باب فى ستة الأيام .

(١٩) باب الفرق بين السراب والآل .

(٢٠) باب آخر فى الأيام وبردها وحرها .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب فى أوائل ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وألف على يد العبد الفقير ، مدين بن عبد الرحمن الطيب بدار الشفاء بمصر ، غفر الله له كل إصر[1] ،،

وغنى عن البيان أن ننبه إلى مدى الخلاف بين الكتابين ، فمجرد النظر كفيل بتحقيق ذلك ، وكم كنت أود أن أحصل على صورة من المخطوطة الموجودة بروسيا لتكون المقارنة على أساس من واقع الكتابين بدلا من الاعتماد على كلام (كراتشكو فسكى) فى العناوين ، كما أن الحصول عليه كان سيقفنا على مدى اتفاق الكتابين أو اختلافهما فى النصوص .

على انى لم أقف عند حد التمنى ، بل حاولت محاولة جادة فى الحصول على هذا الكتاب بل فى الحصول على المجموعة الخطية كلها ، تلك التى تناولها

---

(١) (ص ٣٣٣) من مجلة اسلامكا ـ مجلد (٢) العدد الثالث .

(كراتشكو فسكى) بالبحث والدرس فى مقاله بمجلة (إسلامكا) وهى — تشتمل على كتاب (الريح لابن خالويه)[1] وكتاب (الأضداد الأصمعى) وكتاب (الأيام والليالى لأبى عمر الزاهد)[2] ولكن الأيام لم تسعدنى حتى الآن بتلقى هذه المخطوطة النادرة .

مناقشة أدلة (كراتشكوفسكى) :

ليس لديه من الأدلة إلا ماذكره من أن كتاب العشرات يؤيد ذلك ، أى يؤيد أن المخطوطة التى بين يديه ، تلك المخطوطة المحفوظة بمكتبة (سانتبطر سبورج) إنما هى لأبى عمر الزاهد وليست للفراء ، ونحن نوافقه على ذلك فليس لدينا مانعترض به على نسبتها إليه ، وإنما اعتراضنا على زعمه بأن المخطوطة التى بين يديه هى نفس المخطوطة التى بمكتبة سليم أغا . وقد بينا فيما أسلفنا فساد هذا الزعم ، ومن هنا سقط هذا الدليل فلا يصح الاستدلال به على مالا يصلح دليلا عليه.

بقى هناك دليل أو شبه دليل آخر وهو ذكر اسم الفراء فى آخر السند لافى أو له ، فربما توهم (كراتشكو فسكى) كما توهم الأستاذ الإبيارى أن هذا الوضع يدل على أن الكتاب ليس للفراء وإنما هو لجامع متأخر عن زمن الفراء[3] وللرد على هذه الشبهه أقول :

إن الفراء كان شيخ إملاء ، فكان يملى والوراقون يكتبون ، ومن عادة القدماء أن يوثقوا كل خبر سمعوه بإسناده إلى من سمع منه أو قرئ عليه[4] ،

---

(١) وهو من مخلفات المرحوم محمد عياد الطنطاوى الذى كان أستاذا بجامعة (سانتبطرسبورج) انظر مجلة اسلامكا ص ٣٢١ من العدد الثالث بالمجلد الثانى .

(٢) حاولت من طريق سفارتنا بليبيا الشقيقة سنة ١٩٥٨ م وقدمت طلبا رسميا لرئيس البعثة التعليمية آنذاك ، وهو بالتالى قدمه لسفارة الجمهورية العربية المتحدة ولم ادر ما ذا تم فيه .

(٣) انظر مقدمة الابيارى لكتاب الأيام والليالى ص ن ط المطبعة الاميرية سنة ١٩٥٦ م.

(٤) سواء أكان ذلك فى الأحاديث النبوية كما جاء فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما أم كان فى الأخبار الادبية كما جاء فى كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى أم كان فى المسائل العلمية كما فى مجالس ثعلب وكتاب المعانى للفراء .

وهكذا يفعل جيل بعد جيل ، ومن هنا يتكون السند ويأتى الإسناد ، فإذا ما رأينا فى كتب الفراء أو غيره سلسلة من السند أيقنا أنها للتوثيق لا للتوهين .

ولست أدرى كيف تبادر إلى ذهن هذين العالمين المحققين مثل هذا الرأى فتوهما أن وضع الفراء هكذا فى السلسلة مما يشكك فى نسبة الكتاب إليه ، ؟ ولو جاز لنا أن نجاريهما فى هذا لنفينا عن الفراء كل مؤلفاته وبخاصة (معانى القرآن) فإنه مملوء بمثل هذا التوثيق كما سيأتى به البيان . ولم يقل بذلك أحد ، بل لم يدر بخلد إنسان فيما أعلم .

ولدينا كثرة كاثرة من النصوص التى تثبت صحة ما أقول ، غير أننى سأجتزئ هنا ببعض الأسانيد المماثلة المعتمدة إيثارا للإيجاز ، وإليك البيان :

(أ) جاء فى أول كتاب المعانى للفراء هذا السند : « حدثنا أبو منصور . . . . قال حدثنا أبو الفضل يعقوب . . . قال سمعت أبا عبد الله محمد بن الجهم . . . قال حدثنا الفراء . .» الخ ، ، .[1] فأنت ترى أن الفراء كان العضو الرابع فى الإسناد ، ولم يتشكك أحد فى نسبة الكتاب إليه ، ولو كان هناك موضع للشك لما تجاوزه المحققان الجليلان[2] .

(ب) كما جاء فى أول خبر فى مجالس ثعلب هذا السند :

« أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن كليب الحرانى قراءة عليه — حدثنا أبو على محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع — حدثنا أبو على الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان قراءة عليه وأنا أسمع فأقربه — حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم المقرئ فى منزله بحضرة الشرقية بدرب النحاسين يوم الجمعة صلاة الغداة سلخ جمادى الآخرة من سنة أربع

---

(١) المعانى ١/١ ط دار الكتب .

(٢) الاستاذان الشيخ محمد على النجار وأحمد نجاتى .

وأربعين وثلاثمائة – حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى – حدثنا ابن شبة قال أخبرنى الطائى قال : قال القاسم بن معن : كانت أم سعيد بنت سعيد ابن عثمان بن عفان عند هشام بن عبد الملك ثم طلقها فندم على طلاقها » . . الخ[1] ، ، .

هذه مجالس ثعلب تطالعنا بأول خبر من أخبارها وفيه سلسلة طويلة تبلغ التسعة من رجال السند ، على أن أبا العباس ثعلبا ليس أولها كما أنه ليس آخرها بل ترتيبه يقع فى الحلقة السادسة من هذه السلسلة ، ومع هذا لم يتشكك أحد فى نسبة الكتاب إليه ، ويبدو أن القدامى والمحدثين مجمعون على توثيق الكتاب ، وآية ذلك أننا لم نعثر من جانبنا على أى تشكيك فى نسبته ، كما أن محققه لم يشر فى المقدمة إلى أى شك فى هذه النسبة ولو كان هناك شك لصرح به كما فعل فى نسبة الفصيح إلى ثعلب[2] ، هذا إلى أن هناك لجنة من أعلام النهضة الحديثة قد أقرت نسبة المجالس إلى ثعلب دون إبداء أدنى شك فى ذلك[3]

(٣) فهل بعد هذا يحق لباحث أن يتشكك فى نسبة كتاب لمجرد أنه وجد اسم صاحبه يتوج سلسلة الإسناد .

هذا ماكان من أمر (كراتشكو فسكى) والأستاذ الإبيارى معاً ، والآن نفرغ لمناقشة الأستاذ الإبيارى وحده ردا على الشبهات التى أثارها – وانفرد بها – حول نسبة الكتاب إلى الفراء ويكاد موقفة يتلخص فى نقطتين :

أولا : أنه يشك فى أن للفراء كتابا بهذا الاسم ، ويثير كثيرا من الشبهات فى نظره وسأرد عليها واحدة واحدة .

---

(١) مجالس ثعلب صـ ٣ فما بعدها ط دار المعارف .

(٢) انظر مقدمة المجالس للاستاذ عبد السلام هارون صـ ٢١ ط دار المعارف .

(٣) انظر كلمة اللجنة صـ ٨ ط دار المعارف فى طليعتهم طه حسين وابراهيم مصطفى ، واحمد امين ، والجارم ، وعبد الوهاب عزام .

ثانيا : أنه يتشكك فى نسبة هذا الكتاب الذى بين أيدينا إلى الفراء ، بناء على مابدا له من ملاحظات سأتعرض لها بالعرض والنقد فيما بعد – وذلك بعد أن سلّم بعض التسليم بأن للفراء كتابا فى الأيام والليالى[1] . وإليك ماأثاره من الشبهات :

الشبهة الأولى :

قال فى مقدمته : « وأعرف ممن ترجموا للفراء ابن النديم فى كتابه الفهرست وياقوت فى كتابه إرشاد الأريب ، وابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان وابن الأنبارى فى كتابه نزهة الألباء ، والقفطى فى كتابه إنباه الرواة ، والسيوطى فى كتابه بغية الوعاة ، ولكنى لم أعرف واحدا منهم ذكر له هذا الكتاب (الأيام والليالى والشهور) بين ماذكر من مؤلفاته وإن كانوا كلهم لم يبلغوها عدا واجتزءوا بذكر آحاد منها[2] » .

وللرد على هذه الشبهة نقول : إن هذه المراجع الخمسة ليست كل شىء ، ثم إنها لم تنص على نفى نسبة الكتاب ، كما أنها لم تدّع الحصر والاستقصاء – وقدنبه الأستاذ المحقق إلى ذلك – بل إن معظمها إن لم يكن كلها يقول بعد ذكر آحاد منها عبارته التقليدية « وغير ذلك » ، .

على أننى وقفت فى مراجع عدة على نسبة هذا الكتاب إلى الفراء من ذلك :

(١) بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى تحدث عن الأيام والليالى للفراء وعدد نسخه وحدد مواطنها[3] كما سلف به البيان .

(٢) مجلة إسلامكا أشارت إليه فى المقال الذى كتبه المستشرق الروسى (كراتشكو فسكى)[4] .

---

(١) انظر مقدمة الايام والليالى صـ (م) ط الاميرية .

(٢) نفس المصـدر ص.ح .

(٣) انظر ترجمة الفراء فى الملحق ١٧٨/١ .

(٤) انظر حـ ٢ صـ ٣٣٢ فما بعدها .

(٣) مجلة المستشرقين الألمان تحدثت عنه ونسبته إلى الفراء فقالت : « كتاب الأيام والليالى والشهور للفراء . . . . . ،حجم ١٦ × ٢٣، وفى آخره مكتوب تم الكتاب مخطوط بلا تاريخ[١] » .

(٤) ومن القدماء أبو جعفر النحاس أشار إليه فى حديثه عن صناعة الكتاب فيما يرويه القلقشندى حيث يقول : « وحكى ابن النحاس مثله عن كتاب الفراء فى الأيام[٢] » .

(٥) أما السيوطى الذى ذكره الأستاذ الإبيارى على أنه لم ينسب فى بغيته الأيام والليالى إلى الفراء فقد رأيناه فى كتابه المزهر يكرر نسبته إليه تكرارا لايدع مجالا للشك فيه ، ولا يكتفى بذلك بل ينقل عنه النصوص فى كثرة ظاهرة، من ذلك :

(ا) « قال الفراء فى كتاب الأيام والليالى إذا اجتمعت الواو والياء فى كلمة واحدة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت نحو أيام وكية : ، وغية ، ونية ، وأمنية وأربية ، وهذا قياس لا انكسار فيه إلا فى ثلاثة أحرف نوادر قالوا ضيون وهو السنور البرية ، وقالوا رجاء بن حيوة، وقالوا خيوان لحى من العرب، فجاءت هذه الأحرف الثلاثة نوادر بلا إدغام[٣] ،، .

(ب) ومما جاء فى المزهر قوله « وفى كتاب الأيام والليالى للفراء يوم عرفة لاتدخل فيه الألف واللام ، لاتقول العرفة[٤] » .

---

(١) Zeitschrift - Der - Deutschen morgenländischen Gesellschaft. 68 Band. Mit 2 Tafeln Leipzig 1914.

(٢) صبح الاعشى ٢/٣٥٢ ط المطبعة الاميرية .

(٣) المزهر للسيوطى ٢/٧٦ ط الحلبى .

(٤) ٢/١٥٨ ـ ط الحلبى .

(حـ) وقوله « وفى كتاب الأيام والليالى للفراء يقال ليلة ليلاء ، وليل أليل ، وظلمة ظلماء ، ودهر داهر[1] » .

(د) وقال فى موطن آخر « وفى نفيسات الأيام والليالى للفراء قال المفضل آخر يوم فى الشهر يسمى ابن جمير . . . . الخ[2] ».

(هـ) وفى موطن خامس قال « وفى كتاب الأيام والليالى للفراء : يقال مضى دُهل من الليل ودهل بالذال والدال[3] » .

(و) وفى موطن سادس يقول « قال الفراء فى كتاب الأيام والليالى خزان من العرب من يخففه ومنهم من يشدده . . . » الخ[4] .

إلى غير ذلك من النصوص التى تقطع الشك باليقين ، ولولا خشية الإطالة لذكرت كل ماوقفت عليه ، ولكنى أكتفى بهذا القدر لأتفرغ لرد شبهة أخرى.

الشبهة الثانية :

أن كتب اللغة وما إليها لاتذكر نقلا واحدا معزوا للفراء وإليك نص حديثه ، قال فى مقدمته : « وتجىء كتب اللغة وما إليها قبل هذا بنقول كثيرة مثل هذه التى انتظمها كتاب الأيام والليالى والشهور فلا تذكر منها نقلا واحدا معزوا إلى الفراء كما تفعل فى الكثير ، ولو قد فعلتْ لمالت بنا إلى التفكير فى أن للفراء كتابا فى هذا الميدان[5] » .

أكبر ظنى أن ماسلف من النصوص فى رد الشبهة الأولى كفيل بأن يدحض الشبهة الثانية ، وإن أردنا المزيد فعلينا بصبح الأعشى فى الفصل الذى عقده تحت

---

(١) المزهر للسيوطى ٢٤٨/٢ ط الحلبى .
(٢) نفس المصدر ١٥٨/١ .
(٣) المصدر السابق ٥٤٦/١ .
(٤) نفس المصدر ٢١٩/١ .
(٥) صـ (ط) من مقدمة الايام والليالى بقلم الاستاذ الابيارى ط الاميرية .

عنوان (المدرك الثانى فى أسمائها — أى أسماء الأيام والليالى — وقد اختلف فى ذلك على ثلاث روايات) : ففيه نقول كثيرة معزوة إلى الفراء ،وسنكتفى — بالإشارة إلى مواطنها إيثارا للإيجاز[1] ، ومن لم يكتف بهذا وذاك فعليه بنقول المرزوقى عن الفراء فى حديثه عن الأيام والليالى ، تلك النقول التى تكاد تجمع الجزء المفقود من الكتاب[2] ولعلى لاأكون مغاليا إذاقلت: إنها تكاد تستغرق جل الكتاب — أعنى كتاب الفراء — وسأكتفى بالإشارة إلى أرقام الصفحات فى جزء واحد من كتاب المرزوقى ذلك الذى يسمى (بالأزمنة والأمكنة)[3] .

الشبهة الثالثة :

ومن مرجحات الشك عنده أن (حاجى خليفة) ذكر كتبا أربعة باسم الأيام والليالى لم يذكر منها كتابا للفراء[4] .

وللرد على هذه نقول : إن (حاجى خليفة) لا يستقصى جميع المؤلفات ، وإنما يبذل ماوسعه الجهد فى ذكر مايحصل عليه ، بدليل أن كثيرا من المؤلفات لم يتعرض لها بذكر مع أنها مذكورة فى غيره بل موجودة فى الواقع الخارجى ، مثل كتاب (المقصور والممدود) للفراء[5] ، وأكثر من هذا أن مؤلفين

---

(١) انظر حـ ٢ صـ ٣٥٢ فما بعدها ط الاميرية سنة ١٩١٣ م .

(٢) سيأتى أن النسخ التى وصلت الينا بها خرم ملحوظ .

(٣) انظر الجزء الأول صـ ٢٥ و ٦٨ و ١٧٠ و ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٨ و ٣٠٠ و ٣٠٥ و ٣٢٣ و ٣٢٩ و ٣٣٩ — الطبعة الأولى بالهند سنة ١٣٣٢ هـ .

ولعل قائلا يقول : كتاب الأزمنة والأمكنة ، وكذلك صبح الاعشى ، كلاهما ليس من كتب اللغة بالمعنى الاصطلاحى الضيق فلا يصح الاستشهاد بهما للرد على الأستاذ الابيارى ، وحينئذ نذكره بعبارة الأستاذ الابيارى نفسه حيث قال « ان كتب اللغة وما اليها ... » فهذان الكتابان وان لم يكونا من كتب اللغة ... فانهما داخلان فى قوله « وما اليها » .

(٤) انظر مقدمة الأيام صـ (ط) .

(٥) مخطوطة مصورة فى حوزتى وسأتحدث عنها فيما بعد .

آخرين قد ألفوا فى الأيام والليالى كغلام ثعلب مثلا [1] ومع ذلك لم يرد لهم ذكر فى كشف الظنون لحاجى خليفة ، لهذا لايصح الاحتجاج بمطلق السلبية . ومعلوم أن حاجى خليفة لم ينف نسبة هذا الكتاب إلى الفراء ، كما أنه لم يدّع حصر جميع المؤلفات فى هذا الباب .

الشبهة الرابعة :

ماجاء من إسناد باب الهلال إلى الكسائى دون أن يذكر فيه اسم الفراء ، ثم توهم أن الكسائى نِدٌّ للفراء كما كان ابن كناسة نداً له ، وكلاهما له محل من الكتاب يروى فيه عنه ، ثم مضى فى تشككه وقال : « يعضدنى ذكر هؤلاء الشيوخ الذين عاصروا الفراء وكانوا له أندادا ولم يعودنا الفراء الأخذ عنهم [2] » .

وللرد على هذه الشبهة نقول : إن الكسائى ليس ندا للفراء كما ذكر الأستاذ المحقق ، وإنما هو شيخ له بل إنه أبرز شيوخ الفراء على الإطلاق ، ولاتكاد تفتح مرجعا من المراجع التى ترجمت لأبى زكرياء حتى ترى فيه أن الكسائى كان شيخا للفراء [3] .

هذا من حيث التراجم فى كتب الطبقات أما من حيث النصوص التى عودنا الفراء أخذها عن الكسائى فإنها تكاد تستعصى على الحصر والاستقصاء ، ولست أدرى كيف ساغ لأستاذنا أن يقول ماقال : وسأكتفى بالإشارة إلى بعضها إيثاراً للإيجاز [4] .

---

(١) انظر مجلة اسلامكا .

(٢) المقدمة صـ (س) .

(٣) انظر مثلا تاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة ، ومعجم الادباء ٩/٢٠ ط دار المأمون وبغية الوعاة صـ ٤١١ ط السعادة ، وتهذيب اللغة للازهرى مخطوطة دار الكتب رقم (٩) لغة ـ ترجمة الفراء ٨/١ ، وتاريخ الادب العربى ـ بروكلمان ـ الملحق ١٧٨/١ ط ليدن.. الخ .... الخ .

(٤) انظر مثلا المزهر للسيوطى ١٤٦/١ ط الحلبى ، ثم انظر المذكر والمؤنث للفراء ط حلب ، وانظر المقصور والممدود للفراء ـ لوحة ٢٦ وفى لوحة ٢٨ مرتين بالايمن والايسر ، وفى لوحة ٣٠ مرتين ايضا فى الجانب الايمن (مصورتى) .. الخ .. الخ .

أما أن (ابن كناسة) كان ندا للفراء وترك الدنيا عام تركها الفراء فذلك مالا أشك فيه ، غير أن هذا لايستوجب التشكيك حتما فى رواية الفراء عنه ، فقديما كانوا يقدرون العلم للعلم ويحرصون عليه ولو جاء هم ممن هو أصغر منهم شأنا أوسنا ، والتاريخ حافل برواية الأكابر عن الأصاغر فما بالك بالأنداد على أن الفراء نفسه عودنا الأخذ عمن هو فى طبقته مثل القاسم بن معن — طالما وجد عنده جديدا،وتلك شيمة العلماء ، ولاننسى أن موضوع الأيام والليالى يعتمد على السماع من أفواه العرب وليس للرأى فيه كبير مجال ، فرواية شىء من هذا القبيل عن الند أو أقل من الند لاتستوجب الشك أو التشكيك .

كل هذا إذا اعتبرنا أن جميع مافى الكتاب إنما هو للفراء سماعا بنفسه من العرب ، أو رواية عن غيره وإن كانوا من الأنداد ، والآن نود أن نوجه النقاش وجهة أخرى ونسلم بأن بعض الكتاب ليس منه ، وحينئذ نقول للأستاذ المحقق : إن وجودبعض عبارات أوروايات دخيلة فى كتاب لايقدح — حتما — فى توثيق نسبة الكتاب ، ولهذا نظائر فى أكثر من كتاب ، وليس بدعا أن نرى ذلك فى تلك الحقبة التى كانت تعتمد أكثر ماتعتمد على الإملاء ، فهذا هو كتاب (البصريات) لأبى على الفارسى جاء فيه قال (أبو على أيده الله[1]) وواضح أن الدعاء ليس من كلام الشيخ ، كما جاء فيه (قال الشيخ وقت القراءة عليه)[2] وهى من عبارات التلميذ ، وهذا هو كتاب المجالس لثعلب ترى فيه صفحات عدة ليست من الكتاب فى شىء[3] وإنما هى دخيلة عليه رواها ابن مقسم أحد رواة المجالس[4] وقد نص على أنها ليست لثعلب[5] وقد رأينا منذ قريب أن أحداً لم يتشكك فى نسبة الكتاب .

---

(١) (المسائل البصريات) لوحة ٥٨و٥٩ مصورة معهد احياء المخطوطات بالجامعة العربية مأخوذة عن مخطوطة شهيد على بالاستانة رقم ٢٥١٦ : ٢ .

(٢) نفس المصدر لوحة (٥٦) .

(٣) انظر مجالس ثعلب من صـ ١٦٣ الى نهاية صـ ١٦٦ ط دار المعارف .

(٤) انظر مقدمة المجالس صـ ٢٤ .

(٥) انظر صـ ١٦٣ ط دار المعارف .

وقد رأيت مثل هذه الروايات الدخيلة فى أثر آخر من آثار الفراء هو كتاب (المقصور والممدود) جاء فيه « ويقال هو يتنفس الصعداء ، وكل ماجاءك فى آخره ألف مضموما أوله على هذا المثال فهو ممدود إلا ثلاثة أحرف جئن نوادر ، من ذلك الأُرَبَى وهى الداهية مقصورة ، والأُدَمَى اسم موضع ، وشَعَبَى اسم بلدة مقصورات ، قال الشاعر :

أعبدا حل فى شعبى غريبا ألؤما لا أبالك واغترابا :

(بعد هذا مباشرة علق راوى الكتاب بمقالة لسلمة أحد تلاميذ الفراء وأدخلها فى صلب المخطوطة فقال :

« قال سلمة تكتب الأربى والأدمى وشعبى بالياء لأن الأصل فيهن المد ، وليفرق كَتْبهن فى المد والقصر (١) » .

على أن هذه الظاهرة لم تقتصر على كتب الأمالى فحسب بل وجدناها كذلك فيما يؤلف من الكتب تأليفاً مثل كتاب سيبويه فقد جاءت فيه عبارات دخيلة ليست منه فى قليل أو كثير . مثل ما جاء فى تقديم أحد شواهد الكتاب ، « ويقال وضعه النحويون[٢] » وكذلك ما جاء عند شاهد آخر « لرجل من بنى سلول مولّد[٣] » ، وواضح كما يقول (يوهان فك) أن مثل هذه العبارات ليست من مقول سيبويه ، وإنما هى « من وضع مخرج الكتاب[٤] » و « لا يمكن أن تكون من قول المؤلف [٥] » .

---

(١) صـ ٢٥ من مصورتى فى (المقصور والممدود) للفراء .

(٢) أنظر الكتاب حـ ١ صـ ٤٣٤ ط بولاق .

(٣) نفس المصدر ٤١٦/١ .

(٤) العربية ليوهان فك ـ ترجمة الدكتور النجار صـ ٥٢ ط دار الكتاب العربى .

(٥) نفس المصدر صـ ٥٢ .

الشبهة الخامسة :

أن نُقولاً أوردها المرزوقى وغيره مسندة إلى الفراء تغاير نظائرها فى (الأيام والليالى) ، وتربى عليها أو تنقص عنها[1].

ومن السهل أن نرد على هذه الشبهة بأن الكتاب كان وليد إملاء كما علمنا ، والمملى عليهم يختلفون فى المواهب والقدرات ، فلا غرابة — إذن — إن وجدنا اختلافاً بين الروايات كما حدث فى كتاب المعانى بين رواية ابن الجهم السمرى ، ورواية سلمة بن عاصم ، وكلاهما أخذه عن الفراء ، كما سيأتى به البيان[2] ، ولم يتشكك أحد فى نسبة الكتاب إليه .

على أن النسخ التى وصلت إلى أيدينا من كتاب الأيام والليالى للفراء بها نقص ملحوظ[3] فقد يكون هذا الذى وجدناه فى غير الكتاب من ذلك الجزء المفقود ، هذا إلى أنه ليس من اللازم أن يتقيد الفراء فى حديثه عن الأيام والليالى والشهور بما جاء فى كتابه ، بل له أن يتحدث بكل ما يسمع دون تقيد بما جاء فى الكتاب ، ومن يدرى لعل السماع جاء بعد الفراغ من التأليف فتحدث به ورواه الراوون عنه حتى وصل إلى المرزوقى وغيره من المؤلفين وليس فى هذا ما يدعو إلى الريبة فى نسبة الكتاب .

إلى هنا أحسب أننى وفيت بعض ما وجب على من دفع الشبهات وقد آن لنا أن ننتقل من التوثيق الشكلى التاريخى ، إلى التوثيق الموضوعى المنهجى ، وذلك باستخراج خصائص الفراء التفكيرية والتعبيرية من الكتاب نفسه توثيقاً لنسبته إليه ، كما أننا نقابل ما وقفنا عليه من النصوص الخارجية بأمثالها من الكتاب إمعاناً فى التوثيق ، وإليك البيان :

---

(١) انظر المقدمة ص (س) .

(٢) انظر مبحث (معانى القرآن) للفراء .

(٣) انظر ص ٢١ من الأيام المطبوعة أو لوحة (٩) من مخطوطة سليم آغا .

(ا) من خصائص الفراء الضبط والتقعيد كما وضحت ذلك بالتفصيل فى موطنه من البحث[1] وقد لحظت هذه الطريقة نفسها فى كتاب الأيام والليالى حيث يقول :

« العرب إذا جمعت بين الياء والواو فى كلمة واحدة وسبق أحدهما بالسكون قلبوا الواو ياء وأدغموا وشددوا[2] » إلى غير ذلك من عبارات الحصر والضبط[3] .

(ب) ومن خصائصه الاعتداد بالقياس تحقيقاً لمنهجه فى الجمع بين المذهبين (البصرى والكوفى) وسيأتى بالتفصيل[4] ، وقد لحظته فى هذا الكتاب ينتهج نفس المنهج الذى نراه فى آثاره الأخرى ، فيقول مثلا بعد ذكر الرواية ، « وهذا قياس لا انكسار فيه إلا فى ثلاثة أحرف نوادر[5] » أو يقول « وهو القياس غير أنهم لم يتكلموا به[6] » ثم نراه يحكم القياس فى جموع التكسير وإن لم يسمعها من العرب[7] كما نراه يسعى جاهداً إلى إثراء اللغة عن طريق القياس[8] ، وتلك خصائص الفراء كما سيأتى بها البيان .

(حـ) ومن خصائصه التعبيرية قوله : هذا (أعجب إلى) حين يعقب على شىء محبب إلى نفسه وقد رأيت هذا التعبير فى كتاب الأيام

---

(١) انظر (مذهبه فى النحو) .

(٢) صـ ١ ط الاميرية .

(٣) انظر صـ ١١ و صـ ٥٣ من نفس المصدر .

(٤) انظر (مذهبه فى النحو) .

(٥) صـ ٢ من الايام والليالى تحقيق الابيارى .

(٦) نفس المصدر صـ ٣ .

(٧) انظر صـ ٤ من نفس المصدر .

(٨) صـ ٥ من المصدر السابق .

والليالى[1] كما رأيته فى كتاب المعانى وفى كتاب المذكر والمؤنث للفراء[2]، فوجود هذا التعبير الغريب فى جميع آثاره ربما يدل دلالة واضحة على أنها جميعاً من مشكاة واحدة .

(د) ومن أسلوبه فى التأليف أنه بعد أن يعرض المسألة الجزئية يضع لها القاعدة الكلية ممثلا ومستشهداً بالآيات القرآنية وبالروايات العربية وقد فعل كل ذلك فى أول كتاب الأيام والليالى مما يجعلنا نرجح أنه أثر من آثاره، صحيح أن هذه الطريقة ليست خاصة بالفراء لكنها على أية حال لا تخلو من الدلالة على منهجه فى التناول .

هذا من حيث الخصائص ، أما التوثيق بطريقة النصوص فقد تجمّع لدينا منها عدد وفير ، وسأجتزئ بالنزر اليسير إيثاراً للإيجاز ، وإليك البيان :

أولا :(ا) جاء فى كتاب المزهر نقلا عن الأيام قوله « وفى كتاب الأيام والليالى للفراء يوم عرفة لا تدخل فيه الألف واللام لا تقول العرفة[3] » .

(ب) وفى كتاب الأيام الذى بين أيدينا – ذلك الذى تشكك فيه الأستاذ الإبيارى جاء نفس التعبير حيث قال « ويوم عرفه لا تدخل فيه الألف واللام لا تقول العرفة[4] » .

ثانياً : (ا) جاء فى المزهر أيضاً قوله « مضى ذهل من الليل ودهل بالذال والدال[5] » .

---

(١) انظر صـ ٢٢ ط الاميرية .

(٢) أنظر مثلا صـ ١٤ ط حلب .

(٣) المزهر للسيوطى ١٥٨/٢ ط الحلبى .

(٤) صـ ٤٤ من الايام والليالى تحقيق الابيارى .

(٥) ٥٤٦/١ ط الحلبى .

(ب) وجاء فى الكتاب الذى بين أيدينا نفس التعبير « مضى ذهل من الليل ودهل بالذال والدال[1] » .

ثالثاً : (أ) وجاء فى المزهر أيضاً « الشهور كلها مذكرة إلا جمادين فإنهما مؤنثان لأن جمادى جاءت بالياء على بنية فعالى وهى لا تكون إلا للمؤنث، ولهذا قيل : جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، فإن سمعت تذكير جمادى فى شعر فإنما يذهب به إلى الشهر[2] » .

(ب) وجاء فى الكتاب الذى بين أيدينا « والشهور كلها مذكرة تقول هذا شهر كذا إلا جمادين فإنهما مؤنثان لأن جمادى جاءت على بنية فعالى ، وفعالى لا تكون إلا للمؤنث تقول هذه جمادى الأولى وهذه جمادى الآخرة ... فإن سمعت تذكير جمادى فى شعر فإنما يذهب به إلى الشهر[3] » .

(جـ) وقريب من هذا وذاك ما جاء فى كتاب آخر للفراء نفسه هو كتاب (المذكر والمؤنث[4]) وسيأتى له بيان أوفى

وقد وقفت على نصوص كثيرة أخرى لخصها السيوطى ، ونص على أنها من كتاب الأيام والليالى للفراء ، ولولا أننى أخشى تسرب الملل إلى القارئ من هذه الكثرة لأوردتها جميعاً ولكننى سأجنح إلى التخفيف وأشير إلى مواطن بعضها من الكتابين بعد أن أحسست بأن القارئ قد اطمأن مثلى إلى توثيق نسبة الأيام إلى الفراء ، وأن ما بين أيدينا من الكتاب إنما هو حقاً لأبى زكرياء وإليك الإشارات إيثاراً للإيجاز .

---

(١) صـ ٤٧ من الايام والليالى لتحقيق الابيارى .

(٢) ٧٦/٢ ط الحلبى .

(٣) صـ ١١ من الايام والليالى لتحقيق الابيارى .

(٤) صـ ٣٢ ط حلب .

رابعاً : الحديث عن (خوّان اسم لشهر ربيع الأول) جاء فى المزهر[1] كما أنه جاء فى الأيام والليالى للفراء[2].

خامساً : الحديث عن (بُصان اسم لشهر ربيع الآخر) جاء فى المزهر[3] كما أنه جاء فى الأيام والليالى للفراء[4].

سادساً : وكذلك الحال فى كلمة (الحنين اسم لجمادى الأولى) ذكرها السيوطى[5] كما ذكرها الفراء[6].

سابعاً : ومثلها فعل فى حديثه عن (اجتماع الواو والياء) جاء بالنص منسوباً إلى الفراء[7] وكذلك رأيته فى الأيام والليالى[8].

هذا ومما يزيد التوثيق توكيداً أن المرزوقى فى كتابه (الأزمنة والأمكنة) فعل مثلما فعل السيوطى فى المزهر بالنسبة لكلمتى (خوان[9]) و (بصان[10]) وبهذا تجتمع مصادر ثلاثة على توثيق هذين النصين ، ولا أشك فى أن أمثالها كثير ، غير أننى جهدت من البحث والمقارنة وأجهدت القارئ معى فأكتفى

(١) ٢١٩/١ ـ ط الحلبى .

(٢) صـ ١٧ تحقيق الابيارى .

(٣) انظر المزهر ٢١٩/١ ط الحلبى .

(٤) صـ ١٨ تحقيق الابيارى .

(٥) انظر المزهر ٢١٩/١ ط الحلبى .

(٦) انظر الايام والليالى صـ ١٨ تحقيق الابيارى .

(٧) انظر المزهر ٧٦/٢ ط الحلبى .

(٨) انظر اللوحة الاولى من اية مخطوطة أو انظر صـ (١) من الكتاب المطبوع بتحقيق الابيارى .

(٩) ١٨٠/١ ـ الطبعة الأولى .

(١٠) نفس المصدر ج ١ صـ ٢٨٠ فما بعدها .

بهذين النصين ثم أشير إلى نصوص أخرى كثيرة نسبها المرزوقى فى كتابه إلى الفراء[1]، بغية الرجوع إليها ومقارنتها بنظائرها لمن يريد المزيد .

ومما هو جدير بالاهتمام أكثر وأكثر ما ظفرت به فى أثر آخر من آثار الفراء نفسه، فقد أصبت نصوصاً عدة فى كتاب «المذكر والمؤنث» للفراء، أعتبرها بحق توثيقاً أكيداً لكتاب «الأيام والليالى» للفراء، كما أنها فى الوقت نفسه تعتبر توثيقاً لكتاب «المذكر والمؤنث» وإن كان الذى يعنينا هنا هو توثيق الأيام ، وإليك البيان :

ثامناً : (أ) جاء فى (المذكر والمؤنث) عند الحديث عن الشمس قوله .

« والشمس يقال لها ذُكاء ، وهى أنثى ، قال الشاعر :

فتذكرا ثَقَلاً رثيداً بعدما ألقتْ ذكاء يمينها فى كافر[2]

(ب) وجاء فى (الأيام والليالى) ذلك الكتاب الذى يتشكك فيه الأستاذ الإبيارى ما يأتى :

« ويقال للشمس ذُكاء ، وبنت ذكاء ، وهى أنثى قال الشاعر :

. . . . . ألقت ذكاء يمينها فى كافر

والكافر الليل[3] » .

تاسعاً : ومثل هذا جاء فى الحديث عن (الآل الذى يشبه السراب)[4].

---

(1) انظر الأزمنة والأمكنة حـ ١ صـ ٦٨ فى معنى الشفق ، صـ ١٧٠ فى الحديث عن الربيع و صـ ٣٠٥ فى أسماء الشهور فى لغة عاد ، وفى الحديث عن (شعبان) ، . وصـ ٣٢٩ فى الحديث من الليل و صـ ٣٣٩ فى (آخر يوم من الشهر) ، ومن الجزء الثانى صـ ٣٢ فى الحديث عن (صفة العام) .... الخ ... الخ ـ الطبعة الأولى بالهند سنة ١٣٣٢ هـ .

(2) صـ ٣٣ ط حلب .

(3) صـ ٥٧ ط الأميرية .

(4) انظر المذكر والمؤنث صـ ٣٣ ، وانظر الأيام والليالى صـ ٥٧ تحقيق الاستاذ الابيارى.

عاشراً : وقريب من هذا وذاك حديثه فى الكتابين عن تذكير الشهور كلها إلا جمادين[1]، وقد سبقت الإشارة إليه فلا حاجة إلى التكرار .

تعليق : تلك نصوص عشرة اكتفيت بها عن الكثير ، بعضها متوافق لفظاً ومعنى ، وبعضها الآخر تلحظ بينه اختلافاً يسيراً فى التعبير ، لا يمس جوهر المعنى فى قليل أو كثير ، ومرد ذلك إلى طبيعة الإملاء ، كما سلف به البيان ، ومعلوم أن الفراء كان شيخ إملاء ، فلا ضير على التوثيق من هذا التفاوت اليسير .

هذا إلى أن تضافر النصوص بهذه الكثرة الظاهرة ، إلى جانب التوثيق بالخصائص التفكيرية والتعبيرية للفراء ، إلى غير ذلك من التوثيقات المنهجية والتاريخية ، كل أولئك يأخذ بعضه بحجز بعض فلا يدع مجالا لأدنى شك فى نسبة الكتاب إلى الفراء فيما أرى .

العرض :

بعد الافتتاح ، بدأ الفراء كتابه بالحديث عن (يوم وأيام) دون أن يضع له عنواناً أو يتوجه بكلمة (باب) كما فعل فيما بعد ، ولو أردنا أن نضع له عنواناً مناسباً يتسق مع العناوين الأخرى لقلنا :

(باب تسمية الأيام وتثنيتها وجمعها على لغتين) .

على غرار ما جاء فى الشهور حيث قال :

(باب تسمية الشهور وتثنيتها وجمعها على لغتين) .

---

(١) انظر المذكر والمؤنث صـ ٣٢ وانظر الايام والليالى صـ ١١ .

ولا أطيل بذكر عناوين الأبواب فقد سبقت الإشارة إليها فى (التوثيق) ولسنا بحاجة إلى التكرار ، وحيث إن الكتاب المطبوع فى متناول الأيدى سأكتفى بذكر أنموذج لمنهج الكتاب إيثاراً للإيجاز ، ولنبدأ من حيث بدأ الكتاب :

(ا) بدأبيوم وأيام ، وتحدث عن الإدغام فى أيام ، وذكر قاعدة كلية لإدغام الواو فى الياء ، ومثّل ، واستشهد بآية قرآنية ، وبحكاية أبى ثروان عن العرب ، مبيناً القياس المطرد فى هذا ، إلا فى ثلاثة أحرف نوادر ، ذكرها واستشهد لها فيما استشهد ببيت من الشعر جاء غُفلا من النسبة إلى قائله :

(ب) ثم انتقل إلى أول الأيام وهو الأحد ، وتحدث عن تثنيته وجمعه ، وهكذا تحدث عن سائر الأيام بالتوالى، وفى طوايا الحديث ينبه على القياس[1] ، ثم أعقب ذلك بالحديث عن المياومة ، والمجامعة ، والمسانهة . . . ثم أردفه بالحديث عن النسبة إلى أسماء الأيام ، كما تحدث عن تذكير هذه الأيام وتأنيثها .

(ح) وفى الباب الثانى ذكر تسمية الأيام باللغة الثانية عند العرب فقال : « ومن العرب من يسمى الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جُبار ، والأربعاء دُبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة العَروبة ، والسبت شِيار[2] » واستشهد لذلك بأبيات جمعت أيام الأسبوع كلها ، ثم خص يوم (العروبة) وهو الجمعة بشواهد ثلاثة لشعراء مختلفين ،

---

(١) انظر صـ ٣ ، ٤ ط الاميرية .

(٢) ص ٦ نفس المصدر .

ثم عزز يوم العروبة بحكاية عن والى يزيد بن المهلب حينما أصابه الحصر فى خطبة الجمعة ، فلم ينبس بكلمة[1].

وهكذا يمضى فى كتابه وإن اختلف منهجه فى بعض المواطن نتيجة لاضطراب النسخ التى وصلت إلينا كما سيأتى به البيان .

التعليق :

(ا) أول ما يطالعك فى الكتاب هو الطابع العام لآثار الفراء ، وذلك أنك ترى فى مبدئه (قال الفراء) ويتكرر ذلك فى مواطن مختلفات[2] أو ترى فيه مثلا ، (وحكى الفراء[3]) أو غير ذلك من العبارات التى توهم القارئ أن الكتاب ليس للفراء ، وقد علمنا فيما سلف أن هذا الصنيع هو الطابع العام لآثار الفراء ، لأنها كانت وليدة الإملاء ثم الرواية ، وذلك من توثيق الروايات .

(ب) كما تلحظ فيه خصيصى أخرى تراها تتكرر فى سائر آثار الفراء وهى قوله : (والعرب تقول) ، أو (من العرب من يقول [4]) أو (من العرب من يسمى [5]) إلى جانب ما ينسبه إلى قبيلته[6] ، أو قائله[7] ، أو راويه[8].

---

(١) ص ٧ المصدر السابق .

(٢) انظر مثلا ص ٣ و ٤ و ٧ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٧ ط الأميرية .

(٣) ص ٢ نفس المصدر.

(٤) انظر ص ١٧ و ٢٠ مثلا .

(٥) انظر مثلا ص ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ .

(٦) مثل اسد وكلب وربيعة ص ٦٣

(٧) انظر مثلا ص ٤و ٧ و ١١ و ١٢ .

(٨) انظر ص ٢ .

(ح) كما أنه يستشهد بالقراءات[1] إلى جانب استشهاده بالآيات[2] والإكثار من الاستشهاد بالشعر[3] وروايته عن أشياخ له مثل أبي جعفر الرؤاسي[4].

(د) أخطاء واضطراب : ومما هو جدير بالذكر خطأ لحظته في المخطوطات المصورة وقد سبق أن نبهت عليه في تحقيق نسب الفراء ذلك هو قوله (كتاب الأيام والليالي والشهور عن الفراء يحي ابن زكرياء) والصواب (يحيى بن زياد) أما أبو زكرياء فهي كنية الفراء نفسه ، وقد تكرر هذا الخطأ فجاء في الطُّرَّة كما جاء في صلب الكتاب[5] ، فوجب التنبيه عليه . ومرد ذلك إلى التحريف الكثير في المخطوطات الثلاث ، ويبدو أنها تنتسب إلى أصل واحد لم يختلف فيها إلا قلم الناسخ .

وهناك اضطراب في النسخ اشتركت فيه ثلاثتها يتعلق بالتقديم والتأخير ، وتمزيق أوصال الموضوع الواحد وتشتيته في مواضع مختلفات ، من ذلك ما أشار إليه الأستاذ المحقق فأصلح بعضه[6] وترك بعضه الآخر للزمان ، ولو أتيحت لي فرصة التعديل لأتممت ما بدأه المحقق وذلك بجمع النصوص التي تتعلق بموضوع واحد ووضعها في بابها المخصص لها ، مثال ذلك أن نجمع النقول التي تتصل بوصف الليالي مثل قوله «ويقال ليلة حرة .. [7]» وقوله : «ويقال

---

(١) انظر مثلا صـ ٤ و صـ ٥٤.

(٢) انظر مثلا صـ ١

(٣) انظر مثلا صـ ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ الخ .

(٤) انظر صـ ١٤ و صـ ٣٩ طبع الأميرية .

(٥) انظر اللوحة الأولى من المصورات .

(٦) انظر مثلا صـ ٥ و صـ ٦٠ تعليق (٤) .

(٧) صـ ٢٢ ط الأميرية .

ليل حندس . . . [1]» وما بينهما من النصوص المناسبة ثم نردها إلى الموطن الذى يلائمها وهو (باب من صفة الليالى) [2]، كما أنه لو أتيحت لى هذه الفرصة لرتبت الأبواب ترتيباً آخر يتفق مع المنطق السليم [3] .

---

(١) صـ ٢٥

(٢) صـ ٣١ ط الأميرية .

(٣) لحظت أن الترتيب قد اضطرب بعد البـاب الرابع مباشرة ، واليك الترتيب المقترح مشارا الى مدى اتفاقه أو اختـلافه مع ما جاء بالكتاب مع وضع بعض العناوين على طريقته تكملة للنقص :

١ — (باب تسمية الأيام وتثنيتها وجمعها على لفتين) صـ ١ وهو الباب الأول عنده وان لم يضع له عنوانا .

٢ — (باب تسمية الأيام باللغة الثانية وهى لاتتصرف) صـ ٦ وهو الباب الثانى عنده أيضـا .

٣ — (باب تسمية الشهور وتثنيتها وجمعهـا على لفتين) صـ ٩ وهو الباب الثالث عنده أيضا .

٤ — (باب تسمية الشهور باللغة الثانية) صـ ١٧ وهو الباب الرابع عنده أيضا .

٥ — (باب من ذكر الأيام) صـ ٣٨ وقد جاء بالكتاب فى موضع الباب السابع .

٦ — (باب من صفة الليالى) صـ ٣١ وقد جاء بالكتاب فى موضعه الطبيعى .

٧ — (باب تسمية ساعات الليل) صـ ٤٧ وقد جاء بالكتاب فى موضع الباب الثامن .

٨ — (باب فى الحديث عن العام وأوصافه) صـ ٥٥ وقد جاء بالكتاب فى موضع الباب الحادى عشر بدون عنوان .

٩ — (باب فى الحديث عن الدهر) صـ ٥٠ وقد جاء بالكتاب فى موضعه اتفاقا .

١٠ — (باب الهلال وما يقال فيه) صـ ٢٧ وقد جاء بالكتاب فى موضع الباب الخامس .

١١ — باب الشمس والقمر وما يقال فيهما) ص ٥٧ وقد جاء بالكتاب فى موضع الباب الثانى عشر .

١٢ — (باب فى تفسير الأيام المعلومات والأشهر المعـلومات) ص ٥٢ وقد جاء بالكتاب فى موضع الباب العاشر .

١٣ — (باب متفرقات) صـ ٦٣ وهو الخاتمة وقد جاء فى موضعه .

وربما كان سبب هذا الاضطراب يرجع إلى عوامل خارجية لا تتصل بطريقة التأليف مثل ضياع أجزاء من الكتاب ، واضطراب الأجزاء الأخرى الباقيات واختلال مكانها فيه وقد ثبت لدينا أن النسخ التى وصلت إلينا بها نقص ملحوظ [1].

تقويم :

(هـ) هذا الكتاب له خطره فى الميدان اللغوى فهو يمثل – مع أشباهه – حلقة من المؤلفات اللغوية التى سبقت وضع المعاجم ، فكانت لها خير معين ومع هذا فاتت المعاجم منها فائتات ، لم تذكر فى أى معجم – فيما أعلم – ومن هنا زادت القيمة العلمية للكتاب ، من تلك الفائتات ما يأتى :

(١) « الصفرية سفرة لهم كانوا يسافرونها [2] » وهى غير الصفرية بمعنى الغزوة ، كما أنها غير تلك التى بمعنى امتيار الطعام ، وقد ذكر الفراء فى كتابه ثلاثة المعانى ، مع أن المعاجم اقتصرت على المعنيين الأخيرين وفاتها المعنى الأول [3] .

(١) كلمة (بوصان) اسم لشهر ربيع الآخر ، وصفها الفراء بالغرابة فبعد أن ذكر (بُصان) بدون واو ، ذكر (وَبْصان) بتقديم الواو فقال : « وبعضهم يقدم الباء على الواو فيقول (بَوْصان) وهو أغرب [4] » وقد فات المعاجم ذكر هذه اللغة الغريبة .

---

(١) انظر صـ ٢١ من النسخة المطبوعة ففيها اشارة الى النقص الواضح فى نفس المخطوطات وقد تثبت من ذلك .

(٢) صـ ١٠ ط الاميرية .

(٣) انظر مثلا اللسان لابن منظور مادة (صفر) .

(٤) صـ ١٨ ط الاميرية .

(٣) و(٤) ومما فات المعاجم اللغوية قول العرب فى وصف العام (عام خَنِث)[١] أى عام لين ، وقولهم (عام مختون) أى مقطوع ، قال الفراء فى أيامه ولياليه « وإذا وصف العام بالجدب يقال عام جديب ومجدب وقحيط وعام مختون ... [٢] »

هذا مااطمأنت إليه نفسى من اللغويات التى أرى أنها فاتت الجامعين حين جمع اللغة ووضعها فى معاجم [٣] .

(و) وبعد ، فهناك هنات هينات تتعلق بتحقيق الكتاب ، تجاوزت منها عن كثير ووقفت عند هذا القليل :

(أولا) خطأ فى الميلاد : جاء فى النسخة المطبوعة المحققة أن الفراء ولد سنة ١٢٤ هـ ولم يقل بهذا التاريخ أحد وصوابه سنة ١٤٤ هـ ، وقد سبق بالتفصيل ، ولعله من الخطأ المطبعى ون كان متكررا ، ولولا هذا التكرار ، وبخاصة أنه فى موطن بارز من الكتاب لأغفلت الإشارة إليه ، كما أغفلت الكثير [٤]

ثانيا : جاء فى صـ ٥٢ « قال أبو جعفر حدثنا هنّاد ، عن وكيع عن سفيان عن مغيرة عن إبراهيم ... الخ » ثم جاء الأستاذ المحقق وعلق على (أبى جعفر) بأنه (أبو جعفر الرؤاسى) ، وإذا علمنا أن هنادا توفى سنة ٢٤٣ هـ [٥] ، وأن أبا جعفر الرؤاسى كانت وفاته سنة ١٩٠ هـ [٦] أدركنا أن أبا جعفر الذى

---

(١) صـ ٥٦ ط الاميرية .

(٢) نفس المصدر .

(٣) كان الفضل فى اثارة هذه الفائتات للأستاذ الأبيارى وقد تعقبت كل ذلك فى مظانه من المعاجم اللغوية فاطمأنت نفسى الى هذه النتائج .

(٤) انظر مثلا تعليق رقم (١) من ص ٢٠ ذكر فيه أن (عاذلا) اسم لشهر رمضان والصواب انه اسم لشوال كما صرح به الفراء فى نفس الصفحة وانظر هامش صـ ٢٧ تعليق رقم (٣) وقابله بما اشار اليه فى صـ ٢٤ فستجد انه وصف الكسائى بانه (بصرى) وذلك ما لم يقل به احد ، والحقيقة انه (كوفى) ولعلها من هافيات النقل .

(٥) تهذيب التهذيب ترجمة (هناد السرى) .

(٦) بغية الوعاة (ترجمة الرؤاسى) .

روى عن هناد لم يكن الرؤاسى بحال من الأحوال ، فكيف يروى الرؤاسى عمن هو فى ضمير الغيب ! إذلم يكن قد ولد بعد، بل إنه ولد بعد وفاته بأكثر من قرن من الزمان . كما هو واضح من مقابلة التاريخين .

ثالثا : زعم الأستاذ المحقق أن نقصا لحق نهاية الكتاب وذلك بعد قول النابغة : (وقفت فيها أُصَيْلَالًا أسائلها) ، حين أورد بعد هذا مباشرة قول المؤلف (تم الكتاب بحمد الله وعونه ... » وعلق عليه بقوله : « هذه العبارة ختمت بها الأصول الثلاثة للكتاب ، وسياقه لايشعر بالتمام فلا المؤلف صرح ولا المملى عليه أوضح » وحين تعقبت ذلك بالرجوع إلى الأصول المخطوطة أدهشنى أننى وجدت نصا طويلا تركه الأستاذ الإبيارى ولم يطبعه فى الكتاب وموضعه بعد قول النابغة مباشرة وإليك النص :

« قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة شبابة عن ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد (فلا رفث) قال جماع النساء ، (ولا فسوق) المعاصى ، (ولاجدال فى الحج) قال لاشهر ينسى [1] ولا شك فى الحج قد بين ، قال كانوا يسقطون المحرم يقولون صفرين لصفر، وشهر ربيع الأول ، ثم يقولون شهرى ربيع لشهر ربيع الآخر ولجمادى الأولى، ثم يقولون لرمضان هو شعبان، ويقولون لشوال رمضان، ويقولون لذى القعدة شوال ، ويقولون لذى الحجة ذو القعدة ، ثم يقولون للمحرم ذو الحجة ، فيحجون فى المحرم ، ثم يأتنفون (كذا — أى يستأنفون) فيعدون على ذلك سنة مستقبلة على وجه ماابتدءوا فيقولون المحرم ، فيحجون فى المحرم ويحجون فى كل شهر مرتين ، ويسقطون شهرا آخر ثم يعدون على العدة الأولى ، ثم يقولون صفر ، وشهر ربيع الأول على نحو عدتهم فى أول ماأسقطوا، تم الكتاب بحمد الله وعونه ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيراً [2] » .

(١) كذا بالأصول ولعله ينسأ من النسيئة بمعنى التأخير وهى أوضح كما يدل عليها السياق .

(٢) انظر آخر لوحة من مخطوطة سليم أغا فى مكتبة (لا له لى) .

وليس لدى ما أعقب به على هذا الموقف الذى يزيد الكتاب اضطراباً فوق اضطراب . غير أننى فى نهاية المطاف أشير إلى صعوبة المراس فى معالجة (الأيام والليالى) ، على أن كل أثر من الآثار يحتاج فى علاجه إلى جهد وصبر وربما كانت آثار الفراء بالذات — ومن بينها الأيام والليالى — بحاجة إلى مجهود أكبر ، وصبر أطول ، ولقد أحس الأستاذ الإبيارى ، محقق الأيام والليالى ، بوطأة هذا العبء الثقيل ، فزفر فى مقدمته زفرات ، كانت منها هذه الكلمات : « وبين يدىّ واحدة للفراء حسبى أن أعنى بها وأصبر لها ، وما أظن علاج واحدة للفراء بالأمر اليسير[1] » .

ثانيا — كتاب (المذكر والمؤنث)

كتاب «المذكر والمؤنث للفراء» مطبوع أشبه بالمخطوط فى ندرته ، فقد تطلبته فى أشهر مكتبات الإقليم الجنوبى كله لأ تملك نسخه منه فلم أعثر عليه ، وأخيراً استوردته من الإقليم الشمالى من مكتبة (عجان الحديد) بحلب ، وقال إنها النسخة الوحيدة التى كان يحرص عليها منذ أن نفدت طبعة الكتاب .

وليس فى دار الكتب منه إلا نسخة وحيدة بالخزانة التيمورية ضمن مجموعة لغوية برقم (٥٢٥) لغة ، تلك المجموعة طبعت فى المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٥ هـ [2] على نفقة (الشركة الخيرية) لاحياء الكتب العربية وتشتمل على كتب ثلاثة : كفاية المتحفظ للإجدابى ، ومختصر كتاب الوجوه فى اللغة للخوارزمى ، وثالثها كتاب المذكر والمؤنث لأبى زكرياء يحيى بن زياد الفراء ، وقد حققه الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا [3] ، فجاء الكتاب فى سبع وأربعين صفحة من القطع المتوسط عدا الفهارس . وقال فى نهاية

---

(١) الصفحة الأولى من المقدمة ط الاميرية .

(٢) هذا هو ما جاء بظاهر الغلاف .

(٣) عضو مجلس النواب سابقا .

التحقيق : « تم بعون الله تعالى طبع هذا الكتاب النفيس الفريد فى بابه الذى اشتمل فى مسائل التذكير والتأنيث على قواعد وأبحاث شائقة رائقة لايظفر بها فى غيره من المطولات من قطع عمره فى، علم النحو واللغة والحمد لله رب العالمين [1] » .

أما الكتاب نفسه فقد افتتح بعبارة واختتم بأخرى أيضا ، جاء فى مطلعه بعد البسملة مباشرة: « أخبرنا القاضى أبو سعيد الحسن بن عبدالله ابن المرزبان السيرافى قراءة عليه ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى ابن العباس بن مجاهد ، قال قرأ علينا محمد بن الجهم قال أملى علينا الفراء فى سنة أربع ومائتين — قال الفراء : للمؤنث علامات ثلاث . . . الخ [2] » .

وجاء فى الختام : « تم الكتاب والحمد لله رب العالمين » — وبعدها كتبه الناسخ « وفرغ من كتابته نصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر فى أوائل ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين — قوبل بالأصل المنقول منه فصح ولله المنة [3] » .

ثم كتب المحقق بعد ذلك « يوجد فى الأصل الخطى بعد ما تقدم هذه الصلة بخط الناسخ القديم فأثبتناها كما هى [4] » وذكر فيها نقولا أربعة عن الفراء ، ونقلين عن قطرب وواحد عن ابن الأعرابى، وكلها تتصل بمباحث المذكر والمؤنث .

العرض العام :

ونعود إلى الكتاب نفسه فنرى الفراء قد تناول فيه الحديث عن علامات المؤنث الثلاث ، وما جاء من صفات الإناث بلاهاء لاختصاصه بهن ،

---

(١) انظر ص ٥ من الفهارس .
(٢) ص ٢ ط حلب .
(٣) ص ٤٥ ط حلب .
(٤) ص ٤٦ المصدر السابق .

كما طفق يذكر أنواعا متتاليات تحت عنوان (نوع آخر) مثل نوع آخر فيما كان على وزن (فعيل) وتحدث فيه عما تحذف من مؤنثه الهاء لقلة وجوده فى النساء ، ثم انتقل إلى نوع آخر وهو ما كان على وزن (فعول) وفيه قول العرب امرأة مُذْكِر [1] ومُحْمِق ، وأتبعه بنوع آخر فيما كان على وزن (مفعال) وقال فيه قد تدخل العرب الهاء فى صفات المذكر لوجهين وشرح ذلك ثم انتقل إلى نوع آخر فى اسم الجنس الجمعى ومفرده ، وتعرض لقول العرب (رأيت جراداً على جرادة) وقولهم حية للذكر والأنثى ، ثم تحدث عن اجراء المؤنث على المذكر فى المبهمات كأحد وديار وغير وبعض ، كما ذكر الألفاظ المؤنثة التى تروى رواية ، وأجاز تأنيث اللسان إذا أريد به الرسالة ، وأشار إلى أن الأصابع إناث كلهن إلا الإبهام ، وأن العرب تجترئ على تذكير المؤنث الخالى من الهاء . وإلى جواز تأنيث الألف من العدد إذا أريد به الدرهم وقال إن الأسنان إناث كلهن إلا الأضراس والأنياب . وأشار إلى تأنيث القميص واللبوس إذا أريد بهما الدرع ، وذكر قولهم (قميصى جبة وردائى جبة) وقولهم فى (الطسة) طَسٌّ وطَسَت ، وأجاز إدخال الهاء على (زوج) ، ونسبه إلى أهل نجد وقال : إنه أكثر من زوج واستشهد له بشعر ، ثم رأى تذكير الشمس بمعنى القلادة ، وروى أن الرياح كلها إناث ، وأجاز تأنيث المسك إذا أريد به الريح ، كما روى ورود الطاغوت والفلك بمعنى الجمع على قلة ثم أخذ يستدل على تأنيث ما كان على وزن فعول أو فعيل أو فعال بجمعه على أفعل [2] ثم روى ورود المنون بمعنى الجمع على قلة ، وتحدث عن تأنيث أسماء الجنس الجمعية وتذكيرها كالنخل والتمر ، كما تحدث عن ورود العشى جمعا لعشية ، وورود (الركى) بمعنى الجمع والمفرد ، ثم قال : الشهور مذكرة كلها إلا جمادين ، وتحدث عن تذكير جمادى مراداً بها الشهر ، وتأنيث الشام مراداً بها البلدة ، وقال أسماء البلدان التى فى آخرها ألف ونون كلها ذكران ،

(١) اى تلد الذكور من الاولاد .

(٢) كان حقه ان يلحق بما تقدم من حديث عن هذه الأوزان .

وأن نعوت الخمر كلها مؤنثات ، وبين حكم النعت المختص باسم لايقع على غيره ، وحكم النعت الذى ينعت به المذكر والمؤنث ، وروى قولهم أَهْل وأَهْلة وأَهْلات ، ثم قال الظروف كلها ذُكران إلا ما فيه علامة على التأنيث ، وبين أن الألفاظ المكتوبة تؤنث وإن كانت معانيها مذكرة ، كما بين حكم ما يقع عليه العجم وما لايقع من حروف (ا ب ت ث) ، وقال : الأدوات مثل (نعم ولو) تذكر وتؤنث ، وذكر أن حروف المعجم كالألف والباء كلها إناث .

وتحدث عن اكتساب المضاف صفة المضاف إليه من تأنيث وغيره بشرطه ، كما قال: إذا وصف المؤنث بفعل لا يشركه فيه المذكر تطرح منه الهاء [1] ، كما تحدث عن النعوت التى استعملها العرب للرجل والمرأة بلفظ واحد ثم قال: ما كان من شيء قطع من شيء فإن فيه ثلاثة معان ، وتعرض لقولهم (أتينا فلانا فكنا فى لحمة ونبيذة) ، ثم روى حروفا عن العرب بنت فيها الأنثى على المذكر ، ثم ختم الكتاب بتوجيه قولهم (ثلاثة أقاويل وثلاث أقاويل) .

التعليق : تلك هى محتويات الكتاب — أو جلها — عرضتها بالإشارة إليها فى إيجاز وإذا أردت الوقوف عندها رأيت فيها ما يأتى :

أولا — أن أبا زكريا الفراء كان فى أسلوبه متأنقا على غير عادته ، سهل العبارة ، عذب الحديث ، يشوقك أن تقرأه وتسمعه ، كأنما يحدثك عن مقطوعات أدبية لا عن كلمات لغوية — ولست أدرى سبباً واضحا لهذه الظاهرة ، اللهم إلا ما جاء فى كتب الطبقات من أن الفراء ألفه لأحد الأمراء ، ذلك هو عبد الله بن طاهر [2] ، ويفهم من سياق القصة هناك أنه ألفه له فى حداثة سنه، أو فى بواكير الشباب، ومعنى ذلك أنه كتاب تعليمى للتلميذ

---

(١) كان حقها أن تلحق بنظائرها فيما سبق .

(٢) انظر البغية مثلا ص ١٧٣ ط أولى .

شادن ، ومن طابع هذه المؤلفات سهولة المأخذ وجمال التعبير وبخاصة إذا كان لأمير من الأمراء ، وقد وفق صاحبي فى ذلك أيما توفيق ، استمع اليه يقول فى أول كتابه :

« قال الفراء : للمؤنث علامات ثلاث ، منها الهاء التى تكون فرقا بين المؤنث والمذكر مثل فلان وفلانة ، وقائم وقائمة — ومنها المدة الزائدة التى تراها فى الضراء ، والحمراء والصفراء ، وما أشبه ذلك — ومنها الياء التى تراها فى حبلى ، وسكرى ، وصغرى — فأما المدة والياء فلا تقعان لمذكر فى حال أبداً ، وأما الهاء فلها ضروب تقع فيها : فأول ذلك قولهم للرجل أنت جالس ، وللمرأة أنت جالسة ، فالهاء ههنا أدخلت للتأنيث لايكون غيره ، والقياس فيه مستمر . . . [1] » .

تأليف منظم ، ينم عن عقل منظم كأحدث ما تكون التآليف .

ثانياً — على أن هذا التأنق لم يخرج به عن طريقته فى التأليف ، ومن مظاهرها ما يأتى [2] :

(١) وضع الأصول العامة بعد التقصى والاستقراء [3] :

(٢) الاعتداد بالقياس والتوجيه إلى استعماله [4] . وهدفه من ذلك إثراء اللغة عن طريق القياس [5] :

(٣) الاستشهاد بالآيات القرآنية فى كثرة ملحوظة [6] بل إنه يتوغل فيستشهد بالقرآن ليدعم به رأيا رآه فى تفسير بيت من الشعر [7] :

---

(١) المذكر والمؤنث ص ٢ فما بعدها ط حلب .

(٢) يشارك الفراء فى هذه المظاهر آخرون ، وليس فى هذا ما يضير .

(٣) انظر مثلا ص ٢ و ١٠ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧

(٤) انظر مثلا ص ٣ و ٨ و ١١ و ٤٣

(٥) انظر ص ٨ مثلا .

(٦) انظر مثلا ص ١٩ و ٢٠

(٧) انظر ص ٣٩

(٤) الاحتجاج بالقراءات ، ومن بينها قراءة أبيّ بن كعب[١] ، وقراءته هو حين يقول « وفى قراءتنا [٢] » .

(٥) والجدير بالذكر احتجاجه بالحديث النبوى الشريف مخالفاً بذلك منهج النحاة الأقدمين من البصريين والكوفيين على السواء ، وهذا إن دل على شىء إنما يدل على أن الفراء كان له اتجاه خاص حداه إلى تأسيس مذهب جديد كما سيأتى به البيان ، من ذلك :

(أ) احتجاجه بالحديث الشريف فى تأنيث (معاً)[٣] واحد الأمعاء قال « والمعا أكثر الكلام تذكيره ، يقال هذا مِعىً وثلاثة أمعاء ، وربما ذهبوا به إلى التأنيث ، كأنه واحد دل على الجمع ، جاء فى الحديث المؤمن يأكل فى مِعاً واحدة [٤] » .

(ب) وكذلك فعل فى احتجاجه على تأنيث (الضلع) قال : والضلع أنثى يقولون ثلاثة أضلاع وأضلع ، وإذا كثرت فهى الضلوع والأضالع ، جاء فى الحديث (خلقت المرأة من ضلع عوجاء) [٥] : . . الخ » .

(حـ) وفى موطن ثالث احتج بالحديث على تأنيث (الذَّوْد) قال : والذود من الإبل مؤنث ، جاء فى الحديث (ليس فى أقل من خمس ذود صدقة)[٦] » وبيان ذلك أن العدد جاء مذكراً خالياً من التاء وهذا دليل على تأنيث المعدود طبقاً للقاعدة المعروفة فى هذه وأشباهها من أن العدد يأتى عكس المعدود تأنيثاً وتذكيراً .

---

(١) انظر ص ٢١ و ٢٨ من المذكر والمؤنث للفراء .

(٢) انظر ص ٦ مثلا .

(٣) كذا ـ والفراء يقول والمعى مقصور يكتب بالياء ـ انظر المقصور والممدود للفراء لوحة (٣٠) ـ (مصورتى) .

(٤) ص ١٤

(٥) ص ٢١

فهو هنا يعتمد فى الاحتجاج على الحديث النبوى الشريف اعتماداً كلياً فلا يحتج بغيره فى الموطنين الأول والثالث ، على أنه فى الموطن الثانى ،إن كان قد ضم إلى الحديث احتجاجه بقولة نثرية عربية إلا أنه جعل احتجاجه بالحديث فى المقدمة — وفى هذه المواطن وأشباهها رد أبلغ رد على (يوهان فك)[1] والبغدادى[2] ومن لف لفهما من الباحثين الذين زعموا أن (ابن خروف الأندلسى) كان أول من احتج من النحويين بالحديث النبوى الشريف . كما فيه رد ضمنى على الدكتور شلبى حين جعل السبق فى هذا الميدان لصاحبه أبى على الفارسى[3] .

(٦) ومن مظاهر طريقته التى تلحظها فى جميع آثاره نسبة اللغات أحيانا إلى مواطنها مثل الحجاز [4] ، ونجد [5]، واليمن [6] ، وأحيانا إلى قبائلها مثل بنى أسد [7] ، وبنى تميم [8] ، وبنى عامر [9] ، وبنى دبير [10]، وباهلة[11] ، وطوراً إلى رواتها أو منشئها ، وقد روى الفراء فى كتابه عن

---

(١) انظر كتابه (العربية) ص ٢٢٦ ترجمة دكتور عبد الحليم النجار ط دار الكتاب العربى .

(٢) انظر خزانة الادب ج ١ ص ٦

(٣) انظر ص ٢٠٤ من كتاب (أبو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى) ط نهضة مصر . وفيه حاول أن يثبت السبق للفارسى (ت ٣٧٧) ونسى ان الفراء (ت ٢٠٧ هـ) قد سبقه الى هذا الميدان وان الفارسى ربما كان متأثرا به ، اذ أنه كان متصلا بآثار الفراء اتصالا وثيقا — انظر مقدمة المحتسب لابن جنى ص ١٠ مثلا .

(٤) انظر مثلا ص ١٣ و ٢١ و ٢٦

(٥) انظر مثلا ص ٢١ و ٢٧

(٦) انظر ص ٢٥ مثلا .

(٧) انظر مثلا ص ١٤ و ٢١ و ٢٦ و ٢٧

(٨) ص ٣٠

(٩) ص ٤٣

(١٠) ص ٢٩

(١١) ص ٤٣

هذا المزيج من شعراء الجاهلية والإسلام مثل الأعشى [1] وعبيد بن الأبرص [2] والحطيئة [3] وعدى بن زيد [4] ، وأبى النجم [5] ، وسلامة بن جندل [6] ، وتميم بن مقبل [7] وزياد الأعجم [8] وكان من الرواة أبو ثروان [9] والمفضل الضبى [10] ، ومن أشياخه الكسائى [11] ، ويونس البصرى [12] .

ثالثاً – خصائصه المذهبية : إن الدارس الفاحص يستطيع أن يستخلص من هذا الكتاب خصائص مذهب الفراء وهى المزج بين خصائص المدرستين البصرية والكوفية مع استقلال شخصيته القوية فى تأسيس مذهب جديد ذلك هو المذهب البغدادى .

(١) فمن مظاهر بصريته فى هذا الكتاب أنه كان يتلمس العلل والأسباب شأنه شأن البصريين فى ذلك ، مخالفا مذهب الكوفيين ممثلا فى منهج الكسائى ذلك الذى يقول (أى هكذا خلقت) فلا يحاول لها تفسيراً ولا تعليلا . أما الفراء فتراه يتلمس العلل لما ورد من كلام العرب على نحو فلسفى . من ذلك قوله فى صبور وشكور « إنما ألقيت من أنثاه الهاء لأنه عدل صابر إلى صبور فلم يكن له فعل يبنى عليه فترك كالمذكر ألا ترى أنك لا تجد للصبور فعلا ، فإن قلت قد صبر فذلك للصابر [13] » – فهل هناك مانع لغوى من أن يكون الفعل صبر لكل من صابر وصبور ؟ ليس هناك ما يمنع – فى نظرى – اللهم إلا أن يكون ذلك التحكم البصرى المنطقى .

وشبيه بهذا قوله فى موطن آخر حين تعرض لوزن مفعال مثل مذكار ومدرار « ولا يقال عن هذا شىء بالهاء وذلك أنه انعدل عن الصفات

---

(١) ص ١٨ و ٤٠ من المذكر والمؤنث للفراء
(٢) ص ٤١ .
(٣) ص ١٣ .
(٤) ص ٢٩ .
(٥) ص ٢٨ .
(٦) ص ٣١ .
(٧) ص ٣٧ .
(٨) ص ٢١ .
(٩) ص ١٢ و ٢٤ و ٣٩ .
(١٠) ص ١٨ و ٢٠ و ٣٠ .
(١١) ص ٦ .
(١٢) ص ١٧ و ٢٢ .
(١٣) ص ٥ .

انعدالا أشد من انعدال صبور وشكور[1] » فأنت تراه فى اتجاهه هذا يتفق مع البصريين .

(ب) كما يتفق معهم فى تخطىء العربى إذا ما خالف الأصول التى وضعوها ، فى حين أن الكوفيين يتقبلون كل رواية مهما خالفت الأصول ، كما سيأتى به البيان [2] وذلك حينما أراد أن يستشهد لتأنيث الخمر فروى قول الشاعر :

وعينان قال الله كونا فكانتـــــا فعولان[3] بالألباب ما يفعل الخمر

قال الفراء « هكذا أنشدنى بعضهم فاستفهمته فرجع إلى التأنيث فقال ما تفعل الخمر [4] فكأن العربى أخطأ أولا فذكّر ثم عاد فأنث . وللفراء كلام أصرح من هذا فى تخطى ء القراءات بله السبعية المحكمة ، ذكرته فى موطنه بالتفصيل[5] .

تلك هى بعض مظاهر النزعة البصرية التى لحظتها فى هذا الكتاب ، أما مظاهر النزعة الكوفية فيمثلها حديثه عن الخلاف [6] ، كما يمثلها اصطناعه هذه المصطلحات الخافض والمخفوض [7] « وتجرى ولا تجرى[8] » .

ومن مظاهر هاتين النزعتين عند الفراء إلى جانب استقلاله الفكرى وانتهاجه منهجا خاصا به كما رأينا منذ قريب فى احتجاجه بالحديث الشريف ، وكما سنرى فيما بعد عند التعرض لمذهبه النحوى ، من ذلك كله يتكون منهج الفراء فى تفكيره وتعبيره ، ثم إن استخلاصه من هذا الكتاب يعتبر توثيقاً له أى توثيق .

---

(١) ص ٧ من المذكر والمؤنث للفراء .
(٢) انظر فصل (مذهبه فى النحو) .
(٣) ويروى (فعولين) انظر المذكر والمؤنث للفراء ص ١٨ ط حلب .
(٤) ص ١٨ .
(٥) (انظر مذهبه فى النحو) .
(٦) انظر ص ٢٢
(٧) انظر ص ٣٧
(٨) ص ٣١ .

رابعا – لمحات من هنا وهناك لحظتها أثناء الدرس والفحص تتمثل فيما يأتى :

(ا) أن الفراء يستلهم روح العربية حين يحدثنا عن قول الشاعر :

(أبا عرو لا تبعد فكل ابن حرة ستدعوه داعى موتة فيجيب)

فيقول مستلهما روح العربية : « إن داعى الموتة فى مجاز العربية هى الموتة [1] » .

(ب) كما أنه يلحظ ملحظا دقيقاً فى الاستعمال اللغوى فيثير مبدأ نادى به بعض الباحثين المعاصرين ، وهو أن للشعر أسلوبا يختلف عن أسلوب النثر ، فكان على واضعى القواعد العربية أن يفصلوا قواعد الشعر عن قواعد النثر ، فلا يمزجوهما على ما بينهما من تفاوت أدى إلى اضطراب القواعد اضطرابا جعل العامة والخاصة يضيقون بها أشد الضيق – استمع إليه يثير هذا الفرق فى رفق وهوادة فيقول:« وحروف المعجم كلها إناث لم نسمع فى شىء منها تذكيراً فى الكلام وقد يجوز تذكيرها فى الشعر [2] » ويقول فى موطن آخر فى حديثه عن (طامث) و (طالق) من صفات المؤنث « وربما أتى بعض هذا بالهاء فى الشعر وليس ذلك بحسن فى الكلام [3]»

(حـ) سليقة المعلم : تلحظها واضحة عند الفراء فى كتابه المذكر والمؤنث كما تلحظها فى سائر آثاره ، من ذلك قوله وكأنه يخاطب الأمير عبد الله بن طاهر « فلا تنكرن أن يبنى مؤنث على مذكر قد كان له اسم سواه مثل ماوصفت لك[4]» وقوله «وإذا رأيت المؤنث قد وصف

---

(1) انظر ص ٣٨ من المذكر والمؤنث للفراء .

(2) ص ٣٧ .

(3) ص ٣ وانظر ص ٤ و ٢٧ و ٢٩ من المذكر والمؤنث ط حلب .

(4) انظر ص ٤٤ من المذكر والمؤنث ط حلب .

بفعل لا يشركه فيه المذكر فاجعله بطرح الهاء[1] » أو يقول « وما أتاك مما لم أُمله عليك فاعمل به ، هذا إذا لم يكن للذكر فيه حظ[2] » .

خامسا – طرائف لغوية : رأيت فى هذا الكتاب طرائف لغوية خطَّأها بعض المحدثين فى حين أن الفراءأ أجازها واحتج لها بالأشعار ، من ذلك :

(ا) تأنيث عجوزة فى عجوز وصف للمؤنث واستشهد لها بقول الشاعر :

وقـد زعم النسوان أنى عجوزة مشنجة الأوداج أو شارف[3] خصى[4]

(ب) كلمة (الحالة) بالتاء جائزة عند أهل الحجاز قال الفراء : « والحال أنثى وأهل الحجاز يذكرونها ، وربما أدخلوا فيها الهاء ، قال الشاعر :

(على حالة لو أن فى القوم حاتمـا على جوده لضن بالماء حاتم[5] »

(ح) تأنيث (زوجة) بالتاء – قال الفراء « الزوج يقع على المرأة والرجل هذا قول أهل الحجاز قال الله عز وجل (أمسك عليك زوجك) ، وأهل نجد يقولون زوجة وهو أكثر من زوج والأول أفصح عند العلماء ، قال الشاعر :

وإن الذى يمشى يحرّش زوجتى كماش إلى أُسد الشرى يستثيرها[6]

---

(١) ص ٤٠ من المذكر والمؤنث للفراء .

(٢) ص ٤١ .

(٣) الشارف البعير المسن .

(٤) ص ٢٢ .

(٥) ص ٢٥ .

(٦) ص ٢٦ .

سادساً ـ توثيق الكتاب :

إلى جانب التوثيقات التى أشرنا اليها آنفا من الخصائص المذهبية ، وذكر المصطلحات نضيف توثيقات أخرى من التاريخ والنصوص . أما أصحاب الطبقات فقد تحدثوا عنه فى الفهرست[1] ، وفى البغية[2] وفى معجم الأدباء[3] . وأما التوثيق من حيث النصوص فقد وقفت منه على ما يلى :

(ا) جاء فى معجم ما استعجم للبكرى أن الفراء أنشد :

فلما بدا حوران والآل دونـــــه نظرت فلم تنظر بعينك منظرا[4]

ومثله جاء فى المذكر والمؤنث[5] كما جاء ذلك أيضا فى كتاب «الأيام والليالى» للفراء[6] .

(ب) وفى معجم الأدباء جاء أن الفراء « سمع أعرابياً يقول : قضت علينا السلطان[7] » وحين رجعت إلى المذكر والمؤنث وجدت الفراء حقاً يقول « والعرب تقول : قضت به عليك السلطان[8] » .

(حـ) وفى خزانة الأدب للبغدادى جاء نقل عن الفراء حول تذكير (النعم) « قال الفراء هو مفرد لا يؤنث يقال هذا نعم وارد[9] » وقريب منه ما جاء فى المذكر والمؤنث حين قال : « والنعم ذكر يقال هذا نعم وارد[10] » .

---

(١) ص ١٠٠ ط الرحمانية .
(٢) ص ٤١١ ط السعادة .
(٣) ١٤/٢٠ ط دار المأمون .
(٤) ١٤٠٥/٤ تحقيق الأستاذ السقا .
(٥) ص ٣٣ .
(٦) ص ٢٣ ط الاميرية .
(٧) ص ٢٠٣/٩ (ترجمة ابن خالوية)
(٨) ص ١٩ ط حلب .
(٩) ١٦٧/١ ط السلفية .
(١٠) ص ٢٢ ط حلب (على أن المروى أجاز فيه التذكير والتانيث ـ انظر خزانة البغدادى ١٦٨/١ ط السلفية ، وانظر معاجم اللغة مادة (نعم) .

(د) وجاء فى إصلاح المنطق لابن السكيت رواية عن الفراء أن (السكين) تذكر « وقد تؤنث[1] » ونعود إلى المذكر والمؤنث فنجد فيه أن السكين ذكر وربما أنث فى الشعر . . .[2] » .

(هـ) كما نقل عنه ابن السكيت نقولا أخرى كثيرة منها قوله فى تأنيث الإبط « حكى الفراء عن بعض الأعراب رفع السوط حتى برقت إبطه[3] » وتجد نفس الرواية فى المذكر والمؤنث للفراء[4] .

إلى هنا أقتضب الحديث ، وأكتفى بهذه النصوص إيثاراً للإيجاز وأحسب أننى بلغت ما أريد من التوثيق .

كلمة : كتاب (المذكر والمؤنث) كنز مطمور فهو مجهول حتى عند بعض الخاصة من علمائنا الأجلاء الذين تصدوا لإخراج أثر من آثار الفراء فلم يكتب عنه فى مقدمة كتاب المعانى إلا أقل من سطرين اثنين ومع هذا جاءت بهما عدة أخطاء . وإليك نص العبارة : « المذكر والمؤنث من نسخة ضمن مجموعة لغوية فى مكتبة مصطفى الزرعى فى بيروت وأخرى فى مكتبة حلب برقم (١٣٤٥)[5] » .

أولا ـ الزرعى خطأ وصوابها الزرقا[6] ومرد هذا الخطأ إلى بروكلمان فى إحدى روايتيه حين رواها (الزرعى) ثم عاد فأصلحها (الزرقا)[7] .

---

(١) ص ٣٥٩ ط دار المعارف .

(٢) ص ٢٧ ط حلب .

(٣) اصلاح المنطق ص ٣٦٢ ط دار المعارف .

(٤) انظر ص ٣١ فما بعدها ط حلب .

(٥) مقدمة معانى القرآن بقلم الأستاذين الجليلين فضيلة الشيخ محمد على النجار والأستاذ احمد يوسف نجاتى وتقديم الأستاذ المحقق محمد ابى الفضل ابراهيم ١١/١ ط دار الكتب .

(٦) انظر تحقيقه وتعليقه على كتاب المذكر والمؤنث ط حلب .

(٧) انظر ترجمة الفراء فى الأصل والملحق من تاريخ الادب العربى (بروكلمان) .

ثانياً – أن (مصطفى الزرقا) لم يكن صاحب مكتبة وإنما هو من العلماء وعضو نواب سابق .

ثالثاً – كما أنه ليس (فى بيروت) وإنما هو من الإقليم الشمالى – دمشق .

رابعاً – أنهم قالوا (وأخرى فى مكتبة حلب) وليس الأمر كذلك بل إن الطبع كان فى حلب .

خامساً – أنهم جعلوا فى هذه المكتبة الوهمية رقما هو (١٣٤٥) والحقيقة أن هذا الرقم هو تاريخ الطبع وهو سنة ١٣٤٥ هـ فحين التبس عليهم الأمر جعلوه رقما للكتاب بتلك المكتبة الوهمية – كل هذه الأخطاء فى مقدمة كتاب هو للفراء ، وأين طبع هذا الكتاب ؟ طبع فى الدار ، دار الكتب التى بها نفس كتاب المذكر والمؤنث للفراء ، ذلك الذى تعددت فى وصفه الأخطاء .

ثالثا – كتاب (المقصور والممدود)

(١) وصف المخطوطة : بين يدى منها نسخة مصورة ، وهى أخت مخطوطة (الفاخر فى الأمثال) تلك التى تحدثت عنها فيما سبق حديثا مستفيضا بينت فيه جهدى فى سبيل الحصول على هاتين المخطوطتين ، مصورا مدى حرصى على استيفاء مصادر البحث ، لما لها من قيمة علميه فى تخطيط الرسالة من جهة ، وفى الكشف عن شخصية المترجم له كشفا منهجيا يعتمد على حقائق من أسلوب الرجل نفسه من جهة أخرى ، (وأسلوب الشخص هو الشخص نفسه) كما يقولون ، – وحديثى هناك يعفينى من الإعادة هنا ، فلا حاجة إلى التكرار .

(ب) هذه المصورة ضمن مجموعة لغوية ، وهى فى (بروسة – مكتبة أولو جامع بتركيا) كما أشار إليها (بروكلمان)[1] وتشغل تسع لوحات من القطع الكبير ، ابتداء من لوحة (٢٥) – إلى نهاية لوحة (٣٣) لهذا جاءت خلوا من التملكات والسماعات التى اعتاد الناسخون أن يسجلوها على الصفحة الأولى من الكتاب ، وأحيانا فى نهايته أيضا .

(حـ) خطها : مخطوطة بقلم نسخ صغير ، مضغوطة الكلمات إلى حد كبير محشوة الصفحات بالأسطر الطويلة ، حتى بلغ عدد الأسطر فى اللوحة الواحدة اثنين وأربعين سطرا ، نصفها فى الجانب الأيمن ، والنصف الآخر فى اليسار .

(د) بدايتها ونهايتها : بدئت فى أعلى اللوحة الأولى بهذا العنوان (رسالة المنقوص – المقصور – والممدود)[2] ، ثم البسملة ، وبعدها مباشرة (قال يحيى بن زياد الفراء . . .) وفى النهاية ختمت بقوله (الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما) .

(هـ) تعليقاتها : وبين الفينة والفينة ترى بعض التعليقات على الهامش بخط الناسخ ، يفسر فيها أحيانا غامضا من اللغة[3] ، وأحيانا يعقب بنصوص تتصل بالموضوع ، مثلما نقله عن ثعلب فى أماليه[4] ، وأبى على القالى فى كتابه (الزيادة والذيل)[5] ، إلى غير ذلك من التعليقات .

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربى (ترجمة الفراء) فى الملحق ١٧٨/١ ط ليدن .

(٢) هكذا كتب وسيأتى له فضل بيان .

(٣) انظر لوحة (٣٣) من مصورتى للمقصور والممدود .

(٤) انظر لوحة (٣٢) – الجانب الايمن .

(٥) انظر لوحة (٢٨) – الجانب الأيمن .

(و) وهذه المصورة من نسخة وحيدة فى العالم – فيما أعلم – تلك النسخة الخطية المحفوظة فى (بروسة – مكتبة أولو جامع)[1] .

هذا من جهة الأصل المخطوط هناك ، أما من جهة صورها فليس فى مصر كلها صورة من هذا (الفيلم) – فيما أعلم – إلا المصورة التى استوردتها بعد عناء طويل ، كما سبق به البيان .

(ز) عنوانها : عنوان المخطوطة هكذا (رسالة المنقوص المقصور والممدود) هكذا بإثبات الكلمتين (المنقوص المقصور) ، وبدون عاطف بينهما ، والذى اطلعت عليه فى تراجم الفراء أن له كتابا يسمى (المقصور والممدود) ولم أطلع على التسمية المذكورة فى المخطوطة .

وأشهد أننى هممت بأن أتهم الناسخ بالتحريف ، لأننا تعودنا فى دراستنا على أن المنقوص يغاير المقصور ، وقلت فى نفسى تخريج هذا التحريف يسير ، غير أننى فى طوايا البحث عثرت فى شرح كتاب سيبويه للسيرافى[2] على نص يفيد أن المقصور يقال له منقوص ، وإليك النص : هذا باب المقصور والممدود – ويقال للمقصور أيضا منقوص ، فأما قصرها فهو حبسها عن الهمزة بعدها ، وأما نقصها فنقصان الهمزة منها[3] . وحينذاك رجحت أن هذا العنوان سليم لا تحريف فيه .

ثانيا – العرض :

بدأ الفراء كتاب (المقصور والممدود) بتقدمة مركزة ثم قسمه إلى أحد عشر باباً . أما المقدمة فقد تناول فيها المنقوص وقسمه إلى قسمين : قسم له

---

(١) تاريخ الادب العربى – بروكلمان – ص ٢٠٠ تعريب الدكتور عبد الحليم النجار .

(٢) مخطوطة دار الكتب رقم (١٣٧) نحو .

(٣) شرح كتاب سيبوية للسيرافى – الورقة الأولى من الجزء الخامس – مخطوطة دار الكتب رقم (١٣٧) نحو .

علامة يعرف بها والآخر ليست له علامة ، فهو يجيء على وزن المصدر قصراً ومداً ، ولهذا يختلف كما تختلف المصادر ثم تعرض لرسم الحروف فوضع قاعدة لكتابة هذا المنقوص (أى المقصور) وتتلخص فى أن واوى الأصل يكتب بالألف لاغير ، أما يائى الأصل فيكتب بالياء وتجوز كتابته بالألف .

ثم تحدث عن الأبواب الأحد عشر ، وسأذكر أولا عناوينها على التوالى :

(١) « باب ما يعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات[١] » .

(٢) « هذا باب المقصور والممدود مما يتفق كتابه فيشكل ، ففصل ذلك وقرن كل حرف ممدود بنظيره من المقصور[٢] » .

(٣) « هذا باب ما يفتح أوله فيمد فإذا كسر أوله قصر[٣] » .

(٤) « هذا باب مايفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد[٤] » .

(٥) « هذا باب مايفتح أوله فيمد ، ويضم فيقصر[٥] » .

(٦) « باب مايقصر ويمد وأوله على حال واحدة ومعنى المقصور منه كمعنى الممدود[٦] » .

(٧) « باب مايقصر فيهمز بعضه ويكتب بالألف ، ومايقصر بعضه بلا همزة[٧] » .

---

(١) لوحة (٢٥) الجانب الأيمن (مصورتى) .
(٢) لوحة (٢٦) ـ الجانب الأيمن .
(٣) لوحة (٢٨) الجانب الأيمن .
(٤) لوحة (٢٨) الجانب الأيمن .
(٥) نفس اللوحة الجانب الأيسر .
(٦) نفس اللوحة ونفس الجانب .
(٧) لوحة (٢٩) الجانب الأيمن .

(٨) « باب المقصور خاصة الذى لايشبهه شىء ولا نظير له[١] » .

(٩) « باب الممدود المكسور أوله[٢] » .

(١٠) « باب الممدود المفتوح أوله[٣] » .

(١١) « باب الممدود الذى يضم أوله[٤] » .

تلك هى عناوين أبواب الكتاب قصدت قصداً إلى إيرادها متجاورة قبل التمثيل والتفصيل لتؤدى غرضاً هو إتاحة فرصة المقارنة بينها دون إجهاد وتشتيت ، وإليك الحديث عنها بالتفصيل :

(١) تحدث فى الباب الأول عما يأتى :

(ا) المصدر فى أفعل الذى أتاه فعلاء وقال : إنه منقوص مثل عمِى عمًى ، وعشِى عشًى . . . . الخ الخ .

(ب) المصدر من فعل زائد مثل الانفعال والاستفعال والافتعال والإفعال وقال : كله ممدود مثل الاستخفاء والانتهاء . . الخ .

(حـ) ماكان من الأصوات اسما موضوعاً ،وقال : أكثر ماجاء منه ممدود مضموم أوله وربما كثر مثل الدعاء والرغاء . . ومن المكسور النداء والغناء ، ثم قال « وقد سمعنا النداء (بالضم) ، ومثله من غير الواو والياء الصياح والصياح بكسر الصاد وضمها ، سمعناها جميعاً[٥] » .

---

(١) لوحة (٢٩) الجانب الأيسر .

(٢) لوحة (٣٢) الجانب الأيسر .

(٣) لوحة (٣٣) الجانب الأيمن .

(٤) نفس اللوحة ونفس الجانب .

(٥) المقصور والممدود (٢٥) الجانب الأيمن (مصورتى) .

(د) ماكان من جمع الواو والياء على أفعال فهو ممدود مثل آباء وأبناء[1]. . .

(هـ) ماكان من جمع فَعْلَة من الياء والواو على فِعال كان ممدوداً مثل شكوة وشِكاء ، وفروة وفراء . . . . ثم قال « ولم أسمع فى شىء من هذا بالقصر إلا أنهم يجمعون الكوة كِواء وكِوًى فيمدون ويقصرون . . ومن نادره قرية وقرى جاءت على غير القياس بضم القاف وكان ينبغى أن تجمع قِراء[2] » .

(و) ثم تحدث عن جمع الأسماء المؤنثة من ذوات الواو مثل أسوة وأسى ورشوة ورشى ، ومن ذوات الياء . . . وفصل فى ذوات الياء بين ماكان أول واحدته مضموماً أو مكسوراً . . . الخ . وذكر أن هذه الجموع كلها تكتب بالياء سواء أكان أصلها الواو أو الياء[3] .

(ز) كما تحدث عن جمع فعيل أو فعال أو فعول على فعال وقال إنه ممدود وأكثر ما يجمع على أفعلاء مثل ولى وأولياء ، ودعى وأدعياء . . .

(ح) ثم تحدث عن (فعلاء) وقال إذا كانت فعلاء اسما واحداً ليس بجمع كانت ممدودة من السالم ومن الياء والواو مثل النفساء والعشراء والمُطَواء[4]. . . .

(ط) وماكان من اسم على مثال حماد وعباد وفَعّال أو فِعال أو فُعال فهو ممدود يكتب بالألف مثل الحذاء والشواء ، والفعال مثل عطاء ورجاء ، والفِعال مثل غطاء ، والفُعال مثل الدعاء والرغاء .

---

(١) المقصور والممدود (٢٥) الجانب الايمن (مصورتى) .

(٢) المقصور والممدود ـ لوحة (٢٥) الجانب الايمن (مصورتى) .

(٣) نفس المصدر (الجانب الايسر) .

(٤) اسم لنوع الحمى انظر لوحة (٢٥) .

(ى) ثم تحدث عن اسم المكان فقال : وماكان من اسم فيه ميم مفتوحة زائدة فهو من الواو والياء مقصور يكتب بالياء فى النوعين مثل المَقْضَى والمَثْوَى كما تحدث عن المصدر الميمى فقال : وكذلك كل مصدر فيه زيادة من الفعل إذا كانت فيه الميم فهو منقوص مثل مقتضى ، ومدعى ومستقصى .

(ك) ثم تحدث عن الصفات من فعلان فعلى وأفعل فعلاء وبين حكمها فى المد والقصر .

(ل) ثم قال (وما جمعته على فعالى أو فعلى فهو منقوص يكتب بالياء مثل سكارى وأسرى) .

(م) ثم ختم هذا الباب بالحديث عن المصادر التى على وزن الفِعِّيلَى مثل الهِزِّيمى وقال إنها مقصورة تكتب كلها بالياء إلا ماكان آخره ياء فيكتب بالألف لئلا يجتمع ياءان فى الخط[1].

وتحدث فى الباب الثانى عن المقصور والممدود مما يتفق كتابه فيشكل ، ففصل ذلك وقرن كل حرف ممدود بنظيره من المقصور ، مثال ذلك « (الهوى) على وجهين هوى النفس مقصور يكتب بالياء، والهواء مابين السماء إلى الأرض ، وكل منخرق خرقاً فهو هواء يكتب بالألف كقول الله عز وجل : (لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) يقول : منخرقة لا تعى شيئاً[2]» .

وهكذا فعل فى سائر الكلمات تقريباً يأتى بالمثال مقصوراً وممدوداً ويميز بينها ويستشهد بالقرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وإلا جنح إلى الشعر والنثر من كلام العرب .

ومن الكلمات التى تصدى لها فى هذا الباب الرجاء ، والصفاء ، والفتى ، والسنا ، واللوى ، والثرى ، والغنى ، والخلى ، والنسى ، والأنى ، والعشا ،

---

(1) انظر لوحة (٢٦) الجانب الأيمن .

(2) لوحة (٢٦) .

والحوى ، والعرى ، والحفا ، والنقا ، والغرا ، والحيا ، والورى ، والنجا ، والدوى[1] ، والمهدى ، والوحى بالحاء المهملة مقصور يكتب بالياء ، والمقلى ، والصبا ، والملا ، والولى ، واللحى ، والبرى ، والحدا ، والعفا ، والميناء ، والأبا ، والعدى ، والروى ، والبداء (تغيُّر الرأى) ، والفضاء .

(٣) وتحدث فى الباب الثالث عما يفتح أوله فيمد ، فإذا كسر قصر ، وضرب أمثلة لذلك وشرح كل مثال من ذلك قوله « وإيا الشمس مقصور يكسر أوله وهو بياضها الممدود عليها وربما أدخلوا فيه الهاء فيقولون : (إياة الشمس) ، فإذا فتحوا أوله قالوا أياء الشمس قال طرفة :

سقته إياةُ الشمس إلا لثاتِه أُسِفَّ ولم تَكْدِم عليه بإثمد[2] »

وكذلك فعل فى سائر الكلمات مثل البلى ، والإنى ، والقرى ، وسوى ، والقلى

(٤) وتحدث فى الباب الرابع عن عكس ذلك وهو ما يفتح أوله فيقصر فإذا كسر مد ، وضرب أمثلة عديدة نهج فيها نفس النهج السابق من ذلك الغناء ، والغراء ، والصلاء ، والجراء ، والفداء ، والسحاء ، والإضاء .

(٥) وفى الباب الخامس تحدث عما يفتح أوله فيمد ويضم فيقصر ، ونحا فيه نحو سابقيه ومن الأمثلة التى تناولها فيه العليا ، والرغبى ، والنعمى ، والبؤسى ، والضحى .

(٦) أما الباب السادس فقد تحدث فيه عما يقصر ويمد وأوله على حال واحدة ، ومعنى المقصور فيه كمعنى الممدود سواء بسواء — ولم يخرج فيه عن النهج المتبع ، بل شدا فيه شدو السابقات ، ومن أمثلته الزنا ، والشفا ، والبكاء ، والوناء ، وخصيصاء فى رواية الكسائى .

---

(١) يكتب بالياء ومعناه الرجل الاحمق لوحة (٢٧) .

(٢) المقصور والممدود لوحة (٢٨) مصورتى .

(٧) أما الباب السابع فقد تحدث فيه عن لون جديد ، وهو مايقصر فيهمز بعضه ، ويكتب بالألف ، وما يقصر بعضه بلا همز ، مثال ذلك : — « صدأ الحديد يهمز وهو مقصور ، ويكتب بالألف ، وأما الصدى من العطش ، والصدى ذكر البوم فمقصوران يكتبان بالياء والألف ، والألف أجود[1] » ثم طفق يحشد العديد من الأمثلة ، وينهج فيها نفس النهج السابق ، من ذلك الملأ، والخذا، والحيا، والجنا ، والذرى، والحمأ ، والظمأ، والخطأ، النبأ والكلأ ، والرشأ ، والحلأ (حرارة تخرج على فم الرجل غب الحمى)[2] والحبأ واحد الأحباء ، والحدأ ، والشكأ ، واللجأ ، . . الخ .

(٨) وفى الباب الثامن تحدث عن المقصور خاصة الذى لايشبهه شيء ولا نظير له ، وأطال فيه وأسهب حتى كان أطول باب فى الكتاب ، ومن نماذجه قوله :

(ا) « السدى على ثلاثة أوجه :السدى من الندى،والسدى سدى الثوب ويقال السّتى (بالتاء) ، والسدى البلح ، يقال سداة وسدى ، تكتبهن ثلاثتهن بالياء ، وإن شئت بالألف[3] » .

(ب) وجاء فى حديثه عن (متى) قوله « ومتى حرف للاستفهام يكتب بالياء،ومتى فى لغة هذيل بمعنى وسط يقال جعلته فى متى كُمِّى أى فى وسطه، وأنشد الكسائى :

شربن بماء البحـــر ثم ترفعت متى لججٍ خضر لهن نئيـــــج

ولست أعرف لها فعلا . فإن شئت كتبتها بالياء وإن شئت كتبتها بالألف[4] » .

---

(١) المقصور والممدود لوحة (٢٩) الجانب الايمن (مصورتى) .

(٢) لوحة (٢٩) الجانب الأيسر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) لوحة (٣٠) الجانب الأيمن (مصورتى) .

(ح) ومن طرائفه أنه يجوز كتابة (حتى) بالياء وبالألف ، قال « وحتى تكتب بالياء لأنه لايعرف لها فعل ، ويجوز بالألف ، قال: سلمة سألت الفراء كيف يكتب حتى فقال : بالألف ، ثم رجع فقال بالياء وهى فى مصاحف ابن الزبير كلها بالألف[1] » .

وهكذا طفق أبو زكرياء يتحفنا بما اجتمع لديه فى هذا الباب ، من ذلك حديثه عن (القرا) والسلى ، والنثا ، واللوى ، (والحما والرضا) بكسر الأول فيهما وقال عنهما « يكتبان بالياء وبالألف لأن الكسائى زعم أنه سمع العرب تقول رحموان ورضوان ، وحميان ورضيان[2] » والربى ، والشذا ، والشفا ، والقذى ، والفحا (والمعى) واحد الأمعاء ، وقال عنه مقصور يكتب بالياء وكذلك قال عن (الطَّلَى) ولد الظبية ، . . . إلى آخر ماهنالك من اللغويات .

ذلك ما جاء فى الأبواب الثمانية السابقات ، أما الثلاث الباقيات فقد خصصها الفراء للحديث عن الممدود فحسب .

(٩) فقال فى الباب التاسع باب الممدود المكسور أوله ، وتحدث فيه عن مثل : الرداء، والغطاء ، والسلاء (السمن)، والرواء ، والرشاء ، والغشاء، والرثاء والرياء وفرق بينهما فى المعنى فقال « وقوم رثاء[3] يرى هؤلاء وهؤلاء ، ورياء الناس يراءون الناس من المراءاة[4] » إلى غير ذلك .

(١٠) أما الباب العاشر فقد تحدث فيه عن الممدود المفتوح أوله ، وتناول فيه مثل العطاء والثناء ، والغناء ، والسماء والبواء واستشهد له ببيت « ليلى الأخيلية :

فإن تكن القتلى بَوَاءً فإنكم ... فتى ماقتلتم يا لَعَوفِ بن عامر

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) فى الأصل (راآء) بالغين عليهما مدة واحدة وبعدهما همزة مفردة لوحة ٣٢ مصورتى .

(٤) فى الأصل يرآون ... المراآة ـ نفس المصدر .

(ثم قال) : « والبواء قتيل بقتيل[1] » كما تحدث عن الجلاء والبهاء والولاء والذكاء والدهاء والطواء « وهو أن ينطوى ثدياها فلا يكسرهما الحبل . . . وهذا مدح قال طَرَفة : وثديان لم يكسر طواءاهما الحبل[2] »وبهذا ختم الباب .

(١١) أما الباب الحادى عشر وهو الأخير فقد تحدث فيه عن الممدود والمضموم أوله ، وذكر فيما ذكر من اللغويات الكثيرة الدعاء والحداء ، والرخاء ، والملاء والحرباء وقال عنها ، « والحرباء دويبة توفى على ساق شجرة إذا طلعت الشمس ، فتدور مع الشمس إذا دارت ، قال الأخطل :

قطعت إذا الحرباء أَوْفَى كأنه نصل يمان أو أسير مكبل

والحرباء أيضا المسمار الذى يدخل فى حلق الدرع[3] » .

ثم تحدث عن (اللأواء) والعلياء ، والغوغاء والضوضاء والجهراء (جهراء الحى خيار الحى) ، ثم ختم الباب بالحديث عن الباءة فقال :
« وعليكم بالباءة ممدود وقد سمعتها بالباء، وكأن الهاء أصلية ولست أعرفها[4] ».

التعليق :

(أ) راوى الكتاب : كتاب (المقصور والممدود) وصل إلينا عن طريق سلمة بن عاصم[5] تلميذ الفراء ، بخلاف كتاب (المذكر والمؤنث) وكتاب (المعانى) فقد وصلا إلينا عن طريق ابن الجهم كما رأينا ، وكما سنرى.

(ب) وأسلوب هذا الكتاب – بوجه عام – أسلوب علمى جاف ، فهو يختلف عن أسلوب (المذكر والمؤنث) إلى حد كبير ، فبينما ترى هناك

---

(١) المقصور والممدود لوحة (٣٣) الجانب الأيمن – (مصورتى) .
(٢) نفس المصدر .
(٣) المصدر السابق لوحة (٣٣) الجانب الأيسر .
(٤) المصدر السابق .
(٥) انظر لوحة ٢٥ و ٢٨ .

ما رأيت من الأسلوب العلمي المتأدب[1] ترى هنا جفاف الفكرة المتسمة « بالذهنية المحضة » ، فكل همّه أن يحشد لك المادة العلمية حشدا لا تتخلله روح الأديب ، اللهم إلا مايطرفك به بين الحين والحين ، وذلك فى القليل النادر .

استمع إليه فى مطلع الكتاب يقول : « فمن المنقوص ما يعرف نقصه بحدّ وعلامة ومنه ما يأتى مختلفاً كما تختلف المصادر ، فيكون منها فَعِل نحو ثَقِل وفَعل نحو عَمَل وعَمَد فمثال ثقل وعمل من الواو والياء من دعوت وقضيت منقوصان ، ومنه ماتزاد فيه الألف مثل القتال والذهاب ، فمثال هذين من الياء والواو ممدودان ، مثل الدعاء من دعوت والقضاء من قضيت ، فإذا أتاك مصدر فاعمل فيه كما عملت فى هذين الوجهين من النقص والمد ، وما كان من المنقوص فكتابُه على أصله إن كان من الياء كتبته بالياء وجاز كتابه بالألف مثل قضى يكتب بالياء والألف ، وما كان من الواو كتبته بالألف لا غير مثل خلا ودعا[2] » .

(ح) ثم هو ينتهج فيه نفس المنهج الذى درج عليه هو وأمثاله من المؤلفين فى تلك الحقبة وذلك بالاستشهاد بالآيات والشعر والأمثال وكلها أوضح من أن نضرب لها الأمثال . وممن روى لهم وأنشد فى هذا الكتاب من الشعراء الجاهليين والإسلاميين على السواء ، أمرؤ القيس[3] وزهير بن أبى سلمى[4] وحاتم الطائى[5] وعنترة العبسى[6] والحطيئة[7] ، وكعب بن مالك[8] ، والعجاج[9] ونصيب[10] والفرزدق[11] ، وأو النجم[12] ، وليلى الأخيلية[13] ، وغير هؤلاء

---

(١) هذا اصطلاح يطلقه الأدباء المحدثون على المزيج من الأسلوبين (العلمى والأدبى) .
(٢) المقصور والممدود لوحة (٢٥) الجانب الأيمن (مصورتى) .
(٣) لوحة ٢٧ الجانب الأيمن .
(٤) نفس اللوحة الجانب الأيسر ولوحة ٣٢ .
(٥) لوحة ٢٦ .
(٦) لوحة ٣٢ .
(٧) لوحة ٢٦ و ٢٨ .
(٨) لوحة ٢٧ .
(٩) لوحة ٢٨ .
(١٠) نفس اللوحة .
(١١) نفس اللوحة .
(١٢) لوحة ٢٨ .
(١٣) لوحة ٣٢ .

كثير ، كما رأينا أسماء أبي ثروان[1] وأبي الخراح العقيلي[2] ممن عوّدنا الفراء أن يروى عنهم ، هذا إلى ما سمعه بنفسه[3] أو رواه عن أشياخه مثل الكسائي[4] وأبي جعفر الرؤاسي[5] ، غير أن الذى لفت نظرى روايته عن أبي عبيدة والأصمعي عن طريق أبي جعفر وإن كانت فى معرض الرد[6] ، وذلك مالا أراه عنده إلا نادراً ، وربما كان أندر منه روايته عن اليزيدى حين قال « أنشدنى أبو محمد اليزيدى . . . . .[7] » وهو بصرى منافس لشيخه الكسائى إذ كان مؤدب المأمون على حين كان الكسائى مؤدب الأمين ، لكن الفراء ـ كما علمنا ـ أخذ عن هؤلاء وهؤلاء ، وما حديث أخذه عن يونس البصرى منا ببعيد[8] ؟

(د) وفى هذا الكتاب يعنى الفراء برسم المصحف[9] كعادته دائما فى سائر آثاره .

(هـ) وهناك بعض العبارات الدخيلة على الكتاب مثل قوله : ذكره فى غير هذا الموضع[10] » وقوله « أنشدنى فى غير هذا الكتاب[11] » وقوله « قال سلمة[12] وهى من ألفاظ الرواة كما هو طابع كتب الإملاء ، وذلك لايضير توثيق الكتاب كما سبق به البيان[13] .

(و) ولعل من النصوص التى أشار إليها الراوى مما لم ترد فى هذا الكتاب ، وقد جاءت فى كتاب ابن ولاّد قوله « والتأداد : الأمة بإسكان الحرف الثانى وتحريكه حكى ذلك الفراء يقال : ما هو بابن تأداء ولا دأثاء[14] » ، وقول ابن الأنبارى فى كتاب إيضاح الوقف « حكى الكسائى عن العرب اسقنى

---

(١) لوحة ٢٨ .
(٢) لوحة ٢٧ و ٣٨ .
(٣) لوحة ٢٥ و ٢٨ .
(٤) لوحة ٢٨ .
(٥) لوحة ٣٠ .
(٦) لوحة ٣٠ .
(٧) لوحة ٢٩ .
(٨) انظر مذهبه فى النحو .
(٩) لوحة ٣٠ .
(١٠) لوحة ٢٦ .
(١١) لوحة ٣٠ .
(١٢) لوحة ٢٨ .
(١٣) انظر مبحث (الايام والليالى) ففيه تفصيل .
(١٤) المقصور والممدود لابن ولاد ص ٢١ الطبعة الاولى نشر الخانجى .

شربة ماء ، وقوله تعالى (والسماء بناء) من العرب من يقصر البناء فيقول فى الوقف عليه بنى ، قال الفراء من قصره جعله جمع بنية كما تقول : لحية ولحى وحلية وحلى[1] » .

(ز) زعم بعض النحويين أن (متى) من حروف الجر[2] استنادا إلى قول الشاعر :

شربن بماء البحـــر ثم ترفعت متى لجج خضر لهـــن نئيج

يجر لجج ، وقد كشف لنا أبوزكرياء عن فساد هذا الزعم حين بين لنا أنه اسم بمعنى وسط فى لغة هذيل[3] ، وروى لنا نفس الشاهد ، فعلمنا أن ما بعد (متى) يكون مجروراً بالإضافة لا على أنها حرف جر كما زعم أولئك النحاة .

يبدو أن بعض المصطلحات مثل المصدر الميمى واسم المكان لم يكن قد تحدد عند الفـ اء فحين تصدى لها رأيناه يتحدث عنهما حديثا لايعرف هذا المصطلح الهادف المركز[4] .

(ح) ادعى البغدادى أن الفراء لا يجيز قصر الممدود القياسى فقال : « وسميت الخمر الصهباء للونها وهى ممدودة وقد قصرها[5] للضرورة وفيه رد

---

(١) ايضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله تعالى لأبى بكر بن الانبارى لوحة (٨٢) .

(٢) انظر مثلا (حروف الجر) فى أوضح المسالك ص ٥٧ ط صبيح ، وشرح ابن عقيل ص ٢٧٤ ط السعادة ، والقصر المبنى للابيارى ص ٦٣٥ ، وفرائد القلائد للعينى ص ٢٠٩ ، وظواهر الكواكب ص ٣١٤ ، ومنار السالك ٣٨٢/١ ط الفجالة .

(٣) انظر المقصور والممدود لوحة (٣٠) الجانب الأيمن (مصورتى) .

(٤) انظر نهاية لوحة (٢٥) ومبدأ لوحة (٢٦) (مصورتى) .

(٥) يشير الى الأقيشر الأسدى حين لامته امرأته عند ما بدت عورته وهو سكران فقال ردا عليها :

تقول ياشيخ أما تستحى ٭ من شربك الخمر على المكبر
فقلت لو باكرت مشمولة ٭ مهبا كلون الفرس الأشقر
رحت وفى رجليك مقـالة . . . . . .

انظر خزانة الأدب للبغدادى ٣٧٠/٤ فما بعدها ط السلفية .

على الفراء إذ زعم أنه لايقصر للضرورة إلا ما أخذه السماع ، ولايجوز قصر الممدود القياسى[1]» .

وحين رجعت إلى كتب النحو لم أعثر للفراء على خلاف فى ذلك ،بل وجدت إجماع النحاة على هذا كما قال ابن مالك :

وقصر ذى المد اضطرارا مجمع عليه والعكس بخلف يقع[2]

ولست أدرى من أين جاء البغدادى بهذا القول الذى ادعاه على الفراء ، على أنه لو وجد فى بعض ما لم أطلع عليه من مراجع النحو فإنه غير جدير بالتقدير فكيف نلتفت إلى مثل هذه المرويات ، ولدينا أثر من آثار الفراء ينطق برأيه الصريح فيقول :

قال الشاعر :

سيغنينى الذى أغنـــاك عنى فلا فقـــر يدوم ولا غِناء

. . . . . احتاج إليه فى الشعر فمده ، وكذلك قوله :

قد علمت أم أبى العـــلاء وعلّمت ذاك مع الجـــراء

أن نعم مأكـــولا على الخواء

فمد جميع هذه الحروف وهى مقصورة لضرورة الشعر ، وكذلك قوله :

. . . . . ∴ لابد من صنعا وإن طال السفر

نقصها حين احتاج إلى ذلك لضرورة الشعر وهى ممدودة ، والصنعاء (كذا) الغالب عليه المد ويقصر فيكتب بالياء وهى الرماد[3] » .

---

(١) خزانة الادب للبغدادى ٣٧١/٤ ط السلفية .

(٢) الالفية باب (المقصور والممدود) .

(٣) المقصور والممدود لوحة (٢٨) فما بعدها (مصورتى) .

ومثل هذا الكلام صريح لا يحتاج إلى توضيح ، ولعل من روى عنهم البغدادى قد التبس عليهم أو عليه رأى الفراء بمن سواه . إن كان هناك مروى حقا إذ أنى لم أعثر عليه حتى الآن على كثرة ما استقصيت .

التوثيق : توثيق هذا الكتاب توافرت فيه العناصر الثلاثة .

(١) العنصر التاريخى والعنصر الموضوعى بقسميه .

(٢) استخراج خصائص المؤلف من الكتاب نفسه .

(٣) العثور على نصوص خارجية توافق أو تقارب ما جاء بالكتاب .

(١) أما العنصر التاريخى فيتمثل فيما جاء فى كتب الطبقات ، فقد ذكره ابن النديم فى الفهرست[١] وياقوت فى معجم الأدباء[٢] وقفى على آثارهما السيوطى فى البغية[٣] ، كما أن ابن الجهم ذكره فى مرثيته أو فى مدحته على حد تعبير الخطيب البغدادى[٤] ، كما ذكره (بروكلمان) فى تاريخ الأدب العربى[٥] ، وأشارت إليه مجلة المستشرقين الألمان[٦] كما أنى رأيته فى مرجع غريب بعض الشىء وهو (الآصفية[٧]) .

(٢) أما التوثيق من حيث الخصائص ، فقد رأيته يتمثل فيما يأتى :

(ا) العناية بوضع الأصول العامة ، وتلك هجّيراه كما رأيناها فى سائر آثاره فى عهد لم يعن فيه سيبويه بهذه الظاهرة كثيراً[٨] ، من تلك القواعد

---

(١) انظر ص ١٠٠ ط الرحمانية .

(٢) انظر ١٤/٢٠ ط دار المأمون .

(٣) انظر ص ٤١١ ط السعادة .

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٥٤/١٤ ط السعادة فقد جعل هذه القصيدة مدحا فى الفراء والحقيقة أنها رثاء بدليل ما جاء فى القصيدة نفسها (فرحمة الله على شيخنا) والأمر يسير، فالرثاء يلتقى مع المديح فى بعض زواياه .

(٥) انظر الملحق ١٧٨/١ ط ليدن سنة ١٩٣٧ م .

(٦) انظر مجلد ٦٨ ص ٤٩ ط ليبسك سنة ١٩١٤ م .

(٧) اطلعت عليها فى مكتبة صديقنا الاستاذ خير الدين الزركلى وهى عبارة عن فهارس كتب عربية وفارسية وأوردية منسوبة الى مؤلفيها مطبوعة فى دار الطبع (سركار عالى) ـ حيدر آباد ـ الدكن سنة ١٣٥٥ هـ .

(٨) انظر ترجمة الفراء فى ضحى الاسلام .

العامة قوله : « كل صنوف المشى والسير إذا رأيت فى آخره ألفاً فهى مقصورة تكتب بالياء [1] » وقوله « وكل حروف الهجاء ما كان منها على حرفين ، الثانى منهما ألف – يمد ويقصر [2] » إلى غير ذلك من الضوابط والأصول [3] .

(ب) بعض العبارات التى تكاد تشبه « اللازمة » عند الفراء مثل قوله « أعجب إلى » بعد كل شىء يستحسنه [4] .

(حـ) ظهور النزعتين البصرية والكوفية فى هذا الكتاب ، وقد أثبتُّ بالبحث أنه كان المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى ، فظهور هاتين النزعتين يوثق الكتاب من جهة ، ويؤيد ما ذهبنا إليه من جهة أخرى .م

من مظاهر النزعة البصرية تشدده فى قبول الرواية ، فلا يجيز كل مايروى عن العرب . ولو كان الراوى شيخه الكسائى ذلك الذى قال فيه مرة (وكان والله ما علمته إلا صدوقاً) [5] استمع إليه يرد رواية هذا الصدوق فيقول : « وزعم الكسائى أنه سمع (مايفعل ذلك إلا خصيصاء قوم ، وأمرهم فيضوضاء بينهم) ممدودين فسمع فى هذين الحرفين المد والقصر وأجاز الكسائى المد فيه كله على القياس ، قال الفراء ولم أسمع المد فى هذا من أحد من العرب فلا أجيزه [6] » .

ومن مظاهر نزعته البصرية فى هذا الكتاب أنه أحياناً لايعتد بالسماع ، [ولو كان الراوى هو نفسه ، حتى ولو كان المسموع أكثر من مثال ، فإنه

---

(١) المقصور والممدود للفراء لوحة (٢٦) الجانب الأيمن (مصورتى) .
(٢) لوحة (٢٨) الجانب الأيسر .
(٣) انظر لوحة (٢٥) و (٢٨) و (٣٠) مثلا .
(٤) انظر مثلا لوحة (٣٠) – الجانب الأيسر .
(٥) انظر معانى القرآن عند تفسير قوله تعالى (فهل من مدكر) سورة القمر .
(٦) المقصور والممدود للفراء لوحة (٢٦) مصورتى .

يحفظه ولا يقيس عليه شأنه فى ذلك شأن البصريين ، مخالفاً مذهب قومه من الكوفيين الذين يعتدون بالسماع ولو كان من أعرابية رعناء كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل[1] استمع إليه يقول : « .... وقد سمعنا لحى وحلى بالضم فى هذين الحرفين خاصة ، ولا يقاس عليهما .....[2] » .

أما مظاهر النزعة الكوفية فتتمثل فى بعض المصطلحات مثل (يجرى ولا يجرى[3]) فى مقابل (ينصرف ولا ينصرف) عند البصريين .

(٣) وأما التوثيق من حيث النصوص فقد تجمّع لدى منها عدد وفير أجتزئ بذكر ما يأتى :

(ا) قال ابن السكيت فى (المقصور والممدود) كما يرويه السيوطى « وزعم الكسائى أنه سمع المد والقصر فى خصيصى ، وأمرهم فيضوضى بينهم ، وقال الفراء لم أسمع أحداً من العرب يمد شيئاً من هذا ولم يجزه[4] » وقد رأينا هذا الزعم وهذه القولة فى كتاب الفراء[5] كما رأيت منذ قريب .

(ب) وجاء فى مجالس ثعلب أن الفراء يقول فى (لواء) : إنه إذا تُرك همزُه يكتب بالياء[6] ، ومثل هذا جاء حقاً فى كتاب الفراء[7] .

---

(١) انظر (مذهبه فى النحو) .

(٢) المقصور والممدود لوحة (٢٥) الجانب الايسر (مصورتى) .

(٣) انظر مثلا لوحة ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

(٤) المزهر للسيوطى ١٠١/٢ ط الحلبى .

(٥) انظر لوحة (٢٦) مصورتى .

(٦) انظر ص ١٤٥ ط المعارف .

(٧) انظر المقصور والممدود لوحة (٢٦) الجانب الايسر مادة (اللوى) مصورتى .

(ح) وقال ابن ولّاد فى كتابه (المقصور والممدود) عند الحديث عن (إلىّ) من آلاء الله تعالى « وزعم الفراء أنه يكتب بالياء والألف جميعاً[1] »، ورأيت مثل ذلك عند الفراء فى المقصور والممدود [2] .

هذا إلى أن ابن ولاد نقل عن الفراء كثيراً فى كتابه (المقصور والممدود) فتأثر به أيما تأثير [3] .

وإلى هنا ننتهى حديثنا عن هذه المخطوطة النادرة .

رابعا — معانى القرآن

اسم الكتاب : الاسم المشهور لكتاب الفراء هو (معانى القرآن) غير أننا نجد بداخله تسمية أخرى هى (مشكل إعراب القرآن ومعانيه)[4] فأيهما الصحيح ؟ .

كلاهما صحيح ، وتوجيه ذلك أن ابن الجهم راوى هذا الكتاب حين عبر عنه (بمشكل إعراب القرآن ومعانيه) عبر عن حقيقة الكتاب وما يحتويه ، مستمداً هذا العنوان من سبب تأليفه حين استغلق على عمر بن بُكَيْر بعض مشكل القرآن فكتب إلى الفراء يستنجده بتأليف كتاب يوضح كل مشكل فى كتاب الله فكان هذا الكتاب[5] ، ومن هنا جاءت التسمية .

أما تسميته بالمعانى فواضح أنها مأخوذة من نفس العنوان السابق باختصار صدره والإبقاء على العجز ، هذه واحدة ، وأخرى أنهم كانوا فى تلك

---

(1) ص ١١ السعادة نشر الخانجى .
(2) انظر لوحة (٣٠) الجانب الأيسر (مصورتى) .
(3) انظر ص ٩ و ١١ مثلا .
(4) أنظر الصفحة الاولى من الجزء الاول ط دار الكتب .
(5) سيأتى فضل بيان لسبب التأليف .

الحقبة يطلقون هذا التركيب – معانى القرآن – على ما يشكل من القرآن ويحتاج إلى معالجة أسوة بما كان يدور فى (معانى الشعر)[1] .

وغنى عن البيان أن نقول : إن هذا المشكل غير كتابيه الآخرين (المشكل الصغير) و (المشكل الكبير) ، فقد سبق أن بينت أنهما فى اللغة وهذا فى التفسير ، كما وضحت أن كتب الطبقات تذكر له الآثار الثلاثة مجتمعة على أن كل كتاب يغاير الآخر ، فلا حاجة إلى التكرار[2] .

اشتراك فى هذا العنوان :

ظل العلماء زهاء قرنين من الزمان يتوارثون هذه التسمية (معانى القرآن) وأقدم من عثرت عليهم واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ فقد حدّث عنه ابن النديم فقال : له كتاب (معانى القرآن)[3] . وآخر من ألف بهذا العنوان – فيما أعلم – أبو جعفر النحاس (ت سنة ٣٢٨ هـ) وأبو عبيد القاسم ابن سلام المتوفى فى نفس العام[4] .

وقد ذكر (ملا كاتب جلبى) ستة عشر عالماً ألفوا بهذا العنوان[5] (معانى القرآن) ومن قبله ذكر ابن النديم خمسة وعشرين مؤلفاً سردها تحت عنوان (الكتب المؤلفة فى معانى القرآن ومشكله ومجازه) وكلاهما لم يبلغها إحصاء واستقراء ، كما جاء التصريح بذلك[6] .

وأود أن ألفت النظر إلى عدم الدقة فى رواية الخطيب البغدادى حين جعل أبا عبيدة أول من ألف فى المعانى فقال « ... أول من صنف فى ذلك من أهل

---

(١) من مؤلفى (معانى الشعر) الاخفش الاوسط وابو العباس ثعلب وابن قتيبة .

(٢) انظر ما كتبته هناك فى احصاء آثار الفراء .

(٣) انظر الفهرست ص ٢٥١ ط الاستقامة .

(٤) انظر كشف الظنون ٢/٤٦١ ط الاولى .

(٥) نفس المصدر .

(٦) انظر المصدر السابق .

اللغة أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى ...[1] » ونسى أن أبا عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هـ أو سنة ٢١٥ هـ على خلاف فى ذلك مسبوق بالكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، بل إنهما مسبوقان معاً بأبى جعفر الرؤاسى (ت ١٧٥ هـ) ويونس البصرى (ت ١٨٢ هـ) وقد ألفوا فى المعانى [2] كما أنهم جميعاً مثله من أهل اللغة إن كان لا يريد أن يحتسب واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ) من اللغويين وقد رأينا أنه سبق الجميع .

سبب التأليف :

تحدثت كتب التراجم عن سبب تأليف المعانى : من ذلك ماجاء فى «الفهرست لابن النديم[3] » وقريب منه ما جاء فى وفيات الأعيان ، وإليك رواية ابن خلّكان : حيث يقول فى ترجمة الفراء : « وكان سبب إملائه كتاب المعانى أن أحد أصحابه وهو عمر بن بُكَيْر[4] ، كان يصحب الحسن بن سهل .. فكتب إلى الفراء أن الأمير الحسن لا يزال يسألنى عن أشياء من القرآن لايحضرنى عنها جواب ، فإن رأيت أن تجمع لى أصولا ، وتجعل ذلك كتاباً يُرجع إليه فعلت ، فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملى عليكم كتاباً فى القرآن وجعل لهم يوماً فلما حضروا خرج إليهم وكان فى المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء[5] ، فقال له : اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ففسرها حتى مر فى القرآن كله على ذلك ، يقرأ الرجل والفراء يفسر ، وكتابه هذا نحو ألف ورقة ، وهو كتاب لم يعمل مثله ولا يمكن أحد (كذا) أن يزيد عليه[6] » .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ترجمة (أبى عبيد القاسم بن سلام) .

(٢) انظر الفهرست ص ٢٥١ ط الاستقامة ، وكشف الظنون ٤٦١/٢ ـ ط الاولى .

(٣) ص ٩٨ ط الرحمانية او ص ٦٦ ط ليبسك .

(٤) بكير على وزن زبير كما جاء فى القاموس .

(٥) هو أبو طلحة الناقط (بالقاف) وهو أحد القراء ، وقد روى عنه الفراء حرفا فى المعانى وقال « ما يحضرنى عن غيره » انظر معانى القرآن للفراء ص ١٩١ (مصورتى) .

(٦) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان ٣٠١/٢ ط بولاق .

ذلك هو السبب ، ولكن من عمر بن بكير ذلك الذى ألف له الفراء كتاب المعانى ؟ يقول المحققان فى مقدمة المعانى « و لم نقف على أمر عمر بن بكير الذى صنع الكتاب لأجله [1] » وأقول : لقد وقفت على أمره ، بل على كثير من أمره ، فقد ترجم له ياقوت الحموى فى معجم الأدباء فى ست صفحات [2] ومن قبله ترجم له ابن النديم فى كتاب الفهرست [3] ، ومن بعد هذا وذاك ترجم له السيوطى فى البغية ومما جاء فيها قوله : « عمر بن بكير صاحب الحسن بن سهل . . . كان نحويا إخباريا ، راوية ناسبا ، عمل له الفراء معانى القرآن وصنف كتاب الأيام فى الغزوات [4] » وتوسع ابن النديم فى آثاره فقال « وله من الكتب كتاب يوم الغول ، يوم الظهر ، يوم أرمام ، يوم الكوفة ، غزوة بنى سعد بن زيد مناة ، يوم منابض [5] » ، وفى موطن آخر من البغية تحدث السيوطى عن شيخ من شيوخ ابن السكيت يسمى (نصران) وأن هذا الشيخ « قرأ شعر الكميت على عمر بن بكير [6] » صاحب الفراء .

تأليف المعانى :

أغنانا محمد بن الجهم السِّمِّرِىّ عن البحث طويلا حين حدد تاريخ تأليف المعانى تحديدا دقيقا فقال فى صدر الكتاب « هذا كتاب فيه معانى القرآن ، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء — يرحمه الله — عن حفظه من غير نسخة فى مجالسه أول النهار من أيام الثلاثا وات ، والجمع فى شهر رمضان ، وما بعده من سنة اثنتين ، وفى شهور سنة ثلاث ، وشهور من سنة أربع ومائتين [7] »

---

(١) انظر مقدمة معانى القرآن للفراء بقلم الاستاذين المحققين الشيخ محمد على النجار والأستاذ أحمد يوسف نجاتى ص ١٣ ط دار الكتب .

(٢) انظر ج ١٥ ص ٢٦٢ فما بعدها ط دار المأمون .

(٣) انظر ص ١٦٢ ط الاستقامة .

(٤) انظر ص ٣٦٠ ط السعادة .

(٥) الفهرست ص ١٦٢ ط الاستقامة .

(٦) انظر البقية ص ٤٠٤ ط السعادة .

(٧) انظر الصفحة الأولى من معانى الفراء — ط دار الكتب .

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى تاريخ (المعانى) بالنسبة إلى تاريخ (الحدود)[1] ورجحنا أنه كان فى فترة وسط بين بدء الحدود متناثرا وبين جمعه فى كتاب بأمر الخليفة المأمون الذى دخل بغداد فى شهر صفر من سنة أربع ومائتين من الهجرة [2] ، أى بعد أن أوشك الفراء أن ينتهى من إملاء المعانى .

هذا بالنسبة إلى كتاب الحدود للفراء وقد كان فيه خلاف طويل برغم أن الحدود مفقود . أما بالنسبة إلى كتاب وصل إلينا ويشترك مع المعانى فى طرف من الدراسات القرآنية وهو كتاب المجاز لأبى عبيدة فنود أن نحقق أيهما أسبق فى الميلاد ؟ .

يميل الأستاذ أحمد أمين إلى أن الفراء أول من فسر القرآن الكريم بالتتابع حسب ترتيب المصحف معتمدا على رواية لابن النديم ليست قاطعة[3] ، كما نرى (بروكلمان) يقول فى تاريخه « والفراء أول من قعد لدرس تفسير القرآن فى مسجد من مساجد بغداد [4] » فهل يفهم من هذا وذاك أن معانى القرآن للفراء هو أقدم تفسير للقرآن الكريم ؟ كما أنه أقدم من مجاز القرآن لأبى عبيدة ؟ .

قبل الإجابة أحب أن أشير إلى أن التفاسير التى زعموا أنها نسبت إلى ابن عباس وغيره عن أجلاء الصحابة ماتزال موضع الشك ، وأنها دعاوى لم يقم عليها دليل . بقى علينا مجاز القرآن لأبى عبيدة . غير أننى وقفت على تاريخ تأليفه بالتحديد فى معجم الأدباء حين قرر أن أبا عبيدة ألفه سنة ١٨٨ هـ [5] ومعنى هذا أنه أسبق من معانى الفراء الذى عرفنا أن تأليفه تم سنة ٢٠٤ هـ فكيف تسنى للأستاذ أحمد أمين أن يقول ماقال وكذلك بروكلمان ؟ .

---

(١) انظر الحديث عن كتاب الحدود فى احصاء آثار الفراء .

(٢) انظر طبقات الزبيدى ص ٦٤ ـ ط الأولى (ترجمة اليزيدى) .

(٣) انظر ضحى الاسلام ١٤٠/٢ .

(٤) تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة الدكتور النجار ـ الملحق ١٧٨/١ ـ ط ليدن .

(٥) انظر ١٦٧/٧ ط اوروبا .

أكبر الظن أنهما لم يطلعا على تاريخ التأليف ، وإذا أحسنا الظن – وذلك ماينبغى – قلنا لعلهما نظرا إلى مابين الكتابين من فروق ، فأسقطا كتاب المجاز من عداد التفاسير ، إذ أنه كما يقول الأستاذ خلف الله « محاولة فى تفسير غريب القرآن وفى بيان نهجه أو مجازه فى التعبير ، ووجوه نظمه . . . . وأما الفراء فقد عنى (فى معانى القرآن) بالتوسع فى التخريج النحوى ، وبيان القراءات وأوجه التفسير ، إلى جانب عنايته بالشرح اللغوى والتنبيه إلى ظواهر الاستعمال والاستشهاد بالشعر [1] » فكان تفسيرا أىّ تفسير.ومن هنا قال من قال: إنه أول تفسير للقرآنالكريم . – كما أن كلمة (بروكلمان) تشير إلى شىء آخر وهو أنه يتحدث عن أول من قعد للدرس التفسير فى مسجد من المساجد و لم يتعرض بنفى أو إثبات إلى تفاسيرأخرى لم يتوافر لها وصف الإلقاء فى المساجد بأن كانت من قبيل التأليف مثلا .

ونخلص من هذا وذاك إلى أن معانى القرآن للفراء هو حقا أول تفسير وصل إلينا يجمع – فضلا عن شرح الآيات – بين الدراسات اللغوية بمعناها العام والخاص ، وبين الدراسات النحوية بمعناها القديم والحديث ، إلى جانب القراءات والاحتجاج لها ، وبيان أسباب النزول ورسم المصحف والاختلا ف فيه ، إلى غير ذلك من الدراسات التى كان يتمتع بها أبو زكريا الفراء . – كما ينبغى أن نقرر أن تأليف المجاز كان أسبق من تأليف المعانى، ولكن اقتصاره على بعض الزوايا جعل إطلاق اسم التفسر عليه من العسير ، وقديما أطلقوا عليه اسم (غريب القرآن) [2] .

نسخ المعانى :

أشار (بروكلمان) إلى نسخ ثلاث : [3]

(ا) نسخة نور عثمانية برقم (٤٥٩) .

(ب) نسخة وهبى أفندى برقم (٦٦) .

---

(١) مقدمة أثر القرآن للاستاذ محمد خلف الله ص ٩ فما بعدها ط دار المعارف .

(٢) انظر مقدمة المجاز ص ١٨ ط اولى .

(٣) تاريخ الادب العربى – الملحق ١٧٨/١ ط ليدن .

(حـ) نسخة برلين ، وقال : إن نسخة وهبي صورة منها .

وفى دار الكتب نسخ متعددة ، بعضها كامل ، وبعضها مقطوعات ، وبيان الكامل منها كالآتى :

(ا) نسخة برقم (٢٤٧٧١ ب) وهى مصورة عن نسخة نور عثمانية رقم (٤٥٩) .

(ب) نسخة أخرى برقم (٢٤٩٨٦ ب) وهى مأخوذة عن مصورة مكتبة بغداد لى بالمكتبة السليمانية باستامبول رقم (٦٦) .

وبالدار نسخ متكررات من هذه النسخة بالذات إحداها تحمل رقما جديدا وهو (٢٤٧٧٠ ب) . وتلك عادة الدار فى تغيير الأرقام مهما كانت النسخ مأخوذة من أصل واحد دون تغيير أو تبديل وكان حقها أن تجعل الرقم متحدا ثم تميز بين الصور المتكررة بإضافة حرف من حروف الأبجدية يغاير الآخر (ا) (ب) (حـ) مثلا .

(ج) نسخة ثالثة كاملة بمكتبة المرحوم الشيخ الشنقيطى برقم (١٠ تفسير — ش) .أما المقطوعتان فإحداهما تبدأ من سورة الزمر إلى آخر القرآن ورقمها بالدار (٢٤٩٨٧ ب) والأخرى من أواخر سورة عبس إلى نهاية القرآن ، برقم (١١ تفسير — ش) . هذا وقد ملكت نسخة صورتها على نفقتى من النسخة التى تحمل بالدار رقم (٢٤٧٧١ ب) وبمكتبة نور عثمانية رقم (٤٥٩) تلك التى أشير إليها فى الهامش بكلمة (مصورتى) إيثاراً للإيجاز .

وأخيرا دار الفلك دورته ، وقدر لكتاب المعانى أن يرى النور لأول مرة فى تاريخ المطابع — أو بعبارة أدق لبعض كتاب المعانى — فعرضت دار الكتب لإخراجه وتحقيقه ونهض بهذا العبء أستاذان جليلان فأخرجا الجزء الأول فقط وينتهى بانتهاء سورة يونس سنة ١٩٥٥م، ومنذ ذلك الحين توقف العمل لسبب أو لأكثر ، وما يزال باقى المعانى يدعو العاملين للإسهام فى إخراجه ، وعسى أن يوفقوا للنهوض بهذا العبء الثقيل فيكملوا هذا السفر الجليل ، وأشهد

أن تحقيق هذا الكتاب بحاجة كبيرة إلى تضافر الجهود لأن صاحبه(الفراء) يتمتع بعقلية تجهد السائرين معه ، لما توافر لديه من تعمق وإحاطة وشمول وتنويع فى جميع الأفانين التى عرفها ذلك العهد ، وعمل كهذا لا يختص بناحية واحدة لا شك أنه يحتاج إلى مزيد من التمكن فى كل فرع من فروع الدراسات النقلية والعقلية بما فيها من الدراسات الشرعية والعربية ، وما أصدق ما قاله محقق الأيام ،«وبين يدى واحدة للفراء حسبى أن أعنى بها ، وأصبر لها وما أظن علاج واحدة للفراء بالأمر اليسير[1] " قال ذلك فى كتاب الأيام وهو كُتيب صغير ، فما بالك بأكبر أثر للفـراء وهو كتاب (معانى القرآن[2]) ولما كان تصدير الجزء الأول قد اشتمل على وصف دقيق للنسخ الموجودة بالدار فقد رأيت بعد المراجعة والتثبت من هذا الوصف أن أكتفى به إيثارا للإيجاز من ناحية ، ولأن الكتاب مطبوع حديثا وهو فى متناول أيدى الباحثين من ناحية أخرى فلا حاجة بنا إلى التطويل توفيرا للجهد فيما هو به جدير .

من روايات المعانى :

اشتهرت له روايتان : أولاهما عن محمد بن الجهم وأخراهما عن سلمة بن عاصم ، وكلاهما كان تلميذا للفراء كما كان من وراقيه ، أما رواية ابن الجهم فهى التى كتب لها البقاء فوصلت إلينا فى جميع المخطوطات التى تحدثنا عنها منذ قريب ، أما رواية سلمة فقد ابتلعها الزمان وإن كانت أجود الروايتين فيما يرويه الزبيدى فى طبقاته فيقول :« وكتاب سلمة أجود الكتب (يريد كتابه فى معانى القرآن[3]) لأن سلمة كان عالما وكان لا يحضر مجلس الفراء يوم

---

(١) هو الاستاذ ابراهيم الابيارى ـ انظر مقدمة الأيام والليالى للفراء ـ الصفحة الأولى من ط الاميرية .

(٢) علمت اخيرا من مصدر موثوق به أن تحقيق (المعانى) اسند وسميا من جديد الى استاذنا فضيلة الشيخ محمد على النجار ، اما زميله الفاضل الاستاذ احمد يوسف نجاتى فقد اختاره الله الى جواره الكريم .

(٣) هامش ص ١٥٠ من تعليقات المحقق .

الإملاء وكان يأخذ المجالس ممن يحضر ويتدبرها فيجد فيها السهو فيناظر عليها الفراء فيرجع عنه »[1] ومن هنا جاء الاختلاف بين الروايات، وذلك الذى لمسته فى بعض المقتطفات التى عثرت عليها فى بطون الكتب الأخرى منسوبة إلى معانى القرآن كما سيأتى به البيان . أما أن تكون أجود أو أقل فذلك ما لا نستطيع البتّ فيه لفقدان الرواية الأخرى ، وكذلك يظل موقوفا فى رأينا ما ادعاه من وجود السهو فى روايات الآخرين لأن رواية تاريخ بغداد قد خلت من ذلك وكل ما هنالك هو إثبات التغيير والتبديل بالزيادة أو النقص من جانب سلمة بن عاصم[2] .

على أن رواية المعانى تعتمد فى كثير على سلاسل من الإسناد تختلف حسب اختلاف الرواة الأدنين حتى إذا ما وصلت إلى ابن الجهم توحدت الروايات ومنه عن الفراء صاحب المعانى، ورأيت فى أول إسناد شخصاً مجهولا عندى[3] يقول : حدثنا أبو منصور نصر مولى أحمد بن رسته ، قال حدثنا أبو الفضل يعقوب بن يوسف بن معقل النيسابورى .... قال سمعت أبا عبدالله محمد بن الجهم ابن هارون السَّمَرِى[4] ..... الخ ، وهكذا نرى ابن الجهم هو العمود الفقرى فى الرواية ثم منه يتشعب الإسناد ، فتارة يروى عنه أبو الفضل يعقوب كما فى هذا السند ، وأخرى يروى عنه أبو العباس[5] مثلا ، إلى غيرهما من الرواة، وربما كان تعدد الرواة يعود إلى تعدد التلاميذ ، ولعل بعضهم كان يحضر مجالس لا يحضرها الآخرون فتسند إليه رواية المسائل التى حضرها ، وكذلك غيره وغيره، وهكذا نرى بعض الكتاب مرويا بالإسناد على طريقة أهل الحديث إمعانا فى التوثيق .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ـ ص ١٥٠ تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٣ ط السعادة .

(٣) وكذلك عند محققى المعانى للفراء ، وهما الشيخ محمد على النجار والمرحوم أحمد يوسف نجاتى .

(٤) الصفحة الاولى من الجزء المطبوع .

(٥) انظر المعانى ص ٣٣٦ (مصورتى) .

وقد لحظنا أن سلسلة الإسناد فى صدر الكتاب تبتدئ بتلميذ أبى منصور ... على حين تبتدئ فى الأجزاء الأخيرة منه بأحد تلاميذ أبى العباس حيث يقول كثيرا « حدثنا أبو العباس قال حدثنا محمد قال حدثنا الفراء[1] » على أن كلا من التلميذين غير معروف لدينا على وجه التأكيد حتى الآن ، أما أبو العباس فلست أدرى أهو أبو العباس ثعلب أم هو أبو العباس الأصم كما جاء فى معانى الزجاج فى حديثه عن إسناد معانى القرآن للفراء حيث قال « حدثنى أبو النصر عن أبى العباس محمد بن يعقوب بن معقل الأصم عن محمد بن الجهم عن أبى زكريا وهو يحيى بن زياد الفراء عن ظهر قلبه[2] »؟، إن يكن الأصم فذلك مبلغ العلم به وإن يكن ثعلبا فالقول فيه مستفيض لما له من تراجم مطولة فى كتب الطبقات[3]

أما قرينه فى سلسلة الإسناد (أبو منصور نصر) فلم يذكر عنه فى صدر المعانى شىء أكثر من أنه (مولى أحمد بن رسته[4]) — والأستاذان المحققان قالا فى مقدمة المعانى (أما أبو منصور فلم نقف له على ترجمة[5])، وظللت أبحث عنه حتى عثرت عليه فى طبقات الزبيدى حيث جعله فى الطبقة الرابعة من اللغويين الكوفيين وهى نفس طبقة أبى العباس ثعلب ، فكأنهما كانا قرينين غير أن أحدهما كتب له الخلود ، والآخر طواه الزمن وسحب عليه ذيل النسيان .. والزبيدى قد أفادنا جديدا فى نسبه حيث قال : (هو أبو منصور نصر بن داود الصاغانى) رأيت ذلك فى فهارس الطبقات[6] ، وحين رجعت إلى موطن الترجمة من الكتاب وجدتها بيضاء من غير سوء ، لم يكتب عنه الزبيدى شيئا ، كشأنه فى بعض النكرات ، ثم بحثت عنه فى البغية وفى غيرها من كتب التراجم المتأخرة والمتقدمة فلم أعثر له على أثر فى ذلك .

---

(١) انظر المعانى ص ٣٣٦ (مصورتى) .

(٢) معانى القرآن للزجاج فى الصفحة الأولى من مخطوطة دار الكتب رقم (٦٣٦) تفسير .

(٣) انظر مثلا الفهرست ص ١١٠ ، وتاريخ بغداد ٢٠٤/٥ والوفيات ٣٠/١ ومعجم الادباء ١٠٢/٥ .. الخ .

(٤) ص ١ ط دار الكتب .

(٥) ص ١٥ ط دار الكتب تحقيق الشيخ محمد على النجار والمرحوم احمد يوسف نجاتى .

(٦) ص ٢٢٦ — الطبعة الأولى .

وأما أبو الفضل يعقوب بن يوسف بن معقل النيسابورى ، ذلك الذى أخذ عنه أبو منصور هذا فإنه « قدم بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه — (وقال الخطيب)—روى عنه محمدبن مخلد[1] » وإسحاق بن راهويه هو أستاذ ابن قتيبة أيضا ، وكان يحمل على الأحناف حملة شعواء وقد أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل ، وترجمة ابن راهويه فى دائرة معارف القرن العشرين[2] .

أولئك هم أكثر رجالات الإسناد ترددا فى المعانى حاولت — ما استطعت — إلقاء بعض الأضواء عليهم ، ولولا خشية الإطالة لتتبعت سلاسل الإسناد جميعها . أما محمد بن الجهم السمرى ذلك الذى وصل إلينا الكتاب من جهته فقد سبق الحديث عنه بالتفصيل فى تلاميذ الفراء ، فلا حاجة إلى التكرار .

أهمية المعانى :

(ا) ترجع قيمته التاريخية إلى أنه أول تفسير وصل إلينا — كما أسلفنا — يمتاز بدراسة القرآن الكريم من حيث التراكيب والإعراب إلى جانب الشرح والتفصيل ، كما أنه اشتمل على أفانين أخرى غير الجانب النحوى ، تلك التى يشترك فى بعضها مع مجاز القرآن لأبى عبيدة .

(ب) كما ترجع قيمته التاريخية والموضوعية إلى أنه حفظ لنا أول حديث مستفيض عن القراءات والاحتجاج لها ، كما أنه حفظ لنا أول بحث فى ظاهرة الموسيقا القرآنية ، وتتبعها فى رءوس الآيات . كما أنه وضع أيدينا على أول من تفهم التشبيه بمعناه البلاغى وأنه كان أسبق فى ذلك من الجاحظ مما يقتضى الباحثين فى نشأة البلاغة أن يعيدوا النظر فيها من جديد ، كما أنه أثار فكرة جديرة بالاهتمام وهى أسبقية الفراء إلى وضع الأصول قبل ابن السراج خلافاً لما هو مستقر فى أذهان الباحثين المحدثين ، هذا إلى جانب

---

(١) تاريخ بغداد ٢٨٦/١٤ ط السعادة .

(٢) انظر ١٥٢/٤ ـ الطبعة الثانية .

ثروة من المصطلحات المبتكرة التى اصطنعها الفراء وتأثر بها الكوفيون والبغداديون من بعده ، إلى غير ذلك من كل طارف وتليد . وقد وضحته فى موطنه من البحث ، ثم هو بعد هذا وذاك أكبر كتاب وصل إلينا من آثار الفراء ، وقد أودعه جميع معارفه فكان أشبه ما يكون بدائرة معارف الرجل .

(حـ) وتبرز أهمية المعانى فى أنه يمثل مرحلة القمة عند الفراء ، حيث ألفه وهو يناهز الستين ، ومات بعد تأليفه بثلاث سنين فظهر فيه كل ما استقر عليه فى أخريات حياته من عقائد ومذاهب ، ومرحلة كهذه جديرة بأن تكون مرحلة الاستقرار الفكرى والعاطفى عند الفراء .

(د) لهذا لا نستبعد الروايات التى أشادت باهتمام الناس ، وتوافدهم ، بل تواكبهم على مجلس الفراءحين الإملاء،فى المسجد الجامع[1] حتى عجزوا عن إحصاء هذا الجم الغفير ، وغاية مااستطاعوه أنهم حصروا عدد القضاة المستمعين فكانوا ثمانين قاضياً[2] ،استمع إلى ابن خلّكان مثلا يقول فى ترجمة الفراء « . . . . خرج إلى الناس وابتدأ بكتاب المعانى ، قال الراوى ، وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعانى فلم نضبطهم ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً فلم يزل يمليه حتى أتمه[3] » .

(هـ) كما أننا لانستبعد حرص الناس وتهافتهم على اقتناء المعانى لدرجة جعلت النساخين يغالون فى نسخ الكتاب حتى شكا العلماء إلى الفراء فتوسط بينهم وبين الوراقين ولكن الوراقين صمموا على احتكاره لولا أن الفراء

---

(١) هو مسجد (خندق عبوية) ببغداد ـ انظر تاريخ بغداد ١٥٢/١٤ ط السعادة .

(٢) ليس صحيحا ما جاء فى مدرسة الكوفة للدكتور المخزومى نقلا من الشذرات من انهم كانوا ثلاثين ، أولا لتضافر الروايات على انهم ثمانون لا ثلاثون ، وثانيا لأن الشذرات التى نقل عنها تنص على انهم ثمانون ... ولعل ما وقع تحريف مطبعى اخطأه التصويب .

(٣) وفيات الأعيان ٣٠١/٢ ط بولاق وانظر مثلا تاريخ بغداد ١٥٠/١٤ ط السعادة وانظر شذرات الذهب لابن العماد ١٩/٢ .

هددهم بإملائه من جديد فى صورة أبسط وأمتع وقد فعل فأملى سورة الفاتحة وحدها فى مائة ورقة فلما رأوا ذلك تراجعوا وأبلغوا الناس مايريدون بنصف القيمة التى كانوا حددوها من قبل ، فأقلع الفراء عن الإملاء ، فليتهم ما تراجعوا ، وليته ما فعل[1] !

(و) وظل الناس كذلك يحملون لكتاب المعانى كل إكبار وتقدير حتى قال قائلهم وقد فاته سماع المعانى من أبى العباس ثعلب « ما أسيت على شىء كما أسيت على تركى السماع لكتاب المعانى للفراء من أبى العباس أحمد بن يحيى وإنما كان يقطعنى عنه الحديث ، وكان يقرأ بالعشيات على باب داره[2] » .

كل هذا التقدير وكتاب المعانى كان مطموراً إلى عهد قريب حتى إن بعض الباحثين يسلكه فى عداد الآثار المفقودة فيقول : « لم يصل إلينا شىء منها[3] » بل إن أحد المستشرقين الكبار وهو (جوتولد فايل) يقول فى مقدمة كتاب الإنصاف إن « معانى القرآن للفراء لم يصل إلينا[4] » غير أنه يحمل له تقديراً كبيراً حين اطلع على بعض نصوصه المتناثرة فى بطون الكتب فقال : إنه « اشتمل على مجموعة من الآراء الصائبة الصالحة للبقاء[5] » .

وبعد : فقد آن لنا بعد هذه الصورة المجملة لكتاب المعانى أن نعرض له بالتفصيل والتحليل وإليك البيان :

العرض :

تناول أبو زكريا الفراء فى تفسيره (المعانى) ما أشكل من الآيات فحسب فهو وإن كان قد فسر القرآن كله على الترتيب التنازلى يبدأ بالفاتحة ، ويثنى

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة ، وانظر الوفيات ٢/٣٠١ ط بولاق .

(٢) القائل هو ابن الأنبارى ـ انظر طبقات الزبيدى ص ١٥٠ ط أولى فى ترجمة (سلمة بن عاصم) .

(٣) انظر تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم ٢/٢٨٣ فما بعدها الطبعة الثالثة .

(٤) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار ما تزال مخطوطة .

(٥) نفس المصدر .

بسورة البقرة وآل عمران وهكذا حتى النهاية ، إلا أنه لم يتناول كل آية من القرآن ، بل التزم الهدف الذى ندب إليه وهو تفسير المشكل من الآيات ، حسب ترتيبها فى المصحف الشريف[1] مثال ذلك أنه ابتدأ أول ما ابتدأ بالحديث عن (البسملة) ، ولم يتناول منها غير ظاهرة تتعلق برسم المصحف وهى حذف الألف من كلمة (اسم) ، وعلل ذلك الحذف بالتخفيف لكثرة الدوران ، واستهدى فى هذا روح العربية ، واستند إلى طريقة العرب فى الحذف للإيجاز ثم ترقى فى الدليل وكأنه يقول : لاتستغرب حذف حرف واحد وهو الألف لأننى «رأيت بعض الكتاب . . يحذف الألف والسين[2]» معاً للتخفيف بل أكثر من هذا أن العرب تحذف ثلاثة أحرف فى « قولهم (أيش عندك) فحذفوا إعراب (أى) وإحدى ياءيه ، وحذفت الهمزة من شىء[3]» وبعد هذا وذاك « كسرت الشين وكانت مفتوحة[4] » .

وحين اطمأن به تقرير الدليل شرع فى دفع توهم قد يجرى فى الخاطر بقوله « فإن قال قائل : إنما حذفنا الألف من (بسم الله) لأن الباء لا يسكت عليها فيجوز ابتداء الاسم بعدها[5] ودفع هذا الاعتراض بالاحتجاج برسم المصحف حيث قال : « فقد كتبت العرب فى المصاحف (واضرب لهم مثلا) بالألف والواو لايسكت عليها (مثل الباء) وفى كثير من أشباهه ، فهذا يبطل ما ادعى[6]» .

وبعد هذا بدأ يتحدث عن (أم الكتاب) فقال : قوله تعالى (الحمدلله) اجتمع القراء على رفع الحمد — وأما أهل البدو فمنهم من يقول ... ومنهم من يقول[7] .الخ »وطفق بعدذلك يوجه كل لغة من لغات البدو ، ويستشهد لها من

---

(١) ومن النادر اختلال هذا الترتيب كما فى آية (٧٢و٧٦و٨٥و١٠٦ من سورة البقرة .

(٢) معانى القرآن للفراء ص ٢ ط دار الكتب .

(٣) نفس المصدر .

(٤) المصدر السابق .

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر .

(٧) المصدر السابق ص ٣ .

كتاب الله ، ومن شعر العرب ، وبالمأثور من المنثور ، وختم حديثه عن ذلك بلفتة بلاغية فى خروج الاستفهام عن معناه الأصلى – ثم قفز إلى الآيات الأخيرة من سورة الفاتحة فعلق على كلمة (عليهم) من قوله تعالى (أنعمت عليهم) وقال فيها « لغتان لكل لغة مذهب فى العربية »[1] وأخذ يوجه كل مذهب أما ضم الهاء من (عليهم) فباعتبار الأصل (هم) وأما كسرها فذلك لكثرة الدوران .

واستطرد من ذلك إلى الحديث عن حركة الهمزة من كلمة (أم) فى قوله تعالى . (وإنه فى أم الكتاب) وذكر فيها جواز الوجهين الضم والكسر قياسا على ضم الهاء وكسرها فى (عليهم) واستشهد لذلك بحديث نبوى شريف ورد فيه كسر الهمزة ، وأردف هذا ببيانه فى الاستعمال اليومى ، ثم ختم حديثه بوضع قانون عام يبين الجواز فقال « كل موضع حَسُنَ فيه كسر الهاء مثل قولهم فيهم وأشباهها ،جاز فيه كسر الألف من (أم) وهى قياسها[2] أى مثلها» .

ثم انتقل إلى إعراب (غير) من قوله تعالى (غير المغضوب عليهم) موضحاً ما يجوز فيها من الوجوه الثلاثة ، ثم تحول إلى أداة النفى وهى (لا) فى قوله تعالى (ولا الضالين) وبين أنها أصلية معطوفة على غير ، وليست زائدة كما توهم أبو عبيدة ،وقسا عليه فى الرد فوصفه بأنه لا يعرف العربية[3] وفنّد ما استند إليه من شعر العرب ، وبين المواطن التى يجوز أن تقع فيها (لا) زائدة واستشهد له من شعر جرير ، كما بين الموطن الذى لا يصلح فيه عطف (لا) على (غير) وذلك فيما إذا كانت غير بمعنى سوى ، ومثل له بمثال من عنده ، ثم ختم حديثه بمثال عربى يؤيد وجهة نظره ضد أبى عبيدة .

إلى هنا انتهى من البسملة ومن سورة الفاتحة.وقد رأينا أنه لم يتناول منهما إلا النزر اليسير ، غير أنه كان عميقاً فى تناوله ، على أننى رأيت له حديثاً فى

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ٥ ط دار الكتب .
(٢) المصدر السابق ص ٦ .
(٣) نفس المصدر ص ٨ .

غير هذا المكان تناول فيه قراءة (مالك) من (مالك يوم الدين) بإثبات الألف وحذفها ، ولم يتعرض لها هنا وهو موطنها الأصلى ، وربما كان مرد ذلك إلى إيثار الإيجاز فى التملية الأولى ، فلما عمد إلى الإسهاب فى التملية الثانية انتقاماً من الوراقين ، أورد بعض ما كان قد ترك .

تلك صورة سريعة توضح منهج الفراء فى العرض والتناول . ونستطيع أن نستخلص منها ما يأتى :

(١) أنه يهتم (برسم المصحف) فقد قصر حديثه فى البسملة على ظاهرة حذف الألف ، وتوغل فى الاهتمام بالرسم فاحتج به فى دفع الاعتراض كما رأينا .

(٢) أنه يستهدف روح العربية فى التخفيف والإيجاز ، ويدعم ذلك بتعبير مأثور عن العرب وهو (أيشٍ عندك) .

(٣) أن طريقته فى تناول الفكرة ومناقشتها طريقة منهجية حيث ترقى بالأدلة ، فعرض حذف الحرف الواحد أولا ، ثم سوغه بسماعه حذف الحرفين معا . ثم أتى بالشاهد الذى حذفت منه حروف ثلاثة ، وهو قولهم (أيش عندك) .

(٤) كما أن طريقته فى العرض تذكرنا بما يقوله المحدثون من علماء التربية فى نظرية (القشتلت) حيث يعرض الصورة الكلية أولاً فى قوله « وأما أهل البدو فمنهم من يقول .. ومنهم من يقول . . » ثم يعود بالتفصيل والتوجيه والاستشهاد لكل ما ذكر ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على عقلنة منظمة واعية مستوعبة .

(٥) أنه يتعرض للقراءات ويهتم بها توضيحا وتوجيها ، وتنظيرا .

(٦) أنه يحتج بالحديث النبوى الشريف مخالفا بذلك جمهور النحاة فى عهده .

(٧) يهتم بوضع القواعد العامة بعد المسائل الجزئية .

(٨) كما أن طابع النحو يظهر فى هذا التفسير عند إعراب (غير)وزيادة (لا) مثلا . إلى جانب الدراسات العربية الأخرى مثل البلاغة ، وقد أشرنا إليها فى العرض .

(٩) وفى غضون كل ذلك يعتمد فى تفسيره على العقل والنقل معا ومادته فى النقل تتمثل فى الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار العربية ، والفصيح من الأمثال ، كما سبق به البيان .

ذلك عرض تحليلى لما تناوله الفراء من سورة الفاتحة ، فإذا أردت أن ترى بين يديك نصاً كاملا من نصوص الفراء فى المعانى لتتبين بنفسك جانباً من خصائص أسلوبه ، فإليك ما تريد :

حينما تعرض أبو زكرياء لتفسير قوله تعالى (زين للذين كفروا الحياة الدنيا[1]) وقف عند نقطة واحدة فيها وهى تأنيث الفعل أو تذكيره وطال به النفس كعادته حتى بلغ خمس صفحات أو تزيد[2] ، استمع إلى براعته وتمكنه حيث يقول :

« وقوله (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) ولم يقل (زينت)وذلك جائز وإنما ذكر الفعل والاسم مؤنث ، لأنه مشتق من فعل فى مذهب مصدر ، فمن أنث أخرج الكلام على اللفظ ومن ذكر ذهب إلى تذكير المصدر ومثله (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى) و (قد جاءكم بصائر من ربكم) (وأخذ الذين ظلموا الصيحة)على ما فسرت لك فأما فى الأسماء الموضوعة فلا تكاد العرب تذكر فعلا مؤنثا إلا فى الشعر لضرورته ، وهو مذكر فيجوز فيه تأنيث الفعل وتذكيره على اللفظ مرة ، وعلى المعنى مرة ، من ذلك قوله عز وجل

---

(١) آية (٢١٢) من سورة البقرة .

(٢) ابتداء من ص ١٢٥ الى ص ١٣١ من المعانى ط دار الكتب .

(وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل (كذبت) ولو قيل كان صوابا ، كما قال (كذبت قوم نوح) و (كذبت قوم لوط) ذهب إلى تأنيث الأمة، ومثله من الكلام فى الشعر كثير ، منه قول الشاعر .

فإن كلاباً هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشر

وكان ينبغى أن يقول عشرة أبطن، لأن البطن ذَكَر ، ولكنه فى هذا الموضع فى معنى قبيلة ، فأنث لتأنيث القبيلة فى المعنى ، وكذلك قول الآخر :

وقائع فى مضر تسعة وفى وائل كانت العاشرة

فقال (تسعة) وكان ينبغى له أن يقول (تسع) لأن الوقعة أنثى ،ولكنه ذهب إلى الأيام ، لأن العرب تقول فى معنى الوقائع . الأيام ، فيقال هو عالم بأيام العرب يريد وقائعها ، فأما قول الله تبارك وتعالى: «وجمع الشمس والقمر» (فإنه أريد به — والله أعلم — جمع الضياءان، وليس قولهم : إنما ذكر فعل الشمس لأن الوقوف لا يحصل فى الشمس حتى يكون معها القمر — بشىء ، ولو كان هذا على ما قيل لقالوا الشمس جمع والقمر ، ومثل هذا غير جائز ، وإن شئت ذكرته لأن الشمس اسم مؤنث ليس فيها هاء تدل على التأنيث ، والعرب ربما ذكّرت فعل المؤنث إذا سقطت منه علامات التأنيث ، قال الفراء أنشدنى بعضهم :

فهى أحوى من الربعى خاذلة[1] والعين بالإثمد الحارى مكحول

ولم يقل مكحولة ، والعين أنثى للعلة التى أنبأتك بها ، قال وأنشدنى بعضهم :

فلا مزنة ودقت ودقهـــا ولا أرض أبقـــل إبقالها

قال وأنشدنى يونس — يعنى النحوى البصرى — عن العرب قول الأعشى :

إلى رجل منهم أَسِيفٍ كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

---

(١) البيت لطفيل الغنوى ، وهو يشبه محبوبته بالظبية الخاذلة وهى التى تنفرد عن صاحباتها لتقوم على ولدها .

وأما قوله : (السماء منفطر به) فإن شئت جعلت السماء مؤنثة بمنزلة العين ، فلما لم يكن فيها هاء مما يدل على التأنيث ذكّر فعلها كما فعل بالعين والأرض فى البيتين ، ومن العرب من يذكر السماء لأنه جمع كأن واحدته سماوة أو سماءة قال : وأنشدنى بعضهم :

فلو رفع السماء إليه قــوما لحقنا بالسماء مع الســحاب

فإن قال قائل : أرأيت الفعل إذا جاء بعد المصادر المؤنثة أيجوز تذكيره بعد الأسماء كما جاز قبلها ؟ قلت : ذلك قبيح وهو جائز ، وإنما قبح لأن الفعل إذا أتى بعد الاسم كان فيه مكنىٌّ من الاسم فاستقبحوا أن يضمروا مذكراً قبله مؤنث ، والذين استجازوا ذلك قالوا : يذهب به إلى المعنى وهو فى التقديم والتأخير سواء ، قال الشاعر :

فإن تعهــدى لامرئ إِمَّةً فإن الحوادث أزرى بها

ولم يقل أزرين بها ولا أزرت بها ، والحوادث جمع ولكنه ذهب به إلى معنى الحدثان ، وكذلك قال الآخر :

هنيئاً لسعد ما اقتضى بعد وقعتى بناقة ســعد والعشــية بارد

كأن العشية فى معنى العشى ، ألا ترى قول الله (أن سبحوا بكرة وعشيا) وقال الآخر :

إن السماحة والشــجاعة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح

ولم يقل ضمنتا ، والسماحة والشجاعة مؤنثتان للهاء التى فيهما ، قال فهل يجوز أن تذهب بالحدثان إلى الحوادث فتؤنث فعله قبله فتقول أهلكتنا الحدثان ؟ قلت نعم ، أنشدنى الكسائى :

ألا هــلك الشهاب المستنير وَمُدْرِهُنا الكمى إذا تغــير
وحمّال المئين إذا ألمــت بنا الحدثان والأنفُ النصور

فهذا كاف مما يحتاج إليه من هذا النوع .

وأما قوله (وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه) ولم يقل (بطونها) والأنعام هى مؤنثة ، لأنه ذهب به إلى النعم ، والنعم ذكر ، وإنما جاز أن تذهب به إلى واحدها لأن الواحد يأتى فى المعنى على معنى الجمع ، كما قال الشاعر :

إذا رأيت أنجما من الأَسَد جبهتَه أو الخراتَ والكَتَدْ

بال سهيل فى الفضيخ ففسد وطاب ألبان اللقاح فبرد

ألا ترى أن اللبن جمع يكنى من الألبان ، وقد كان الكسائى يذهب بتذكير الأنعام إلى مثل قول الشاعر :

ولا تذهبنْ عيناك فى كل شرمخ طوال فإن الأقصرين أمازره

ولم يقل أمازرهم ، فذكر وهو يريد أمازر ما ذكرنا ، ولو كان كذلك لجاز أن نقول هو أحسنكم وأجمله ، ولكنه ذهب إلى أن هذا الجنس يظهر مع نكرة غير مؤقتة يضمر فيها مثل معنى النكرة ، فلذلك قالت العرب ، هو أحسن الرجلين وأجمله ، لأن ضمير الواحد يصلح فى معنى الكلام أن نقول : هو أحسن رجل فى الاثنين ، وكذلك قوله : هى أحسن النساء وأجمله ، من قال هو أجمله قال : أجمل شىء فى النساء ، ومن قال وأجملهن أخرجه على اللفظ واحتج بقول الشاعر :

(مثل الفراخ نتّقَتْ حواصله)

ولم يقل حواصلها ، وإنما ذكّر لأن الفراخ جمع لم يبن على واحده فجاز أن نذهب بالجمع إلى الواحد ، قال الفراء : أنشدنى المفضل :

ألا إن جيرانى العشية رائح دعهم دواع من هوى ومنازح

فقال : رائح ولم يقل رائحون ، لأن الجيران قد خرج مخرج الواحد من الجمع إذ لم يبن جمعه على واحده .

فلو قلت : الصالحون ، فإن ذلك لم يجز ، لأن الجمع منه قد بنى على صورة وَاحِدِهِ ، وكذلك الصالحات ، نقول : ذلك غير جائز ، لأن صورة الواحدة فى الجمع قد ذهب عنه توهم الواحدة ، ألا ترى أن العرب تقول : عندى عشرون صالحون فيرفعون ويقولون عندى عشرون جياداً فينصبون الجياد ، لأنها لم تبن على واحدها فذهب بها إلى الواحد ولم يفعل ذلك بالصالحين ، قال عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم

فقال : سوداً ولم يقل : سود وهى من نعت الاثنتين والأربعين ، للعلة التى أخبرتك بها ، وقد قرأ بعض القراء (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) ويقال إنه مجاهد فقط[1] » .

هذا النص يمثل جانباً من خصائص منهج الفراء فى معالجة النص القرآنى ، وهناك جوانب أخرى متعددة تتردد كثيراً فى تفسيره يجمل بنا أن نذكرها مع هذه الجوانب فى عبارات مركزة ونشير إلى مواطن النصوص التى تمثلها إشارات عابرة خشية من تكديسها ، وهى لدينا كثيرة :

(ا) أحياناً يفسر الآية بآية أخرى[2] .

(ب) وحينا يفسرها بقراءة مغايرة [3] .

(حـ) وتارة يفسر الآية بالحديث الشريف [4] .

---

(1) معانى القرآن للفراء ص ١٢٥ فما بعدها ط دار الكتب .

(2) انظر مثلا ص ١٥ و ص ٤٩ من المعانى حـ ١ ط دار الكتب .

(3) انظر مثلا ص ١٦٤ (مصورتى) .

(4) انظر مثلا ص ٣٦١ (مصورتى) .

(د) وطوراً يفسرها :

(١) بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، مثل ابن عباس[١] ، وأبيّ بن كعب[٢] ، وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه[٣] ويأتى فى كل ذلك بالإسناد .

(٢) أو يفسرها بأقوال السلف من التابعين وتابعيهم دون أن يرفعها إلى الصحابى [٤] .

(هـ) ونراه أحياناً يروى عن المفسرين [٥] غير أنه حينما يورد أقوالهم لا يعتمد عليها كثيراً ، بل يورد — إلى جانبها — رأيه الخاص[٦] ، وحينا يوردها لبيان ما فيها من الأخطاء[٧] وأحياناً يورد أكثر من رأى للمفسرين السابقين مبيناً ما بين الآراء من اختلاف ، ثم يحتج لبعضها دون بعض [٨] .

(و) وتارة يفسر القرآن بالشعر تفسيراً مباشراً ، استمع إليه يقول فى تفسير النَّهر بمعنى الضياء والسعة « ويقال (إن المتقين فى جنات ونهر) فى ضياء وسعة ، سمعت بعض العرب ينشد :

(إن تك ليليا فإنى نهـــــر متى أرى الصبح فلا أنتظر[٩]) »

أما أنه يستشهد بالشعر أثناء التفسير فذلك كثير ، كما هو واضح فى النص الذى أوردته كاملا فيما سبق .

---

(١) انظر مثلا ص ١٦٥ وص ٣٣٦ (مصورتى) .
(٢) انظر مثلا ص ٢٧٣ (مصورتى) .
(٣) انظر مثلا ص ٣٧٦ (مصورتى) .
(٤) انظر مثلا ص ١٨٢ (مصورتى) .
(٥) مثل ص ٣٧ و ٤٠ و ٤٨ ط دار الكتب .
(٦) مثل تفسير (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فى سورة الرحمن .
(٧) انظر ص ٣٤٩ (مصورتى) .
(٨) أنظر ص ٣٧٢ (مصورتى) .
(٩) المعانى ص ٣١٩ (مصورتى) .

(ز) وأحياناً يفسر القرآن على ضوء ما يقوله العرب ، فتراه يفسر التخليد بعدم التغير فى قوله تعالى : (يطوف عليهم ولدان مخلدون) « يقال إنهم على سن واحدة لا يتغيرون ، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط إنه لمخلد ، وإذا لم تذهب أسنانه على الكبر أيضاً قيل أيضاً إنه لمخلد [1] » .

(ح) وكثيراً ما تراه فى معانيه يستهدف روح العربية ، يستلهم الحس اللغوى ، ويستعين بالاستعمال اليومى ، محكماً ذوقه وعقله معاً ، استمع إليه حين يقول فى تفسير قوله تعالى : (وما لنا ألا نتوكل على الله) « معناه ما ينبغى لنا (ألا نتوكل على الله) فجاء بها على المعنى ، لأنه معنى ينبغى [2] » على حين ترى غيره من المفسرين لا ينفذ إلى أسرار المعانى بل يظل حبيس اللفظ ، ومن ثم لا يصل إلى كنه المعنى المقصود فيتكلف فى التخريج ويضطر إلى القول بأن « (لا) صلة » فى هذه الآية [3] .

ذلك طابعه فى معانيه حين يستلهم روح العربية حتى وهو يضع القاعدة النحوية ، ألا تراه يفرّق بين الجزاء وشبه الجزاء فى قوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا) فيقول : إنه « مجزوم بالتشبيه بالجزاء » وليس بجزاء ، وفرق بين الآية الكريمة وبين قولك (قم تصب خيرا) فالقيام فى المثال يترتب عليه الجزاء وهو إصابة الخير بخلاف القول فى الآية فلا يترتب عليه الغفران ، ولكن لما أشبه هذا ذاك أعطى حكمه فى الإعراب ، وهو الجزم ، ثم لاينسى أن يعطيك الملاك الذى بنى عليه رأيه ، وهو أن « العرب إذا خرج الكلام فى مثال غيره ، وهو مقارب له عربوه بتعريبه فهذا من ذلك [4] » .

---

(١) المعانى ص ٣٥٢ (مصورتى) .

(٢) مجالس ثعلب ص ١٢٤ المعارف .

(٣) نفس المصدر .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ورقة (٧٥) مخطوطة دار الكتب (١٠ ش) تفسير .

ثم استمع إليه فى موطن آخر يستهدى فيه روح العربية ، ويرد على من لم يتذوق هذا النهج السليم فيقول : « (لا أقسم) — كان كثير من النحويين يقولون (لا) صلة ، قال الفراء : ولا يُبتدأ بجحد (أى بنفى) ثم يجعل صلة يراد به الطرح لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد ، من خبر لا جحد فيه — ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار ، فجاء الإقسام بالرد عليهم فى كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ ، كقولك فى الكلام : لا والله لا أفعل ذلك ، جعلوا (لا) وإن رأيتها مبتدأة رَدًّا لِكلام كان معنا ، فلو ألقيت (لا) مما بنوا به الجواب لم يكن بين اليمين التى تكون جوابا واليمين التى تستأنف فرق — ألا ترى أنك تقول مبتدئا (والله إن الرسول لحق) فإذا قلت (لا والله إن الرسول لحق) فكأنك أكذبت قوما أنكروه — فهذه جهة (لا) مع الأقسام وجميع الأيمان فى كل موضع ترى فيه (لا) مبتدأ بها ، وهو كثير فى الكلام[1] » تلك ظاهرة واضحة فى منهجه التفسيرى إلى جانب منهجه الأثرى وإن كان الغالب عليه التفسير بالمأثور وأقرب وصف يصدق عليه أنه (سلفى متحرر) يعتمد على ذوقه وحسه المرهف إلى جانب اعتماده على الأثر ، ولولا خشية الإطالة فى إيراد النصوص لذكرت الكثير من هذا اللون الممتع ، غير أننى أجتزىء بهذا ، وأشير إلى ذاك [2] ، إيثارا للإيجاز .

هذه طرائق الفراء فى التفسير ، سجلت أكثرها ترددا فى معانيه ، ولست أدعى لها حصرا ، فهو كثير الأفانين ، من ذلك :

(ا) أنه كثيرا مايتعرض لأسباب النزول[3] وإن كان لايلتزمه فى كل آية .

(ب) كما رأيته يشير إلى عادات العرب وتقاليد هم فى الجاهلية [4] .

---

(1) معانى القرآن ص ٢٤٨ فما بعدها (مصورتى) .

(2) انظر مثلا ص ١٠و١٣و٣٦و٤١و٥٤ من معانى الفراء ط دار الكتب .

(3) انظر مثلا ص ٦٢و٦٣و٦٩و٩٤ من المعانى المطبوعة وانظر ص ٣٣٤ و ٣٣٦ و ٣٣٩ وص ٣٤١و٣٤٢و٣٧٠و٣٧١و٣٧٣ من (مصورتى) .

(4) انظر مثلا ص ١٢٢ من المعانى المطبوعة وص ٣٤٠ من (مصورتى) .

(حـ) كما أنه فى القليل يجنح إلى التفسير بالظاهر مثلما جاء فى تفسير قوله تعالى « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » ذكر أنها تدخل فى دبر الكافر فتخرج من رأسه ، فذلك مسلكه فيها والمعنى ثم اسلكوا فيه سلسلة » فجعل العذاب بسلسلة مادية كما هو ظاهر الآية .

(د) غير أنه فى الكثير من مواقفه لايجنح إلى هذا الظاهر ، من ذلك تفسير قوله تعالى « والنجم إذا هوى » بأن النجم هو القرآن ينزل منجما ومقسطا ، ولم يعمد إلى تفسيره بالكوكب المعروف كما فعل بعض المفسرين .

(هـ) ولما كان الطابع العام لهذا التفسير نحويا لغويا رأيته يحكّم الإعراب فى ترجيح تفسير على تفسير [1] .

(و) كما رأيته يحكّم قاعدة صرفية فى ترجيح قراءة على قراءة[2] .

(ز) كما أنه يدرك تمام الإدراك أن اللغة لها منطقها الخاص فلا تخضع دائما للمنطق العقلى وإنما يكون بينهما اتفاق واختلاف[3] ، كما سيأتى بالتفصيل .

(ح) ثم إنه كثيرا ماينبه إلى طرائق العرب فى أسلوب التعبير ، وبخاصة إذا كانت خارجة عن الكثير المألوف . أو كانت مما يتوهم الناس أنه لايجوز أو أنه معيب فى التعبير[4] .

---

(١) انظر تفسير السلسبيل من قوله تعالى (تسمى سلسبيلا ـ المعانى . ص ٣٥٢ (مصورتى) .

(٢) انظر معانى القرآن تفسير آية (متكئين على رفرف خضر) من سورة الرحمن .

(٣) انظر مثلا ص ٢٥و٣٢ من المعانى ط دار الكتب .

(٤) انظر مثلا ص ٣٧ ط دار الكتب .

(ط) كما أنه يتعرض للمزالق التى تزل فيها أفهام المتمكنين ، فينبه إليها ، ويبسط فيها القول ، ويضع القوانين[1] .

(ى) كما رأيته يراعى السياق العام فى الآية ، ولهذا فضّل قراءة غير سبعية على أخرى سبعية مراعاة لهذا السياق الذى يحقق التجانس بين الكلمات المتجاورات[2] .

(ك) كما أنه يتعقب أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنى ويغمزه ولا يصرح باسمه ، بل يكنى عنه بقوله (من لايفهم العربية)[3] وربما كان مرد ذلك إلى اختلافهما فى الهوى حيث كان أبو عبيدة من الخوارج على حين كان الفراء معتدلا فى أهواه كما سبق به البيان[4] وأدق من هذا أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن أبا عبيدة كان يفسر القرآن بالرأى والفراء لا يحب منه ذلك كما بينته فى موطن آخر .

(ل) ومن روائعه فى فهم التنزيل أنه لحظ ما للألفاظ من إيحاء فأدرك أن الأسلوب القرآنى قد استغل هذا الإيحاء أجمل استغلال حين استعمل الدواهى وأشباهها للتخويف من القيامة وعذابها ، وذلك عند تفسير قوله تعالى « تظن أن يفعل بها فاقرة » وفسر الفاقرة بالداهية[5] .

(م) أما حسه المرهف فقد جاء واضحا فى تذوق الموسيقا القرآنية فى فواصل الآيات ، وسأخصها بحديث مفصل عما قليل ، حيث كانت من (أوّليات الفراء) فيما أحسب .

---

(١) مثل على ايهما تدخل الباء ؟ أعلى المبيع أم على الثمن ؟ فيها تفصيل جميل انظر المعانى ص ٣٠ ط دار الكتب .

(٢) من ذلك تفضيل قراءة (ثومها) بالثاء على قراءة (فومها) بالفاء ، لا تساق الثوم مع العدس والبصل انظر ص ٤١ من المعانى ط دار الكتب مع ملاحظة أن تقسيم القراءات الى سبعية وغير سبعية مستحدث بعد الفراء .

(٣) انظر مثلا ص ٨ من المعانى ط دار الكتب .

(٤) انظر مبحث اعتدال الفراء فى تشيعه .

(٥) انظر ص ٣٥٠ (مصورتى) .

(ن) ومن آرائه فى (المعانى) جواز الزيادة فى القرآن ، وإن كان يعبر عنها بكلمة (صلة) للتأدب[1] . على أن بعض العلماء لايأخذ بهذا الرأى ، ويرى أن الزيادة لاتليق بنظم القرآن[2] .

(س) وكذلك يجيز (القلب) فى القرآن ، وإن كان موضع خلاف بين العلماء وسيأتى بيان ذلك .

(ع) وكذلك لحظ ظاهرة (الأضداد) فى القرآن ، وهى استعمال اللفظ فى ضد ماوضع له ، وكانت ميدان بحث مستفيض فى ذلك العهد وبعده ، وألف فيها كثير من العلماء[3] .

(ف) كما أشار إلى جواز (النَّسْخ) فى القرآن[4] ، ويتفق معه فى هذا جلة العلماء .

(ص) أما رسم المصحف فقد عنى به الفراء حتى ألف فيه كتابا سماه (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام فى المصاحف) كما سبق به البيان[5] ، ومن مظاهر عنايته وتقصيه قوله فى كلمة (بسطة) « كتب فى المصاحف فى البقرة بسطة (بالسين) وفى الأعراف بصطة بالصاد ، وسائر القران كتب بالسين[6] » ويتلخص موقفه من رسم المصحف فى الأحوال الآتية :

١ ــ أحياناً يعتمد الرسم :

ويحتج به على قراءة حمزة حين «يهمز الأمر إذا كانت فيه الفاء أوالواو مثل قوله (وسئل[7] القريةالتى كنافيها)ومثل قوله (فسئل الذين يقرءون الكتاب)

---

(١) انظر ص ٢١و٤٦و٢٤٤ من المعانى ط دار الكتب .

(٢) انظر تفسير أسرار التنزيل للشريف الرضى ص ١٦٥ ط النجف .

(٣) مثل الأصمعى وابن الانبارى وغيرهما .

(٤) انظر تفسير قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) من سورة الواقعة .

(٥) انظر احصاء آثار الفراء .

(٦) معانى القرآن ص ٣١٤ (مصورتى) .

(٧) هكذا كتبت فى المصحف ولهذا يحتج بها الفراء ــ انظر آية (٨٢) من سورة يوسف .

(فيعقب عليه بقوله) ولست أشتهى ذلك، لأنها لو كانت مهموزة لكتبت فيها الألف كما كتبوها فى قوله فاضرب لهم طريقا ، واضرب لهم مثلا بالألف[1] » .

٢ – وتارة لا يعتمد رسم المصحف بل يخالفه فى قراءته الخاصة به استنادا إلى صنيع العرب ، استمع إليه يقول عند تفسير قوله تعالى (فأصدق وأكن من الصالحين) « يقال كيف جزم (وَأَكُنْ) وهى مردوده على فعل منصوب؟ فالجواب فى ذلك أن الفاء لو لم تكن فى (فأصدق) كانت مجزومة ، فلما رددت (وأكن) رَدَدْت على تأويل الفعل لو لم تكن فيه الفاء – ومن أثبت الواو رده على الفعل الظاهر فنصبه، وهى فى قراءة عبد الله وأكون من الصالحين وقد نصبتها فى قراءتنا و إن لم تكن فيها الواو لأن العرب تسقط الواو فى بعض الهجاء كما أسقطوا الألف من سليمان وأشباهه ورأيت فى بعض مصاحف عبد الله فقولا فقلا بغير الواو[2] » .

وهناك أمثلة كثيرة لعدم اعتداده برسم المصحف ، مثل أن يحتج لقراءة صحيحة تخالف الرسم[3] ، أو يرتضى قراءة شاذة خالفت الرسم كذلك[4] .

٣ – وفى موقف ثالث تراه يحاول التوفيق بين رسم المصحف وبين القواعد العربية دون أن ينحاز كلية إلى أحد الجانبين كما كان يفعل فى الموقفين السابقين[5] .

وتعليل هذه المواقف المتعددة من الظاهرة الواحدة نجده فيما أسلفنا، من أنه (سلفى متحرر) لايتقيد برسم تقيد المتزمتين ، كما أنه لا يجحده

(١) معانى القرآن ص ١٢٤ فما بعدها ط دار الكتب .

(٢) معانى القرآن ص ٣٣٤ فما بعدها (مصورتى) .

(٣) انظر المعانى ص ٨٨ ط دار الكتب .

(٤) نفس المصدر ص ١٢٥ .

(٥) انظر حديثه عن (مصر) ص ٤٣ من معانى القرآن ط دار الكتب .

جحود المارقين ، بل يتوسط بين هؤلاء وأولئك ، ويختارما يتفق والدليل ، وذلك أقرب إلى مذهبه وأدنى إلى الاعتدال بل إنه يتفق تماما مع الخط الرئيسى فى شخصية الفراء .

(ق) كما أننا نجد فى معانى القرآن أمثلة اصطنعها الفراء من أسلوبه توضيحا لبعض الشواهد أو القواعد . وهى فى جملتها تنم عن ذوق واختيار من ذلك قوله (لاسم الله حلاوة فى القلوب ، وليس اسم كاسم الله[1]) وقوله (قالت كلاماً حسنا[2]) ، وقوله (اذكر مكانى من أبيك[3]) وقوله (والله إن الرسول لحق[4]) .

(ر) وللفراء أكثر من (لازمة) فى التعبير ، رأيتها تتكرر فى أكثر من موضع وفى أكثر من كتاب ، وهى تشير إلى التوثيق من طرف خفى بأن هذه الكتب صادرة من معين واحد ، من ذلك قوله (أحبُّ إلى[5]) ، (أعجب إلى[6]) ، « لا تنكرنَّ[7] ، (ولا تبال)[8] ، (ولست أشتهى ذلك[9]) ، ولا أستحبه[10]) ، (ولا أشتهيه[11]) ، (وكلٌّ حسن ولكن الأول أشبه بالصواب)[12] إلى غير ذلك من العبارات التى إن دلت على شىء فإنما تدل على أريحيته وتلطفه حتى ضد مالايشتهيه كما سبق به البيان[13] .

(ش) كما أنى رأيته فى شواهده تارة ينسبها وأخرى يعفيها من النسب حتى ولو كانت معلومة لديه ، من ذلك مارواه من شعر النابغة مغفلا نسبته

---

(١) ص ٢ ط دار الكتب .
(٢) نفس المصدر ص ٨٨ .
(٣) ص ٢٩ .
(٤) ص ٣٤٨ .
(٥) ص ٣٢٠ (مصورتى) .
(٦) ص ١٦٤ (مصورتى) .
(٧) ص ١٥ ط دار الكتب .
(٨) ص ٥ (ط) .
(٩) ص ١٢٥ (ط) .
(١٠) ص ٢٠ (ط) .
(١١) ص ٣١٩ (مصورتى) .
(١٢) ص ٢٦٦ (مصورتى) .
(١٣) انظر مبحث (أخلاقه) .

إليه فى سورة النساء حين قال : فاذا استثنيت الشيء من خلافه كان الوجه النصب كما قال الشاعر :

وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيّتْ جوابا وما بالربع من أحد

إلا الأوارى لأيا ما أبيّنها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد[1]

ثم قال فى سورة يونس أنشدونا بيت النابغة :

... ... ومابالربع من أحد

إلا أوارى ما إن لا أبينها[2] ... ...

فصرح باسم النابغة بعد إغفال، فهو إذ يأتى بالشواهد عارية من النسب أحيانا لايعنى أنه لايعرف النسب ، أوأن البيت مجهول ، فكثير من شواهده جاءت فى كتاب سيبويه ، كما أن ثلاثة من رواته عدّهم ابن النديم فى طليعة الموثقين[3] ، على أنه كثيرا مايعيّن القائل أو الراوى كما هو فى كتاب المعانى[4] وأحيانا يجتزئ بتعيين القبيلة عن تعيين القائل[5] .

(ت) أما استشهاده بالقراءات وتعرضه لها فذلك كثير أيضا كثرة تكاد تؤلف منها كتابا مستقلا عن المعانى ، ثم هو ينسبها كثيراً[6] وأحياناً يعفيها من النسب .

---

(١) المعانى ص ٢٨٨ ط دار الكتب . (٢) نفس المصدر ص ٤٨٠ .

(٣) هم أبو فقعس ، وابو دثار ، وابو الجراح انظر الفهرست لابن النديم ص ٧٠ فما بعدها .

(٤) انظر مثلا ص ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٦٨ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ٢٢٢ ـ الخ ط دار الكتب .

(٥) انظر مثلا ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ١٨٢ ـ الخ من المصدر السابق .

(٦) انظر مثلا ص ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ـ الخ ط دار الكتب .

هذا إلى أنه يفتن فى الاستعانة بالقراءات ، فتارة يستعين بها على رد إعراب لايعجبه وأخرى يستعين بها على بيان مذاهب العربية فى أسلوب التعبير .

(ا) فمن الأول قوله « كان بعض النحويين يقول أن نصب قوله (نذيرا) من أول السورة ، يامحمد قم نذيراً للبشر ، وليس ذلك بشيء ، والله أعلم ، لأن الكلام قد حدث بينهما شيء منه كثير ، ورفعه فى قراءة أبيٍّ ينفى هذا المعنى[1] .

(ب) ومن الثانى قوله (وما أمروا إلاليعبدوا الله) ، والعرب تجعل اللام فى موضع (أن) فى الأمر والإرادة كثيرا ، من ذلك قوله (يريد الله ليبين لكم) ، (يريدون ليطفئوا) — وقال فى الأمرفى غير موضع من التنزيل (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وهى فى قراءة عبد الله (وما أمروا إلا أن يعبدوا الله مخلصين[2]) .

ثم هو يفاضل بين القراءات — لا على أساس السند والرواية — بل على مدى اتفاقها أو اختلافها مع الأساليب العربية، وأحيانا يشتط فيحكِّم فيها ما اصطنعوه من قواعد مثلما فعل فى تحكيم قاعدة صرفية فى رد قراءة زهير الفُرْقُبِيّ[3] ، ونراه كثيراً ما يوجه القراءة ويخرجها تخريجا نحويا[4] .

ثم هو يحتج لكثير من القراءات ، وتلك ظاهرة ملموسة فى معانيه ، كأنما قصد إلى ذلك قصداً ، فهد الطريق لكل من ابن السراج الذى احتج

---

(1) المعانى ص ٣٤٨ (مصورتى) .

(2) معانى القرآن ص ٣٧٢ (مصورتى) .

(3) انظر المعانى تفسير آية (متكئين على رفرف خضر) من سورة الرحمن .

(4) انظر مثلا ص (٣٦٠) وص ٣٦٦ من معانى القرآن (مصورتى) .

للقراءات التى اختارها ابن مجاهد فيما بعد وكان صديقاً له[1] ولأبى على الفارسى الذى كان يحتج للقراءات السبعية فيما بعد ، ولابن جنى الذى ألف كتابه المحتسب فى الاحتجاج للقراءات الشاذة ، فكان عمل ابن جنى بمثابة تكميل للجانب الذى أهمله أستاذه الفارسى ثم عملهما معاً أشبه ما يكون برسم خطا الفراء الذى جمع فى احتجاجه بين القراءات السبعية وبين الشاذة على حد سواء ، إذ أن هذا التقسيم لم يكن إلا بعد عهد الفراء على يد أبى بكر ابن مجاهد .

وليس عجيباً أن يتأثر كل من الفارسى وابن جنى بالفراء فقد كان كل منهما متصلا بآثار الفراء اتصالا وثيقاً ، يشهد بذلك ما رواه ابن جنى نفسه من تتلمذه هو ومن قبله شيخه الفارسى على معانى القرآن للفراء[2] . هذه واحدة ، وأخرى أن الفارسى تتلمذ على ثعلب ، بل اعتمد عليه فى أكثر ما رواه من الشواهد[3] وأبو العباس ثعلب كان ممن يعتزون — بل يفاخرون — بأنهم حفظوا كتب الفراء جميعها[4] ، كما بينت ذلك فى موطنه من البحث . على أنك واجد أثر الفراء فى معظم آثار الفارسى مثل كتاب البصريات[5] ، وكتاب التكملة[6] ، والمسائل البغداديات[7] .

ذلك هو تأثر الفارسى ، ومن ورائه تأثر ابن جنى ، على أن ابن جنى — فضلا عن أنه تلميذ أبى على — قد تأثر بالفراء من جهة أخرى ، هى جهة

---

(1) انظر نزهة الالباء ص ١٦٨ .

(2) انظر المحتسب ص ٩ فما بعدها .

(3) ابو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى ص ٢٠ ط نهضة مصر .

(4) انظر مثلا الفهرست ص ٧٤ ط اوروبا — وطبقات الزبيدى ص ١٦٣ تحقيق ابى الفضل ، وانظر معجم الادباء ١٠٩/٥ ط دار المأمون .

انظر مثلا لوحة ٦٥و٧٠ مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مخطوطة شهيد على رقم (٢/٢٥١٦) .

(6) انظر مثلا لوحة ١٢١ مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٦) نحو .

(7) انظر مثلا لوحة ١٦و٣٠و٣٣ مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم(٨٦٠).

ابن الأعرابى ، إذ كان على صلة علمية بآثاره ، كما كان ابن الأعرابى متأثراً بالفراء ، وآية ذلك أن أبا زكريا الفراء كان أول من ذهب إلى أن (لا) نافية لا زائدة فى قول الله تبارك وتعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[1] وتأثر به ابن الأعرابى فتبعه فيه وأثبت ذلك فى نوادره[2] ، ثم جاء ابن جنى فتأثر برأى الفراء ، وتابعه فيه عن طريق ابن الأعرابى كما جاء فى الخصائص[3] .

ومن نماذج الاحتجاج الذى عنى به الفراء فى معانيه ما يأتى :

(ا) قال فى تفسير سورة الفجر ، (والليل إذا يسر) ذكروا أنها ليلة المزدلفة — وقد قرأ القراء يسرى بإثبات الياء ، ويسر بحذفها — وحذفها أحب إلىّ : لمشاكلتها رءوس الآيات ، ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفى بكسر ما قبلها ، أنشدنى بعضهم :

كفاك كف ما تليق درهمـــــا جوداً وأخرى تُعطِ بالسيف الدما

وأنشدنى آخر :

ليس تَخْفَى يسارتى قَـــدْرَ يوم ولقد تُخفِ شيمتى إعســـارى

فأنت تراه يفضل قراءة على أخرى ، ويحتج لها بتحقق الموسيقا اللفظية فيها[4] وذلك لمشاكلتها رءوس الآيات ، ثم يحتج لها بورود أمثالها فى الشعر العربى ، ولا يكتفى بشاهد واحد بل يضيف إليه آخر .

(ب) وفى موطن آخر تراه يحتج للقراءتين معاً ، مثلما فعل فى قراءتَىْ (وما هو على الغيب بضنين) بالضاد وبالظاء ، حين روى عن زرّ بن حُبيش

---

(١) انظر خزانة الادب للبغدادى ٣٨/٤ ط السلفية .

(٢) نفس المصدر .

(٣) المصدر السابق .

(٤) معانى القرآن ص ٣٦٥ (مصورتى) .

أنه قال : (أنتم تقرءون بضنين ببخيل) ، ونحن نقرأ بظنين بتهم – وقرأ عاصم وأهل الحجاز وزيد بن ثابت بضنين ، وهو حسن .

يقول يأتيه غيب السماء وهو منفوس عليه فلا يضن به عنكم ، فلو كان مكان على (عن) أو (الباء) صلح ، كما تقول ، ما هو بضنين بالغيب .

والذين قالوا بظنين احتجوا بأن (على) يقوّى قولهم ، كما تقول : ما أنت على فلان بتهم ، ويقولون ما هو على الغيب بظنين ، بضعيف ، والعرب تقول للرجل الضعيف ، أو الشيء القليل هو ظنون . سمعت بعض قضاعة يقول : ربما ذلك على الرأى الظنون ، يريد الضعيف من الرجال[1] .

(ح) ومن المواطن التى احتج فيها للقراءتين معاً تشديد (لما) وتخفيفها من قوله تعالى (وإن كل نفس لما عليها حافظ) ، قال : (لما عليها) قرأها العوام لما ، وخففها بعضهم ، الكسائى كان يخففها ولا يعرف جهة التثقيل ، ونرى أنها لغة فى هذيل ، يجعلون (إلا) مع (إن) المخففة (لمّا)، ولا يجاوزون ذلك ، كأنه قال (ما كل نفس إلا عليها حافظ) .

ومن خفف قال إنما هى لام جواب لإن ، و (ما) التى بعدها صلة ، كقوله (فبما نقضهم ميثاقهم) يقول : فلا يكون فى (ما) وهى صلة تشديد[2] .

فتراه قد احتج لقراءة التشديد بأنها لغة فى هذيل ، وأكد ذلك بأنهم لايكادون يعدلون عن هذا التعبير ، ثم احتج لقراءة التخفيف بأن لها نظائر فى القرآن الكريم .

إلى غير ذلك من المواطن التى تطالعك فى معظم القراءات وأنت تطالع معانى القرآن للفراء[3] .

---

(١) المعانى ص ٣٦٠ (مصورتى) .

(٢) المعانى ص ٣٦٤ (مصورتى) .

(٣) انظر مثلا مهما فى ص ٨٠(ظ) ثم انظر ص ٤٦٣ و ١٩١ و ٢١٠ و ٢١٢ و ٢٣٣ و ٣٢٦ مثلا .

الإعجاز اللفظى فى القرآن : تناول القراء فى معانيه مبدأ الإعجاز اللفظى فى القرآن ، ورأيت الحديث فيه من ناحيتين :

(ا) موسيقا الفواصل .

(ب) ونزول القرآن بأفصح اللغات .

(أولا) موسيقا الفواصل :

من أوّلياته التى عنى بها فى معانى القرآن الموسيقا الصوتية فى رءوس الآيات ، فقد تنبه القراء كما تنبه السابقون من العرب إلى النغم الموسيقى فى القرآن الكريم حين وصفوه بالشعر تارة ، وبسجع الكهان تارة أخرى ، فضلوا السبيل ، ولكن أبا زكريا الفراء حين أدرك هذا النسق الصوتى أخضعه للعقيدة الدينية السليمة ، واتخذ منه نظرية جديدة راح يدافع بها عن كتاب الله عند ما ظهرت طائفة من المعتزلة — وعلى رأسهم النظّام — تدعى أن لفظ القرآن لا إعجاز فيه[1] ، وإنما الإعجاز فى المعنى فقط وفيهم يقول الجاحظ « إن النظام وأصحابه كانوا يزعمون أن القرآن حق ، وليس تأليفه بحجة ، وأنه تنزيل وليس ببرهان[2] » ، وكانوا يرون أن « الآية والأعجوبة فى القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم[3] » وانطلقت هذه الدعوى المسمومة تهوّن من شأن القرآن الكريم وتزعم أن ألفاظه وتراكيبه عادية لا تحمل شيئا من الإعجاز .

وما كان للفراء — وهو التقى الورع — أن يسكت على هؤلاء الطاعنين ، فانبرى لهم ينافح عن كتاب الله ، ويرد عنه كيد الكائدين ، وكان من نتائج

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١١٤ .

(٢) رسائل الجاحظ ص ١٤٧ نشر السندوبى سنة ١٩٣٣ م .

(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى ٢٢٥/١ ط استانبول سنة ١٩٢٩ م .

ذلك أن نادى بمبدأ (الإعجاز اللغوى) فى القرآن إلى جانب الإعجاز المعنوى، ولما كان الإعجاز المعنوى فى عهده متفقا عليه أو هو أشبه ، وجه جل اهتمامه إلى إثبات الإعجاز اللفظى ، ومن مظاهره النسق الصوتى فى رءوس الآيات ، ذلك الذى نتحدث عنه تحت عنوان (موسيقا الفواصل)[1] .

وقد وقفت فى معانى القرآن على كثير من النصوص التى تعالج موسيقا الفواصل فى القرآن ، وصنفتها إلى ما يأتى :

(١) مواضع أوافق الفراء فيها على أن القرآن الكريم كأنما كان يعمد عمداً إلى تحقيق النسق الصوتى أو بعبارة أدق : لايتخلى عنه ولا يتهرب منه نفوراً من أن يكون فيه سجع . ذلك الذى نفر منه بعض العلماء فيما بعد ، وتحرجوا من أن ينسبوا السجع إلى القرآن ، خشية أن يشبه سجع الكهان ، وما دروا أن البون شاسع بين السجعين ، ففرق بين السحر الحلال وبين المتكلف المرذول .

(٢) مواطن أخرى كان الفراء يحاول إخضاعها لتدل على أن القرآن كان يعمد إلى هذا النسق .

(٣) آيات جمع فيها القرآن الكريم بين الموقفين ، تارة يحقق النسق لصوتى فى إحدى القراءات وفى قراءة أخرى يتخلى عن ذلك . . . وهنا أرى الفراء يختار القراءة التى تحقق ذلك النسق ، ويفضلها على الأخرى .

(٤) نصوص يتصدى فيها الفراء لبيان الإعجاز المعنوى إلى جانب الإعجاز اللفظى ، للدلالة على أنه يقر الإعجاز المعنوى فى كل موطن

---

(١) الفراء ـ فيما أرى ـ كان أول من سبق الى وضع هذه التسمية (الفواصل) وما جاء فى (أثر القرآن) من أن الرمانى هو صاحب هذه التسمية فيه نظر ـ انظر اثر القرآن ص ٢٤٠ للدكتور محمد زغلول سلام وانظر معانى القرآن للفراء ص ٤٤ ط دار الكتب فستجد فيها هذه التسمية .

ورد فيه النسق الصوتى ، وإنما يسكت عن بيانه ، لأنه لم يكن موضع نزاع إذ ذاك ، وإليك أمثلة كاشفة لكل ما سبق :

(١) فمن النوع الأول :

(أ) قوله تعالى (لكم دينكم ولى دين) — قال الفراء : « لم يقل دينى (بالياء) لأن الآيات بالنون فحذفت الياء كما قال (فهو يهدين) والذى هو يطعمنى ويسقين[1] » .

(ب) وقوله تعالى (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فإن القراءة جاءت بإثبات النون فى (يعتذرون) لتوافق ما حولها من الآيات فيتحقق النسق الصوتى ، مع أنه يجوز فى العربية حذف النون من هـذه الآية لنصب المضارع بعد فاء السببية كما جاء فى قوله تعالى (لايقضى عليهم فيموتوا) ولكنه فضـل الرفع بإثبات النون لتحقق الموسيقا اللفظيـة بين رءوس الآيات فكأن القرآن عمد إليها عمداً لتحقيق هـذا الهدف الصوتى لأنهما من حيث المعنى سـواء .

يقول الفراء « وقوله (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) نويتَ بالفاء أن تكون نسقا على ما قبلها واختير ذلك لأن الآيات بالنون ، فلو قيل فيعتذروا لم يوافق الآيات ، وقد قال الله : (لايقضى عليهم فيموتوا) بالنصب ، وكلٌ صواب[2] » .

(حـ) وبالغ الفراء فيلحظ الفرق الدقيق فى الوزن الموسيقى بين (يُوعُون) و (يَعُون) ويرى أن الأولى أنسب لرءوس الآيات رغم أن كلا منهما مختومة بالنون ، استمع إليه يقول : « وقوله (بما يوعون) . . . ما يجمعون فى صدورهم من التكذيب والإثم والوعى ولو قيل (والله أعلم

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ٢٧٧ (مصورتى) .

(٢) معانى القرآن ص ٢٥٥ (مصورتى) .

بما يعون) لكان صوابا ، ولكنه لايستقيم فى القراءة[1] » وحين تعود إلى الآيات تجد فواصلها هكذا : (يؤمنون) ، (يسجدون) ، (يكذبون) ووزن (يوعون) يتناسب معها أكثر من (يعون) لقلة حروفه ، لهذا حكم الفراء باستقامته فى العربية ، وعدم استقامته فى القراءة .

(د) ويقول فى موطن آخر عند تفسير قوله تعالى (إنها ترمى بشرر كالقصر) كالقصر يريد القصر من قصور مياه العرب ، وتوحيـده وجمعه عربيان ، قال الله تبارك وتعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) معناه الأدبار ، وكأن القرآن نزل على ما يستحب من كلام العرب من موافقته المقاطع ، ألا ترى أنه قال (إلى شيء نُكُر) فثقل فى اقتربت ، (أى جعل الكاف متحركة بالضم)لأن آياتها مثقلة – وقال فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (فاجتمع القراء على تثقيل الأول وتخفيف هذا ، ومثله (والشمس والقمر بحسبان) وقال (جزاء من ربك عطاء حسابا) ، فأجريت رءوس الآيات على هذه المجارى ، وهو أكثر من أن يُضبط ، ولكنك تكتفى بهذا منه إن شاء الله[2] .

على هذا النسق يجرى الفراء فى إدراكه الموسيقى موفقاً فى معظم المواطن التى أشار إليها ، وما أكثرها ، ولولا خشية الإطالة لذكرت منها الكثير ، غير أننى لحظته أحياناً يحاول إخضاع الآية لما يريده من النسق الصوتى ، ولست أوافقه على ذلك .

النوع الثانى :

(ا) قال أبو زكريا الفراء عندما تعرض لقوله تعالى (من ماء دافق) « أهل الحجاز أفعلُ لهـذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان فى مذهب نعت ، كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهمٌّ ناصب ،

---

(١) المعانى ص ٣٦٣ (مصورتى) .

(٢) معانى القرآن للفراء (سورة المرسلات) آية (٣٢) .

وليل نام وعيشة راضية ، وأعان على ذلك أنها توافق رءوس الآيات التى هى معهن[1] » .

وفى هذا تبدو سيطرة الفكرة على الفراء حيث جعل كلمة (دافق) من قبيل المفعول الذى جيء به على الفاعل ليوافق رءوس الآيات ، ولست أوافقه على ذلك لأن كلمة دافق تختلف عما ذكره من الكلمات فهى هنا بمعنى (متدفق) اسم فاعل لا تحويل فيه ، وذلك واضح ، ولكنها سيطرة الفكرة الدينية على الرجل تنسيه ذلك ، أو على الأقل تحدوه إلى أن يحاول إخضاع أكبر عدد من الآيات .

(ب) ومن ذلك أيضا قوله عند تفسير قوله تعالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها » .... أضيف المصدر إلى صاحبه ، (أى أضيف الزلزال إلى الأرض) ؛ ولكن قربه من الجواز موافقة رءوس الآيات التى جاءت بعدها[2] » .

فلم يكتف الفراء بمحاولة إخضاع رءوس الآيات للموسيقا السابقة فحسب ، بل حاول إخضاعها كذلك للموسيقا اللاحقة فهو يرى أن الإضافة فى (زلزالها) لوحظ فيها ما بعدها ، (أثقالها) و (مالها) .. فكان ذلك سبباً فى جواز إضافة المصدر إلى صاحبه ، وقد منعه كثير من النحاة .

النوع الالث : ذلك الذى يفضل فيه الفراء قراءة على أخرى ، لا لشى إلا لأنها تحقق النسق الصوتى فى القرآن موافقة لما كان يستحبه العرب ، وقد نزل القرآن بلغتهم ، وتحداهم فيها فبزهم جميعاً ، حتى أتوا بالمضحكات .

(ا) يقول الراوى فى معانى القرآن عند تفسير قوله تعالى (كل يوم هوفى شان) سألت الفراء عن (شان) فقال : اهمزه فى كل القرآن إلا

---

(1) معانى القرآن ص ٣٦٤ (مصورتى) .

(2) المعانى ص ٣٧٣ (مصورتى) .

فى سورة الرحمن ، لأنه مع آيات غير مهموزات[1]» فهو يختار هذه القراءة التى تحقق الموسيقا اللفظية ، على حين اختار الهمز بعض القراء .

(ب) وفى موطن آخر يقول « حدثنى مندل عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ (ناخرة) ، وقرأ أهل المدينة ، والحسن ، (نخرة) — وناخرة أجود الوجهين فى القراءة ، لأن الآيات بالألف ، ألا ترى أن ناخرة مع (الحافرة) و (الساهرة) أشبه بمجىء التنزيل — والناخرة والنخرة سواء فى المعنى ، بمنزلة الطامع والطمع ، والباخل والبخل[3] » . فأنت تراه يحسن الاختيار لتحقيق النغم الموسيقى ، ثم يقرر أن القرآن الكريم يلاحظ النسق الصوتى حين يقول : « ألا ترى أنه أشبه بمجىء التنزيل » فكأن ديدن القرآن كذلك .

النوع الرابع : هو ذلك الذى نرى فيه عناية الفـــراء بإبراز الجانب المعنوى إلى جانب النسق الصوتى مثال ذلك قوله فى تفسير سورة (الضحى) «وقوله (فأغنى) و (فآوى) يراد به فأغناك وفآواك ، فجرى على طرح الكاف لمشاكلة رءوس الآيات ولأن المعنى معروف[4] » .

ذلك بعض ما قصدت إليه من النصوص الكثيرة التى إن دلت على شىء فإنما تدل على الحس المرهف عند الفراء وولوعه بالموسيقا من جهة ، ثم إلحاحة على إثبات نظريته فى (الإعجاز اللغوى) من جهة أخرى . ومن مظاهره (موسيقى الفواصل) فى القرآن .

وربما كان الجاحظ متأثرا بالفراء — إلى حد ما — حينما عارض أستاذه النظّام كما عارضه الفراء من قبل بل زاد عليه فتطرف قليلا حين زعم أن

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ٣٢٠ (مصورتى) .

(٢) هى قراءة حفص انظر المصحف آية (٢٩) من سورة الرحمن .

(٣) معانى القرآن للفراء ص ٣٥٦ (مصورتى) .

(٤) المعانى (سورة الضحى) .

الإعجاز القرآنى متصل بالنظم وحده وأن التحدى كان واقعا على الألفاظ فقط حينما طلب إليهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، ثم يقول الجاحظ « فما بال القرآن وقد جمع إلى النظام الرائع المعانى الفائقة »[1] .

ثم جاء الباقلانى فتوسع فيما بدأه الفراء ففصل القول فى مبدأ (الإعجاز اللغوى) — وبين بإسهاب — أن النسق الصوتى فى فواصل القرآن يختلف عنه فى سجع الكهان ، ومن باب أولى يختلف عن أوزان الشعر[2].

ولكن ابن قتيبة حلا له أن يعارض الفراء زاعما أنه أكثر منه تدينا ، فقال: « ونحن نعوذ بالله أن نتعسف هذا التعسف أو أن نجيز على الله سبحانه الزيادة والنقصان فى الكلام لرأس الآية »[3] .

ثم جاء صاحب المنار فشايع ابن قتيبة ، وحاول تخريج الآيات التى لوحظ فيها النسق الصوتى فوفق فى بعض وأخفق فى بعضها الآخر ،ومن مواطن التوفيق أنه لا يرتضى ما قاله المفسرون من تقديم وصف الرأفة على وصف الرحمة لمراعاة الفواصل فى قوله تعالى (إن الله بالناس لرءوف رحيم)[4] مع أن البلاغة تقتضى الترقى بتقديم الأقل فى الإشفاق وهو (رحيم) ثم الأبلغ وهو رءوف ولكن القرآن جاء بالعكس تحقيقاً للسجع[5] .

فحاول — موفقا — أن يبين أن الترقى من الأدنى إلى الأعلى حاصل بهذا الوضع ، وذلك لأن الرحمة أعم وأشمل من الرأفة فجاء الترقى من الخاص إلى العام[6] ، وقد

---

(١) انظر رسالة (حجج النبوة) للجاحظ ص ١٤٤ ضمن مجموعة رسائله التى نشرها السندوبى سنة ١٩٣٣ م .

(٢) انظر ص ١٤٩ من نكت الانتصار .

(٣) انظر كتاب القرطين لابن مطرف الكنانى ص ١٤٩ فما بعدها نشر الخانجى سنة ١٣٣٥ هـ .

(٤) آية ١٤٣ — البقرة .

(٥) انظر تفسير الجلالين وتفسير البيضاوى فى سورة التوبة آية (١٢٨) .

(٦) انظر المنار للشيخ رشيد رضا ج ٧ ص ٩٣ .

أعجبنى دفاعه فى هذا المقام ، ولكن ماذا يقول فى قوله تعالى (آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون) فأتى بالنون من هارون (إزاء النون من العالمين)[1] وفى موطن آخر عكس الوضع فأخر موسى عن هارون ليتحقق النسق الصوتى فى فواصل الآيات حين قال فى سورة طه (آمنا برب هارون وموسى)[2] ليتسق النغم الموسيقى مع أواخر الآيات المجاورة لها مثل (النجوى) و(المثلى) و (استعلى) و(ألقى) و(تسعى) و (الأعلى) و(أتى) و(أبقى).. الخ ؟

ألست معى فى أن الفراء كان على حق حين وصف هذا الصنيع بأنه أشبه بمجىء التنزيل ؟ .

على أننى لا أتهم ابن قتيبة ومن حذا حذوه من الذين ينكرون قصد القرآن الكريم إلى تحقيق النسق الصوتى ، كما أننى لا أتهم الفراء ومن شدا شدوه من الذين يثبتون ذلك بأكثر من دليل ، فكل منهم كان يدافع عن كتاب الله من وجهة نظره الخاصة ، وطبقاً للظروف التى أحاطت به ، فحين كان الفراء فى بيئة تنكر الإعجاز اللفظى حشد جهوده للرد عليهم ، وحين تطور الأمر فأصبح القرآن يرمى من هذه الزاوية تصدى العلماء للدفاع ، وجرهم ذلك — دون وعى — إلى الطعن فيمن كان ينادى بمبدأ الإعجاز اللفظى ، ومن بين مظاهره (موسيقا الفواصل) وحجتهم فى ذلك أن القول برعاية الفواصل يؤدى إلى إثبات الضرورة فى القرآن ، ولا ضرورة فيه لأنه من الله القادر على كل تصرف فى كل شىء ، فما بالك بالألفاظ ، كما أن إثبات الموسيقا اللفظية يقرب القرآن من الشعر ومن سجع الكهان . وكلاهما لا يليق بالقرآن .

وكأن الفراء أحس بهذا فراح يثبت لهم أن النسق الصوتى شىء غير هذا وذاك ، ومراعاة النسق الصوتى ، وتحوير الكلمة من أجله بالزيادة أو النقصان

---

(١) مما ذكر فيها أن موسى قدم لانه النبى الأصلى اما هارون فهو مؤازر — لكن هذا لا يتنافى مع وجود النسق الصوتى .

(٢) آية (٧٠) .

لا يعتبر عيباً من العيوب ، بل إنه مستحب عند العرب ، كما لا يعتبر ضرورة من الضرورات ، إذ أنه يوجد فى النثر العربى الفصيح ، كما يوجد فى كلام الرسول البليغ .

فمن الأول مراعاة النسق الصوتى فى قولهم (هَنَأَنِى الطعام ومَرَأَنِى) فحذفوا الهمزة من (مرأنى) — وكان حقها أن تكون (أمرأنى) — وذلك لتتسق فى الوزن مع كلمة (هنأنى) فإذا ما أفردت عنها عادت سيرتها الأولى بالهمز .

(ا) جاء فى الصحاح : « قال الفراء يقال هنأنى الطعام ومرأنى ، إذا أتبعوها هنأنى قالوها بغير ألف ، فإذا أفردوها قالوا (أمرأنى)[1]

(ب) وجاء فى المزهر ، قال الفراء : « إذا قالوا النجس مع الرجس أتبعوه إياه ، فقالوا : رِجْس نِجْس بالكسر (مع إسكان الجيم) ، وإذا أفردوه قالوا نَجَس بالفتح (فيهما) ، قال تعالى (إنما المشركون نجس)[2] » .

ومن الثانى وهى أقوال من لا ينطق عن الهوى ، قول الرسول صلى الله عليه وسلم يعوِّذ الحسن والحسين (أعيذهما من السامة والهامة ، وكل عين لامة) فقال (لامة) وكان حقها أن تكون (ملمة) ولكنه عدل عن ذلك تحقيقاً للنسق الصوتى كما جاء فى الحديث (ارجعن مأزورات غير مأجورات) فهمز مأزورات ، وهى لا تستحق الهمز ، لأنها من الوزر بالواو ، وذلك لتتسق همزتها فى النغم الصوتى مع همزة (مأجورات) .

ذلك جانب من جوانب (الإعجاز اللغوى) فى القرآن تصدى له الفراء فى معانيه ، أما الجانب الآخر فهو إثبات أن القرآن نزل بأفصح اللغات وإليك البيان .

---

(١) انظر الصحاح مادة (مرأ) ٧٢/١

(٢) المزهر للسيوطى ص ٣٤١ ط الحلبى .

(ثانيا) نزول القرآن بأفصح اللغات :

حين أنكر أهل الاعتزال (الإعجاز اللغوى) فى القرآن تصدى لهم الفراء بالرد ، ونادى بأن لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق[1] وذلك أن القرآن خلا من العيوب اللفظية التى كانت تنتاب بعض اللغات ، مثل (كشكشة ربيعة وكسكستها) ومثل (العنعنة) و (العجعجة) و (الاستنطاء) إلى آخر ما هنالك من عيوب اللغات ، فالقرآن نزل بلغة قريش ، ولغة قريش كانت أفصح اللغات فيما يقول الفراء « كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام ، وتحج البيت فى الجاهليـــة ، وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ، ومستقبح الألفاظ ، من ذلك الكشكشة وهى فى ربيعة ومضر ، يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شيناً فيقولون رأيتكش . . . . ومن ذلك (الكسكسة) وهى فى ربيعـة ومضر ، يجعلون بعـد الكاف أو فى مكانها فى المذكر سينا على ما تقدم وقصدوا بذلك الفرق بينهما ، ومن ذلك (العنعنة) . . . . و (الفحفحـــة) . . . . و (الـــوكم) . . . . و (الوهم) . . . . و (العجعجة) . . . و (الاســـتنطاء) . . . ومن ذلك (الوتم) فى لغة اليمن تجعل السين تاء كالنات فى الناس ، ومن ذلك (الشنشنة) فى لغة اليمن تجعل الكاف شيناً مطلقاً (كَلَبَيْش اللهم لبيش) ، ومن العرب من يجعل الكاف جيما كالجعبة يريد الكعبة[2] » .

تلك صورة من دفاع الفراء عن القرآن ، أعانه عليها إلمام كبير بلغات العرب وعيوبها .

هذا إلى أن بعض المستشرقين حمّل آراء الفراء ما لا تحتمل ، فخلط بين الإعجاز اللغوى فى القرآن ، وبين افتراض عاميته أو خلوه من الإعراب

---

(١) انظر العربية ـ يوهان فك ـ تحقيق المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ص ٥ ط دار الكتاب العربى .

(٢) انظر المزهر ص ١٣٣ فما بعدها ط صبيح .

فحين نادى الفراء بأن القرآن نزل بأفصح اللغات، وينبغى على الناس أن يلتمسوا الإعجاز فى قوالبه اللغوية كذلك ، فهم المستشرق الألمانى (ب . كالة) أن الفراء يرد على من يدعى عامية القرآن ، وخلوه من الإعراب ، فحمّل كلامه ما لا يحتمل ، « ولا يخفى ما فيه من التخليط ، وذلك أن الخلاف فى موضوع إعجاز القرآن إنما هو بحث فى أمر من كماليات اللغة ، ومراتب ذروتها فى البلاغة وشتان بين هذا وبين التنزّل إلى افتراض عامية القرآن أو خلوه من الإعراب ، وجريانه على الأساليب الدارجة ، فذلك ما لم يدر بخلد أحد من العلماء على الإطلاق[1] » .

البلاغة فى معانى القرآن :

لا أود أن أقف طويلا عند ألوان البلاغة التى سُبق بها الفراء ثم طبقها فى معانى القرآن مثل الالتفاف[2] ، والكناية[3] ، والإيجاز بالحذف[4] ، والمجاز البلاغى[5] والاستئناف البيانى[6] ، والاستفهام ابتداء على حد تعبيره[7] ، والاستفهام الذى يتوسط الكلام[8] ، والاستفهام المقدر[9] ، كما تنبه إلى وقوع الخبر موقع الإنشاء[10] واستعمال الماضى فى معنى المستقبل[11] ، ووقوع

---

(١) انظر العربية تحقيق الدكتور النجار ص ٥ ط دار الكتاب العربى .

(٢) انظر معانى القرآن ص ٦٣ ط دار الكتب .

(٣) المعانى ص ٢٩٠ (مصورتى) .

(٤) ص ٤٨ (ط) .

(٥) ص ١٤ (ط) .

(٦) ص ٢٠٠ و ٢٢٩ و ٤٧١ و ٤٣ (ط) .

(٧) ص ١٣٢ (ط) .

(٨) ص ٢٤٦ (ط) .

(٩) ص ١٤٢ .

(١٠) ص ١٧٥ مخطوطة (١٠ ش) تفسير .

(١١) ص ١٦٥ (مصورتى) .

المضارع موقع الأمر[1] ثم حكاية الحال بوقوع المضارع موقع الماضى[2] ، ثم تحدث عن خروج الاستفهام عن معناه الأصلى[3] وخروج التعجب إلى معنى النفى[4] ومجىء الأمر بمنزلة الجزاء[5] إلى غير ذلك من ألوان البلاغة التى مهد العلماء سبيلها من قبله ، وبخاصة أهل الاعتزال ، فهم واضعو أصول البلاغة فيما يراه بعض المحدثين[6] لا أقف طويلا عند ذلك ، وإنما أقف عند اللون الذى تنبه له ، وكان أول من أرسى قواعده فيما أحسب ألا وهو :

التشبيه :

وحين نبحث عن التشبيه بمعناه البلاغى نرى أن الفراء هو صاحب الفضل فيه ، أما التشبيه بمعناه اللغوى فذلك قدر مشترك بين العلماء ، تجده عند الفراء كما تجده عند أبى عبيدة فى مجاز القرآن ، استمع إلى أبى عبيدة يقول فى مجازه عند قوله تعالى (يضاهئون قول الذين كفروا) « ومجاز المضاهاة مجاز التشبيه[7] » ولم أعثر عنده على تشبيه بمعناه البلاغى ، أو بعبارة أخرى لم أجده مدركاً أركان التشبيه كما كان الفراء مدركاً تمام الإدراك طبيعة التشبيه .

(١) استمع إليه يقول « (كأنه رءوس الشياطين) . . فيه فى العربية ثلاثة أوجه : أحدهما أن تشبه طلعها فى قبحه برءوس الشياطين ، لأنها موصوفة

---

(١) ورقة (١٧٥) مخطوطة (١٠ هـ) تفسير .

(٢) ص ٦٠ فما بعدها (ط) .

(٣) ص ٢٣ (ط) .

(٤) ص ٤٢٢ (ط) .

(٥) ص ٤٤١ (ط) .

(٦) انظر كتاب النقد الادبى للمرحوم أحمد امين ٤٣٨/٢ ط سنة ١٩٥٢ م .

(٧) انظر مجاز القرآن لابى عبيدة ص ٢٥٦ ط السعادة .

بالقبح وإن كانت لا ترى ، وأنت قائل للرجل : كأنه شيطان إذا استقبحته . . .الخ[1] » .

فأنت تراه يدرك التشبيه تمام الإدراك ، فيورده واضح المعالم ، لا غموض فيه ولا إبهام ، ألا تراه قد وضح المشبه ، والمشبه به ، وأبان وجه الشبه .

(ب) وفى موطن آخر يقول : « . . . . شبهوا دخول الباء وخروجها من هذين الحرفين بقولهم : خذ بالخطام وخذ الخطام ، وتعلقت بزيد ، وتعلقت زيداً ، فهو كثير فى الكلام والشعر[2] » ومثل هذا الحديث إن دل على شيء فإنما يدل على أن الفراء كان يتحدث عن التشبيه حديث المتمكن الواعى ، حين وضح الركنين ، فبين المشبه والمشبه به ، ومن هنا قدر بعض الباحثين جهود الفراء فقال : إنها « خطوة جديدة متقدمة عن فهم أبى عبيدة له ، وهو الذى لم يشر إلى التشبيه غير إشارات عابرة باعتباره مجازاً . ولم يفصل فيه تفصيل الفراء عن فهم ودراية[3] » .

هذا إلى أن بعض الباحثين فى تاريخ البلاغة يزعمون أن الجاحظ (ت٢٥٥هـ) هو صاحب الفضل فى تثبيت أركان التشبيه[4] ، وقد تبين لنا أن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) هو صاحب الفضل والسبق .

لهذا أوجه دعوة أشبه ماتكون بالرجاء إلى المشتغلين بالدراسات البلاغية أن يعيدوا النظر فى تاريخ نشأتها من جديد ، على ضوء ما ألفيناه عند الفراء ومايلفونه من لمحات بلاغية قد تغير كثيرا من المفاهيم التى استقر عليها الرأى أويكاد .

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ٢٧٢ (مصورتى) .

(٢) المعانى ص ١٩ ط دار الكتب .

(٣) اثر القرآن ص ٥٥ ط دار المعارف للدكتور محمد زغلول سلام .

(٤) انظر نشأة البلاغة للدكتور سيد نوفل فى حديثه عن التشبيه . ص ١٣٩ ط سنة ١٩٤٨ م .

المعانى دائرة معارف الفراء :

لما كان كتاب المعانى يمثل مرحلة القمة فى حياة الفراء ، فقد جاء مشتملا على كل مذاهب الفراء فى الثقافة وفى العقيدة ، ففيه ترى مذهبه فى النحو ، وقد استخرجته منه ،وأسفر البحث فيه عن أنه كان المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية [1] ، كما يتجلى فيه مذهبه فى اللغة [2] وكلاهما سيأتى بالتفصيل فى موطنه من البحث .

هذا من حيث المذاهب العلمية ، أما من حيث العقيدة فإنك ترى فيه ميل الفراء إلى الاعتزال ، وقد حققت مقالة المؤرخين فى ذلك مستندا إلى أقوال الفراء نفسه فى كتاب المعانى ، ومن هنا كانت لهذا الكتاب أهميته الكبرى فى التعرف على عقيدة الرجل فى الاعتزال ، وكذلك الحال بالنسبة إلى التشيع ، وقد سلف بها البيان [3] فلا حاجة إلى التكرار ، وإنما أردت الإشارة إلى ماتضمنه كتاب المعانى استجابة لمنهج البحث فى عرض ماجاء بالكتاب ومن هذا وذاك تشعر بأن كتاب المعانى كان أشبه مايكون بدائرة المعارف لأبى زكريا الفراء .

توثيق الكتاب :

قبل أن أبدأ فى توثيق الكتاب أقول : إننى لا أرى مايدعو إلى تكرار القول فى دفع الشبهات التى قد توهن من نسبة الكتاب فى زعم بعض الباحثين ، مثل :

(ا) العبارات الدخيلة .

---

(١) انظر (مذهبه فى النحو) ـ الفصل الأول من الباب الثانى .

(٢) انظر الفصل الثانى من الباب الثانى .

(٣) انظر مبحث (عقيدة الفراء) .

(ب) وتدلّى سلاسل الإسناد بعد الفراء بكثير .

(ح) واختلاف العبارة أحيانا بين الكتاب وبين النقول الخارجية التى نسبت إليه .

إلى غير ذلك من الشبهات التى أتيت عليها جميعا ، وفندتها تفنيدا أحسب أنه وضع الحق فى نصابه ، وذلك فى توثيق كتاب الأيام والليالى للفراء فكل ماقيل هناك يمكن أن يقال هنا ، ولهذا أكتفى به حذرا من التكرار.

أما توثيق المعانى فقد توافرت فيه العناصر الثلاثة :

(١) أحاديث المترجمين ، وذلك هو العنصر التاريخى .

(٢) ووجود خصائص المؤلف فيه ، وهو من العنصر الموضوعى .

(٣) نصوص خارجية تطابق ماجاء بالكتاب وهى من العنصر الموضوعى أيضا وإليك البيان :

أولا : العنصر التاريخى : لقد حظى كتاب معانى القرآن للفراء بعناية المترجمين والمؤرخين فلا يكادون يذكرون شيئا من آثار الفراء حتى ترى كتاب المعانى فى الطليعة من الآثار . لهذا كان فى غَناء أو شبه غناء عن التوثيق التاريخى غير أننى أذكر بعض المراجع على سبيل المثال ، لقد ذكره صاحب الفهرست[١] كما جاء فى طبقات الزبيدى [٢] ، ومعجم الأدباء [٣] ، وبغية الوعاة [٤] ، وكشف الظنون [٥] ، وخزانة الأدب [٦] ، وأعيان الشيعة [٧] ، كما ذكره (بروكلمان) فى تاريخ الأدب العربى [٨] .

---

(١) ص ١٠٠ ط الرحمانية .
(٢) ص ١٤٤ الطبعة الاولى .
(٣) ١٣/٢٠ دار المأمون .
(٤) ص ٤١١ ط السعادة .
(٥) ٢٨٧/٢ ط بولاق .
(٦) ٣٢٠/٤ ط السلفية .
(٧) ٢١١/١ الطبعة الاولى .
(٨) انظر الملحق حـ١ ص ١٧٨ ط ليدن سنة ١٩٣٧ م .

ثانيا : التوثيق من حيث الخصائص : إن يكن هناك كتاب واحد قد ضم جميع خصائص مؤلفه فذلك هو كتاب معانى القرآن للفراء ، فقد رأيت فيه خاصية الضبط والتقعيد[1] ، كما رأيت كثيرا من العبارات التى تشبه(اللازمة)[2] إلى غير هذه وتلك من النزعات المذهبية والمصطلحات العلمية كما أتى وسيأتى به البيان [3] ، .

ثالثا : التوثيق من حيث النصوص : وله مظهران (أ) توثيق بالمعنى (ب) وتوثيق باللفظ والمعنى معا .

١ – فمن الأول (أ) قول ثعلب فى أماليه « قال أبو العباس أحمد بن يحيى فى قوله عز وجل (ألم الله) حركة الميم مما اختلف الناس فيه فقال الفراء : هو ترك همزة الألف من الله ثم وصله [4] » .

(ب) ونص المعانى هكذا « تركت الهمزة – همزة الألف من الله فسارت فى الميم لسكونها [5]

٢ – (أ) جاء فى مجالس ثعلب حكاية عن الفراء أنه قال فى المضارع المجزوم من قوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا) « هو جزاء وفيه شىء من الحكاية [6] » .

(ب) على حين أن ماجاء فى المعانى هو « معناه فى الأصل حكاية بمنزلة الأمر . . . . . فهذا مجزوم بالتشبيه بالجزاء والشرط [7] » .

---

(١) انظر مبحث (منجهه فى التأليف) .

(٢) انظر ماسبق فى (عرض الكتاب) .

(٣) انظر (مذهبه فى النحو) و (مذهبه فى اللغة) فى الباب الثانى .

(٤) مجالس ثعلب ص ٢٦٠ ط دار المعارف .

(٥) معانى القرآن للفراء ورقة (٢) مخطوطة دار الكتب (ش ١٠) تفسير .

(٦) المجالس ص ٣٧٤ ط دار المعارف .

(٧) معانى القرآن ورقة (١٧٥) مخطوطة رقم (ش ١٠) تفسير .

٣ – (ا) يروى صاحب الأمالى مقالة الفراء مع الأعرابى فيقول حكاية عن الفراء « قال لى أعرابى بمنى آلقِصارُ أحب إليك أم الحلْق ؟ فجاء به على الأصل [١] » أى أصل المصدر على وزن (فعال) لا (تفعيل) فى نظر الفراء .

(ب) وقريب من هذا ماجاء فى المعانى حين قال « قال لى أعرابى منهم على المروة . . . . يستفتينى . . . الخ [٢] » .

غير أننى رأيت صاحب اللسان يرويه هكذا : «قلت لأعرابى بمنى [٣]» فجعل الفراء قائلا للأعرابى ، وهو فى الحق مقول له ، لأن الأعرابى يستفتيه كما فى رواية المعانى التى طابقت رواية الأمالى ، وأكدتها بالاستفتاء حيث قال : (يستفتينى) ، ومن هنا رجحت تحريف رواية اللسان .

٤ – ومن التوثيق بالمعنى ماجاء فى ثلاثة الكتب نقلا عن الفراء فى جواز الرفع بالعطف على اسم إنَّ قبل استكمال الخبر ، وللإيجاز أشير إلى موطنه من الكتب الثلاثة وهى . :

(ا) خزانة الأدب للبغدادى ٤-٣٢٤ ط بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(ب) مجالس ثعلب ص ٣١٦ ط دار المعارف .

(حـ) معانى القرآن للفراء فى سورة المائدة ورقة (٤٥) من مخطوطة دار الكتب (١٠ ش تفسير) .

فنحن نرى فى هذه النصوص وأشباهها من تلك التى تتفق فى المعنى دون اللفظ ، وكلاهما منسوب إلى الفراء أنها من قبيل التوثيق وبخاصة إذا كان كل من النصين وليد إملاء ، مثل الذى كان من أبى العباس ثعلب ومن قبله كان من الفراء ، فكلاهما أملى كتابه عن ظهر غيب ،

(١) مجالس ثعلب ص ٢٠٤ ط المعارف .

(٢) معانى القرآن ورقة (٩) مخطوطة (ش ١٠) تفسير .

(٣) لسان العرب لابن منظور حـ ٦ ص ٤٠٧ .

وليس بلازم أن يحفظ ثعلب نص مقالة الفراء بالحرف، فحسبه أن يأتى بالمعنى الذى أورده الفراء فى معانيه ثم من يدرى لعل هذا الخلاف كان نتيجة اختلاف النسختين، فأبو العباس تلقى روايته عن سلمة بن عاصم ، ومابين أيدينا إنما هى رواية ابن الجهم، وقد رأينا مابين النسختين من اختلاف[1].

وربما كان هناك سبب ثالث أدى إلى هذا التجوّز من اللفظ إلى المعنى وهو (ضعف ذاكرة الرواة) الذين تلقوا مجالس ثعلب ، يعززنى فى هذا الاستظهار ما جاء على لسان سلمة بن عاصم فى رواة المجالس وهم أصحاب ثعلب حيث يقول فيما يرويه أبو العباس فى أماليه: « قال لى سلمة : أصحابك ليس يحفظون ، فقلت : كلا ،فلان حافظ، فقال : يغيرون الألفاظ ويقولون لى : قال الفراء كذا وقال كذا[2]» .

(ب) ومن التوثيق بالنص (باللفظ والمعنى معاً) قول ثعلب فى أماليه عند التعرض لقوله تعالى: (لا يحب الله الجهر بالسوء) «الفراء يقول لايحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا المظلوم [3]» وهى نفس العبارة التى وردت فى معانى القرآن للفراء [4] .

(٢) وجاء فى شرح المفضليات حينما تناول قول الله تبارك وتعالى (يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا و الشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) قال الفراء « وإنما ذلك لأنها وصفت بأفاعيل الآدميين لما وصفت ـ بصفتهم ـ ومثله (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) وكأنهم خاطبوا رجالا إذ كلمتهم

---

(١) انظر ماسبق (من روايات المعانى) .

(٢) مجالس ثعلب ص ١٩٨ ط دار المعارف وانظر أيضا المزهر للسيوطى ٣١٢/٢ فما بعدها ط صبيح .

(٣) المجالس ص ١٥ ط المعارف .

(٤) انظر ص ٢٩٣ ط دار الكتب (سورة النساء) .

وكلموها ، ومثله (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ، وكل ماورد عليك موافقا لفعل الآدميين وليس من الآدميين فَأَجْرِهِ على هذا [1] » وكذلك جاء فى معانى القرآن [2].

(٣) إلى غير ذلك من النصوص التى اتفقت فى الألفاظ اتفاقا كاملا أو كادت ، من ذلك ما جاء فى خزانة الأدب للبغدادى [3] وما جاء فى فى معانى القرآن لأبى زكريا الفراء [4] وأكتفى بهذا القدر ، ولا أطيل بذكر النصوص ، على أنها أكثر من أن تحصر لانتشارها فى شتى المراجع : المخطوط منها والمطبوع .

أثر المعانى فى الخالفين : تأثر العلماء بمعانى القرآن فاتخذوه قبلتهم ومنهلهم ، إليه يتجهون ومنه ينهلون ، ولو حاول باحث أن يحصر أسماء الذين انتفعوا بمعانى القرآن فى مؤلفاتهم مجرد حصر أسماء فقط لكان أقرب إلى الوهم منه إلى الصواب ، لهذا أكتفى بالإشارة إلى بعض ما وقع تحت يدى عفوا أثناء البحث وفيه غناء كثير .

رأيت الزجاج فى معانيه ينتفع بمعانى الفراء أكبر انتفاع فينقل كثيراً من نصوصه [5] ويماثله أبو جعفر النحاس [6] وغيرهما ممن ألفوا فى معانى

---

(١) شرح المفضليات جـ ١ ص ٤ .

(٢) انظر ص ٣٣٩ (مصورتى) .

(٣) ٨٩/٤ ط السلفية .

(٤) ص ٤٨٠ ط دار الكتب .

(٥) انظر معانى القرآن للزجاج مخطوطة دار الكتب رقم (١١١) تفسير وهى مخطوطة غير مرقومة فلا تعين على تحديد الصفحات .

(٦) انظر اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس (ت ٣٣٨) هـ مخطوطة دار الكتب رقم (٤٤٨) تفسير .

القرآن وإعرابه ، كما استعان به شارح المفضليات [1] ، وانتفع به ثعلب فى أماليه كبير نَفْع [2] ، وهذا طبعى من رجل كان يباهى بأنه حفظ جميع كتب الفراء عن ظهر قلب كما سبق به البيان ، وكذلك انتفع به الزمخشرى فى كشافه [3] ، وتأثر به الجاحظ فى البيان والتبين ، فتابعه فى إنكار قراءة الحسن البصرى (وما تنزلت به الشياطون) بالواو لا بالياء ، فحين قال الفراء : إنها « من غلط الشيخ[4] » قال الجاحظ : إنها « خطأ صراح[5] » مستنداً إلى مقالة الفراء ، وقدافع(يوهان فك) عن هذه القراءة وقال : « أما أن هذه الصيغة الجديدة وردت فى الاستعمال اللغوى للقرن — الأول فهذا ما تؤكده شهادة ثقات قدماء آخرين ، مثل سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ) وطاووس (١٠٦ هـ) بل كذلك الأعمش نفسه المتوفى سنة ١٤٨ هـ [6] » .

كما أننى رأيت المرزوقى فى كتابه (الأزمنة والأمكنة) ينتفع كثيراً بمعانى القرآن للفراء [7] ومثله البغدادى فى خزانة الأدب [8] ، أما ابن قتيبة فأرى أنه امتص (معانى القرآن) للفراء وأخرجه فى ثوب جديد فى كتابه (تأويل مشكل القرآن) ، وقد أغفل الإسناد كما صرح بذلك فى مقدمته حيث قال « ولم يجز لى أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير [9] » معتذراً عن ذلك بأنه زاد فى الألفاظ ونقص ، وقدم وأخر .

---

(١) انظر شرح المفضليات جـ ١ ص ٤ مثلا .

(٢) انظر مجالس ثعلب ص ١٥ و ٢٢٤ و ٢٦٠ و ٣٧٤ مثلا .

(٣) انظر تفسير الكشاف ـ معنى (هل) أول (سورة الانسان) .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ص ٢٣١ (مصورتى) .

(٥) انظر البيان والتبيين جـ ٢ ص ٤ .

(٦) العربية ـ يوهان فك ـ ترجمة الدكتور النجار ص ٣٢ ط دار الكتاب العربى .

(٧) انظر الأزمنة والأمكنة جـ ١ ص ٢٥ و ٢٦٧

(٨) انظر جـ ١ ص ٩٠ و ٩١ و جـ ٤ ص ١٧٥ مثلا .

(٩) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٨ ط الحلبى .

وأما شيخ المفسرين الإمام الطبرى فلنا معه حديث طويل ، فقد رأيته يعتمد اعتماداً واضحا على معانى القرآن للفراء ، وكثيراً ما يأخذ نص ألفاظه ، ونفس شواهده وقليلا ما ينسبها إليه فبماذا نفسر هذا الصنيع ؟ أهو سرقة من شيخ المفسرين أم ماذا ؟ هذه واحدة وأخرى أنه حين كان ينقل بعض نصوص الفراء كان يشير إليه فى مثل قوله : « وزعم بعض أهل العربية [1] وأحيانا يلطف التعبير قليلا فيقول « قال بعض نحوى الكوفة [2] » أو « كان بعض نحوى الكوفيين يقول [2] » أو « وقال بعض نحوى الكوفة [3] » أو « وكان بعض نحوى الكوفيين يقول [4] » أو « وقال بعضهم » يريد الفراء بكل ذلك .

فهل تحس فى هذا رائحة الجحود ؟ ولماذا إن كان هناك ؟ سيأتى الجواب بالتفصيل .

وقبل أن أخوض فى هذا الحديث أود أن أشير إلى بعض النصوص التى أخذها الطبرى ، دون أن ينسبها إلى صاحبها الفراء ، بل تبناها ونسبها إلى نفسه ، حيث صدرها بقوله (قال أبو جعفر . . . الخ) وذلك عند الحديث عن إفراد لفظ (كافر) مع أن الخطاب فيه للجمع فى قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) ، وبالمقارنة ستجد الاختلاف بينهما جد يسير [5] ، ولو أننا ذهبنا مذهب المقارنة فى التفسير كله من مبدئه إلى منتهاه لوقفنا من ذلك على الشىء الكثير ، ولكنها اللمحة الخاطفة التى تنبه الباحثين فى جهود المفسرين إلى ما كان للفراء من أثر كبير فى ميدان التفسير ،

---

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن جـ ٢ ص ١٨٠ و ٢٧٨ مثلا ط الحلبى .

(٢) نفس المصدر ٩٦/٨ ط بولاق .

(٣) المصدر السابق ٦٢/١ ط بولاق .

(٤) جـ ١ ص ١٩١ ط الحلبى .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ٣٢/١ فما بعدها ط دار الكتب ثم انظر تفسير الطبرى ٢٥٢/١٠ ط الحلبى .

لعلهم بهذه الإثارة ينظرون من جديد فى تقويم تلك الجهود ، وبخاصة فى جهود من يسمونه شيخ المفسرين . وربما كان فى عبارة ياقوت ما يشير إلى ذلك حيث يقول فى ترجمة الطبرى : « وذكر فيه (أى فى تفسيره) مجموع الكلام والمعانى من كتاب على بن حمزة الكسائى ، ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء . . . وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئا من كلامهم [1] » .

انتفع الطبرى ولا أقول سرق – بتفسير الفراء ، وليته اعترف بالجميل بل ارتد على صاحب الفضل عليه ، يشتمه ويقسو عليه فيقول : « وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجهته أنّ قوله (كل له قانتون) خاصة لأهل الطاعة وليست بعامة [2] » .

وحين رجعت إلى الفراء فى معانيه وجدته يقول : (كل له قانتون) يريد (مطيعون) وهذه خاصة لأهل الطاعة وليست بعامة [3] » .

هكذا رأيت الطبرى يتهجم على صاحب الفضل عليه ، حتى أصبح الغمز واللمز فى تفسيره يدلنى على أن المقصود هو الفراء ، فلا أكاد يخطئنى البحث حينما أقف على شىء من ذلك ثم أعود إلى نظائره فى المعانى فأجد صدق ما ظننت ، وحينئذ توقفت لأبحث عن الأسباب فوجدتها تكاد تتركز فى اختلاف الهوى بين الرجلين فى العقيدة ، حيث كان الفراء سلفيا متحرراً يميل إلى الاعتزال كما سبق به البيان [4] ، على حين كان الطبرى سلفيا متزمتا يحارب المعتزلة ومن يميل إليهم ، ولكن هل نجا الطبرى – مع هذا – من إيذاء المتزمتين ؟ كلا : لقد انتقم الله للفراء فاقتص من الطبرى على صورة لم يسبق لها مثيل إلا فى القليل النادر من الأحداث ، وذلك حينما ثار عليه الحنابلة فى حلقة الدرس ، ورموه بقارس القول ، بل أكثر من هذا

---

(١) معجم الادباء ١٨/٦٥ ط دار المامون .

(٢) تفسير الطبرى جـ ١ ص ٤٠٤ عند تفسير آية (١١٦) من سورة البقرة .

(٣) معانى القرآن تفسير آية (١١٦) البقرة .

(٤) انظر مبحث الاعتزال .

قذفوه بالمحابر التى كانت بين أيديهم ، بل أكثر من هذا وذاك أنهم ألّبوا عليه العامة من الناس فهاجموه فى داره ، وقذفوها بالحجارة ، حتى تكدست على بابه وصارت كالتل العظيم فيما يرويه ياقوت [1] .

وسبب ذلك أنه ذكر رأيا يخالف ما يرونه فى (المقام المحمود) وذلك عند تفسير قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) فكان الحنابلة يذهبون إلى أن الله سبحانه وتعالى يُقعد النبى صلى الله عليه معه على العرش يوم القيامة جزاء له على التهجد فى جوف الليل ، ولكن الطبرى خالفهم فى عقيدتهم ، وتحرر بعض الشىء فقال إن حديث الجلوس على العرش محال ، فاتهموه بالزيغ ، ولقى منهم هذا الجزاء [2] ، ثم اتسعت هذه الفتنة ، وانقسم الناس إزاءها إلى قسمين ، وكان لكل رأى أنصار وشيعة متحمسون فاقتتل الفريقان من أجل هذه الفكرة ، وقتل من الفريقين كثير ، حتى اضطر الجند إلى التدخل لإيقاف هذه الفتنة العمياء [3] .

وبعد ، رحم الله إمامنا الطبرى ، كما رحم شيخه الفراء ، فكلاهما كان إماما جليلا ، ولكن الدفاع عن الحق إلى جانب البحث عن الحقيقة العلمية هما المسئولان عن موقفى من شيخ المفسرين .

مذهبه فى التفسير :

يمكن تلخيص هذا المذهب فى كلمتين اثنتين وهما (سلفى متحرر) ، بل إن هذا المسلك هو الطابع العام فى مذاهب الفراء جميعها سواء أكانت شرعية أم لغوية ، وسواء أكانت متصلة بالفكر أم بالعقيدة كما رأينا وسنرى .

---

(١) انظر معجم الادباء ٤٢٦/٦ ط (مارجليوث) .

(٢) انظر معجم الادباء ٤٤٦/٦ ط (مارجليوث) .

(٣) انظر تاريخ ابن الاثير أحداث سنة ٣١٧ هـ .

فى مذاهبه المتعددة مثل مذهبه فى النحو ، ومذهبه فى اللغة ومذهبه فى التشيع والاعتزال .

فمن مظاهر السلفية عنده أنه يفسر مستنداً كما كان يفعل وكيع بن الجراح وغيره من السلف الصالح ، جاء فى مقدمة كتاب المبانى أن قوما ألفوا « كتبا فى التفسير على سبيل الرواية دون أن يتكلموا فيه ، بمنزلة ما كان من وكيع بن الجراح الرواسى ، ومالك بن سليمان الهرى [1] .

أما تحرره فيبدو أولا فى الإقدام على تفسير القرآن الكريم ، فقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتحرجون من ذلك ، وفى مقدمتهم الصحابى الجليل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فهو الذى يقول « لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول فى التفسير ، منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع [2] » .

ومن قبله تحرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن القول فى التفسير [3] بل إن التحرج بلغ منتهاه حين امتنع أكابر الصحابة عن رواية الحديث فضلا عن القول فى تفسير كتاب الله وفى هذا يقول صاحب المبانى : « ولذلك قلّتْ روايات رجال من أكابر الصحابة رضى الله عنهم ، ممن لم يفارقوه ـ فى معظم حالاته ـ ، مثل، عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وغيرهم رضوان الله عليهم [4] » .

ولعل مرد هذا التحرج فى التفسير يرجع إلى ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن إلا آيات بعدد ، علمهن إياه جبريل عليه السلام [5] » .

---

(١) انظر مقدمة كتاب المبانى ص ١٩٧ فما بعدها ـ تحقيق أرثر جفرى .
(٢) مقدمة كتاب المبانى ص ١٨٣ تحقيق جفرى .
(٣) نفس المصدر ص ١٨٣ .
(٤) مقدمة كتاب المبانى ص ١٩٢ تحقيق جفرى .
(٥) نفس المصدر ص ١٨٣ .

ولعلك – بعد هذا – لا تعجب حين عددنا الإقدام على التفسير من مظاهر التحرر على أن الفراء لم يقف عند هذا الحد من التحرر الذى يشاركه فيه معظم العلماء ، بل إنه خطا خطوة أخرى فى سبيل التحرر ، وهى تفسير القرآن بالشعر مباشرة ، ولكننى أبادر فأقول : إن هذه الخطوة برغم أنها تعتبر طفرة فى سبيل التحرر ، إلا أنها ترجع فى تحررها إلى مسلك أثرى سلفى ، وذلك أن ابن عباس رضى الله عنه هو الذى رسم هذا المنهج التحررى – وكان من أعلام التحرر – فسار عليه بعض المتحررين من بعده ، ثم تلقفة الفراء استجابة لعقله المتحرر من ناحية ، واقتداء بمذهب سلفى من جهة أخرى . وإليك الشواهد على كل ما قيل :

(ا) روى أبو صالح [1] ، « قال سمعت ابن عباس رضى الله عنه ينشد للناس هذا البيت فى قوله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض) :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التى كنت أعرف[2]

(ب) وربما كان أصرح من هذا ما روى عن ابن مليكه أنه قال : « سئل ابن عباس عن (الليل وما وسق) فقال وما جمع ، ألم تسمع قول الشاعر :

إن لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا[3]

(حـ) على أن بعض الروايات تضع النقط فوق الحروف فتصرح بأن هذا كان مذهب ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير القرآن :

---

(1) ابو صالح هو مولى ام هانىء بنت ابى طالب ابنة عم النبى صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله وسمع منه – انظر ميزان الاعتدال ٣/٣٦٥ .

(2) مقدمة كتاب المبانى ص ١٩٩ .

(3) المصدر السابق ص ١٩٨ .

روى طلحة بن عمرو عن عطاء قال سمعت ابن عباس إذا سئل عن عربية القرآن أنشد الشعر ، فقيل له ما زنيم ؟ فقال :

زنيم تداعاه الرجـــال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع [1]

وإذا جاوزنا عهد الصحابة إلى عهد التابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين رأينا امتداد هذا المنهج التحررى السلفى يتمثل فى عكرمة ، والحسن البصرى .

(ا) فمن ذلك ما « روى عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم ، فقال : هو ولد الزنى وتمثل ببيت شعر :

زنـــيم ليس يعرف من أبـــوه بغى الأم ذو حسب لئيم [2] »

(ب) وكذلك ما روى عنه حين سئل عن تفسير قوله (وثيابك فطهر) لم يذهب إلى المعنى القريب وهو خلوها من النجاسة ، بل ذهب إلى أنها كناية عن العفة فقال : (وثيابك فطهر) على غير غدرة ، وغير فجرة . . . أما سمعت قول الشاعر :

وإنى بحمد الله لا ثوب فاجـــر لبست ولا من غدرة أتقنع [3]

(حـ) أما الحسن البصرى فإنه حينما « سئل عن المرأة من أهل الشرك تسبى ، هل تحل أن يطأها من صارت إليـــه ؟ قال : أما سمعت قول الشاعر :

وذات حليل أنكحتها رماحنـــا حلالا لمن يبنى بها لم تطلق [4]

---

(1) مقدمة كتاب المبانى ص ١٩٨

(2) مقدمة كتاب المبانى ص ١٩٨ .

(3) نفس المصـــدر .

(4) مقدمة كتاب المبانى ص ١٩٩ .

فأنت تراه قد استعان بالشعر فى إصدار حكم فقهى يتعلق بباب النكاح . وهذا أدخل فى منهج التحرر من تفسير معنى كلمة ببيت من الشعر ، نعم قد يقال إن هذا الحكم متعلق بآية قرآنية (وما ملكت أيمانكم) — وحينئذ نسارع بالموافقة إذ هو موضع الشاهد عندنا فحديثنا يتعلق بالتفسير لا بالفقه .

تلك هى الشواهد العديدة تنطق بصدق ما أقول من أن الفراء لم يقدم على ما أقدم عليه من هذه الخطوة التحررية إلا فى نطاق من السلفية التى ترتكز على الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، استجابة للنزعة الدينية القوية عند هذا الرجل .

ذلك منهجه فى التفسير من حيث (السلفية أو التحرر) وبعد هذا بقيت علينا زاوية أخرى فى منهجه التفسيرى وهى الصبغة التى يصطبغ بها بين مذاهب التفسير الاسلامى ، وأبادر فأقرر أن الغالب فيه هو النحو واللغة ، ولذلك كان تفسيراً (لغويا نحويا) ، وهو لايعنى أنه خلو من المذاهب التفسيرية الأخرى ، وإنما الحكم دائما للطابع العام .

وقد يكون من الغريب أن المستشرق (جولد تسيهر) وهو يضع كتابه (مذاهب التفسير الإسلامى) لم يستقص جميع المذاهب ، بل فاته منها (المذهب اللغوى النحوى) ويمثله الفراء والزجاج وأبو عبيدة ، كما فاته (المذهب التشريعى الفقهى) ويمثله القرطبى ، ولكن المحقق عقب عليه فى المقدمة فأبان عما فى الكتاب من قصور [1] .

بعد هذا آن لنا أن نوضح المعالم الكبرى لأسلوبه فى التأليف بوجه عام ، ومن بينها بل فى مقدمتها (معانى القرآن) ، إذ هو أكبر أثر للفراء يتمثل فيه منهجه فى التأليف ، وإليك البيان :

---

(١) انظر مقدمة مذاهب التفسير الاسلامى ص ٤ لأستاذنا الدكتور عبد الحليم النجار .

منهجه فى التأليف :

يتلخص حديثنا عن منهج الفراء فى التأليف فى النقاط الآتية :

(١) أسلوبه بين الوضوح والإبهام .

(٢) سليقة المعلم فى المراوحة بين الأساليب .

(٣) منهجه فى استلهام روح العربية واستهداء الحس اللغوى .

(٤) وضع الأصول والقوانين التى تنظم المسائل الجزئية . وهذا من (أوليّات الفراء) فيما أحسب ، ومن هنا كان أسبق من ابن السراج الذى اشتهر بوضع الأصول .

(٥) ومن منهجه « التفلسف فى تصانيفه » كما قال المؤرخون خلافا لبعض الباحثين المحدثين .

(أولا) أسلوبه بين الوضوح والإبهام :

أسلوب الفراء مزيج من الوضوح والغموض ، فهو حين يؤلف للناشئة من المتعلمين يكاد يذوب رقة ووضوحا كما رأينا فى كتاب (المذكر والمؤنث) الذى ألفه لأحد الأمراء الطاهريين [1] ، أما حين يؤلف للخاصة من المتعلمين فإنه يبدو جافا وغامضا فى كثير من الأحايين ، كما رأينا فى كتابه (المقصور والممدود) ، وأما حين يختلط الخاصة بالعامة كما حدث فى إملاء كتاب المعانى بالمسجد الجامع حيث التقى فيه القضاة المثقفون بالعامة من المستمعين ، فإنه حين ذاك يراوح بين الوضوح والإبهام ، وعما قليل سنرى مبعث هذا الغموض .

(ا) ومن نماذج الغموض قوله حين تحدث عن كلمة (أم) من قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) « أم فى معنى يكون

---

(١) انظر الحديث من كتاب (المذكر والمؤنث) .

رداً على الاستفهام على جهتين : إحداهما أن تفرق معنى أى ، والأخرى أن يستفهم بها فتكون على جهة النسق ، والذى ينوى بها الابتداء إلا أنه ابتداء متصل بكلام ، فلو ابتدأت كلاما ليس قبله كلام ثم استفهمت لم يكن إلا بالألف أو بهل[1] » .

(ب) وفى موطن آخر يقول عند تفسير قوله تعالى (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق) « وجاز أن تكون اللام فى الاختلاف ومن فى الحق كما قال الله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق) والمعنى والله أعلم – كمثل المنعوق به لأنه وصفهم فقال تبارك وتعالى (صم بكم عمى) كمثل البهائم ، وقال الشاعر :

كانت فريضة ما تقول كمـا كان الزناء فريضة الرجـم

وإنما الرجم فريضة الزناء[2] » فماذا يريد الفراء ؟ لاشك أنه يحتاج فى فهمه إلى شىء من الجهد .

(حـ) وفى موطن ثالث يقول عند تفسير قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) « إذا كانت غير فى معنى سوى لم يجز أن تكرّ عليها لا ، ألا ترى أنه لا يجوز (عندى سوى عبد الله ولازيد) ، وقد قال بعض من لايعرف العربية : إن معنى غير فى الحمد معنى سوى ، وأن (لا) صلة فى الكلام واحتج بقول الشاعر : (فى بئر لاحور سرى وما شعر) ، وهذا غير جائز لأن المعنى وقع على مالا يتبين فيه عمله فهو جحد محض ، وإنما يجوز أن تجعل (لا) صلة إذا اتصلت بجحد قبلها ، وأراد فى بئر لاحور ، فلا هى الصحيحة فى الجحد ، لأنه أراد فى بئر ماء لايحير عليه شيئا كأنك قلت: إلى غير رشد توجه وما درى . . . الخ[3] »

---

(1) معانى القرآن للفراء ص (٧١) ط دار الكتب .

(2) المعانى ص ١٣١ ط دار الكتب .

(3) معانى القرآن ص ٨ ط دار الكتب .

ألا ترى معى أن الدارس قد يحتاج إلى أن يتريث طويلا أو قليلا أمام هذه النصوص ، لكى يستبطن دخائل أسلوب الرجل ، أو على الأقل ليفهم منها ماذا يريد ؟ وأمثال ذلك فى تأليفه كثير[1] .

وحين نتساءل عن مبعث هذا الغموض نراه تارة يعود إلى بعض المصطلحات التى فقدت حيويتها بانتهاء عصرها فأصبحت بالنسبة إلينا طلاسم أو تكاد ، كما بينت ذلك فى موطنه من البحث فى المصطلحات . وتارة أخرى يكون مبعث هذا الإبهام راجعاً إلى التكوين الداخلى للأسلوب ولا شأن له بالمصطلحات ، وربما كان ذلك لتأثر الرجل بالفلسفة الكلامية ، وقديما لمحوا ذلك فوصفوه « بأنه يتفلسف فى تصانيفه[2] » كما سيأتى به البيان .

هذا إلى أن الرجل كان يتعمق فى أفكاره فلا يقف عند السطحى من الأمور ، وربما كان منهج الكتاب واختصاصه بتناول (المشكل) له أثر فى هذا الغموض .

(ثانيا) الأسلوب التعليمى :

طبع أبو زكرياء الفراء على سليقة المعلم ، ومن مظاهرها عنده أنه يراوح فى أساليبه بين السرد والتساؤل بطريقة جذابة .

(أ) ومن أمثلة ذلك قوله : « (أيان مرساها) يقول القائل : إنما الإرساء للسفينة والجبال وما أشبههن ، فكيف وصفت الساعة بالإرساء؟ قلت : هى بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست، ورسوُّها قيامها ، وليس قيامها كقيام القائم على رجله ونحوه ، إنما هو كقولك (قد قام العدل ، وقام الحق) أى ظهر وثبت[3] » .

---

(١) ارجع مثلا الى ص ٤٨ من كتاب المعانى ثم انظر ماذا يريد (بالوجه الثانى) من وجه الرفع فى (اى) .

(٢) انظر مثلا الفهرست لابن النديم ص ٩٩ ط الرحمانية .

(٣) معانى القرآن للفراء ص ٣٥٧ (مصورتى) .

(ب) وفى موطن آخر يقول عند تفسير قوله تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) « يقول القائل : إنما تقتلون للمستقبل ، فكيف قال (من قبل) ونحن لانجيز فى الكلام (أنا أضربك أمس) ؟ .

ذلك جائز إذا أردت (بتفعلون) الماضى ، ألا ترى أنك تعنف الرجل بما ساءك من فعله فتقول : (ويحك لم تكذب ! لم تبغض نفسك إلى الناس !)[1] » .

وهناك أمثلة عديدة لهذا العرض الجذاب ، ولولا خشية الإطالة لذكرنا منها الكثير ، وسأجتزىء بالإشارة إلى بعض المواطن . للدلالة على أن هذا النهج يأخذ مكانه الواضح فى أسلوب الفراء[2] .

(ثالثا) استلهام الروح العربية :

أما منهجه فى استلهام الروح العربية واستهداء الحس اللغوى ، فقد أوفيت الحديث عنه فيما سبق من عرض الآثار ، وبخاصة (معانى القرآن) ، وضربت هنالك الأمثال فلا موجب للتكرار . وإنما ذكرته هنا ليأخذ مكانه بين المعالم الكبرى فى منهج الفراء .

(رابعا) وضع الأصول :

من منهج الفراء فى تأليفه أنه يعنى بوضع الأصول والقوانين العامة للظواهر اللغوية الأساسية ، كما أنه يضع الأصول لأشتات الجزئيات من المسائل النحوية واللغوية بوجه عام ، وقديما لحظوا فيه هذه الخاصية فقال قائلهم : « لولا الفراء لما كانت عربية لأنه حصلها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب[3] » .

---

(١) المعانى ص ٦٠ فما بعدها ط دار الكتب .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ص ٢ و ٤ و ١٥ و ٣٥ و ٤٤ مثلا ط دار الكتب .

(٣) انظر مثلا تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ١٤٩ ط السعادة .

ثم دار الزمن دورته ، وجاء ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) فكانت له نفس الخاصية فى الضبط ووضع الأصول وقالوا فيه مثل العبارة التى قالوها من قبل فى الفراء[١] .

فماذا كان بين الرجلين من تشابه ؟ وهل كان ابن السراج متأثراً بأبى زكريا الفراء ؟ ولم اشتهر ابن السراج فى عصرنا الحديث بأنه واضع الأصول فى العربية ؟ وما مدى هذه الشهرة من الصحة على ضوء البحث العلمى ؟

تلك أسئلة تدور بذهن الدارس حينما يتعرض للبحث فى تاريخ النحو والنحاة ، وسنكشف النقاب عن الجواب فيما يلى من الحديث :

كانت هناك مَشَابِهُ بين أبى زكريا الفراء وبين أبى بكر بن السراج ، فكلاهما منح عقلية حاصرة ضابطة . كما أن كلا منهما قد تأثر بالفلسفة[٢] ، فمال إلى الضبط والتعميم ، ومن خصائصها ذلك ، كما سيأتى بالتفصيل[٣] .

أما عن تأثر ابن السراج بأبى زكريا الفراء فذلك مايشهد به المرزبانى فيما يرويه القفطى فى إنباه الرواة حين يقول « صنف كتاباً فى النحو سماه الأصول عول فيه على مسائل الأخفش ومذاهب الكوفيين[٤] » وكلمة الكوفيين فى ذلك العهد كان يراد بها الفراء أول مايراد ، وقد رأينا ذلك كثيراً فى كتاب الإنصاف لابن الأنبارى وسيأتى له بيان أوفى[٥] ، كما أن بعض المستشرقين لحظ ذلك فنبه إليه[٦] .

---

(١) انظر بغية الوعاة ص ٤٤ (ترجمة ابن السراج) وانظر نزهة الالباء فى طبقات الادباء ص ١٦٩ .

(٢) انظر اخبار ابن السراج فى الفهرست ٦٢/١ وانظر اخبار الفراء فى الفهرست ص ٩٩ الرحمانية .

(٣) انظر مبحث تفلسف الفراء .

(٤) انظر انباه الرواة ١٤٥/٣ ط دار الكتب .

(٥) انظر (مذهبه فى النحو) .

(٦) انظر مقدمة (فايل) على كتاب الانصاف ترجمة الدكتور النجار .

أما سبب اشتهاره فى عصرنا الحديث بأنه مخترع الأصول فمرد ذلك إلى أمور :

(١) أن كتاب ابن السراج قُيض له أن يقع فى أيدى الباحثين قبل كتاب الفراء فوقفوا منه على هذه الثروة الطائلة من الأصول والقوانين[١] فأطلقوا عليه مخترع علم الأصول[٢]. مستندين فى ذلك إلى ماجاء بالكتاب نفسه من القوانين العامة ، كما أنهم استنادوا إلى مقال المترجمين حين قالوا فيه ماقالوا كما رأينا من قبل .

أما كتب الفراء فمعظمها قد عـ عليه الزمان ، ولاسيما ماكان منها خاصا بالنحو مثل الكتاب الذى سماه (الكتاب الكبير) فى النحو[٣] ، ومثل كتاب (الحدود) الذى يعتبر نحوا بمعناه العام[٤] ، أما مابقى من آثاره فلم يلفت أنظار الباحثين الذين كان يعنيهم أن يقارنوا بين ماترك ابن السراج من الأصول وبين نظائره فى التراث النحوى إن كانت له نظائر .

(٢) هذه واحدة وأخرى أن كتاب ابن السراج يلفت الأنظار بموضوعه من ناحية ، وبعنوانه من ناحية أخرى فقد سماه (الأصول) ، أما كتاب الفراء الذى هدانا إلى أنه هو واضع الأصول قبل ابن السراج بنحو

---

(١) الى عهد قريب كان المعتقد فى الأوساط العلمية المحققة ان هذه المخطوطة المحفوظة بالأمانة العامة للجامعة العربية هى لابن السراج وبنوا احكامهم ودراساتهم على ذلك ـ ثم بدا فيها ما يشكك الباحثين فى نسبتها الى ابن السراج ... وما تزال موضع بحث ، ولم يستقر الرأى فيها بعد ... فان تكن حقا لابن السراج فذلك الذى جرى عليه الحديث فى صلب الرسالة ... وان تكن لغيره من المتأخرين فما على القارئ الا أن يدير الحديث على هذا المتأخر ـ والذى يعنينا هو الناحية الموضوعية لا الناحية الشخصية ، فسواء علينا ثبوتها لابن السراج أو ثبوتها لغيره . طالما سلم لنا أن آراء الفراء فى الاصول النحوية أسبق من هذه المخطوطة ، ومن مؤلفها أيا كان .

(٢) انظر مقدمة سر صناعة الاعراب جـ ١ ص ٦ ط الحلبى .

(٣) انظر مخطوطة دار الكتب للأزهرى رقم (٩ لغة) جـ ١ ص ٨ فما بعدها .

(٤) انظر حديثنا عن كتاب الحدود فى آثار الفراء .

قرن من الزمان أو يزيد فلم يكن يحمل هذا الاسم الهادف كما حمله كتاب ابن السراج ، وإنما يسمى (معانى القرآن) — وواضح من هذه التسمية أن مؤلفه لم يهدف فيه إلى جمع الأصول وحدها فى كتاب وإنما جاءت فيه نثارا هنا وهناك حسبما يقتضيه المقام، لهذا التفت الباحثون إلى كتاب ابن السراج فاشتهر بوضع الأصول ولم يلتفتوا إلى كتاب الفراء ، ومن ثم لم يشتهر بوضعها فى هذا الزمان ، وإن كان مشهوراً بها فى غابر الأزمان .

(٣) وأبعد من هذا أن بعض الخاصة من الباحثين المستشرقين مثل (فايل) لم يكن يعرف أن التاريخ حفظ لنا كتاب المعانى للفراء فقال فى بعض بحوثه « إنه لم يصل إلينا[١] » وكذلك قال بعض الباحثين العرب[٢] ، ومدلول هذا وذاك أنه مجهول لم تَجُلْ فيه أعين الباحثين ، ومن ثم لم يتعرفوا على ما فيه من أصول ، فكيف يحكمون بأن له فضل السبق على ابن السراج ! ، بل إن بعض الباحثين تشكك فى أن يكون للفراء نحو على الإطلاق فتساءل عما ترك من آراء وبحوث فى النحو ، ثم قال إنها « لمحات خفيفة لاتسمن ولاتغنى من جوع[٣] » وما ذلك إلا نتيجة لاحتجاب آثار الفراء عن أعين الباحثين .

ويبدو أن هذا الكتاب حجب عن أعين الناس منذ أمد بعيد ، وآية ذلك أن (البغدادى) يقول بعد أن نقل عنها نصوصا بأكملها وأطال فى هذا النقل ، إنما عمدت على ذلك عمدا لتتعرفوا على منهج الفراء فى المعانى « فإنه لقدمه قلما يطلع عليه أحد[٤] » .

---

(١) انظر مقدمة الانصاف — ترجمة الدكتور النجار (مخطوطة تحت الطبع) .

(٢) انظر تاريخ الاسلام السياسى ٢/٢٨٣ فما بعدها — الطبعة الثالثة .

(٣) (ابن جنى وفلسفته اللغوية) لأستاذنا الدكتور محمد القصاص ص ٢٦ مخطوطة (فى حوزتى) .

(٤) خزانة الادب لعبد القادر البغدادى جـ ٤ ص ٩١ ط السلفية .

وحتى فى زماننا هذا ، زمان الطبع والنشر ، توقفت عنه المطابع وحالت دونه الحوائل ، فلم يطبع منه إلا جزء واحد ، وظلت سائر الأجزاء تنتظر النور ، وعسى أن يكون قريبا .

إلى هنا أحسب أننا عرفنا سبب شهرة ابن السراج دون الفراء فى هذا العصر ، ويجمل بنا أن ننتقل إلى النقطة الأخيرة وهى مدى صحة هذه الشهرة على ضوء البحث العلمى .

إن البحث ينطق بأن الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ كان أسبق فى الزمن من ابن السراج المتوفى سنة ٣١٦هـ .

كما ينطق بأن الفراء سبق إلى وضع الأصول والقوانين فى عهد لم يعن فيه سيبويه ولا أستاذه الخليل بمثل هذا التقنين[1] وما يذاع عن البصريين من أنهم أهل تقنين إنما هو نتيجة لجهودهم فى العصور المتأخرة عن سيبويه والخليل فأخذوا هذا الطابع ووصل إلينا عبر السنين نتلقاه تلقيناً جيلا بعد جيل دون أن نبحث عن أول من ضبط العربية ووضع لها الأصول والقوانين ، وكل همنا حين البحث يتجه إلى أول من وضع النحو ، وفرق بين وضع النحو من حيث هو مسائل جزئية وبين ضبط هذا النحو فى قواعد وقوانين ، وإلا لما كان هناك مجال للاختلاف فى الفراء وابن السراج أيهما كان أسبق إلى وضع الأصول . لأن كلا منهما مسبوق بنحاة كثيرين من البصريين و الكوفيين .

هذا ولعل بعض المتعصبين للبصريين يؤذيهم أن يكون الفراء صاحب هذا السبق والفوق ، ويزعمون أن كتاب سيبويه قد اشتمل على هذه القوانين ، وحينئذ أقول لهم : لدينا كتاب سيبويه ، تعالوا ننظر فيه ، فسوف لا نرى إلا القليل النادر من الأصول ، مما لا يصلح أساساً للحكم عليه بأنه واضع الأصول .

---

(١) انظر ترجمة سيبويه فى ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٣٠٧ ـ ط العثمانية .

صحيح أن كلا من الفراء وابن السراج قد انتفع بكتاب سيبويه أكبر انتفاع حيث وجد المسائل الجزئية بأحكامها وعللها مجموعة فى كتاب ، ولكن هذا لا يعنى مطلقا أن سيبويه هو واضع علم الأصول فى النحو ، ولقد وفق محققو (سر صناعة الإعراب) أيما توفيق حين استبعدوا سيبويه من وضع الأصول[1] كما وفق بعض المحدثين حيث يقول عن كتاب سيبويه « فهو فى جملة الأمر يقدم مادة النحو الأولى موفورة العناصر كاملة المشخصات ، لا يكاد يعوزها إلا استخلاص الضوابط وتصنيع الأصول على ما تقتضى الفلسفة المدروسة والمنطق الموضوع ، وفرق ما بينه وبين الكتب التى جاءت بعد عصره كفرق ما بين كتاب فى الفتوى وكتاب فى القانون ، ذلك يجمع جزئيات يدرسها ويصفها ويصدر أحكاماً فيها ، والآخر يجمع كليات يصنفها ويشققها لتنطبق على الجزئيات[2] .

ومن آيات سبق الفراء إلى الأصول ما نراه فى آثاره من العناية التامة بوضع القوانين العامة عقيب أشتات الجزئيات من المسائل النحوية واللغوية ، مما جعل القدماء يعرفون له حقه فى هذا السبق فيقولون فيه ما قالوا « لولا الفراء لضاعت العربية ... » إلى آخر ما هنالك . وإذا أردت أن تتبين صدق ما أقول فعليك بآثاره ، مثل كتاب معانى القرآن[3] ، والأيام والليالى[4] ، وكتاب المذكر والمؤنث[5] ، وكتاب المقصور والممدود[6] ، أو غيرها من آثار الآخرين الذين رووا اهذه الأصول عن الفراء ، مثل مجالس ثعلب[7] ، وشرح المفضليات[8]

---

(١) انظر مقدمة سر صناعة الاعراب جـ ١ ص ٦ ط الحلبى .

(٢) سيبويه امام النحاة ص ١٥٨ فما بعدها للأستاذ على النجدى .

(٣) انظر مثلا ص ٣١٩ و ص ٣٣٥ و ٣٤٥ (مصورتى) وانظر ص ٣ و ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٢٨ و ٢٩ و ٧٠ مثلا من طبع دار الكتب .

(٤) انظر ص ١ و ٢ و ١١ و ٥٣ مثلا طبع المطبعة الأميرية بتحقيق الابيارى .

(٥) انظر ص ٢ و ١٠ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ مثلا ط حلب .

(٦) انظر اللوحة الأولى ولوحة ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٣٠ مثلا من (مصورتى) .

(٧) انظر ص ٢٧٤ مثلا ط المعارف .

(٨) انظر جـ ١ ص ٤ مثلا .

والمغنى[1]، والمزهر[2]، وتفسير الطبرى[3]، وأدب الكتاب لأبى بكر الصولى[4] إلى غير ذلك مما جمعته من بطون الكتب رجاء أن أؤلف بينها مع أشباهها التى استخرجتها من آثار الفراء نفسه، بعد التتبع والاستقصاء وأخرجها فى كتاب مستقل يضاهى (كتاب الأصول) المحفوظ بالجامعة العربية، وحينئذ تحلو بينهما الموازنة، مع إرجاع كل أصل يمكن إرجاعه فى الكتابين إلى موطنه الذى انتزع منه فى كتاب سيبويه كما يقول بعض القدماء، وهنا نتبين مدى قدرتها الابتكارية فى مظهريها معا : مظهر الانتزاع، ومظهر الاختراع. على أن إرجاء هذا العمل المزمع لا يؤثر فى قضيتنا فى قليل أو كثير، فموضوع حديثنا هو مطلق الأسبقية بين الفراء وابن السراج، وهى لا تتأثر بمعرفة المدى، وإنما تتوقف على إثبات السبق فقط وقد أثبتناه.

على أننا نستطيع أن نقول إن الفراء سبق كذلك إلى تأليف كتاب خاص بالأصول ذلك الذى كلفه به الخليفة المأمون فيما يرويه الخطيب البغدادى حيث يقول : « أمر أمير المؤمنين المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب[5] » .

وفقدان هذا الكتاب لا ينفى أسبقية الفراء بل تظل ثابتة من الوجهة التاريخية وقد تضافرت الروايات على نسبته إليه، كما أن القواعد الكثيرة التى جاءت منثورة فى آثاره الأخرى تدلنا على أن الرجل يملك القدرة على وضع الأصول، بل ربما كان بعض ما جاء منها هو من كتاب الأصول للفراء ذلك الذى سماه بكتاب (الحدود)، وآية ذلك أن معظمها فى النحو واللغة، وكذلك كان كتاب الحدود.

---

(١) انظر مغنى اللبيب لابن هشام ج ١ ص ١٩ مبحث (اذن) .

(٢) انظر ج ٢ ص ٩٥ مثلا ـ ط الحلبى .

(٣) انظر مثلا ج ١ ص ١٠٤ فما بعدها عند تفسير قوله تعالى (ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) .

(٤) انظر مثلا ص ٢٤٦ ط سنة ١٣٤١ هـ .

(٥) تاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ط السعادة .

(خامسا) التفلسف فى التصانيف :

من منهج الفراء فى تأليفه أنه « كان يتفلسف فى تصانيفه » كما يقول المؤرخون القدماء ، فهل كان حقاً كذلك ، أو أن هذه الدعوى لا تستند إلى دليل كما يفهم من كلام بعض الباحثين حيث يقول : « المترجمون للفراء يقولون : إنه كان يتفلسف فى تصانيفه. على أننى فيما قرأت من معانى القرآن للفراء لم أجد نصاً يشير إلى هذا التفلسف[1] » .

ولعل الدكتور شلبي قد تأثر فى هذا بما رآه فى (مدرسة الكوفة) حيث قال الدكتور المخزومى : « لا أكاد أرى أثرا للفلسفة الكلامية فى نحو الكسائى والفراء[2] » .

وربما كان كلاهما متأثرا بما جاء عن (فايل) حين عرض لتعليلات ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف فقال : « إن هذا البصرى أو ذاك قد أخذ برأى الكوفيين فى بعض المسائل عامدا إلى دعمه بطريقته البصرية القياسية[3] » يعنى الطريقة الفلسفية .

وحين نناقش هؤلاء جميعاً نلتمس بعض العذر (لفايل) حيث لم يصرح بنفى الفلسفة عن الفراء ، وإنما أشار إلى ذلك من طرف خفى ، ثم هو إلى جانب ذلك لا يكاد يعرف شيئا عن وصول أكبر أثر للفراء وهو كتاب (معانى القرآن) ، وقد صرح بذلك حين عده من الذخائر المفقودة ، على حين أنه موجود فى مكتبات متعددات كما سبق به البيان ، إذن مثل (فايل) لا ينتظر منه أن يحكم حكماً سليما على تفلسف الفراء ، فلنستبعده من الآن .

أما الدكتور المخزومى فقد رأيته ، فى موطن آخر قد تراجع عن الحكم السابق حيث قال « ولا يعنى هذا أن الفلسفة الكلامية لم تترك أثرا فى تفكيره

---

(١) ابو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى ص ٢٦٧ ط نهضة مصر .

(٢) مدرسة الكوفة ص ٣١٥ ط بغداد .

(٣) مقدمة (فايل) على كتاب الانصاف لابن الأنبارى ترجمة المرحوم الدكتور النجار وما تزال مخطوطة تحت الطبع .

(أى الفراء) فالراصد أقواله يحس بجلاء ما فى آرائه النحوية، وتفسيراته لوجوه الإعراب من ظل التفكير الفلسفى فلا يزال يقلب المسألة على وجوهها المختلفة ويعلل كل وجه منها شأن العالم الذى يفترض فى المسألة الواحدة فروضا متعددة ويجرى تجاربه على كل فرض منها على حدة ليصل إلى الغرض الذى قصد إليه[1] من أجل هذا التراجع قبلنا منه إثبات فلسفة الفراء على وجه من الوجوه .

بقى معنا الدكتور شلبى ، وعلينا قبل البدء فى الحديث ، أن نحدد معه معنى الفلسفة إذ يبدو أن اختلافنا فى مفهوم الفلسفة هو الذى باعد بين الرأيين ، فهو فيما أرى — قد حصرها فى (القضايا والأشكال المنطقية) فلما لم يجد فى كلام الفراء ما يصلح أن تصاغ منه قضايا منطقية على مثال ما وجده فى كلام صاحبه (أبى على الفارسى) حين قال : « ليس كل ما علموه يشعرونه كما أن ليس كل ما علموه يحسنونه » فعقب عليه بقوله : « هاتان قضيتان حمليتان ، كل منها سالبة جزئية[2] » إلى غير ذلك من القضـــايا التى استخرجها من كلامه حين لم يجد ذلك حكم هذا الحكم الذى يشكك فى تفلسف الفراء ، دون أن يقرأ جميع (المعانى) فضلا عن سائر الآثار .

وجدير بنا أن نذهب إلى كتب الفلسفة نستلهمها الرأى ، ونستفتيها فى معنى (الفلسفة) ، وحين رجعت إليها رأيتها تناولت الكلمة ومشتقاتها ، وتاريخها وتطور مدلولاتها عبر القرون ، وسأحاول إلقاء الأضواء فى أوجز العبارات لأصل سريعا إلى الهدف المقصود . وإليك البيان :

يقول (أزفلد كولبه) إن (هيرودوت) كان أول من استعمل كلمة (يتفلسف)[3] بمعنى اصطلاحى — ثم تطورت واختلف استعمالها اتساعاً وضيقا كما اختلف الفلاسفة فى مدلولها ، وفى هذا يقول (برتراند رسل) : « وكلمة

---

(١) مدرسة الكوفة ص ١٦٣ .

(٢) ابو على الفارسى ص ٢١٥ مخطوطة دار العلوم رقم (٣٣٥ د) .

(٣) المدخل الى الفلسفة تاليف (أزفلد كوليه) ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى ص ٨ ط سنة ١٩٥٥ م .

الفلسفة قد أطلقت على سبل شتى تختلف اتساعاً وضيقاً .... ولقد اختلف الفلاسفة فيما بينهم اختلافا بعيد المدى[1]» بل إن (افلاطون) نفسه تارة يعرف الفلسفة تعريفاً عاماً « بأنها كسب أو تحصيل المعرفة[2]» وأخرى يذكر « عبارات يرد فيها تعريف الفيلسوف بأنه الشخص الذى غايته الوصول إلى معرفة حقائق الأشياء[3]». ثم تطور مفهومها بعد ذلك على مدى العصور، وأصبح لكل طور مدلول كما يقول مؤرخو الفلسفة ، ثم يقررون أنه أصبح من العسير تحديدها أو وضع تعريف لها ينطبق على كل العصور ، استمع إليهم يقولون: « هذه الفلسفة ... لا تستطيع أن تحدها أو تعرفها فى كل جيل لها مدلول وفى كل عصر لها تعريف[4]» .

تلك هى معانى الفلسفة وتطوراتها ، ولولا أننى ليس من أهدافى أن أتناول التاريخ الفلسفى لتتبعت الكلمة ومدلولاتها بالتفصيل ، ولكننى أجتزئ بهذه اللمحات الخاطفة عساها تنير لنا الطريق إلى ما نهدف إليه من إثبات تفلسف الفراء، وأن الكلمة قد تطور مفهومها بتطور العصور، وأن عدم العثور على فقرات منطقية أو بعبارة أدق : على صورة قضايا جزئية أو كلية لا يبرر القول بالتشكك فى تفلسف الرجل ، فمن الإجحاف إذن أن نخضع الفلسفة فى عهد الفراء —وهى فى أطوارها الأولى عند العرب— إلى مثل ماوصلت إليه فيما بعد، فنحاول عبثاً أن نجد فى تصانيف يحيى بن زياد الفراء المتوفى (سنة ٢٠٧ هـ) قضايا منطقية فى أشكالها المختلفة مثلما وجدناه فى تصانيف أبى على الفارسى المتوفى (سنة ٣٧٧هـ[5]) متناسين الفارق الزمنى بين الرجلين ، وهو فارق كفيل بأن تترعرع فيه الفلسفة بل وتستحصد كما رأينا ذلك عند الرمانى

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية تاليف (برتراند رسل) ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود ص ٤ سنة ١٩٤ م .

(٢) المدخل الى الفلسفة ص ٩ ط سنة ١٩٥٥ م .

(٣) نفس المصدر .

(٤) معانى الفلسفة ص ١٠ ط اولى .

(٥) معجم الادباء ١٧/١٨ ط دار المأمون .

النحوى[1] معاصر أبى على الفارسى وحسبنا من تفلسف الفراء ما نراه من المظاهر الأخرى للفلسفة مثل التعليل والتحليل، والقياس، وتقليب المسألة على جميع الوجوه المحتملة ، والانتفاع بما لديه من العلوم والثقافات بكل وسيلة ممكنة — ولعل القدامى لحظوا كل ذلك حينما وصفوه بالتفلسف، وكانوا على حق فيما لحظوا[2] إذ أن ذلك ينطبق على معنى الفلسفة فى طور من أطوارها كما يقول (شيشرون) : « إن الفلسفة هى العلم بأفضل الأشياء، والقدرة على الانتفاع به بكل وسيلة ممكنة[3] » .

أو لعلهم حينما وصفوه بالتفلسف لحظوا مدى قدرته على تناول المسائل الكلية ، ووضع القوانين العامة ، وهذا التفكير الفلسفى عند الفراء ربما كانت له ظلال تلتقى مع قول من قال : « إن الفلسفة إما أن تختص بمسائل كلية لاتتناولها العلوم ، وإما أن تفحص عن مسائل مشتركة بينها وبين العلوم ، ولكن من وجهة كلية[4] » .

هذا وقد آن لنا أن نقدم النماذج المتعددة الدالة على تفلسف الفراء فى معانيه ، ذلك الذى تشكك فيه الدكتور شلبى وإليك البيان :

(١) رأيت الفراء يوجه كلام العرب ، ويعلل له ، ويتفلسف على لسانهم كأنه يقول : لو سئلوا عن تعليل ذلك لقالوا كذا وكذا .. استمع إليه يقول : « وأما أهل البدو فمنهم من يقول :(الحمدَ لله) —بالنصب— ، ومنهم من يقول : (الحمدِ — لله) بالجر ومنهم من يقول : (الحمدُلله) فيرفع الدال واللام ، فأما من نصب فإنه يقول : الحمد ليس باسم إنما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول أحمدالله ، فإذا صلح مكان المصدر (فعل أو يفعل) جاز فيه

---

(١) انظر نزهة الالباء فى طبقات الادباء ص ٣٩٠ .

(٢) غنى عن البيان أن نقول : ان التفلسف شىء ، وان يكون المرء فيلسوفا شىء آخر ، فما كل من تفلسف او عالج شيئا من الفلسفة اصبح فيلسوفا .

(٣) المدخل الى الفلسفة ص ٨ سنة ١٩٥٥ م .

(٤) دروس فى تاريخ الفلسفة ص ٣ ط سنة ١٩٥١ م .

النصب ..... وأما من خفض الدال من (الحمد)فإنه قال : هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضمة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل إبل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم ، وأما الذين رفعوا فإنهم أرادوا المثال الأكثر .... الخ[1] » ..

فأنت تراه يفصل ، ويمثل ، ويعلل ، ويقيس ، وكل ذلك من ألوان الفلسفة والمنطق ، ثم هو إلى جانب ذلك يسند هذه التعليلات إلى أهل البدو ، وغنى عن البيان أن نقول : إن أهل البدو كانوا ينطقون على سجيتهم ولا يلتفتون إلى شىء من هذه العلل التى وضعها النحاة فيما بعد .

(ب) وفى موطن آخر يتفلسف . ولكن بصورة أخرى ، فلا يكاد يذكر التقسيم والتفصيل كما رأيت فى المثال السابق ، وإنما تحس أثر الفلسفة فى التكوين الداخلى لتفكير الرجل ، فهو لا يقف عند توضيح المعنى فحسب كما فعل غيره من المفسرين حين قالوا « (وكان وراءهم ملك)وراء بمعنى أمام[2] على معنى الضد وإنما يتفلسف فيه فيقول : (وكان وراءهم ملك) يقول أمامهم ملك ، وهو كقوله (من ورائه جهنم أى من أمامه) ولا يجوز أن تقول لرجل وراءك هو بين يديك ، ولالرجل بين يديك هو وراءك إنما يجوز ذلك فى المواقيت من الأيام والليالى والدهر — تقول وراءك برد شديد ، وبين يديك برد شديد ، لأنك أتت وراءه فجاز لأنه شىء يأتى ، فكأنك لما لحقك صار من ورائك ، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك ، فلذلك جاز الوجهان[3] » .

من أجل هذا قالوا : كان يتفلسف فى تصانيفه وكانوا على حق فيما قالوا .

---

(١) معانى القرآن ص ٣ ط دار الكتب .

(٢) انظر مثلا مجاز القرآن لأبى عبيدة ص ٤١٢ (نشر الخانجى) .

(٣) معانى القرآن للفراء ص ١٩٠ (مصورتى) .

(ح) وقريب من هذا رأيه فى (سراويل) من حيث الصرف أو المنع فإنه على حين قال غيره من النحاة « ألحقه بالجمع فأمنعه من الصرف لأنه مثله وشبيهه[1] » لم يكتف بهذه المشابهة من جانب واحد بل جعله مرة مصروفا وأخرى ممنوعاً من الصرف ، طبقاً لحاله من التعريف أو التنكير ، فقال: ألحقه (أى سراويل) بأحمد فأمنعه من الصرف فى المعرفة، وأصرفه فى النكرة ، حتى يكون بين الواحد والجمع فرق[2] » .

(د) ويقول عند تفسير قوله تعالى (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى) وفى إحدى القراءتين ... (أَنْ يابنى) .. وكل صواب .

فمن ألقاها قال الوصية قول وكل كلام رجع إلى القول جاز فيه دخول (أن) وجاز إلقاء (أَنْ) ..... وإذا كان الموضع فيه مايكون معناه معنى القول ، ثم ظهرت فيه (أن) فهى منصوبة بالألف (كذا)، وإذا لم يكن ذلك الحرف يرجع إلى معنى القول سقطت (أن) فى الكلام .

فأما الذى يأتى بمعنى القول فتظهر فيه أن مفتوحة فقول الله تبارك وتعالى: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) ....

وأما ما ليس فيه معنى القول فلم تدخله (أن) فقول الله (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا) فلما لم يكن فى (أبصرنا) كلام يدل على القول أضمرت القول فأسقطت (أن) لأن ما بعد القول حكاية لاتحدث معها (أن)...وهو كثير ، فقس بهذا ما ورد عليك[3] » ، فأنت ترى القسمة العقلية فى هذا النص ، ونستطيع تلخيصها فيما يأتى :

(١) القسم الأول أن يكون التعبير بلفظ القول ، وهذا لا تتأتى معه (أن) .

---

(١) الامتاع والمؤانسة ١٩٦/٢ ط لجنة التاليف والترجمة والنشر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) المعانى ص ٨٠ فما بعدها (ط) .

(٢) القسم الثانى أن يكون بمعنى القول ، و حكمه أنه يجوز فيه دخول (أن) وإظهارها ، كما يجوز حذفها .

(٣) القسم الثالث ، هو ما ليس فيه معنى القول ، وحكمه ألا تدخل عليه (أن) .

وبعبارة أخرى

(١) قسم فيه لفظ القول ومعناه وهو القسم الأول .

(٢) وقسم ليس فيه لفظ القول ولا معناه « « الأخير .

(٣) وقسم فيه معنى القول فقط ، « « « الثانى .

(٤) أما القسم الرابع وهو ما كان فيه لفظ القول فقط فإنه سكت عنه ، حيث لا يتأتى فى الواقع الخارجى ، وإنما هو من القسمة العقلية فحسب .

ألا ترى معى أن الرجل كان حقاً يتفلسف فى تصانيفه ومنطقها ! إن أردت المزيد فعليك بمثال آخر وسترى فيه مزيدا من ألوان الفلسفة والمنطق .

(هـ) ذلك هو حديثه عن اجتماع الشرط والقسم عند تفسير قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه)[1] فإنه نهج فيه منهج المناطقه ، فجاءت فيه هذه المظاهر المتعددة ، التقسيم ، والتعليل ، والتمثيل ، واللف والنشر المعكوس ، ثم وضع قانون كلى ، كما ترى فيه قاعدة إملائية مقحمة ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على عقليته المغرمة بالتقعيد .

(و) بعد هذا التنويع فى عرض النصوص أود أن أضع بين يدى القارئ نصا كاملا يتمثل فيه تفلسف الفراء خير تمثيل ، وهو يدور حول فكرة يسيرة جدا ، وهى تشديد النون وإسكانها فى كلمة (لكن) ، غير أن فلسفة الفراء خلقت منها هذا النص الطويل .

---

(١) انظر المعانى ص ٦٥ فما بعدها ط دار الكتب .

يقول يحيى بن زياد الفراء : « للعرب فى (لكن) لغتان : تشديد النون وإسكانها ، فمن شددها نصب بها الأسماء ، ولم يلها فعل ولا يفعل ، ومن خفف نونها وأسكنها لم يعملها فى شيء فى اسم ولا فعل ، وكان الذى يعمل فى الاسم الذى بعدها مامعه ، ينصبه أو يرفعه أو يخفضه ، من ذلك قوله (ولكن الناس انفسهم يظلمون) (ولكن الله رمى) (ولكن الشياطين كفروا) رفعت هذه الأحرف بالأفاعيل التى بعدها ، وأما قوله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله) فإنك أضمرت (كان) بعد « لكن » فنصبت بها ، ولو رفعته على أن تضمر (هو) : ولكن هو رسولُ الله كان صوابا ، ومثله (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديقَ الذى بين يديه) و (تصديقُ) ومثله (ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديقَ الذى بين يديه) و (تصديقُ) .

فإذا ألقيت من (لكن) الواو التى فى أولها آثرت العرب تخفيف نونها وإذا أدخلوا الواو آثروا تشديدها ، وإنما فعلوا ذلك لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام فشبهت ببل ، إذ كان رجوعها مثلها ، ألا ترى أنك تقول : لم يقم أخوك ، بل أبوك ثم تقول : لم يقم أخوك لكن أبوك ، فتراهما بمعنى واحد ، والواو لا تصلح فى (بل) فإذا قالوا (ولكن) فأدخلوا الواو تباعدت من (بل) إذا لم تصلح الواو فى (بل) فآثروا فيها تشديد النون ، وجعلوا الواو كأنها واو دخلت لعطف لا لمعنى بل ، وإنما نصبت العرب بها إذا شددت نونها لأن أصلها : إن عبدالله قائم فزيدت على (أن) لام وكاف فصارتا جميعاً حرفاً واحداً ، ألا ترى أن الشاعر قال :

(ولكننى من حبها لكميد) .[1]

فلم تدخل اللام إلا لأن معناها إن .

وهى فيما وصلت به من أولها بمنزلة قول الشاعر :

لَهِنَّك من عبسية لوسيمة على هنوات كاذبٌ من يقولها

[1] وفى رواية (لعميد) .

وصل (إن) ههنا بلام وهاء ، كما وصلها ثَمَّ بلام وكاف ، والحرف قد يوصل من أوله وآخره ، فما وصل من أوله (هذا) ، و (هاذاك) وصل بـ (ها) من أوله ومما وصل من آخره قوله (إماتر بنيما يوعدون) ، وقوله لتذهبن ولتجلسن ، وصل من آخره بنون وبـ (ما) ، ونرى أن قول العرب كم مالك ؟ أنها (ما) وصلت من أولها بكاف ، ثم إن الكلام كثر بـ(كم) حتى حذفت الألف من آخرها فسكنت ميمها، كما قالوا : لِمْ قلت ذاك ؟ ومعناه : لِمَ قلت ذاك ، ولما قلت ذاك ؟ قال الشاعر :

يا أبا الأسود لِمْ أسلمتنى لهموم طارقات وذِكَر

وقال بعض العرب فى كلامه وقيل له : منذ كم قعد فلان ؟ فقال كَمْذْ أخذتَ فى حديثك ، فردُّه الكاف فى (مذ) يدل على أن الكاف فى كم زائدة ، وإنهم ليقولون كيف أصبحت ؟ فيقول: كالخير ، وكخير ، وقيل لبعضهم: كيف تصنعون الأَقِط ؟ فقال كَهِين [1] ».

ذلك هو منهج الفراء فى تصنيفه ، يتفلسف فيحلل ، ويعلل ، ويدلل ، ويمثل ،ويقيس ويقنن ، ويشقق الكلام حتى ليستطرد فى بعض الأحايين ثم يغوص ويتعمق حتى ليدق أحياناً على الفهم الدقيق ، ثم هو بين الفينة والفينة يستعمل الألفاظ المنطقية مثل « العلة [2] » ، و « الحدود [3] » تلك التى وضعها عنواناً لكتابه ثم أورد فيه زهاء ستين مبحثاً كلها متوجّة بكلمة (حد) فربما كانت هذه الألفاظ وأشباهها دليلا جديداً على أن الرجل كان متأثرا بالفلسفة والمنطق .

ثم هناك دليل آخر ، هو أنه سلك سبيل المتكلمين فى إرجاع الظواهر اللغوية إلى عللها وأسبابها [4] .مثلما كان منه فى ظاهرتى (النحت) و (التركيب)

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ٤٦٤ فما بعدها ط دار الكتب .

(٢) انظر مثلا ص ٣١٢ من معانى القرآن (مصورتى) .

(٣) انظر احصاء آثار الفراء (الحدود) .

(٤) انظر احياء النحو للأستاذ المرحوم ابراهيم مصطفى ص ٢٢ فما بعدها .

مما يدل على أن تفلسف الفراء يتصل بالتكوين الداخلى لمنهجه ، حتى إنه أحياناً كان يسبق البصريين فى تفلسفهم ، فقال بالنحت فى كلمة (لهنك) وفلسف ذلك[1] ، على حين نرى سيبويه لا يرى فيها شيئاً من النحت[2] ، وكما سبق سيبويه فى التفلسف سبق أستاذه الخليل بن أحمد فقال بظاهرة (التركيب) فى كلمة (إلا) على[3] حين قال الخليل: إنها بسيطة لا تركيب فيها[4]. وفى موطن آخر نراه قد سبق البصريين جميعاً فقال بتركيب (كم[5]) على حين لا يرى البصريون فيها شيئاً من التركيب .

هذا ولدينا كثير من النصوص التى وقفنا عليها دون كبير عناء فى معانى الفراء ، وكلها تنطق بأنه كان حقا يتفلسف فى تصانيفه كما قال المؤرخون القدماء ، ولولا خشية الإطالة لأوردت منها الكثير ، ولكننى سأكتفى بالإشارة إلى مواطنها[6] ، إيثارا للإيجاز .

وفى النهاية أقول : ليس غريباً أن يتأثر الفراء فى تصانيفه بالمنهج الفلسفى :

(ا) فهو الذى صاحب المعتزلة فى شخص قطب من أقطابهم ، هو ثمامة بن الأشرس ومن حوله من أهل الاعتزال وكان لهم فضل اختصاص بالفلسفة والمنطق .

(ب) كما أنه عاصر الخليفة المأمون وكان أثيرا عنده وقد عرف المأمون باعتزاله بل بتعصبه لمذهب المعتزلة .

---

(١) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٢/٣٥٧ .

(٢) انظر الكتاب ٢/٤٧٤ .

(٣) انظر الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى (مسألة ٣٤) .

(٤) انظر الكتاب ٢/٦٧ .

(٥) انظر الانصاف (مسألة ٤٠) .

(٦) انظر مثلا ص ١٦٠ و ١٦٣ فما بعدها و ١٦٤ و ٣١٨ و ٣٢٤ فما بعدها و ٣٦٩ من معانى القرآن (مصورتى) وانظر ص ٤٣٤ مخطوطة دار الكتب رقم (١٠ ش) تفسير .

(جـ) ثم إن الفراء – إلى جانب ذلك – قد اتصل بالمدرسة البصرية المتأثرة بالفلسفة ومناهجها كما يقول (دى بور): «سمى نحاة البصرة أهل المنطق تمييزا لهم عن نحاة الكوفة[1]» : وذلك على يد يونس بن حبيب الذى أخذ عنه، فاستكثر منه كما تقول بعض الروايات .

(د) وفوق هذا وذاك تخرّج فى كتاب سيبويه ولازمه قراءة ودرساً ونقدا حتى روى أنه « مات وكتاب سيبويه تحت رأسه » ، وفى الكتاب آراء الخليل بن أحمد، بل إن معظمه من آراء الخليل، وقد تأثر بالفلسفة الكلامية[2].

فإن يكن الفراء قد احتفظ بشخصيته فى هذه الأجواء الفلسفية المنطقية فذلك لا يجافى أنه أفاد من تلك الثقافات، وتأثر بها فكان يتفلسف فى تصانيفه كما روى القدماء .

وإلى هنا أُنهِى الحديث، ولا أتطرق إلى تقويم هذا التفلسف وبيان أثره فى العربية بصفة عامة ، وعلى النحو بصفة خاصة إذ أننى تناولت ذلك بالتفصيل والتحليل فى (مذهبه النحوى) فلا حاجة إلى التكرار

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣٨ ترجمة ابى ريدة .

(٢) انظر (مذهب الخليل النحوى) ص ٢٠٠ مخطوطة (فى حوزتى) .

الباب الثانى

مذهبه فى النحو واللغة

الفصل الأول

مَذهَبُهُ فى النَّحو

إن صدقت البوادر ، ولم تخطئنى الدلائل . فإننى أقول :إن الفراء فى النحو «كان نسيج وحده[1]»، كان يؤسس مذهبا خاصاً به[2] ، ذلك هو المذهب البغدادى فيما أرى .

وطالما أشفقت على نفسى وعلى صاحبى من الإقدام على هذه الدعوى العريضة التى تحتاج فى إثباتها إلى مجهود شاق ، كما تحتاج فى تقبُّلها وإقناع الآخرين بها إلى مجهود أكثر مشقة وعسراً،إذا أنها تصطدم بالإلْف القديم، وللإلف تحكُّم فى النفوس ، وسيطرة على العقول حتى عند بعض الخاصة فى كثير من الأحيان ، فطالما رأيناهم ينفرون من كل جديد لم يألفوه وإن كان عين الصواب .

على أننى لست أزعم أنها قضية جديدة كل الجدة ، فقد لمحها كثير من الدارسين فى القديم والحديث ، وفى الشرق والغرب على السواء ،

---

(١) معجم الادباء ٢٠/١٠١ ط دار المأمون ، وتاريخ بغداد ١٤/١٥٠ ط السعادة .

(٢) هذا هو رأى المستشرق (جوتولد فايل) فى مقدمة كتاب الانصاف كما سيأتى به البيان .

ولكنهم لمسوها لمسا خفيفا فى عبارات متناثرة ، وأحكام خاطفة يلقونها هنا أو هناك ، دون أن يجرؤ واحد منهم على تبنيها والتعمق فيها ، وبحث مظاهرها ونشأتها وتطورها ، وتأييد ذلك بالحجج والبراهين ، وأخيراً شاءت الأقدار أن أحمل عبء هذه القضية ، فوجدتنى — بعد البحث الطويل — أمام حقيقة علمية لامناص منها ، وإن لم تكن حقيقة علمية بالمعنى الدقيق ، فلا أقل من أن تكون وجهة نظر لها مايؤيدها من النصوص الصريحة والأدلة القوية .

وقبل أن نخوض فى ذلك يجدربنا أن نقدم بين يدى هذه النظرية لمحة سريعة عن المدارس النحوية وخصائصها ، لنرى فى ضوئها مدى انطباق منهج الفراء على خصائص المدرسة البغدادية ، ثم نقرر فى هدوء واطمئنان تلك النتيجة التى انتهى إليها البحث وهى أن الفراء كان المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية.

وبعد : فما المدرسة ؟ وهل كانت هناك مدارس نحوية ؟ ومن الذى أسسها ؟ وما خصائص كل منهما ؟ .

المدرسة — فى رأينا — ماهى إلا اتجاه له خصائص مميزة ، ينادى بها فرد أو جماعة من الناس ثم يعتنقها آخرون .

وهى فى نظر بعض الباحثين «ليست لا أستاذا مؤثرا وتلاميذ ، وقد اجتمعوا على تحقيق غرض موحد ، ونهجوا للوصول إليه منهجا موحدا[1]» ، ويرى (جوتولد فايل) أنها «الاشتراك فى وجهة النظر الذى يؤلف الجبهة العلمية ، ويربط العلماء بعضهم ببعض على رأى واحد[2]» وليس بين هذه الآراء كبير اختلاف ، لهذا نتجاوزها إلى آراء الباحثين فى المدارس النحوية فى القديم والحديث .

---

(١) مدرسة الكوفة ص ١٢٩ ط دار المعرفة — بغداد .

(٢) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار (تحت الطبع) .

أما القدماء فقد اعترفوا بوجود المدارس النحوية التى تتمثل فى المدرسة البصرية وهى أسبق الثلاث، ثم المدرسة الكوفية، ومن بعدهما مدرسة بغداد، على اختلاف بينهم فى طريقة التناول فأصحاب الطبقات ومن لف لفهم يقسمون النحاة إلى بصريين وكوفيين ويجمعون على ذلك ، ثم يختلفون فى تسمية ماوراء هاتين المدرستين فيقسمهم الزبيدى إلى مصريين[1] وقرويين[2] وأندلسيين[3] ، أما العكبرى فيسميهم المدنيين حين يقول : (النحويون جنس تحته ثلاثة أنواع مدنيون ، وكوفيون وبصريون)[4] ، وابن النديم يصرح باسم البغداديين ، ويجىء بهم فى أعقاب البصريين والكوفيين .

أما غير أصحاب الطبقات من المترجمين الذين يعتمدون على تاريخ الوفاة[5] أو على حروف الهجاء[6] ، فإنهم ينصون غالبا على أن هذا بصرى وذاك كوفى مثلا ، وفى هذا التصريح دلالة على اعتراف القدماء بأن هناك مدرسة تغاير الأخرى .

أما المحدثون فمنهم من اقتنع بصحة ما ذهب إليه القدماء من وجود بعض المدارس النحوية المتميزة ، ومنهم من تشكك فى ذلك .

من الفريق الأول المرحوم أحمد أمين حيث يقول : « ... ... وأيًّاما كان الأمر فقد اختلفت مدرسة الكوفة عن مدرسة البصره فى مبادئ أساسية[7] » .

---

(١) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٢٣٣ ط الأولى .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٤٥

(٣) نفس المصدر ص ٢٧٥ .

(٤) اللمع لأبى القاسم عبد الواحد بن على العكبرى ـ الصفحة الاولى من مخطوطة دار الكتب رقم (٥ م) .

(٥) مثل العماد الحنبلى فى كتابه شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، وابن الانبارى فى كتابه نزهة الالباء فى طبقات الادباء الخ ...

(٦) مثل السيوطى فى بغية الوعاة ، وابن خلكان فى الوفيات ، وياقوت فى ارشاد الاريب والقفطى فى انباه الرواة .

(٧) ضحى الاسلام ٢٩٤/٢ ط الخامسة .

والأستاذ أمين الخولى حيث يقول : « والكسائى الكوفى بإجابته هذه (يشير إلى قوله أىٌّ كذا خلقت[1]) يذكرنا بمدرسة قومه فى النحو ، وما تميل إليه من التتبع اللغوى وعدم اتباع التأويلات البعيدة ، والإمعان المنطقى الذى جنحت إليه مدرسة البصرة المناظرة ، ولم تكن الغلبة لمدرسة الكوفة التى لمحت طبيعة اللغة ، بل كانت لمدرسة البصرة العقلية المنطقية[2] » الخ...

ومن المستشرقين الذين يؤيدون فكرة وجود بعض المدارس النحوية المتميزة ، (يوهان فك) فى كتابه (العربية) حيث يقول : « وكانت لعلماء البصرة مذاهب معتمدة فى القياس النحوى تختلف عن مذاهب الكوفيين ، كما سلك كل من القبيلين فى تفسير الظواهر اللغوية طريقاً خاصاً[3] » .

أما الفريق الآخر ، ذلك الذى يتشكك فى قيام مدرسة كوفية ، ومن ثم لايرى قيام مدرسة بغدادية ، إذ أنها ليست إلا امتزاج المدرستين البصرية والكوفية معاً ، فأبرزهم (جوتولد فايل) حيث يقول عن الكوفيين فى مقدمة الإنصاف : « إنهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة[4] » .

أما (بروكلمان) فلم يكن فى رأيه قاطعاً ولا واضحاً كما كان (فايل) ، وإن كانت عبارته تشعر بالإنكار حيث يقول : « قد افترض العرب فيما بعد استناداً إلى روايات التاريخ الأدبى أن الخلاف كان قائماً بين مذهبين لغويين ، هما مذهب البصرة ومذهب الكوفة ، وأن هذا الخلاف لم يسوَّ إلا بعد أجيال عندما اندمج المذهبان وتوحّدا فى مدرسة بغداد ، ولكن الذى يظهر لنا أن المنافسات بين علماء هاتين المدرستين — البصرة والكوفة — قد بولغ فيها إلى

---

(١) انظر تفصيل الخبر فى (شرح الرضى على الكافية ٢/٤١) مثلا .

(٢) الاجتهاد فى النحو ص ١٢ وهو البحث الذى قدمه لمؤتمر المستشرقين فى استامبول سنة ١٩٥١ م .

(٣) انظر ص ٦١ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ط دار الكتاب العربى .

(٤) انظر ترجمة الدكتور النجار وهى لا تزال مخطوطة تحت الطبع . وقد نقلت منها كل ما يهمنى فى هذا البحث .

حد لامبرر له[1] » ، فأنت تراه قد نسب ذلك إلى افتراض العرب وربما كان معنى هذا أنه لا يرى ما يراه العرب ، ولكنه عاد فقال والذى يظهر لنا أن المنافسات . . قد بولغ فيها إلى حد لامبرر له وليس فى هذا نكران لوجود المدرستين ، وكل ما فيه إنكار للمبالغات التى وصلتنا عن المنافسات بين المدرستين ، ومن هنا لم يكن واضح الرأى فى هذه القضية .

أما دائرة المعارف الإسلامية فقد حذت حذو (فايل) حين قال قائلها : « لا نستطيع فى الحقيقة أن نقول بوجود مذهب مكتمل لنحاة الكوفة ، وهو أمر سبق أن بينه (فايل)[2] » .

تلك هى نظرة القدماء والمحدثين إلى المدارس النحوية ، ولا شك أنها كانت حقيقة قائمة ، كما سيأتى بالتفصيل ، والآن ننتقل إلى نقطة أخرى وهى :

من الذى أسس هذه المدارس ؟

إن الذين أثبتوا وجود المدارس النحوية اختلفوا فيما بينهم على مؤسسيها ، أما المدرسة البصرية فالاختلاف فى مؤسسها يعود بنا إلى الاختلاف فى أول من وضع النحو ، إذ أنها أولى المدارس النحوية فى تاريخ العربية على الإطلاق وخلاصة ما قيل فيها يتركز فيما يأتى :

(ا) يرى ابن فارس فى كتابه الصاحبى أن المدرسة النحوية بدأت قبل أبى الأسود الدؤلى بكثير ، وأن النحو كان قديماً ، وأتت عليه الأيام ، وقل فى أيدى الناس ، ثم جدده أبو الأسود الدؤلى[3] .

---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢٨/٢ ترجمة امين نبيه فارس وزميله ط دار العلم للملايين ببيروت .

(٢) انظر ترجمة ثعلب ٢٠٠/٦ طبع سنة ١٩٣٥ م .

(٣) انظر الصاحبى فى فقه اللغة ص ١٠ ط المؤيد سنة ١٣٢٨ هـ .

(ب) ويرى كثيرون من القدامى[1] والمحدثين[2] أن أبا الأسود الدؤلى (ت ٦٧ هـ) هو مؤسس هذه المدرسة النحوية . بأمر الإمام على فى بعض الروايات ، أو أمر زياد فى بعضها الآخر .

(حـ) وبعض المستشرقين يستنكر ذلك فيقول « وليس حقاً ما يقال إنه (أى أبا الأسود) واضع أصول النحو العربى[3] » .

(د) ومن العرب من قال : إنه نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ)[4] ، ومنهم من قال : إنه عبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧ هـ)[5] .

(هـ) ويرى الأستاذ إبراهيم مصطفى أن واضع النحو هو عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى (ت ١١٧ هـ)[6] .

(و) وبعض الباحثين المحدثين يرى أن الخليل وسيبويه هما اللذان اخترعا هذا النحو اختراعا[7] .

---

(١) انظر مثلا مراتب النحويين لابى الطيب اللغوى ص ٧ ط نهضة مصر ، وطبقات الزبيدى ص ١٣ ط الخانجى ، ومقدمة طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، والاغانى ١٠١/١١ ساسى .

(٢) انظر مثلا اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢٣٥ ط الاولى ، ونشأة النحو للاستاذ محمد الطنطاوى ص ١٩ ط الرابعة ، وتاريخ العرب العام للمستشرق سيديو ص ٤٥٨ ، وسيبويه امام النحاة للأستاذ على النجدى ص ١٣٢ ط لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٣ ، وبحث (سيبويه) للدكتور أحمد بدوى بصحيفة دار العلوم ـ العدد الأول من السنة الرابعة عشر . ومقال الاستاذ عبد الوهاب حمودة ـ مجلة كلية الآداب ـ الجزء الأول من المجلد الثالث عشر .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الأول ـ العدد الخامس (ترجمة أبى الاسود الدؤلى) .

(٤) انظر مثلا ضحى الاسلام ٢٨٥/٢ ط الخامسة .

(٥) نفس المصدر

(٦) انظر محاضراته فى أصول النحو ، فى مؤتمر الجمع اللغوى ـ الدورة السادسة عشر ص ٢ ، وانظر بحثه فى مجلة كلية آداب القاهرة ـ الجزء الثانى من المجلد العاشر .

(٧) مناهج البحث ـ للدكتور تمام حسان ـ ص ٨٨ ط مطبعة الرسالة .

(ز) وقريب منه قول من يرى أن « تاريخ المدرسة البصرية يبدأ بعمل سيبويه[1] » .

تلك هى خلاصة الأقوال ، وليس المجال هنا مجال تأييد أو تفنيد ، وإن كنا نستبعد كل البعد ما قاله ابن فارس ، حيث لا دليل ، أو شبه دليل ، ونكتفى بهذا القدر فى حديثنا عن مؤسسى المدرسة البصرية .

أما المدرسة الكوفية فلم تكن أسعد حظاً من أختها البصرية ، فقد اختلفوا كذلك فيمن أسسها إلى عدة أقوال نجملها فيما يأتى :

(أ) يرى بعض القدامى أن مؤسس المدرسة الكوفية إنما هو معاذ الهرّاء.

(ب) والأكثرون على أن أبا جعفر الرؤاسى هو المؤسس الأول للمدرسة الكوفية[2] .

(حـ) وبعض المحدثين[3] يذهب إلى أن الكسائى هو المؤسس الحقيقى لهذه المدرسة استناداً إلى أن الرؤاسى أو غيره لم يخلّف لنا شيئاً من النحو يستحق به أن يكون من النحويين ولولا خشية الإطالة فى غير موطنها لرددت هذا الزعم بالتفصيل ، ولهذا أرجئ الرد عليه غير أنى أسجل ميلى إلى أنها بدأت بالرؤاسى لأسباب كثيرة لا مجال لها هنا أيضاً ، وسواء علينا أبدأت المدرسة الكوفية بالرؤاسى أم بدأت بالكسائى ، أم بدأت بغير هذا وذاك ،

---

(١) مدرسة الكوفة ـ للدكتور مهدى المخزومى ص ٤٠٧ ط بغداد .

(٢) منهم الزبيدى فى طبقاته ، والسيوطى فى البغية ص ٣٤ ، والمرحوم احمد امين فى ضحى الاسلام ٢٩٤/٢ ، والدكتور احمد بدوى فى بحث (سيبويه) .

(٣) انظر مثلا نشأة النحو للشيخ محمد طنطاوى ص ٣٣ ط الرابعة ، وقد تابعه فى ذلك الدكتور مهدى المخزومى فى مدرسة الكوفة ص ٤٠٧ بغداد ، وكلاهما قد اعتمد على عبارة الأغانى ١٠٢/١١ ط ساسى ، وهى لا تنهض دليلا لأنها استعراض خاطف لبعض علماء النحو ، وليس فيها استقراء دقيق ، وآية ذلك انه لم يذكر يونس بن حبيب ولا سيبويه ولا الفراء ، وكلهم ذو شأن خطير فى النحو .

فإن الذى لامناص منه – فيما أرجح – أن المدرسةالكوفية حقيقة تاريخية كانت لها شخصيتها المستقلة فى فترة من الزمان،وقد آن لنا أن نتحدث عن خصائص كل مدرسة ، لنتبين فى ضوئها منهج الفراء .

أهم الفروق بين المدرستين البصرية والكوفية :

١ – من خصائص المدرسة البصرية أنها تعتمد على العقل أكثر مما تعتمد على النقل ، أو على الأقل كان للعقل عندها جانب ملحوظ .

أما المدرسة الكوفية فمن خصائصها أنها تعتمد على الرواية أكثر مما تعتمد على العقل . ولذلك وُصفوا بأنهم « علامون بأشعار العرب مطلعون عليها[١] » .

٢ – البصريون تأثروا بمنهج الفلاسفة والمنطقيين بخلاف الكوفيين فإنهم متأثرون بمنهج القراء والمحدِّثين .

٣ – البصريون « لا يلتفتون إلى كل مسموع[٢] » بل يختارون منه ما يتفق مع أصولهم ثم يهملون الباقى بحجج مختلفة مثل القلة ، والندرة ، والضرورة ، والشذوذ ، أما الكوفيون فإنهم يحترمون كل ما سمع من العرب ، ولو كانت أعرابية رعناء[٣] فى نظر المبرد ، فإذا « سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شىء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوَّبوا عليه[٤] » بل إنهم إذا سمعوا لفظاً فى كلام نادر جعلوه باباً[٥] ، وأخضعوا أصولهم لكل مسموع

---

(١) الاقتراح للسيوطى ص ٨٤ ط حيدر آباد .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر تفصيل ذلك فى مجالس اللغويين والنحاة للزجاجى ورقة (٤٥) مصورة دار الكتب من شهيد على باستامبول .

(٤) الاقتراح للسيوطى ص ٨٤ ط حيدر اباد .

(٥) انظر الهمع للسيوطى ١/٤٥ ط السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .

٤ ــ أن البصريين يكثرون من التأويل والتقدير والتفلسف فى النحو نتيجة تأثرهم بالفلسفة والمنطق ، بخلاف الكوفيين فإنهم لا يلجئون إلى ذلك إلا قليلا مسايرة لمنهجهم فى الاعتماد على النقل أكثر من اعتمادهم على العقل .

٥ ــ أن البصريين كانوا يعتقدون أن اللغة منطقية لا تحيد فى قوانينها عن الحكمة والمعدلة[١] بخلاف الكوفيين فإنهم لا يؤمنون بهذا المبدأ ، وقد أثبت البحث الحديث صحة منهج الكوفيين وقرر أن اللغة لها منطقها الخاص، كما سيأتى به البيان .

٦ ــ أن البصريين تجرءوا على تَخْطِئِ العرب فى لغتهم[٢] ، حتى قال قائلهم « إنما دخل هذا اللحن كلامهم (يريد كلام العرب) لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وإنما تهجم بهم طبائعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد[٣] » بل إنهم تجرءوا على كتاب الله تعالى فخطئوا بعض القراءات السبعية الموثوق بها كما سيأتى بالتفصيل وليس هذا هو دأب الكوفيين .

٧ ــ القياس هو مرد كل هذه الفروق ، وسنرى أنه من خصائص المدرسة البصرية .

تلك هى أهم الفروق التى لحظتها بين المذهبين من دراستى الخاصة ومن نتائج دراسات الآخرين ممن سبقونى إلى هذه الدراسات النحوية ، وعسى أن يكون ما كتبته هنا هو أجمع ما كتب فى هذا الباب ، كما أنى لحظت شيئاً لم أر أحداً قد تنبه إليه ، وهو أن مرد هذه الفروق جميعها يرجع إلى

---

(١) انظر ابن جنى وفلسفته اللغوية للدكتور محمد القصاص ص ٧٥ مخطوطة فى (حوزتى) .

(٢) انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٥ فما بعدها ط بيروت .

(٣) المزهر للسيوطى ص ٣٠٨ ط صبيح وفيها تحريف كلمة (النحو) بدل كلمة اللحن هنا وربما جازت على شيء من التمحل ، ولا يغيب عن الذهن أن عنوان هذا الحديث هناك (النوع الخمسون معرفة أغلاط العرب) .

(القياس) ، فالمدرسة البصرية مدرسة قياسية[1] تؤمن بالقياس وتحكّمه فى كل شيء بخلاف الكوفيين ، ومن هنا نشأت الفروق السابقة ، ومن الميسور أن نرد كل الفروق إلى هذا القياس فنقول :

إن البصريين لما اعتمدوا على القياس أصبح اعتمادهم على العقل أكثر من النقل ، وترتب على هذا أنهم لم يلتفتوا إلى كل مسموع . كما ترتب على هذا وذاك أنهم أكثروا من التأويل والتقدير ، ليخضعوا اللغة لمنطق الفلاسفة ، ومعلوم أن القياس أصل من أصول المناطقة ، وحين لا يستقيم لهم ما يريدون يلجئون إلى تخطيء العرب ، والحكم بالشذوذ وأشباهه على كل ما لا يتفق مع القواعد والقوانين التى وضعوها . بخلاف الكوفيين فى كل ذلك .

ما القياس ؟

جدير بنا أن نحدد معنى القياس المقصود هنا ، بعد أن رأينا كلمة القياس حائرة بين البصريين والكوفيين ، فتارة نراهم ينسبون المدرسة البصرية إلى القياس ، وأخرى نراهم يعكسون ، فأىّ قياس يريدون ؟

القياس عند المناطقة القدماء هو « حمل معلوم على معلوم فى إثبات حكم له أو نفيه عنه بأمر جامع بينهما[2] » ، ويرى (فندريس) أنه « العملية التى يخلق بها الذهن صيغة أو كلمة أو تركيباً تبعاً لأنموذج معروف[3] » وهناك آراء أخرى متعددة لا أرى موجباً لإيرادها[4] .

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ـ دى بور ـ ترجمة ابى ريدة ص ٣٨ .

(٢) انظر المستصفى للامام الغزالى ٢٢٨/٢ ومتن السلم فى فن المنطق للشيخ الاخضرى ص ٥٥ ط العامرة سنة ١٣١٤ هـ وحاشية الباجورى على السلم ص ٥٥ ط سنة ١٣١٤ ، وشرح ايساغوجى فى المنطق ص ٣٩ ط التقدم سنة ١٣٢٦ هـ وشرح ملوى على السلم وحاشية الصباق عليه ص ١٠٤ ط اولى سنة ١٣٢٥ هـ .

(٣) اللغة ـ فندريس ترجمة الدكتور القصاص والاستاذ الدواخلى .

(٤) انظر مثلا (القياس فى اللغة العربية للشيخ الخضر حسين) ، ومجلة المجمع اللغوى الجزء الأول .

ذلك هو القياس عند القدامى والمحدثين ، ولننظر إلى ما قيل فى القياس حين نسبوه إلى البصريين تارة ، وإلى الكوفيين أخرى .

يقول (دى بور « سمى نحاة البصرة أهل المنطق تميزاً لهم عن نحاة الكوفة[1] » ، ويقول « جعل نحاة البصرة للقياس شأناً كبيراً فى الأحكام المتعلقة بالنحو على حين أن نحاة الكوفة ترخصوا فى أمور كثيرة تشذ عن القياس[2] » كما أن (فايل) ينسب المدرسة البصرية إلى القياس على حين ينفيه عن الكوفيين فيقول : « مدرسة البصريين القياسية . . . ومذهب الكوفيين المخالف للقياس[3] » .

وإلى جانب هذه الأقوال التى تنفى القياس عن الكوفيين نجد أقوالا أخرى تنسبه إليهم ، من ذلك قول (فايل) نفسه : « إن مذهب الكوفيين القياس على الشاذ ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التى خالفها الظاهر[4] » وهذا هو ابن درستويه يقول « كان الكسائى يسمع الشاذ الذى لا يجوز إلا فى الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه[5] » ونسبوا إليه أنه قال :

إنمـــا النحـــو قيـــاس يتبع وبه فى كل علم ينتفع[6]

ولئن كان البصريون أصحاب فلسفة ومنطق فإن القياس ليس غريباً عن الكوفيين كذلك ، فقد كانت بها مدرسة أهل الرأى التى يتزعمها عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ثم جاء من بعده إبراهيم النخعى فقيه الكوفة وقاضيها ، ورأس مدرسة الرأى فيها بعد ابن مسعود ، وعلى يدى إبراهيم تتلمذ حماد بن

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣٨ ترجمة ابى ريدة .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار مخطوطة تحت الطبع .

(٤) المصدر السابق .

(٥) نفس المصدر ص ٧٠ طبع أوروبا .

(٦) انظر اليتيمة ص ٢٢٧ . ط السعادة .

سلمة شيخ الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان زعيم مدرسة القياس فى الفقه، ومن قبله كان محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضياً بالكوفة على عهد أبى جعفر المنصور « وكان يفتى بالرأى قبل أبى حنيفة[1] » فليس غريباً أن تكون الكوفة موطناً للقياس ، وقد رأينا جذور هذه المدرسة تضرب إلى أمد سحيق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين . ولكن كيف نوفق بين نفى القياس وإثباته لهم فى آن واحد ؟ وهل يتنافى إثبات القياس للكوفيين مع إثباته للبصريين ؟

من أثبت القياس للكوفيين نظر إلى أنهم يقيسون على الشاهد الواحد يسمعونه فيتخذونه أساساً للقياس ، ولا ريب أن مؤدّى ذلك إنما هو التوسع فى القياس على كل ما ورد عن العرب مهما كان مخالفاً للقاعدة العامة التى وضعوها بأنفسهم من قبل ، ومن هذه الزاوية جعلوا الكوفيين أصحاب قياس .

ومن نفاه عنهم رأى أن قياسهم تنقصه أهم خصائص القياس المنطقى الذى أشرنا إليه من قبل ، وفى هذا يقول فايل : « فالقياس الكوفى ينقصه أهم خصائص القياس البصرى وهو اقتضاء العلة للحكم[2] » وذلك أن القياس البصرى ناشئ عن استقراء جزئيات كثيرة من الشواهد — ولو أنه استقراء غير تام إلا أنه استقراء على أية حال — يطمئنون بعده إلى وضع قاعدة كلية يقيسون عليها المسائل الجزئية الأخرى إذا توافرت فيها علة ذلك الأصل ، بخلاف القياس الكوفى فى جملته .

ومما سبق يتضح لنا مراد من أثبت القياس للكوفيين ومن نفاه عنهم. وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نقرر : أن القياس البصرى هو الجدير بهذه التسمية المنطقية ، وأن البصريين هم أصحاب القياس دون الكوفيين ، وفى حديثنا المقبل سنعتمد ذلك ولا نعير القياس الكوفى كبير اهتمام لفقدانه أهم خصائص

---

(١) الفهرست ص ٢٨٦ ط القاهرة .

(٢) انظر مقدمة الانصاف — ترجمة الدكتور النجار مخطوطة (تحت الطبع) .

القياس العقلى ، وإن كان منهجهم أقرب إلى المنهج اللغوى السليم كما سيأتى به البيان ، غير أن الذى يعنينا هنا هو إثبات أن القياس من خصائص المدرسة البصرية لا الكوفية كما توهم بعض الباحثين نتيجة لعدم التمحيص وتحديد القياس المقصود .

تلك هى خصائص المدرستين البصرية والكوفية ، أما خصائص المدرسة البغدادية فما هى إلا امتزاج هذه الخصائص ، وظهور أثر المدرستين معاً فى المذهب الجديد فلا حاجة إذن إلى التكرار ، وعما قريب سنرى الفراء قد جمع بين خصائص المنهجين ، ولهذا كان المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية فيما أرى .

ولا يعنى وجود المدارس المتميزة أن يكون بين كل مدرسة وأخرى حدود وفواصل مانعة ، بل هناك قدر مشترك بين الجميع ، وهذا الاشتراك لا يتنافى مع التميز والتشخيص ، وإذا جاز لنا أن نضرب مثلا بالإنسان فإننا نجد قدراً مشتركاً بين الإنسانية جمعاء ، ثم بعد هذا نجد خصائص فردية تميز كل شخص على حدة ، وهى ما يسمونها فى علم النفس « بالفروق الفردية » وكذلك المدارس النحوية لها قدر مشترك بين الجميع ، ثم لكل مدرسة خصائصها التى تميزها عن الأخرى ، وفى هذا التشبيه رد مقنع لمن أراد أن يقتنع ممن أنكروا المدرسة الكوفية ، أو المدارس النحوية بوجه عام زاعمين أن اشتراك المدارس فى بعض الخصائص يفسد عليهم قضية التشخيص .

هذه واحدة مما ينبغى أن نتيقظ له ، وأخرى أن قيام مدرسة بجوار أخرى لا يعنى أنها تنشأ فجأة ، بل لا بد لها من التدرج فى كثير من الأحيان فإن الذى يرصد الحركات الفكرية يرى أنها تتطور مع الزمن غالباً فتكون فى البداية لمحة خاطفة ثم تنمو رويداً رويداً إلى أن تبلغ مبلغاً من النضج يصح أن

نطلق عليه اسماً من الأسماء المميزة ، وكذلك نشأت مدرسة بغداد ، بدأت بالتدريج حتى استوى أمرها عند الفراء فجعلناه المؤسس الحقيقى لها ، وقد آن لنا أن نتحدث عن :

تدرج المدرسة البغدادية :

عشت طويلا مع النحويين فى كتب الطبقات ، وتتبعت آراءهم فى مظانها من أمهات الكتب النحوية ، باحثاً عن الخيوط الرفيعة للمدرسة البغدادية ، منذ كانت لمحات مبعثرة هنا وهناك ، قبل أن تكون مدرسة بالمعنى العلمى لهذه الكلمة ، وظللت أغوص وراء جذورها الضاربة ، وخيوطها الناحلة ، حتى وضعت يدى على البذرة الأولى — فيما أظن — عند عيسى ابن عمر الثقفى (ت ١٤٩ هـ) فرأيته بدأ يمزج إلى علمه البصرى ظلالاً من خصائص المدرسة الكوفية ، فكان يقيس على الشاهد الواحد النادر شأنه ذلك شأن الكوفيين ، كما فعل فى (جوارٍ) حين أجراها مجرى الممنوع من الصرف ، ولم يعطها حكم المنقوص ، استناداً إلى بيت للفرزدق ، مخالفاً بذلك جماعة البصريين[1] فى منهجهم الذى لا يعتمد على الشاهد النادر ، كما أنى رأيت هذه النزعة نفسها بصورة أوضح عند أبى زيد الأنصارى[2] ولعل مرد ذلك إلى أنه ما كان يعرف العصبية المذهبية ، بل كان يأخذ عن الكوفيين كما كان يأخذ عن البصريين[3] ، وربما كان يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) مثلا جيداً للخروج على المدرستين (البصرية والكوفية) معاً ، حتى قيل فيه « له قياس فى النحو ومذاهب يتفرّد بها[4] » لعلها كانت نواة المدرسة البغدادية فى طور من أطوار نشأتها الأولى قبل النضج والاستواء ، ثم نذهب إلى الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة فنرى فيه طوراً جديداً من

---

(١) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٥٨/١

(٢) انظر كتاب سيبويه ٥٩/٢

(٣) انظر أخبار النحويين البصريين للسيرا فى ص ٤٥ تحقيق كرنكو .

(٤) بغية الوعاة للسيوطى ص ٤٢٦ ط السعادة .

أطوار هذه النشأة ، نراه قد اقترب من الكوفيين اقتراباً كبيراً ، ووافقهم فى مسائل كثيرة ، منها إعراب فعل الأمر على أنه جزء من المضارع المجزوم[1] وجواز زيادة (من) فى غير الإيجاب مع المعرفة[2] ، إلى غير ذلك من المسائل الكثيرة التى وقفت عليها ، وسأكتفى بالإشارة إليها[3] على أن هناك مسائل أخرى للأخفش خالف فيها سيبويه وأستاذه الخليل بن أحمد[4] ، وغير هذه وتلك مسائل كثيرة انفرد فيها الأخفش برأيه مخالفاً البصريين والكوفيين معاً ، وإيثاراً للإيجاز سأكتفى أيضاً بالإشارة إلى مواطنها فى بعض المراجع[5].

ونستخلص من كل ذلك أن خيوط المدرسة البغدادية بدأت تظهر بشكل أقوى وأوضح مما كانت عليه من قبل ، ولعل السر فى ظهورها بهذه القوة عند الأخفش أنه جمع إلى علم البصريين علم الكوفيين بعد رحيله إلى بغداد فى أخريات حياته وانضوائه تحت كنف الكسائى ، وكان من نتيجة احتكاك الأفكار ظهور هذه الآراء عند الأخفش حتى قيل فيه: « وكان أبو الحسن ركّاباً لهذا الثَّبَج آخذاً به غير محتشم منه » . وكان أبو على يقول فيه : « مذاهب أبى الحسن كثيرة[6] » ، غير أن ظهورها عنده ما يزال فجاً

---

(١) انظر المغنى لابن هشام (مبحث اللام العاملة للجزم) بالباب الاول .

(٢) انظر شرح الرضى على الكافية (باب المبتدأ والخبر) . مبحث تقسيم المبتدأ .

(٣) انظر مثلا الانصاف ص ١٤٣ ، ص ١٨٩ ، ص ٢٨٥ ، وانظر بحث (أبو الحسن الأخفش وأثره فى النحو) مخطوطة رقم ٣٨٣ بكلية اللغة ص ٣٤ فقد جمع فيه صاحبه ٢٣ مسألة وافق فيها الاخفش الكوفيين .

(٤) انظر مثلا الأمالى الشجرية ٣٠٢/١ فما بعدها ، وانظر ٢٣٧/٢ فما بعدها ط حيدر أباد بالدكن .

(٥) انظر مثلا شرح الرضى على شافية ابن الحاجب (باب التصغير) . وانظر متن المفصل مبحث الحروف (لعل) بالقسم الثالث وانظر شرح الاشمونى فيما لا يتصرف عند قول ابن مالك (ووصف اصلى ووزن أفعلا) ، وانظر مغنى اللبيب لابن هشام مبحث (حتى الجارة) .

(٦) انظر الخصائص لابن جنى باب (فى اللفظين عن المعنى الواحد يردان عن العامل متضادين .

لا يستطيع أن ينهض على قدميه ليمثل المذهب الجديد ، فاختلاط المذهبين فى تفكير الأخفش أشبه ما يكون باختلاط مياه النهر العذب بماء المحيط الأجاج ، فإنهما يجريان إلى أمد جنباً إلى جنب ولكنهما لا يمتزجان فى هذه المرحلة . ومن هنا عددناه مرحلة تطورية فحسب .

أما الكسائى فإنه وإن ظهرت فيه بعض الملامح إلا أنها كانت خافتة إلى حد كبير ، هذا إلى أن بعض الباحثين المحدثين قد لمس هذه الظاهرة فقال : « أكبر الظن أن الكسائى . . . لم يكن نحوه كوفياً خالصاً[1] » وقال فى موطن آخر : « كان يجتذبه منهجان ، متباينان . . . منهج أهل القراءة القائم على الرواية . . ومنهج أهل العربية القائم على القياس[2] » ، ومن قبله تنبه القدماء إلى هذا فقال أبو زيد : « قدم علينا الكسائى البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار إلى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله[3] » ، والذى يعنينا من هذا النص هو أن الكسائى جمع بين المذهبين على صورة ما . وغنى عن البيان أن نشير إلى أن أبا زيد يحكم على نحو الكسائى من وجهة نظره هو ومن لف لفه من البصريين والمتبصرين .

كل هذه الحركات الفكرية كانت بمثابة الإرهاص والتمهيد للمذهب الجديد ذلك الذى اكتمل فى شخصية الفراء وعقليته ، نتيجة امتزاج المنهجين ، واتحادها اتحاداً كاملا نشأ عنه عنصر جديد ، له خصائصه المميزة ، وطابعه المستقل . وبذلك كان الفراء — فى نظرنا — هو المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى ، كما سيأتى بالتفصيل .

---

(١) مدرسة الكوفة ص ١٤٢ ط بغداد .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٦

(٣) اخبار النحويين البصريين للسيرا فى (ترجمة ابى زيد) ، ومعجم الادباء ١٨٢/١٢ ، ١٨٣ ط دار المأمون .

لمحات القدامى والمحدثين :

ولست أزعم أنني أول من تنبه إلى هذه النظرية ، بل إن كثيرين من القدامى والمحدثين جالت فى نفوسهم هذه الخاطرة ، فعبّروا عنها فى لمحات خاطفة بين الحين والحين ، مع تفاوت بينهم فى مدى وضوح الفكرة فى أذهان بعضهم وغموضها عند الآخرين .

فمن القدامى مثلا : أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) فى كتابه مراتب النحويين حيث يقول : « وكان الفراء يخالف على الكسائى فى كثير من مذاهبه ، فأما على مذاهب سيبويه فإنه يتعمد خلافه . حتى ألقاب الإعراب وتسمية الحروف[1] » ، ومعنى ذلك أنه ينهج منهجاً جديداً متميزاً عن منهج المدرستين معاً : الكوفية ممثلة فى الكسائى ، والبصرية ممثلة فى سيبويه . ولا ننسى أن أبا الطيب اللغوى ، هو صاحب أقدم كتاب وصل إلينا من كتب التراجم — فيما أعلم — ثم هو إلى ذلك قريب عهد بالفراء إلى حد ما .

ثم نراه فى موطن آخر من كتابه يعود بنا إلى ما قبل عهده بنحو قرن من الزمان ، حيث يروى نصاً عن أبى حاتم السجستانى (ت ٢٤٨ هـ — أو — ٢٥٤ هـ)[2] يشير فى خفاء إلى أن الفراء كان بغدادى المذهب ، وأنه كان يخلط المذهبين ، وقد غمزه غمزاً ألياً كعادته دائماً مع من لا يدور فى فلك البصريين[3] ، إذ كان مشهوراً بالعصبية المذهبية ، وإليك النص : « قال أبو حاتم : أهل بغداد حشو عسكر الخليفة ، لم يكن بها من يوثق به فى كلام العرب ولا من ترضى روايته ، فإن ادعى أحد منهم شيئاً رأيته مخلّطاً صاحب تطويل ، وكثرة كلام ومكابرة ، ولا يفصل بين علماء البصرة بالنحو ، وبين

---

(١) مراتب النحويين ص ٨٨ ط نهضة مصر .

(٢) مراتب النحويين ص ٨٠ تحقيق ابى الفضل ابراهيم .

(٣) انظر مثلا مراتب النحويين ص ٧٢ ، ص ٧٤ ، ص ٩٠ ففيها طعن كثير ط نهضة مصر .

الرؤاسى والكسائى ، ولا بين قراءة أهل الحرمين وقراءة حمزة . . . وإنما همّ أحدهم إذا سبق إلى العلم أن يسير اسما يخترعه لينسب إليه ، فيسمى الجر خفضاً ، والظرف صفة ، ويسمون حروف الجر حروف الصفات ، والعطف النسق ، ومفاعلين فى العروض فعولان، ونحو هذا من التخليط »[1] ثم عقب عليه أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) فقال : « والأمر فى زماننا هذا — أصلحك الله — على أضعاف ما عرف أبو حاتم[2] » .

فأنت ترى أبا حاتم وإن لم يصرح باسم الفراء إلا أنه حدده تقريباً حين أسند إليه وضع بعض المصطلحات ، وقد ثبت لدينا بالبحث أن الفراء هو صاحب هذه المصطلحات كما سيأتى به البيان ، وكما يشير إليه قولهم عن الفراء فى النص السابق أنه كان يتعمد مخالفة سيبويه فى ألقاب الإعراب وتسمية الحروف ، ويعزز هذا وذاك قول (جوتولد فايل) : «وكثيراً ما استعمل الفراء اصطلاحات تخالف الاصطلاحات المشهورة عند علماء النحو الذين يمثلون هذا العلم وفى المواضع التى لم تكف فيها الاصطلاحات القديمة استعمل الفراء اصطلاحات جديدة وصلنا جانب منها فيما بعد على أنه اصطلاحات الكوفيين[3] » .

وكذلك روى الزبيدى فى طبقاته ما يفيد اختلاف منهج الفراء عن منهج سيبويه فقال : « وإنمـــا صح قول الفراء لأنه عمل العربية والنحو على كلام العرب ، فقال : كل مسألة وافق إعرابها معناها ، ومعناها إعرابها فهو الصحيح ، وإنما لحق سيبويه الغلط لأنه عمل كلام العرب على المعانى وخلى عن الألفاظ ، ولم يوجد فى كلام العرب ولا أشعار الفحول إلا ما المعنى فيه مطبق للإعراب ، والإعراب مطبق للمعنى ... والفراء حمل

---

(١) مراتب النحويين ص ١٠١ فما بعدها ط نهضة مصر .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٢

(٣) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار مخطوطة (تحت الطبع) .

العربية على الألفاظ والمعانى فبرع ، واستحق التقدمة ، وذلك قولك : مات زيد فلو عاملت المعنى لوجب أن تقول : مات زيداً لأن الله هو الذى أماته ، ولكنك عاملت اللفظ فأردت : سكنتْ حركاتُ زيد[1] » .

ولعل الحاحظ البصرى المتعصب أدرك أيضاً أن الفراء يشرع مذهباً جديداً فينتهج منهجاً خاصاً به ، يخالف فيه ما جاء فى كتاب سيبويه ، ولكن العصبية المذهبية أبت عليه أن يعترف بهذا الفضل ، فراح يطعن على الفراء ويأخذ عليه مخالفة «الكتاب» ، كأن من يخالف كتاب سيبويه قد خالف كتاب الله تعالى فى نظر المتعصبين[2] ، استمع إليه يقول : « إن الفراء لم ينتفع بالنظر فى هذا الكتاب كبير نفع ، لأنه لم ينظر فيه نظر ناصح لنفسه ، ولا مساءلة[3] لمن وصل إليه العلم من جهته ، ولا معترف بالحق فيه ، ولا صادق فى روايته عنه ما أخذ منه ، فإنه سرق بعضاً وادعاه لنفسه ، وسترحقّ صاحبه فلم يشكره ، ونقل عنه مسائل وعزاها إلى الخليل[4] » .

ذلك هو قول الحاحظ المتحامل ، وليس لنا أن نناقشه هنا ، ولكن الذى يعنينا هو أنه أدرك المخالفة بين الرجلين وإن لم يدرك كنهها ومداها ، أو أنه أدرك ذلك ولكن العصبية تُعمى وتُصم .

تلك لمحات القدماء ، وإليك لمحات الباحثين من المحدثين :

(أ) أول من نبهنى إلى هذه النظرية أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى[5] ووجهنى إلى جمع البراهين لتأييدها ، وقال فيما قال : « إن الفراء جمع بين

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) ص ١٤٣ فما بعدها الطبعة الأولى .

(٢) سيأتى بيان لطعن البصريين على القراءات وتمسكهم بالقواعد .

(٣) فى الأصل المخطوط (ولا مسألة) فرأيت تعديلها كذلك ، عساها تكون اقرب الى المعنى المقصود ، مع ملاحظة ان المخطوطة بها كثير من التحريف والتصحيف .

انباه الرواة للقفطى ص ٣١٣ جـ ٢ قسم ٣ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٥) توفى بعد المناقشة وقبل الطبع ، فعليه رحمة الله فى الأولين والآخرين .

المنهجين : منهج الكوفيين ومنهج البصريين ، بل إنه سبق البصريين فى منهجهم فقال بقياسية مصدر الثلاثى قياساً مطرداً . فى حين أن البصريين أنفسهم يقولون بالسماع[1] » .

وقال : « إن الفراء قطع على المدرسة الكوفية سيرها فى طريق الرواية والنقل فقط ، وأحدث ثورة فى المنهج نفسه ، حيث اعتمد على القياس اعتماداً كبيراً إلى جانب اعتماده على الرواية[2] » .

(ب) ومن المحدثين (جوتولد فايل) حيث قال : « ولما كان النحو أقوى خصائص الفراء ، فقد اتخذ مذهباً خالف به معاصريه ، بل خالف الكسائى نفسه كذلك[3] » وفى موطن آخر كان أصرح من ذلك حين صرح بأن الفراء أسس مذهباً جديداً خاصاً به ، فقال فيما قال « . . . ولكن الفراء بوجه عام ، لم يهتم إلا قليلا جداً بالأخذ المتناقل فى هذا العلم ، بل يبدو عليه طابع من يؤسس فرقة أو مذهباً خاصاً به ، وهو يختلف عن سيبويه اختلافا بيناً[4] »

(فايل) يقرر هذا مع أنه لم يطلع على معانى القرآن للفراء ، كما يقول فى مقدمة الإنصاف « وكتاباه الأساسيان كتاب الحدود ، وكتاب معانى القرآن اللذان احتويا على مجموعة من الآراء الصائبة الصالحة للبقاء لم يصلا إلينا[5] » ، ولو أنه قد تهيأ له ما تهيأ لنا من الاطلاع على كتاب « المعانى » لانتهى إلى مثل ما انتهينا إليه من أنه هو المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية .

(حـ) ومن هؤلاء المرحوم أحمد أمين حين تحدث عن الفراء فقال : « جمع إلى علم الكوفيين علم البصريين ، فأخذ عن الكسائى الكوفى ، كما أخذ عن يونس البصرى ، ثم هو كبير العقل بجانب سعة الاطلاع[6] » .

---

(١) من أحاديثه الخاصة فى منزله ـ سبتمبر سنة ١٩٥٥ م .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار مخطوطة (تحت الطبع) .

(٤) نفس المصدر .

(٥) المصدر السابق .

(٦) ضحى الاسلام ٣٠٧/٢ الطبعة الثانية .

(د) ثم جاء صاحب مدرسة الكوفة ، وقال فيما قال عن الفراء : « . . . وأعاد النظر فيما جاء به الكسائى فأخذ منه ما يتفق مع طبيعة المدرسة وبنى منهجها على أساس علمى جديد[1] » ، وقال فى موطن آخر « ولكن نحو الفراء يختلف عن نحو الكسائى من حيث الشكل والموضوع ، أما الشكل فالكسائى فى نحوه كان يحتذى منهج المحدِّثين والقراء ، وكان أبعد ما يكون عن التأثر بالتفكير الفلسفى . . . . وكان الفراء من المتكلمين ، وكان ينحو فى مصنفاته منحى الفلاسفة كما قيل عنه ، وقد ترك ذلك فى نحوه ظلا واضح المعالم تمثل فى تعليله القضايا النحوية ، وفلسفة الأحكام بمثل ما كان البصريون يعللون ويفلسفون[2] » .

تلك نظرات صائبة وافق فيها طبيعة البحث ، كما توافق فيها مع الباحثين ولكنه لم يلبث أن أشفق من الإقدام على هذه النظرية الجديدة ، فأخذ يتردد بين الإقدام والإحجام حتى بعد أن وضحت له معالم الطريق ، فجعل الكسائى أول من أرسى قواعد المدرسة الكوفية ، وجعل الفراء متمماً هذا البناء ، فقال : « وإذا كان الكسائى قد وضع أسس هذه المدرسة الجديدة وجمع لها مادة درسها ورسم المنهج الذى يعتمد عليه إنشاؤها ، فإن الفراء قد تكفل بإتمام البناء[3] » .

---

(١) مدرسة الكوفة ص ١٥٣ ط بغداد للدكتور مهدى المخزومى .

(٢) مدرسة الكوفة ص ١٦٨ . ط بغداد .

(٣) نفس المصدر ص ١٥٢

عوامل تأثر الفراء بالمذهب البصرى :

(١) اتصاله بالأخفش الأوسط حامل كتاب سيبويه إلى الأجيال .

(٢) تعمق الفراء فى دراسة الكتاب دراسة ناقدة واعية .

(٣) تتلمذه على إمام من أئمة البصرة هو يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ)

تلك هى بعض العوامل بإيجاز ، وسنتحدث عنها بشىء من التفصيل ، وإليك البيان :

(١) لقد اتصل الفراء بالأخفش اتصالاً وثيقاً رأينا مظاهره من قبل فى ثناء الفراء على الأخفش وإعجابه به وتقديره إياه[١] ، كما رأيناه فى تأثرهما بالقدَرية والميل إلى الاعتزال[٢] ، ومعلوم أن الأخفش كان السبيل الوحيد إلى كتاب سيبويه ، ذلك الكتاب الذى جمع علم البصريين بين دفتيه . فله فضل اختصاص بالكتاب ، قال الأخفش : « كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه علىّ ، وهو يرى أنى أعلم به منه ، وكان أعلم منى ، وأنا اليوم أعلم منه[٣] » ، وقال الكسائى : « لم يكن فى القوم — يعنى البصريين — أعلم من الأخفش ، نبههم على عوار الكتاب وتركهم ، يعنى كتاب سيبويه[٤] » .

ومن هنا نعلم أن الفراء كان له اتصال بأعلم الناس — فى زمانه — بكتاب سيبويه بخاصة ، وبعلم البصريين بعامة ، فليس غريباً عليه أن يتعمق المذهب البصرى .

---

(١) انظر مبحث (اخلاقه) .

(٢) انظر مبحث الاعتزال .

(٣) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٦٩ ط نهضة مصر .

(٤) نفس المصدر ص ٦٨

(٢) أما تعمق الفراء فى كتاب سيبويه بالذات فذلك ماتشهد به الروايات التاريخية ، كما تشهد به آثار الفراء، هذا إلى أنه كان صاحب عقل كبير[١]، ثم هو إلى جانب ذلك كانت له شخصيته المستقلة فى دراسة الكتاب، وتعمقه فيه، ونقده إياه، وقد رأينا أنه نسخ كتاب سيبويه بخط يده، وكان يلازمه ملازمة الباحث الناقد حتى إنهم أخرجوه بعد موته من تحت وسادته[٢]، وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن البصريين يتخذون من هذا مطعناً على الفراء ، ويشهّرون به ، ومادروا أنهم أذاعوا مفخرة له من حيث لايشعرون . على أن بعض القدماء دافع عن الفراء فقال : « إنما كان لا يفارقه لأنه يتتبع خطأه ولُكْنَته»[٣] والذى يعنينا من كل ذلك إنما هو اتصال الفراء اتصالا وثيقا بمذهب البصريين عن طريق الكتاب مع استقلال شخصيته فى الدرس والنقد كما بينته فى موطن آخر ، ويعزز هذا الاتصال الوثيق ماجاء فى إنباه الرواة من أن الجاحظ قال : « قدمت بغداد قَدْمة ولم يكن معى شىء أهديه إلى محمد بن عبد الملك الزيات . فلما خرجت من السفينة سمعت منادياً ينادى : من أراد أن يحضر بيع كتب الفراء فليحضر ، فقلت لأذهبن لعلّى أن أشترى كتابا فأهديه إليه ... ... فلما بيعت كتبه رفع فراشه الذى كان ينام عليه ليباع فوجد تحت وسادته كتاب سيبويه، فنودى عليه فبالغت فيه واشتريته ، وأهديته إلى محمد بن عبد الملك الزيات فسر به ، وقال : شهد الكتاب عندى على مقدار سيبويه ، ودلنى على فضله الفراء إذ نظر فيه ...»[٤] .

---

(١) ضحى الاسلام ٣٠٧/٢ الطبعة الثانيـة ، وانظر الانبـاه ص ١٣٥ جـ٢ قسم ٣ مصور دار الكتب (٥٥٥٨٨) عمومية .

(٢) انظر انباه الرواة للقفطى جـ٢قسم ٣ ص٣١٣ مصور دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمـومية .

(٣) مراتب النحويين ص ٨٧ (ترجمة الفراء) .

(٤) انباه الرواه ص ٣١٣ فما بعدها من جـ٢ قسم٣ مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمـومية .

(٣) اما تلمذة الفراء على يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ)[١] فقد كان لها أثر كبير على توجهه الفراء إلى التجديد والابتكار بعد تفهُّم المذهب البصرى والتعمق فيه، على أن بعض البصريين المتعصبين أثاروا غباراً حول قضية استكثار الفراء من يونس البصرى ، ومن واجبنا أن نُجلِّى الموقف ليكون دليلا لنا على إثبات ما نحن بصدده من تأثر الفراء بالمذهب البصرى تأثراً جعله يؤسس مذهباً جديدا هو المذهب البغدادى . فماذا قال المؤرخون ؟ .

روى المؤرخون أن الفراء أخذ عن يونس بن حبيب البصرى ، واستكثر منه ، كما رووا إنكار بعض البصريين ، يقول ياقوت فى ترجمة الفراء: « وأخذ أيضا عن يونس بن حبيب البصرى فاستكثر منه . والبصريون ينكرون ذلك »[٢] وقريب منه ما قاله السيوطى فى بغية الوعاة [٣] ، غير أن ياقوتاً الحموى يبدو عليه طابع من يؤمن بقضية الاستكثار ، ولذلك تعصَّب نفسه للدفاع عنها بإيراد بعض الأمثلة ، حيث قال :

(ا) حكى محمد بن الجهم ، قال حدثنا الفراء ، قال أنشدنى يونس النحوى :

رب علم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم[٤]

(ب) وعن الفراء أيضا : قال يونس الآل من غدوة إلى ارتفاع النهار ، ثم هو سراب سائر النهار ، وإذا زالت الشمس فهو فىء ، وفى غدوة ظل ، وأنشد لأبى ذؤيب : —

لعمرى لأنتِ البيتُ أكرمُ أهله وأقعَدُ فى أفيائه بالأصائل[٥]

(ح) ثم قال ياقوت بعد ذلك ، «وله روايات كثيرة عن يونس لانطيل بذكرها [٦] » .

---

(١) المنتظم لابن الجوزى ٣٠١/١ نشر القدسى .
(٢) معجم الأدباء ٩/٢٠ ط دار المأمون .
(٣) انظر ص ٤١١ ط السعادة .
(٤) معجم الأدباء ١٠/٢٠ ط دار المأمون .
(٥) نفس المصدر .
(٦) المصدر السابق ص ١١ .

حقا له روايات كثيرة عن يونس ، ولقد وقفت على جانب منها دون جهد كبير ، مما يدلنا على أن الفراء كان قد استكثر منه حقا ، ولولا خشية الإطالة لأوردتها جميعاً بنصوصها الكاملة ، ولكنني أجتزئ بالإشارة إلى بعضها إيثاراً للإيجاز[1] .

هذا إلى أن أثر يونس البصرى كان — فى نظرى — أعمق من مجرد الرواية والمسائل الفرعية ، فقد كان له أثر فى توجيه الفراء إلى المنهج الجديد ، وقد رأينا أن يونس كان له مذهب خاص وأقيسة تفرد بها[2] خالف فيها الخليل وسيبويه ، يعززنى فى هذا الاتجاه رأى (فايل) فى مقدمة الإنصاف ، غير أنه — مع الأسف — لم يوفق إلى معرفة كنه هذا المنهج الجديد ، فبعد أن وقع على هذه اللمحة الموفقة — وهى أن يونس البصرى هو صاحب التأثير فى اتجاه الفراء — راح يضم الكسائى إلى الفراء فى قرن واحد رغم أنه لمس فى موطن آخر لمسة موفقة حين رأى الفراء كان يؤسس مذهباً خاصاً به يخالف مذهب الكسائى ، وعذر (فايل) فى ذلك واضح ، حيث لم يطلع مثلما اطلعنا على أجلّ أثر للفراء ، وهو كتاب (معانى القرآن) ، كما سلف به البيان .

ولعلى لا أخطئ إذا قلت : إن تأثير يونس على الفراء فى النحو بالذات كان أوضح من تأثير الكسائى فيه ، وآية ذلك تقارب الروح المنهجية بين يونس والفراء ، والتشابه بينهما فى الخروج على المذهبين معا كما سيأتى بالتفصيل ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نرى — كما يرى القدماء والمحدثون — أن الفراء كان يخالف الكسائى فى كثير من مذاهبه ، بل إنه — فيما أحسب — لا يرى فيه النحوىّ الضليع . يصرح بذلك حينا ، وأحيانا يعمد إلى التلميح ،

---

(١) انظر مثلا معانى القرآن للفراء جـ ١ ص ١٢٧ ط دار الكتب وانظر كتاب المذكر والمؤنث للفراء أيضا ص ١٧ ، ص ٢٢ الطبعة الأولى وانظر الأشباه والنظائر للسيوطى ١/١٤٠ حيدر اباد ١٣٥٩ .

(٢) انظر بغية الوعاة للسيوطى ص ٢٢٦ ط السعادة .

فمن إشاراته الدالةمن طرف خفى قوله: «إن الكسائى تعلم النحو على الكبر»[1] ومن تصريحاته الجلية قوله :

« مات الكسائى وهو لايحسن حد نعم وبئس ، ولاحد أنّ المفتوحة ، ولا حد الحكاية . . . [2] » وقوله : « وكان الكسائى يقيس عبد الرحمن وعبد العزيز على عبد الله وما لذلك صحة [3] » وقوله : « . . . وقد قال الكسائى فيه قولاً لا أراه شيئا [4] » .

ولعل (بروكلمان) لمح ذلك فى دراساته ثم قرر تأثر الفراء بيونس فى كتاب الحدود حين قال فى ترجمة الفراء: « أخذ أيضاعن يونس بن حبيب البصرى خصوصا معانى النحو فى كتابه الحدود [5] » .

وإلى هنا نكتفى بهذا القدر من العوامل الدالة على مدى تأثر الفراء بالمذهب البصرى ، وتعمقه فيه بالإضافة إلى المذهب الكوفى ، مما أدى إلى انتزاع منهج جديد هو المذهب البغدادى .

بقى علينا جانب بالغ الأهمية ، وهو استخراج مظاهر النزعة البصرية من آثار الفراء نفسه ، لتكون دراستنا قائمة على أحدث المناهج العلمية ، وأكبر الظن أننا لسنا بحاجة إلى استخراج مظاهر النزعة الكوفية ، إذ أنها مسلم بها عند معظم الباحثين من القدامى والمحدثين . غير أننا نشير إلى بعض الأمثلة ، استكمالا للصورة التى رسمناها لمنهجه الجديد وهو تأسيس المذهب البغدادى القائم على المدرستين جميعاً .

---

(١) انظر البغية ص ٣٣٦ ط السعادة .

(٢) معجم الأدباء ١٨٥/١٣ ط دار المأمون .

(٣) خزانة البغدادى ٤٢/٤ ط السلفية .

(٤) معانى القرآن للفراء ص ٢٧٨ (مصورتى) .

(٥) تاريخ الأدب العربى (ترجمة الفراء) تعريب الدكتور النجار .

مظاهر النزعة الكوفية عند الفراء :

(١) يتحاشى التقدير أحيانا ، يتجلى ذلك فى إعراب (أحد) من قوله تعالى : (وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجره [١]) .

(٢) وأحيانا يقيس على الشاهد الواحد : مثل قولهم (ما فعلتْ خمسة عَشَرك) بالإضافة فقد اتخذه الفراء أساسا حين أجاز إعراب العدد المركب إذا أضيف وجعله قياسا مطرداً [٢] .

(٣) البعد عن منهج الفلاسفة والمتكلمين أحيانا ، وذلك حينما قال برافع المبتدأ والخبر [٣] ، لأن الرافع يؤدى عندهم إلى الدور ، والدور محال .

مظاهر النزعة البصرية :

أولاً ــ التقدير والتأويل :

لئن كنا رأينا الفراء يتحاشى التقدير ، فقد رأيناه . كثيراً ما يعمد إليه ، ومن أمثلته :

(١) تقدير مبتدأ لا حاجة للكلام به ، عند إعراب قوله تعالى : (إنا أنشاناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكارا ، عربا أترابا ، لأصحاب اليمين) قال الفراء « وقوله لأصحاب اليمين ، أى هذا لأصحاب اليمين [٤] » فقدر لفظا لا يتوقف معنى الكلام عليه . بل إنه لو علق الجار والمجرور بالفعل مباشرة أى أنشأناهن أو جعلناهن لأصحاب

---

(١) انظر شرح ابن يعيش على المفصل (باب الفاعل) .

(٢) انظر شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ٤/٧٠ ، وانظر معانى القرآن للفراء ... ورقة (٨٠) مصورة دار الكتب رقم (١٠ ش تفسير) .

(٣) انظر مثلا شرح الرضى على الكافية جـ ١ ص ١٨ فما بعدها .

(٤) معانى القرآن (سورة الواقعة) مصورتى ص ٣٢٤ .

اليمين لكان أجمل وأوجز . ولكنها حُمّى التقدير أصابت الفراء من تأثره بالبصريين .

(ب) تقدير فعل فى إعراب قوله تعالى (فعموا وصمُّوا كثيرٌ منهم) قال : « أراد — والله أعلم — عموا وصموا . ثم خص به الكثير بفعل مضمر [1] » وكان أيسر من ذلك أن يجعله بدلا من الضمير ، أو يجعله فاعلا ، وواو الجماعة مجرد علامة كما قال به آخرون .

(ح) كما أنه توغل فى التقدير حين قال بوجوب تقدير موصوف محذوف قبل المنادى فى قول الشاعر : (فياراكباً إما عرضت . . . . الخ) فرفض أن يكون راكبا هو المنادى، وتعسف فأوجب أن يكون التقدير (فيارجلا راكبا) ، وذلك لأنه لا يجيز نداء النكرة المفردة [2]،وما كان هذا التعسف فى التقدير إلا أثراً من آثار النزعة البصرية .

ولولا خشية الإطالة لأوردت كثيراً من الأمثلة الدالة على تأثره بالمنهج البصرى فى التقدير والتأويل إلى حد الإسراف أحيانا . ولكنا نكتفى بهذا القدر مع الإشارة إلى بعض آخر [3] إيثاراً للإيجاز .

ثانياً — عدم القياس على الشاهد الواحد :

وإذا كنا رأينا الفراء فى بعض الأحيان يقيس على الشاهد الواحد استجابة للنزعة الكوفية ، فإنا نراه فى أحيان كثيرة لايقيس عليه.بل إنه

---

(١) المذكر والمؤنث للفراء ص ٣٩ — الطبعة الاولى .

(٢) انظر خزانة الادب للبغدادى ١٦٨/٢ فما بعدها ط السلفية .

(٣) انظر مثلا كتاب المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٥ الطبعة الأولى ، وانظر معانى القرآن للفراء ص ١٦٤ (مصورتى) ، وانظر مجالس ثعلب ص ٣٧٤ ط دار المعارف .

لايعتد بالسماع ولو تعدد فى كثير من الأحيان برغم أنه هو الذى سمعه بنفسه . من ذلك :

(أ) ما جاء فى أمالى ثعلب : « عسى زيد قائما ،قال لم يجىء إلا فى قوله (عسى الغوير أبؤسا) ، قال الفراء : (عسى لايقاس) ، ولا يستحسنها ولا يجيزها إلا مع أن [1] » فانظر إلى الفراء تتحكم فيه النزعة البصرية فلا يقيس على ما سمع من العرب ، بل لا يستحسنه ولا يجيزه .

(ب) واستمع إليه يقول فى كتابه المقصور والممدود : « وما كان من ذوات الياء فإن كان أول واحدته مضموماً ضممت أوله فى الجماع (يريد الجمع) وكتبته بالياء مثل مدية ومدى . . وإن كان أول واحدته مكسوراً جمعته بكسر أوله ، وكتبته بالياء مثل حلية وحِلًى ، ولحية ولِحًى ، وقد سمعنا لُحى ولُحى بالضم فى هذين الحرفين خاصة ولا يقاس عليهما[2] » فهو هنا لا يقيس على الشاذ ولا يعتد به ، برغم أنه سمعه بنفسه فى أكثر من كلمة . ولكنها النزعة البصرية تحكمت فى منهجه فظهرت آثارها واضحة جلية .

ثالثاً ــ انتهاجه منهج الفلاسفة والمتكلمين :

لئن كنا رأينا الفراء من قبل ينزع أحياناً منازع أهل الكوفة فيبتعد حيناً عن منهج الفلاسفة فإنا نراه هنا قد انتهج منهجهم ، وتعمق فيه إلى حد كبير ، وقديماً لمسوا فيه هذا الاتجاه فأجمعوا أو كادوا على أنه كان « يتفلسف فى تصانيفه[3] » ، وقد كتبت مبحثاً مستفيضاً فى ذلك [4]، لهذا آثرت أن أحيل عليه فراراً من التكرار .

---

(١) مجالس ثعلب ص ٢٥١ ط المعارف .

(٢) المقصور والممدود للفراء ص ٢٥ (مصورتى) .

(٣) انظر مثلا معجم الادباء ١١/٢٠ ، والوفيات ٣٠٢/٢ ، والبغية ص ٤١١ ط السعادة.

(٤) انظر مبحث (منهجه فى التأليف) .

رابعاً ـ القياس :

ولما كانت المدرسة البصرية مدرسة قيّاسة[1] كان للقياس عند الفراء شأن أى شأن من جرّاء تأثرها فيه ، فقد رأيناه يقيس جمعاً على جمع ولا يشترط السماع[2] ، كما رأيناه « يقيس فُعَلا (بضم ففتح) فى مثل هذا (أى مثل جوزة ونوبة) ، وغيره يقول إنه سماعى[3] » كما رأيناه يجعل همزة الثلاثى المزيد قياسية فى الإزالة ، يقول ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « وقال الفراء تقول أبعتُ الخيلَ إذا أردت أنك أمسكتها للتجارة والبيع ، فإذا أردت أنك أخرجتها من يدك قلت بعتها ، قال (أى الفراء) وكذلك قالت العرب . أعرضت العِرضان أى أمسكتها للبيع ، وعرضتها ساومت بها ، فقس على هذا كل ما ورد عليك[4] » ، وكذلك فعل فى مواطن كثيرة تكاد تستعصى على الحصر[5] .

هذا إلى أننا رأيناه يتوغل فى القياس أكثر من البصريين أنفسهم ، وآية ذلك أنه هو الوحيد الذى جعل مصدر الثلاثى قياسياً على وزن (فَعْل وفعول) وإن سمع غيره ، قال صاحب المزهر : « وليس لمصادر المضاعف ولا للثلاثى كلمة قياس تحمل عليه ، إنما ينتهى فيه إلى السماع والاستحسان ، وقد قال الفراء كل ما كان متعدياً من الأفعال الثلاثية فإن الفعل والفعول جائزان فى مصادره[6] » ، على أن الصبان بيّن رأى الفراء بصورة أوضح

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة فى الاسلام ـ دى بور ـ ترجمة أبى ريدة ص ٣٨ .

(٢) انظر (الأيام والليالى) للفراء ص ٤ الطبعة الأولى بتحقيق الأبيارى .

(٣) انظر شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٣١٩ ط دار الكتب سنة ١٩٤٤ م .

(٤) ادب الكاتب ص ٣٣١ .

(٥) انظر مثلا معانى القرآن ص ١٩٣ (مصورتى) ، وانظر شرح المفضليات جـ ١ ص ٤، والمذكر والمؤنث للفراء ص ٣ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ٣٦ ، ٤٥ ـ الطبعة الأولى ، والأيام والليالى للفراء جـ ٢ ، ٣ ، ٥ ـ الطبعة الأولى بتحقيق الأبيارى .

(٦) المزهر للسيوطى ٩٥/٢ ط الحلبى ، وانظر مجالس ثعلب ص ٢٧٤ ط المعارف .

بالنسبة إلى رأى سيبويه والأخفش حين تعقب الأشمونى فى قوله : « والمراد بالقياس هنا أنه إذا ورد شيء ولم يعلم كيف تكلموا بمصدره فإنك تقيسه على هذا ، لا أنك تقيس مع وجود السماع . قال ذلك سيبويه والأخفش[1] » وقال الصبان فيما قال ... وذهب الفراء إلى أنه يجوز القياس عليه وإن سمع غيره[2] » وتأثر الزمخشرى بالفراء فقال بقياسيتها[3] .

هذا إلى كثير من الأمثلة التى تدل على أن الفراء كان يتوغل فى القياس أكثر من البصريين أنفسهم[4] .

خامساً ــ الضبط والتقعيد :

معلوم لدى الباحثين أن مذهب البصريين مذهب ضبط وتقعيد ، وتلك ظاهرة من ظواهر العقل المنطقى ، فماذا كان نصيب الفراء منها ؟

لعلى لا أكون مغالياً حين أقول : كان له نصيب موفور . وقد اشتهر بين القدماء بذلك فقال قائلهم : « لولا الفراء ما كانت اللغة ، لأنه حصّلها وضبطها ، ولولاه لسقطت العربية ، لأنها كانت تُتنازَع ، ويدعيها كل من أراد ، ويتكلم الناس على مقاديرعقولهم ، وقرائحهم فتذهب[5] » .

ومما يعزز هذه الرواية التاريخية ، رواية أخرى تقول إن الخليفة المأمون ــ حينما رأى فيه رجل تقعيد وتقنين ــ طلب إليه أن يجمع له أصول العربية فى كتاب فعكف الفراء سنتين وأخرج له كتاب الحدود[6] . .

---

(١) شرح الاشمونى ١٩٢/٢ (باب المصدر) .

(٢) حاشية الصبان على المصدر السابق .

(٣) انظر السماع والقياس ص ١٣ .

(٤) انظر مثلا خزانة الأدب البغدادى ٣٨٧/١ فما بعدها ط السلفية .

(٥) انظر مثلا معجم الأدباء ١١/٢٠ ط دار المأمون .

(٦) انظر مثلا تاريخ بغداد ١٤٩/١٤ فما بعدها ط السعادة .

وحين نتجاوز الروايات التاريخية إلى النصوص نرى من القواعد كثرة ظاهرة تطالعنا فى كل أثر من آثاره . من ذلك قوله فى المقصور والممدود : « ويقال هو يتنفس الصعداء ، وكل ما جاءك فى آخره ألف ، مضموماً أوله على هذا المثال فهو ممدود ، إلا ثلاثة أحرف جئن نوادر ، من ذلك الأُدَبَى وهى الداهية ، مقصورة ، والأُدَمَى اسم موضع ، وشُعَبَى اسم بلدة، مقصورات قال الشاعر :

أَعبْدًا حــلَّ فى شُعَبَى غريبا ألؤما لا أبا لك واغترابا[1]

وقوله عند تفسير قوله تعالى : (ذوقوا مس سقر) « سقر اسم من أسماء جهنم لا يُجرى (أى لا يصرف) وكل اسم كان لمؤنث فيه الهاء أو ليس فيه الهاء فهو لا يجرى إلا أسماء مخصوصة خفت فأجريت[2] . . . »

وقوله يسجل خاصية من خصائص اللغة العربية :

« كل زيادة حدثت فى الشىء من نفسه فهو (مددت) بغير ألف ، كما تقول (مد النهر ، ومده نهر آخر غيره) إذا اتصل به فصار منه — وكل زيادة أحدثت فى الشىء من غيره فهو بألف كقولك (أمد الجرح) . . وأمددت الجيش بمدد[3] » .

وقوله يضع قاعدة فى تأنيث الفعل عند تفسير قوله تعالى (خاشعاً أبصارهم) « إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث وهُو له ، أو قبل جمع مؤنث (يريد جمع تكسير مؤنث) مثل أبصار وأعمار وما أشبههما جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه[4] » .

---

(١) المقصور والممدود ص ٢٥ (مصورتى) .

(٢) معانى القرآن للفراء ص ٣١٩ (مصورتى) .

(٣) أنظر تفسير الطبرى جـ ١ ص ١٤٠ فما بعدها .

(٤) معانى القرآن للفراء (سورة القمر) .

وقوله يضع قاعدة بلاغية فى إعادة ضمير جمع العقلاء على مالايعقل فى مثل قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام (ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) قال الفراء : « وإنما ذلك لأنها وصفت بأفاعيل الآدميين » وقال « ألا تراه أن الركوع والسجود لا يكون إلامن الآدميين ، فأخرجت على أفعال الآدميين لما وصفت بصفتهم » ومثله (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) وكأنهم خاطبوا رجالا إذ كلمتهم وكلموها ومثله (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) ، وكل ماورد عليك موافقاً لفعل الآدميين وليس من الآدميين فَأَجرِهِ على هذا[1] » .

وقوله فى قاعدة إملائية للتفرقة فى كتابة (إذن) بين الناصبة وغيرها :

« إن عملت (أى إذن) كتبت بالألف وإلا كتبت بالنون[2] » إلى غير ذلك من القواعد على اختلاف ألوانها وفنونها [3] مما يدلك على أن منهج الفراء فى هذا هو ومنهج البصريين سواء .

سادساً : تخطىء العرب والتهجم على القراءات السبع .

كان من جراء تمسك الفراء بالقياس ، وحرصه على سلامة قواعده أن تهجم على العرب بخطئهم فى لغتهم ، بل أكثر من هذا تهجم على القرآن الكريم فى بعض قراءاته السبعية تماماً كما كان يفعل البصريون من قبله ومن بعده ، ومن بينهم الخليل بن أحمد وسيبويه إمام النحاة ، ولا أطيل . . . . فهذه هى النصوص تنطق بصدق ما أقول ، وهى خير شاهد ودليل .

---

(١) شرح المفصليات ٤/١ .

(٢) مغنى اللبيب لابن هشام ١٩/١ .

(٣) انظر مثلا ادب الكتاب لابى بكر الصولى ص٢٤٦ ط سنة ١٣٤١ هـ ، وانظر المزهر للسيوطى ٢/٩٥ـ الطبعة الثالثة ، وانظر المقصور والممدود للفراء الصفحة الاولى من (مصورتى) وانظر الأيام والليالى للفراء ص١ ، ص٢ ، ص١١ ، ص ٥٣ ... الخ الطبعة الاولى تحقيق الابيارى ، وانظر المذكر والمؤنث للفراء ص ٢ ، ١٠ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ـ الطبعة الاولى .

وقبل أن أتوغل فى النصوص الخاصة بالفراء أود أن أقدم بين يديها إشارات خاصة بالبصريين، عساها أن تدل دلالة واضحة على مدى الصلة بين المنهجين :

فالخليل بن أحمد يخطِّئ العرب فى لغتهم ، كما يرويه سيبويه فى كتابه عند حديثه عن جحر الضب الخرب[1] ، وابن فارس يصرح بخطأ الشاعر فى قوله :

ألم يأتيك والأنبـــــاء تنمى بما لاقت لبون بنى زيـــــاد[2]

ومن قبل هذا وذاك رأينا عيسى بن عمر وشيخه عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى يخطئان العرب ، وحذا حذو الجميع ، فى هذا المنهج الجرىء متأخرو البصريين مثل الرضى[3] والفارسى[4] وغيرهما كثير .

وكذلك كان موقف هؤلاء البصريين إزاء القرآن الكريم ، فهاهم أولاء يتآمرون على قراءة حمزة الكوفى – وهو من القراء السبعة ، فتارة يضعِّفونها ، وأخرى يردونها ويحرِّمون القراءة بها ؛ استمع إلى الزمخشرى فى مفصله يقول : « وقراءة حمزة ، والأرحام بالجر[5] ليست بالقوية » واستمع إلى شارحه يقول : « وأما قوله تعالى (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) بجر الأرحام فى قراءة حمزة فإن أكثر النحويين قد ضعف هذه القراءة نظراً إلى العطف على المضمر المخفوض ، وقد رد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد هذه القراءة ، وقال لا تحل القراءة بها[6] » مع أن هذه القراءة

---

(١) انظر الكتاب ٢١٧/١ ط بولاق .

(٢) انظر الصباحى ص ٢٣١ ففيه حديث مطول من ذلك .

(٣) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب (عطف النسق) .

(٤) الحجة ٤٧٤/١ نسخة ملا .

(٥) جاء فى متن الشاطبية ص١٦٥ ط صبيح : وكوفيهم تساءلون مخففا . وحمزة والارحام بالخفض جملا .

(٦) شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشرى ٧٨/٣ .

مروية أيضاً عن قراء آخرين مثل شريك بن عبد الله ، والأعمش ، وإبراهيم النخعي[1]، ولهذا عاد ابن يعيش فتعقب المبرد حيث قال : « وهذا القول غير مرضي من أبي العباس–يعني المبرد – لأنه قد رواها إمام ثقة – يريد حمزة – ولا سبيل إلى رد نقل الثقة ، مع أنه قد قرأها جماعة من غير السبعة، كابن مسعود ، وابن عباس ، والقاسم ، وإبراهيم النخعي ، والأعمش ، والحسن البصري ، وقتادة ، ومجاهد ، وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها[2]» وكيف تصح الرواية مادام هناك متعصبون يتحيزون لمذهبهم من جهة ، ويتعصبون لقواعدهم من جهة أخرى!ولعلك تعجب معي إذا رأيت العلامة الرضي ينحرف به التعصب عن الطريق السوى ، فيتشكك في تواتر القراءات السبع ، بل إنه لايسلم – صراحة – بتواترها ، استمع إليه يقول حينما تعرض لهذه الآية نفسها(واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)[3] « والظاهر أن حمزة جوز ذلك بناء على مذهب الكوفيين لأنه كوفي ولا نسلم تواتر القراءات السبع[4]» ، ولهذا قال الإمام الرازى تعقيباً على موقف البصريين من القرآن الكريم ، عند تفسير هذه الآية بالذات : « إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى ، وكثيراً مانرى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به وأنا شديد التعجب منهم ، فإنهم إذا جعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان أولى[5]» .

ذلك بعض ما كان من أمر البصريين ، وموقفهم من الشعر والقراءات السبع ، فأين هذا من موقف الكوفيين الذين يحترمون كل

---

(١) انظر ابراز المعانى ص ٢٨٤ .

(٢) شرح المفصل ٣/٧٨ .

(٣) آية (١) من سورة النساء .

(٤) انظر شرح الرضى على الكافية (عطف النسق) .

(٥) تفسير الفخر الرازى ٣/١٩٣ (سورة النساء) .

ما ورد عن العرب، ولو كان من أعرابية رعناء كما سلف به البيان، أما موقف صاحبي أبي زكرياء الفراء فيؤسفني أن أقول: إنه جنح إلى البصريين في تخطيء العرب، بل زاد عليهم في التهجم على القراءات، فكان أول من فتح الباب للطعن على قراءة ابن عامر وهي من القراءات السبع. و هذا الاتجاه يؤيدني تأييداً قويا في إثبات ما نحن بصدده من أن الفراء تأثر بالمذهب البصري تأثراً جعله ينتزع من المنهجين معاً منهجا جديداً، هو المذهب البغدادي. وبذلك كان المؤسس الحقيقي — في نظرنا — للمدرسة البغدادية، وإليك موقفه بالتفصيل:

(١) الفراء يخطئ الشعراء فيقول في معانيه: «وربما غلط الشاعر فيذهب إلى المعنى فيقول: أأنت ضاربني (بالنون)، يتوهم أنه أراد هل تضربني فيكون ذلك على غير صحة، قال الشاعر:

وما أدري وظني كل ظن أمسلمني إلى قـــوم شَرَاحِ

يريد شراحيل، ولم يقل أمسلمي وهو وجه الكلام، وقال آخر:

هم القائلون الخير والفاعلونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

ولم يقل الفاعلوه وهو وجه الكلام [1] فانظر إليه كيف يهون عليه أن يخطئ شاعراً وآخر، وربما كان هناك ثالث ورابع، ولا يهون عليه أن يعدل قاعدة واحدة، ألا ترى أن هذه هي طبيعة المدرسة البصرية بعينها؟ ولولا أن أشق على القارئ لأوردت الكثير من ذلك [2]، وإيثاراً للإيجاز نكتفي في الشعر بهذا القدر، مع الإشارة إلى مواطن أخر [3]، لننتقل إلى الأهم وهو:

---

(١) معاني القرآن للفراء ص ٢٧٢ (مصورتي).

(٢) انظر مثلا المعاني ص ١٦٩ (مصورتي).

(٣) انظر مثلا معاني القرآن للفراء ص ١٦٩ (مصورتي) وانظر خزانة الأدب للبغدادي جـ٤ ص٣١٧ حين طعن في قول الشاعر (فزججتها بمزجة) وانظر ص٣٢٨ من هذا الجزء حين انكر قول شاعر جاهلي اسلامي هو الأقلب العجلي.

() تخطىء القراءات : حيث يقول : « حدثنى معاذ بن مسلم ابن أبى سارة ، قال كان جارى زهير الفُرْقُبِيّ* يقرأ (متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان) ، فالرفارف قد تكون صوابا ، وأما العباقرى فلا ، لأن ألف الجماع لايكون بعدها أربعة أحرف ولا ثلاثة صحاح[1] ، فأنت تراه يحكم القاعدة الصرفية فى قراءة واردة ، ويرفضها لأنها لاتتفق مع القاعدة .

هذه واحدة ، وأخرى رأيناه يخطئ الحسن البصرى فى قراءته [2] ، وفى ثالثة رأيناه يخطىء الأعمش ويحيى بن وثاب ، ويرميهما بالوهم فى صراحة ، وبجهل العربية فى خفاء ، كما رأيناه يخطئ قراءة الإسكان فى قوله تعالى (نُوَلِّهْ ما تولى ونُصلِهْ جهنم) بإسكان الهاء فى الفعلين (نولّهْ ونصلهْ) ظنا منه بأن القراء وَهِمُوا فظنوا أن كلا من هذين الفعلين مجزوم بالسكون ، وغاب عنهم — أوجهلوا فيما يرى — أن الفعل المعتل يجزم بحذف حرف العلة ، كما خطّأ قراءة أخرى فى قوله تعالى (وما تنزلت به الشياطون) بالواو بدل الياء ، زعما منه بأن القارئ كان يجهل العربية ، فتوهم أن الشياطين جمع مذكر سالم ولما كان موقعه فاعلا وجب رفعه بالواو ، كأن القراءة فى نظره خاضعة لتوهم القراء فى وجوه (الإعراب) ، وليست خاضعة للرواية والأثر كما سلف به البيان ، وإليك النص :

يقول الفراء فى معانيه عند تفسير قوله تعالى ((ما أنتم بمصرخىّ) ، « الياء من مصرخى منصوبة . . . وقد خفض الياء من مصرخى الأعمش ويحيى بن وثّاب جميعا . . . ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى ، فإنه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن الباء من بمصرخى خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك — ومما نرى أنهم وهموا فيه قولهم (نولهْ ما تولى ، ونصلهْ جهنم) ، وظنوا — والله أعلم — أن الجزم فى الهاء ،

---

(1) معانى القرآن للفراء ص ٣٢٢ (مصورتى) — وهذا التعليل فيه نظر لان ألف الجمع لم يقع بعدها اربعة احرف ولا ثلاثة صحاح — فتأمل . اللهم الا ان يقال : انه اعتبر الياء المشددة ... فيكون مجموع الحروف بعد الالف اربعة ، وحينئذ نقول له : ان ياء النسب لا تدخل فى الحسبان ، فالمفرد (عبقرى) منسوب الى (عبقر) والجمع (عباقرى) .

(2) انظر معانى القرآن ص ١٦٣ (مصورتى) .

* الفرقبى نسبة الى فرقب بوزن قنفذ وهى موضع او نوع من الثياب — انظر القاموس وشارحه .

والهاء فى موضع نصب ، وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه — ومما وهموا فيه قوله (وما تنزلت به الشياطون) . . . الخ [1] » .

ولو وقف عند هذا الحد لهان الخطب ، والتمسنا له بعض المعاذير ، وقلنا : إن هؤلاء القراء فوق السبعة ، ولكن ما بالك بمن يخطئ حمزة ، وهو من القراء السبعة ! وحمزةُ مَنْ ؟ إنه حمزة الكوفى ، ذلك الذى تآمر عليه البصريون من قبل فخطئوه ، ثم جاء الفراء ليكون بصريا مثلهم فى نزعتهم القياسية التحكمية ، وينسى أنه كوفى مثل حمزة ، وهذا دليل على أن الفراء حين انخرط فى سلك البصريين تأثر بهم ، وأصبح يخلص للنزعة المذهبية أكثر من إخلاصه للنزعة البيئية .

أما تخطىء حمزة فقد رواه البغدادى فى خزانته منسوبا إلى الفراء ، ولم أره فى المعانى . بيد أن الجهة منفكة ، فإن قراءة حمزة التى دار حولها التخطىء والإنكار فى خزانة البغدادى هى نفسها القراءة التى أنكرها الفراء فى معانيه وإن لم يصرح باسم حمزة ونسبها إلى الأعمش ويحيى بن وثاب وهى كسر الياء من قوله تعالى (ما أنتم بمصرخىّ) ، والمهم هو موضوع القراءة ، لا التصريح بالاسم أو الإخفاء .

يقول البغدادى فى الشاهد الثانى والعشرين بعد الثلاثمائة « وكسر ياء المتكلم من (فِىِّ) لغة بنى يربوع لكنه عند النحاة ضعيف كقراءة حمزة (ما أنتم بمصرخىّ) . . . واعلم أن الفراء والزجاج وغيرهما قد أنكروا هذه القراءة والشعر . . . قال الفراء ، وقد سمعت بعض العرب ينشد :

قال لهـــا هل لك يا تا فِىِّ قالت له ما أنت بالمـــرضىِّ

فخفض الياء من (فِى) ، فإن يك ذلك صحيحا فهو مما يلتقى من الساكنين فينخفض الآخر منهما وإن كان له أصل فى الفتح ، ألا ترى أنهم يقولون لم أره مُذِ اليوم (بكسر الذال) ومُذُ اليوم (بضمها) ، والرفع فى الذال

---

[1] انظر معانى القرآن للفراء ص١٦٣ مصورة دار الكتب سنة ٢٤٧٧١ تفسير .

هو الوجه لأنه أصل حركة منذ ، والخفض جائز ، فكذلك الياء من مصرخيّ خفضت ولها أصل فى النصب [1] » .

وقد أغنانى البغدادى عن التعليق — أو بعضه — حين قال : « وانظر إلى الفراء كيف يتوقف فى صحة ما أسنده ؟ [2] » يريد أنه سمع العرب بنفسه ، ثم عاد فقال فإن يك ذلك صحيحا ، أليست هذه نزعة بصرية متوغلة وأن الكوفيين منها براء ؟

ثم انظر معى إلى موقف الفراء من هذه القراءة ، كيف أنكرها ، ثم عاد يتلمس لها بعض الوجوه؟ أكبر الظن أنه حين أنكر ما أنكر كان ينظر إلى القراءة من حيث هى قراءة فحسب ، ولهذا خطّأ قارئيها ورماهم بالوهم جريا على منهج البصريين فى عدم الاعتداد بالرواية ، ولو كانت فى قراءات القرآن الكريم ، ثم لما سمع بيتا من الشعر بدأ يتلمس الوجوه على عادة النحويين البصريين أيضا من احترام الشعر أكثر من الروايات القرآنية مع الأسف ، أكلّ هذا نراه من الفراء ويظل فينا تشكك أو ظل من التردد فى أنه تأثر بالبصريين إلى حد كبير .

إن كانت هناك باقية من شك فلنستمع إليه فى موطن آخر كان فيه أوضح من المواطن السابقات ، وأشد جرأة من البصريين أنفسهم حين سبقهم إلى الطعن فى قراءة محكمة من القراءات السبع ، تلك هى قراءة ابن عامر « أعلى القراء السبعة سنداً ، وأقدمهم هجرة [3] » (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) بنصب (أولاد) على أنه

---

(1) خزانة الأدب للبغدادى ٣٢٧/٤ فما بعدها ط السلفية .

(2) المصدر السابق ٣٢٩/٤ وانظر رسالة الغفران للمعرى ص ١٥١ ط أولى .

(3) خزانة الأدب للبغدادى ٣٢١/٤ ط السلفية . وانظر سراج القارىء لابن القاصى ص ٢١١ ط الحلبى ، وارشاد المريد للضباع ص ١٨٤

مفعول به فصل بين المضاف وهو (قتل) والمضاف إليه وهو (شركاء) .

قال الفراء فى معانيه عند قراءة ابن عامر « وفى بعض مصاحف أهل الشام (شركائهم) (بالياء) ، فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغى أن يقرأ (زُيِّن) أى بالبناء للمفعول ويكون الشركاء هم الأولاد، لأنهم منهم فى النسب والميراث ، فإن كانوا يقرءون (زَين) أى بالبناء للفاعل ، قلت لأعرف جهتها [1] . . . » فهو يتشكك فى قراءة سبعية حين يقول (فإن تكن مثبتة عن الأولين . . .) ثم يردفها بقوله (لا أعرف جهتها . . .) — قال ذلك فى سورة الأنعام ، وربما كان ذلك قولا محتملا بعض الشىء ، ولكنه لما وصل إلى قراءة تماثلها فى سورة إبراهيم أصابته لوثة البصريين فكان عنيفا مثلهم أو أشد قسوة حين قال « وليس قول من قال (مخلف وعدَه رسلِه) [2] بشىء ، ولا (زين لكثير من المشركين قتل أولادَهم شركائهم) بشىء ، قال الفراء ، هذا باطل ، ونحويو أهل المدينة ينشدون قوله (زج القلوصَ أبى مزادة) ، والصواب (زج القلوصِ أبو مزادة) [3] »

فانظر إلى الفراء تنتابه النزعة البصرية ، فيخرج عن طبيعته السمحة من ناحية ، وعن منهج الكوفيين السليم إزاء القراءات من ناحية أخرى ، فيحكم على قراءة سبعية بالبطلان ، استجابة لتحكم القياس فى منهجه الذى تأثر بمنهج البصريين إلى حد بعيد ، كل هذا التحامل على قراءة ابن عامر «لأن الإجماع واقع على امتناع الفصل بالمفعول فى غير ضرورة الشعر والقرآن ليس فيه ضرورة [4] » فيمتنع الفصل ولو كان وارداً فى القراءات السبع ، يالها من مأساة ! ألا يكتفى هؤلاء النحاة بآيتين كريمتين وثلاثة أبيات

---

(١) ص ٣٥٧ ط دار الكتب .

(٢) ينصب « وعد » على انه مفعول به فصل بين المتضايفين .

(٣) معانى القرآن للفراء ص ١٦٥ مصورتى .

(٤) خزانة البغدادى ٣١٩/٤ ط السلفية .

من الشعر العربى [1] ، ليثوبوا إلى رشدهم ويعدلوا القاعدة التى صنعوها بأهوائهم فيجيزوا الفصل بين المتضايفين بالمفعول به كما أجازوا الفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور ؟ لله درك يابن مالك حين أجزت ذلك. فقلت :

(فصل مضاف شبه فعل ما نصب مفعولا او ظرفا أجز ولم يعب)[2]

لئن كان هناك وزر يتحمله باحث ما ، إن وزر هذا الطعن فى أعلى قراءة سبعية يقع أول ما يقع على كاهل صاحبى أبى زكرياء « فهو الذى فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر [3] » كما يقول البغدادى .

ولا أخفى على القارئ أننى أشفقت على صاحبى من هذه التبعة ، وأردت أن أحملها لأصحابها البصريين ، فذهبت إلى كتاب سيبويه أستفتيه ، وأمعن فيه بحثا وتنقيباً لعلى أظفر بطعن فى هذه القراءة ، وعبثا حاولت فأيقنت أو رجحت أن الفراء كان أول من فتح باب الطعن حقاً . فليتحمل جريرة ما قدمت يداه .

ولم أقتنع بالبحث فى الكتاب فحسب بل عمدت إلى كتب الخلاف بين المدرستين ، مثل الإنصاف لابن الأنبارى ، عساه أن ينسب هذا الخلاف إلى قائليه من الأوائل ، ولكننى وجدته قد سلك سبيل الإجمال فى البصريين والكوفيين على سواء: فلم يصرح باسم سيبويه كما لم يصرح باسم الفراء ، حين قال : « ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض لضرورة الشعر ، وذهب البصريون إلى أنه لايجوز ذلك بغير الظرف وحرف الجر [4] » على أن عدم التصريح باسم

---

(١) انظر الأبيات الثلاثة فى كتاب الانصاف ص٢٤٩ فما بعدها ط صبيح .

(٢) الالفية باب الاضافة .

(٣) خزانة الادب ٣٢١/٤ ط السلفية .

(٤) انظر المسألة رقم (٦٠) ص ٢٤٩ ط صبيح .

الفراء أحدث نقصا ولبسا ، حيث يفهم القارئ ـ أىّ قارئ ـ أن الفراء داخل فى الكوفيين ، وأنه قال بمقالتهم ، والواقع غير ذلك فإنه كان مع البصريين ، بل إنه سبق البصريين جميعا فكانوا معه . وقد دفعنى إلى هذا التمحيص فى إثبات أول من طعن فى أعلى قراءة سبعية دافع آخر قوى ، غير هذا الدافع الظاهرى الذى هو رفع الوزر عن صاحبى ، ذلك الدافع الحقيقى هو إثبات أن الفراء سبق البصريين فى نزعتهم تمهيداً لإثبات ما نحن بصدده ، من أنه مزج بين المنهجين مزجا عميقا فكان المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى .

هذا إلى أن البصريين أنفسهم لم يروا بأسا من اتباعه والاقتداء به ، حين رأوه يقف فى طليعة الصف البصرى يتهجم على القراءات ، ويحكّم فيها القياس والقوانين التى وضعوها بأيديهم ـ قال أبو على الفارسى تعقيبا على الفصل بالمفعول فى قراءة ابن عامر :

« هذا قبيح قليل الاستعمال ولو عدل عنها كان أولى [1] » وقال آخر :

« لا أحب قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه [2] » ، « وقال الزمخشرى ـ وأساء فى عبارته ـ وأما قراءة ابن عامر فشىء لو كان فى مكان الضرورة لكان سمجا مردوداً كما سمج ورد (زج القلوص أبى مزادة) فكيف به فى الكلام المنثور . . . [3] » .

ويوجه ابن الأنبارى مقالة البصريين ـ وقد نسى أن الفراء مصدر هذه المقالة ـ فيقول : « والبصريون يذهبون إلى أن هذه القراءة وَهَم من القارئ إذ لوكانت صحيحة لكانت من أفصح الكلام ، وفى وقوع الإجماع على خلافه دليل على أنه وهم فى القراءة ، وإنما دعا ابن عامر إلى هذه

---

(١) خزانة الأدب للبغدادى ٤/٣٢١ ط السلفية .

(٢) نفس المصدر .

(٣) خزانة الأدب للبغدادى ص ٣٢٢ .

القراءة أنه رأى فى مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوبا بالياء ، ووجهُ إثبات الياء جرُّ شركائهم على البدل من أولادهم ، وجعل الأولاد هم الشركاء لأن أولاد الناس شركاء آبائهم فى أحوالهم وأموالهم ، وهذا تخريج خط مصحف أهل الشام ، فأما قراءة ابن عامر فلا وجه لها فى القياس[1] » .

ولقد شفى نفسى تعقيب البغدادى على طعون الطاعنين حين قال : « وهذه الأقوال كلها لاينبغى أن يلتفت اليها لأنها طعن فى المتواتر ، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر[2] » .

سابعا – ومن مظاهر النزعة البصرية عند الفراء أنه كان يخالف الكسائى وينضم إلى البصريين فى كثير من الأحيان ، فالراصد أقواله يرى كثرة كاثرة من هذه الآراء ، وسأكتفى بالإشارة إلى بعضها على سبيل التمثيل للنزعة البصرية فى المسائل الجزئية[3] بالإضافة إلى ما ذكرناه من الأمور الكلية والاتجاهات المذهبية بوجه عام .

هذا إلى أنه كان يستعمل الاصطلاحات البصرية إلى جانب الاصطلاحات الكوفية بالإضافة إلى الاصطلاحات التى ابتكرها ابتكاراً كما سيأتى بالتفصيل فى موطنة من البحث .

مظاهر استقلاله :

سبق الحديث عن مظاهر النزعتين البصرية والكوفية عند الفراء وليس معنى هذا أنه كان ذائب الشخصية يعتمد على هؤلاء تارة وعلى أولئك أخرى.

---

(١) انظر الانصاف ص ٢٥٢ ط صبيح ، وانظر خزانة الأدب للبغدادى ٣١٩/٤ ط السلفية .

(٢) خزانة الادب ٣٢٢/٤ ط السلفية .

(٣) انظر مثلا الموفى فى النحو الكوفى ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٨٧ ، ١١٢ ط دمشق ، وانظر مجالس ثعلب ص ٧٤ ، ٧٨ ، ٢٦٠ ، ٣١٢ ، ٤٢٢ ، ٤٧٨ ، ٥١٤ مثلا ط دار المعارف .

بل كان قوى الشخصية قوى العقل إلى حد بهر القدماء والمحدثين على السواء ، كما بينت ذلك فى موطنه من البحث وإنما كان ينتهج المنهج العلمى السليم فينتفع بتراث السالفين ويطلع على المذهبين جميعا . ليتخذ منها نقطة ارتكاز يثب منها إلى تأسيس مذهب جديد . هو المذهب البغدادى فيما رأينا .

ومن مظاهر استقلاله عن المدرستين جميعا مايأتى :

أولا : أنه انتهج منهجا جديدا فى الاستشهاد بالحديث الشريف . وذلك أنه اعتمد الحديث واحتج به فى النحو واللغة احتجاجا مباشرا كما سلف به البيان ، على حين كان النحويون من رجالات المدرستين يرفضون الاحتجاج بالحديث الشريف وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أنه يؤسس مذهبا جديدا يغاير المذهبين معا وهو المذهب البغدادى .

ثانيا — ومن مظاهر استقلاله فى تأسيس مذهب جديد أنه ابتكر وضع الأصول فى النحو — كما سبق به البيان — دون نظر إلى اتفاقها أو اختلافها مع أحد المذهبين أو كليهما ، استجابة إلى نزعته المذهبية فى تأسيس المدرسة البغدادية .

ثالثا — وضع المصطلحات الجديدة التى ماكان يعرفها البصريون ولا الكوفيون ، وسيأتى الحديث عنها بالتفصيل .

رابعا — فسر الظواهر اللغوية تفسيرا جديدا يستلهم فيه روح العربية ، فأخذ من المذهبين أحسنها : أخذ من المذهب البصرى التعرض لتفسير الظواهر اللغوية التى كانت بمنأى عن الكوفيين ، وأخذ من الكوفيين الاعتماد على الحس اللغوى فى تفسير الظواهر تفسيرا يستهدف فيه روح العربية مخالفا بذلك طريقة البصريين فى تأثرها بالفلسفة والمنطق .

خامسا — ومن دلائل استقلاله المذهبى أنه كثيرا ماكان يخالف البصريين والكوفيين معا فى الآراء النحوية واللغوية ويتخذ له فيها رأيا جديدا يتفق مع مذهبه الجديد ، من ذلك اتخاذه موقفا وسطا بين الكوفيين والبصريين فى رفع

المعطوف على اسم (إن) ، فالبصريون يمنعونه مطلقا ، والكوفيون ـ ويمثلهم الكسائى ـ يجيزونه مطلقا ، أما الفراء فإنه يقف موقفا وسطا « فلم يمنع رفع المعطوف و لم يجوزه مطلقا ، بل فصل وقال إن خفى إعراب الاسم بكونه مبنيا أو معربا مقدر الإعراب جاز الحمل على المحل . . . . . وإلا فلا[1] » . هذا إلى كثير من المسائل التى استقل فيها برأى جديد يغاير المذهبين معا ولولا خشية الإطالة لذكرت منها الكثير ، ولكننى سأكتفى بالإشارة إلى مواطن بعضها[2] ، إيثارا للإيجاز .

مقومات المذهب :

يقوم مذهب الفراء أساسا على التحرر من قيود العصبية المذهبية ، فهو ينزع منازع أهل البصرة حينا . كما ينزع منازع أهل الكوفة أحيانا ، لهذا رأيناه يمزج بين المذهبين ويختار أحسنهما فى نظره ، وأقربهما إلى منهجه الخاص ، ذلك الذى رأينا فيه كل مقومات المذهب البغدادى . فقلنا إنه هو المؤسس الحقيقى لهذا المذهب الجديد . وما المذهب البغدادى إلا :

(١) تحرر .

(٢) ومزج .

(٣) وتجديد .

وتلك هى مقومات مذهب الفراء ، فقد رأينا فيما سلف كيف تحرر من العصبية المذهبية ، و لم يتقيد بالمذهب الكوفى بل خرج عنه إلى مذهب البصريين ،

---

(١) انظر شرح الرضى على الكافية ٢/٢٨٧ .

(٢) انظر الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى مسألة ٢٣ و ٣٤ مثلا وانظر مثلا مجالس ثعلب ص ١٢٧ أو ٢٥٩ و ٢٦٠ وانظر شرح المفصل لابن يعيش جـ١ ص١٠٤ فى الحديث عن حذف خبر (ان) .

ولم يكن خروجه مجرد مخالفات جزئية كما رأيناها عند سابقيه من الفريقين[1]، بل كان خروج من يرسم معالم الطريق لتأسيس مذهب جديد، فلايقف عند حد الخلط بين المذهبين، بل يضع الأصول العامة التى يقوم عليها التخطيط الجديد. ثم هولا يبالى أن تتفق مع هذا المذهب أو ذاك، أو أنها تختلف معهما جميعا، فكل الذى يعنيه هو أن يرسى قواعد هذا المذهب الجديد. وهذا هو النهج الذى مازه عن غيره من سابقيه ولاحقيه، ومن هنا قلنا: إنه هو المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى.

هذا هو الذى يتفق تمام الاتفاق مع الخط الرئيسى فى شخصية الفراء وهو الاعتدال فى كل شيء، اعتدال يقوم على تحرر عقلى يرتكز على دعائم من تراث السالفين، وما المذهب البغدادى إلا اعتدال بين المتطرفين من هؤلاء وأولئك، ثم هو يرتكز على تراث المذهبين (البصرى والكوفى) معا.

هذا إلى أننا رأينا فيما أسلفنا، كيف كان الفراء ينتفع بالمذهبين المختلفين بين أهل السنة والاعتزال، ثم يختط لنفسه منهجا جديدا وهو منهج الاعتدال، وكذلك فعل فى مسلكه بين الشيعة وأهل السنة، ثم رأيناه فى منهجة التفسيرى يلتزم نفس المسلك، وحين استوى لنا الدليل هناك، قلنا إنه (سلفى متحرر) فظهور هذا الخط الرئيسى فى مذاهبه المتعددة يظهرنا على أن الفراء كان متسق الشخصية، كما يؤيد مانحن بصدده الآن وهو أنه مؤسس المدرسة البغدادية. فليست المسألة مسألة خلافات ظاهرية بينه وبين البصريين والكوفيين، وإنما هى مسألة خلاف فى التكوين الداخلى لشخصية الرجل وتفكيره ومنهجه الذى رأيناه متسقا فى مذاهبه المتعددة. وهذا فى نظر الباحث أكبر الأدلة على تأييد نظريتنا أو وجهة نظرنا فى أنه كان المؤسس الحقيقى للمذهب.

وأعود فأقول: لست أدعى أننى أول من سبق إلى لمح هذه النظرية بل سبقنى إلى هذا اللمح كثيرون، ولهم علىَّ فضل السبق، غير أن الفارق بينى

---

(1) انظر مبحث (تدرج المذهب البغدادى).

وبينهم أن أحدا منهم لم يستطع أن يتعرف على كنه هذه النظرية ، فكل الذى يلمحه هو أن الفراء يخالف معاصريه وسابقيه مخالفة تغاير جميع المخالفات وتستحق أن تكون مذهبا جديدا ـ إنما ما كُنه هذا المذهب ؟ وما خصائصه التى تميزه عن المذهبين القائمين ؟ فذلك ما لم يتعرف عليه أحد من السابقين .

كما أن أحدا منهم لم يتبنّ هذه الفكرة ، فيتخذ منها نظرية علمية يؤيدها بالحجج والبراهين على ضوء منهج البحث الحديث من تتبع تاريخها ونشأتها وتطورها وبيان خصائصها ومقوماتها إلى آخر ما رأيناه فى هذا المبحث .

وعذرهم فى ذلك كما أسلفت أنهم لم يطلعوا على آثار الفراء كما اطلعت ، لسبب أو لأكثر ، ولو أنهم قد اطلعوا لانتهوا إلى مثل ماانتهيت إليه ، وهو أن أبا زكريا يحيى ابن زياد الفراء هو المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى .

شبهة :

بقى علينا أن نزيل شبهة ربما تعلق ببعض الأذهان . وتتمثل فى أنه إذا كان بغدادى المذهب ـ كما نقول ـ فلم كان يسمى بالكوفى إذن ؟

وللرد على هذه نقول : إنه ليس بلازم أن يسمى الإنسان بمذهبه . هذه واحدة وأخرى أن الكوفة هى مسقط رأسه ومدرج صباه ، ومسرح شبابه فانتسابه إليها إنما هو انتساب إلى موطنه الأصلى من حيث المولد والنشأة ، ولا يعنى أبدا انتسابه إلى مذهبه النحوى .

وثالثة أن القدماء الذين نسبوه إلى الكوفة لم يكن قد تبلّر فى أذهانهم هذا المذهب الجديد الذى اختطه الفراء بعد ذهابه إلى بغداد .

هذا إلى أنهم كانوا يطلقون عليه (البغدادى) فى بعض الأحايين ، من ذلك مانراه فى شرح المفصل لابن يعيش حين قال : « وقد استغرب البغداديون بناء ميت وهين فذهب بعضهم إلى أنه فيعل . . . . . وذهب الفراء منهم إلى أنه فعيل . . . . . » وشاهدنا فى هذا أنه جعل الفراء من البغداديين ، ولست

أزعم أنه لحظ المذهب النحوى ، وإنما هى نسبة إلى البلدة التى اتخذها الفراء موطنا ثانيا فى أخريات حياته كما سبق به البيان .

فليست النسبة فى هذه أو تلك نسبة إلى المذهب وإنما هى نسبة إلى الموطن أو على الأقل كانوا يلحظون فيها النسبة إلى البلدة أكثر مما يلحظون النسبة إلى المذهب ويؤنسنى فى ذلك قول الأخفش عن الكسائى : إنه (بغدادى) فيما يرويه الزبيدى حين تعرض للمناظرة التى جرت بين سيبويه والكسائى :

« قال الأخفش : فلما دخل (سيبويه) إلى شاطئ البصرة وجه إلى فجئته فعرفنى خبره مع البغدادى[1] » يقصد الكسائى . وهو يعنى النسبة إلى البلدة التى استوطنها وإن كانت الوطن الثانى له — أكثر مما يعنى النسبة إلى المذهب — بل إنه لايعنى النسبة المذهبية فى قليل ولاكثير ، بدليل أن المذهب البغدادى لم يكن قد استقل بعد ، فضلا عن أن الكسائى لم يكن من رجالاته .

كما أننى رأيت صاحب التهذيب يجعل الكسائى والفراء معا من أهل بغداد فيقول : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائى والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس[2] » .

ثم جاء من بعده أبو على الفارسى فأطلق عليهما هذه النسبة حين قال : « ومن كلام أهل بغداد الكسائى والفراء نحن جئناك به . . . . الخ[3] » .

ويتضح من هذا وذاك أن النسبة إلى بغداد أو الكوفة لم تكن تعنى النسبة المذهبية على وجه الخصوص ، وإنما تجىء اتفاقا لاعمد فيه . ولهذا ينبغى علينا أن نتلقى تسمية الفراء بـ(الكوفى) . على أنها من قبيل النسبة إلى الموطن الأصلى. وبهذا تزول الشبهة التى قد تعلق بأذهان بعض الباحثين .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٧١ ـ الطبعة الأولى (ترجمة سيبويه)

(٢) تهذيب التهذيب ٢١٢/١١ .

(٣) الحجة لابى على الفارسى ٩٢/١ نسخة مراد ملا .

تقويم المذهب :

لما كان مذهب الفراء يقوم أساسا على المذهبين (البصرى والكوفى) فإن منهج البحث يقتضينا أن نقوّم هذين المذهبين ، لنرى فى ضوء ذلك تقويم مذهب الفراء .

وقد اختلف القدماء كما اختلف المحدثون فى : أىّ المذهبين أقوم وأهدى سبيلا وسنورد بعض ماقيل فى ذلك ، ثم نكر عليه ببيان المنهج اللغوى السليم . قادرين ماللأوائل من فضل وإن حادوا عن الطريق المستقيم .

من آراء القدماء مايأتى :

(ا) يقول السيوطى : « اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا ، لأنهم لايلتفتون إلى كل مسموع ، ولا يقيسون على الشاذ ، والكوفيون أوسع رواية »[1]

(ب) وفى موطن آخر من كتاب الاقتراح أخذ يعيب على الكوفيين منهجهم فى الاهتمام بكل مسموع فيقول : « لوسمعوا بيتا واحدا فيه جواز شىء مخالف للأ ول جعلوه أصلا وبوّبوا عليه »[2] .

(ح) وفى كتاب الهمع طفق يندد بمنهج الكوفيين فيقول : «إذا سمعوا لفظا فى شعر ، أو نادر كلام جعلوه بابا »[3] .

أما أقوال المحدثين فمنها مايأتى :

(ا) يقول المشتشرق(جوتولدفايل) حينما تعرض لمنهج الكوفيين والقراء: « كثيرا ما أعانوا العقل الإنسانى السليم على أن يحصل على حقه إلى جانب

---

(١) انظر الاقتراح ص ١٠٠ .
(٢) نفس المصدر ص ٨٤ .
(٣) همع الهوامع ١/٤٥ .

تفسيرات البصريين الفنية العقلية ، وتعليلاتهم المنهجية الصناعية »[1] .

(ب) أما المرحوم أحمد أمين فيرى: أن البصريين « أكثر حرية ، وأقوى عقلا ، وطريقتهم أكثر تنظيما ، وأقوى سلطانا على اللغة ، والكوفيون أقل حرية وأشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً[2] ».

(حـ) ويرى بعض المحدثين أن البصريين « يقفون عند الشواهد الموثوق بصحتها الكثيرة النظائر ، ولذا كانت أقيستهم وقواعدهم أقرب إلى الصحة ، وكانوا يؤولون ماورد مخالفاً للقواعد ، ويحكمون بأنه شاذ أو مصنوع ، ولذا كثر عندهم ما قل عند الكوفيين من التأويل ، والحكم بالشذوذ وبالضرورات[3] » .

(د) ويقول بعض الدارسين ينعى على منهج الكوفيين فى الاعتداد بكل مسموع : « إن الكوفيين بعملهم هذا قد فتحوا بابا واسع الفوهة على أنفسهم فهم إذن أقاموا لكل مسموع وزنا ، والمسموع فى اختلافه لايقف عند نهاية »[4] .

(هـ) ويرى بعض المحدثين : « أن نحاة الكوفة كانوا يلمحون الطبيعة اللغوية ، ويمتازون بفهم العربية فهما لايقوم على افتراضات وتكهنات ، أو استهداء بقوانين العقل ، وأصول المنطق ولكنه يقوم على تذوق اللغة وحس بطبيعتها[5] .

---

(١) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار ـ مخطوطة تحت الطبع .

(٢) انظر ضحى الاسلام ص٢٩٦ .

(٣) انظر القواعد النحوية ص ٧٣ .

(٤) نشأة النحو ص ١١٢ ط الرابعة .

(٥) مدرسة الكوفة ص ٤٣٢ ط بغداد للدكتور مهدى المخزومى .

ذلك بعض ماكان من آراء القدامى والمحدثين وباستعراضها وفحصها نستخلص منها ما يأتى :

١ – فريق يفضل المذهب البصرى على الكوفى ، ويعتمد فى هذا التفضيل على أن البصريين لايلتفتون إلى كل مسموع ، بل يعتمدون على الكثير ويجعلونه أساساً للتقعيد ويتحكمون فى اللغة ، فى حين أن الكوفيين على العكس من ذلك يهتمون بكل ماسمع من العرب مهما خالف القواعد والأصول الغالبة ، ويجعلونه قاعدة جديدة . فالتفضيل يقوم على أساسين هما :

(ا) عدم التفات البصريين إلى كل ما سمع من العرب.

(ب) تحكمهم فى اللغة واخضاعها لسلطان العقل والمنطق .

٢ – وفريق آخر يؤيد المنهج الكوفى ويرى أنه أعان العقل البشرى على تذوق العربية بعيداً عن التكهنات والافتراضات العقلية المنطقية ، كما أنه يمتاز بكثرة الرواية والاستقراء ، ولو أنه استقراء ناقص إلا أنه استقراء أوسع من استقراء البصريين على أية حال .

مناقشة :

وأبادر فأقول : إن المذهب الكوفى أقرب إلى المنهج اللغوى السليم من المذهب البصرى وإن كان به نقص كبير كما سيأتى بالتفصيل .

غير أن العجيب هو موقف بعض الباحثين من القدامى والمحدثين حين اختلّت لديهم موازين التقويم فجعلوا العيب ميزة عند البصريين . والميزة عيباً عند الكوفيين ، وتوضيح ذلك يتمثل فى مناقشة أساسى التفضيل وهما .

أولا – عدم الالتفات إلى كل ماسمع عن العرب : جعلوه ميزة للبصريين حين عابوا على الكوفين اهتمامهم بكل مسموع ، ومادروا أن المنهج اللغوى السليم يقضى باستقراء كل ما ورد عن العرب . وعلى ضوء هذا الاستقراء التام توضع القواعد والقوانين ، وإلا جاءت مضطربة متناقضة كما تراها قواعدنا اليوم نتيجة الاستقراء الناقص ، وأشياء أخر سنعرض لها فيما يأتى عن قريب.

فالبصريون لم يكتفوا بما ضاع من الثروة اللغوية كما يقول أبو عمرو بن العلاء :

« ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير[1] »وقريب منه ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه[2] ، لم يكتفوا بذلك بل راحوا يبترون أجزاء كثيرة من اللغة ، ويرفضونها بحجة أنها لا تتفق مع القواعد ونسوا أوتناسوا أنهم الذين صنعوا هذه القواعد دون استقراء تام مما لايتفق مع المنهج اللغوى السليم فى قليل ولاكثير. وترتب على هذا التقعيد الناقص أنهم خطئوا العرب كما تجرءوا على تخطىء القرآن الكريم فى أعلى قراءاته السبعية ويشاركهم فى هذا أبو زكريا الفراء استجابة لنزعته البصرية كما سبق به البيان .

ومن قال: إن العربى يخطئ فضلا عن القرآن الكريم وقد نزل بأفصح اللغات ؟ صحيح أن بعض الباحثين من القدامى والمحدثين يرون خطأ العربى ، ولكننى أرى غير ذلك ، لأننا نأخذ اللغة من أفواه العرب ، فإذا كنا نخطِّئ العربى فى لغته فممن نأخذ اللغة إذن ؟

ثم تعالوا بنا نتساءل ، على أى أساس حكموا بخطأ العربى ؟

إن قالوا: إننا حكمنا بخطئه حين رأينا قوله يخالف القواعد ، قلنا لهم: إن هذه القواعد هى الخاطئة ، فقد صنعها النحاة بأيديهم صنعاً فاسداً لايقوم على استقراء تام طبقا للمنهج اللغوى السليم .

وإن قالوا : إننا حكمنا بخطئه حين رأيناه يخالف اللغة الفصحى ، قلنا لهم هذا حكم فاسد، فلغات العرب ولهجاتهم[3] قد تعددت ، وليس لنا أن

---

(١) غيث النفع للصفاقسى ص ١٠٠ ط الحلبى سنة ١٣٤٦ هـ وانظر طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ص ١٦ .

(٢) غيث النفع ص ١٠ ط الحلبى .

(٣) انظر الفرق بين اللهجات واللغات فى كتاب (اللهجات العربية) ص ١١ مطبعة الرسالة للدكتور ابراهيم أنيس .

نحكم لغة فى لغة ، بل علينا أن نقيم لكل لغة وزنها . ونضع لها قواعدها الخاصة بها فى ضوء المنهج اللغوى السليم ، ثم لاعلينا إن تعددت هذه اللغات ، وبالتالى تعددت قواعدها ، وإنما علينا أن نختار منها ما نشاء ثم ندع مالانريد على ألا نخلط بين لغة وأخرى . ذلك هو المنهج اللغوى السليم ، ولكن الأوائل رضى الله عنهم فاتهم ذلك لسبب أو لأكثر فجاءونا بخليط من اللغات واللهجات يتآلف حينا ثم يتنافر أحيانا ، ثم لايستطيعون إلا أن يحكموا بالخطأ تارة وبالشذوذ أخرى وبالضرورة طورا ! إلى آخر ما هنالك من أسلحة بتارة أعملوها فى جسم اللغة العربية ، أو بعبارة أدق فيما تبقى من جسمها بعد أن ضاع منها الشىء الكثير .

وقد أنكر ابن جنى على من يخطئ العربى فقال تعقيباً على مقالة أبى عمرو بن العلاء تلك التى رأيناها منذ قريب « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله . . . . الخ » قال ابن جنى :

« إذا كان الأمر كذلك ، لم يقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ[1] » لهذا لا أوافق من وافق البصريين والفراء على تخطىء العربى الفصيح وأرى أن منهج الكوفيين فى هذه الزاوية كان أسلم وأحكم .

ثانيا : التحكم فى اللغة وإخضاعها لسلطان العقل والمنطق : رأينا بعض الباحثين يمتدح البصريين فينعتهم بأنهم كانوا « أقوى سلطانا على اللغة »[2] أى أنهم كانوا يخضعونها لسلطان العقل والمنطق ، وما درى أن هذا لايتفق مع المنهج اللغوى السليم ، فللغة منطق خاص ، قد يتفق مع منطق العقل وقد يختلف معه ، وفى هذا يقول (فندريس) « وليست اللغة منطقية دائماً ، وكل منا يتألف من ذكاء ، وإرادة وحساسية وفى كثير من الأحيان نستطيع أن نلحظ

---

(١) الخصائص جراص ٣٩٢ فما بعدها ، وانظر غيث النفع ص ١٠٠ ط الحلبى .

(٢) ضحى الاسلام ص ٢٩٦ .

فرقا بين لغة العقل والمنطق، ولغة الإرادة والرغبة، ولغة الانفعال والحساسية[1]» فهى تختلف اختلافاً بينا عند الشخص الواحد فى حالاته المتعددة ، فقد تكون منطقية تساير العقل والمنطق ، وقد لاتكون فتساير الانفعالات النفسية دون نظر إلى الاعتبارات المنطقية ، هذا بالنسبة للفرد فما بالك بالجماعة ، وقد قالوا : إن اللغة ظاهرة اجتماعية[2] يسيطر عليها عقل الجماهير ، والجماهير لاتدرك القوانين المنطقية .

يقول بعض الباحثين : « إن اللغة ظاهرة اجتماعية لم يضعها الأفراد ، ولكن خلقتها طبيعة الاجتماع ، ولم ينظمها العقل الفردى ، بل أشرف عليها عقل الجماعة التى لاتدرك الأدلة المنطقية بحال. بل التى يصح فيها القول بأنها لاتعقل ولاتتأثر بالمعقول ، والدرس اللغوى يطمئن إلى أن التغيرات اللغوية تتم بطريقة آلية مستقلة عن إرادة المتكلم بها ، بل بغير شعور منه ، وأن تطور اللغات يتم بفعل تيارات اجتماعية مسيطرة »[3] .

نماذج خروج اللغة عن المنطق :

ومن نماذج خروج اللغة عن منطق العقل إلى منطقها الخاص ، ظاهرة (العدد والمعدود) وظاهرة (الشخص) وتقسيمه إلى متكلم ومخاطب وغائب ، وظاهرة (التوافق السياقى) فى تأنيث الفعل وتذكيره ،وإليك الأمثلة .

(ا) يقول بعض الباحثين فى ظاهرة العدد والمعدود « ربما كانت العلاقة بين العدد والمعدود فى اللغة العربية من أوضح الدلالات على خروج الظواهر اللغوية على المنطق العقلى ، فنحن إذ نعد الأقل من العشرة نميز العدد بالجمع، فنقول ثلاثة رجال، فى حين أنا مع الأعداد التى فوق العشرة تكتفى بالمفرد ،

اللغة ـ فندريس ـ ترجمة الدكتور القصاص والاستاذ عبد الحميد الدواخلى ص ١٨٢

(٢) انظر مثلا منهج البحث فى الادب واللغة ـ لانسون ومايير ص ٦٢ ط بيروت . وانظر اللغة والمجتمع للدكتور وافى ص ٩١ ط سنة ١٩٥١ م .

(٣) الاجتهاد فى النحو ص ٩ للاستاذ أمين الخولى .

فنقول : مائة رجل ، وألف امرأة ، وذلك لأن الاقتصاد فى الاستعمال اللغوى قد يسيطر على كثير من ظواهر اللغة حين لا يكون هناك لبس أو إبهام وهو اقتصاد محمود ، لايعد نقصاً فى تلك اللغة التى تلجأ إليه . . ومهما أجهد اللغويون أنفسهم فى تبرير مثل تلك الاستعمالات فلن يستطيعوا إنكار أنها لاتمت للمنطق العام بصلة ، وذلك لأن للغات منطقها الخاص[1] » .

(ب) أما ظاهرة (الشخص) وانقسامه إلى ثلاثة أقسام فى اللغة العربية (المتكلم والمخاطب والغائب) ثم انقسامه إلى سبعة أشخاص فى لغة أخرى ، ثم انقسامه فى لغة (فيجى) إلى خمسة عشر شخصاً ، فكل ذلك يدلنا على أن اللغة لا تخضع للمنطق العقلى وإنما تخضع لمنطق آخر ، ولكل لغة منطقها الخاص لأنها ظاهرة اجتماعية ، والمجتمعات تختلف من مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان . وفى هذا يقول بعض الباحثين . « ولايظن القارئ أن الشخص ينقسم إلى هذه الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) فى الإفراد والتثنية والجمع فحسب ، فهناك إمكانيات كثيرة أخرى ، فالشخص فى بعض اللغات ذو أقسام سبعة ، وفى لغة جزيرة (فيجى) فى جنوب المحيط الهادى . . خمسة عشر شخصاً ، ويوضح هذا مرة أخرى مدى الحاجة إلى علاج كل شىء على علاته لا على أساس المنطق[2] » .

(حـ) وفى موطن آخر يقول تحت عنوان (مظاهر التوافق السياق) : ... «فالتذكير والتأنيث نواح تطريزية تقسيمية خلافية ، للتفريق بين طائفتين من الكلمات من ناحية ساوكها فى السياق . . فالفعل يؤنث جوازاً مع كل أنواع الجموع حتى جمع المذكر السالم فى رأى الكوفيين ، ومع بعضها الذى

---

(١) من أسرار اللغة ص ٨٧ فما بعدها للدكتور ابراهيم انيس .

(٢) منهج البحث فى اللغة ص ٢٢١ للدكتور تمام حسان .

يشمل جموع تكسير المذكر أيضاً فى رأى غيرهم ... فارتباط التذكير والتأنيث النحوى إنما يكون باعتبارات تختلف فى لغة عنها فى الأخرى . . (فهو) إذن تطريز اجتماعى يتفق أحياناً مع الواقع ،و يختلف أحياناً أخر ى [1] » فليس من المنطق فى شىء أن يؤنث المذكر ، أويذكر المؤنث ، ولكن اللغة لها منطقها الخاص . غير أن البصريين لايعترفون بذلك كما اعترف الكوفيون وأجازوا تأنيث الفعل مع جمع المذكر ، فترى البصريين يمنعون هذا ويحاولون إخضاع اللغة للعقل والمنطق مع أن طبيعتها تأبى الخضوع . كما أنه ليس من المنطق فى شىء أن تكون الكلمةالواحدة مذكرة تارة ، ومؤنثة أخرى ، وذلك فى (جمع الجنس) كالنخل مثلا ، فإنه يجوز فيه التذكير والتأنيث ، وكلاهما جاءفى التنزيل : قال تعالى فى تأنيثها (كأنهم أعجاز نخل خاوية) [2] ، ثم قال فى موطن آخر (كأنهم أعجاز نخل منقعر)[3] بالتذكير [4] .

على أن البصريين ومن لف لفهم أرادوا أن يخضعوا اللغة من زاوية أخرى لمنطق (أرسطو) ، فهم يصرون على أن تكون كل جملة مكونة من مسند ومسند إليه ، ولهذا قدروا محذوفاً يتعلق به الظرف ليكون خبراً فى مثل قولهم (محمد عندك) : ورفضوا أن يؤدى الظرف هذه الوظيفة ، فى حين أنه يستطيع أداءها ولاحاجة مطلقاً لأن نحدث تأويلا فى الجملة لاتدل عليه[5] ، وذلك لأنهم لم يعرفوا الجملة الناقصة ، ويرونها فى النداء مثل(يا محمد) فيقدرون (أدعو) محمداً ، وكذلك تحية وسلاماً ، وصبراً وشكراً ، فيقدرون الفعل لإعراب الاسم ولاوجه له ، وإنما هى جملة ناقصة ، والاسم استعمل

---

(١) منهج البحث فى اللغة ص ٢١٥ للدكتور تمام حسان .

(٢) سورة الحاقة آية (٧) .

(٣) سورة القمر آية (٢٠) .

(٤) انظر فى هذا حديثا مفصلا فى كتاب المخصص لابن سيدة جـ ١٦ ص ١٠٠ فما بعدها.

(٥) انظر الرد على النحاة ، ص ٦٤ من المدخل للدكتور شوقى ضيف .

بدلا عن الفعل فصار منصوباً، ومنه مثل لابأس ولاضير[1] ، « فلو عرفوا أن من الممكن أن توجد تراكيب ناقصة التكوين تفيد معنى كالجملة الكاملة تماماً ، ولكنها لاتتكون من مسند ومسند إليه لأراحوا أنفسهم من تقدير عوامل لاموضع لها فى التركيب ولاتزيد التركيب إلا مسخاً وتشويها[2]».

كما أنهم أخضعوها للتعليلات الفلسفية مثل الذى نراه فى كتاب الإنصاف لابن الأنبارى وغيره من مطولات النحو وحواشيه .

كما أنهم شطروا القياس شطرين (ا) قياس لغوى و (ب) قياس صناعى . أما القياس اللغوى فمنه مثلا أن يقيسوا مصدر فعل لم يسمع على مصدر فعل آخر قد سمع ، وذلك لاضير فيه ، بل إنه من عوامل النمو اللغوى[3] . وقد ضرب الفراء بسهم وافر فى هذا فسبق جميع النحاةحين جعل مصدر الثلاثى قياسياً . كما بينت ذلك فى موطنه من البحث. وأما القياس الصناعى فذلك الذى نعنيه حين نتحدثعن إخضاع اللغة لغير منطقها الطبعى.

وفى هذا يقول بعض الباحثين : « إنما نشير . . . إلى ذلك القياس المصنوع الذى كثيراً ما يتحدثون عنه من مثل قولهم: أعرب المضارع قياساً على الاسم . . . الخ . . . ، أو قولهم: نصبت (لا) النافية للجنس الاسم، ورفعت الخبر قياسا على (إنَّ) لمشابهتها إياها فى التوكيـد ، إلى غيرذلك من أمور ليست إلا صناعة نحوية ولاتمت للقياس اللغوى الحقيقى بصلة ما، لأنها من علل النحاة المخترعة التى ادعوا ظلما وتجنيا أن العرب راعوها فىالتفرقة بين الأساليب،وعمدوا إليها عمدا ، كأنما كان كل العرب الأقدمين علماء فى النحو؛ يدركونعلله وحياله كما أدركها أصحاب النحومنالمتأخرين[4] » وقد رأينا أن الفراء شارك أيضاً فى هذا اللون مشاركةفعالة استجابة لنزعته الصناعية ، وتحقيقاً لمنهجه فى الجمع بين المذهبين ـ كما سبق به البيان ،

---

(١) انظر احياء النحو ص ١٤٢ ط سنة ١٩٥١ م .

(٢) المدخل للدكتور عبد المجيد عابدين ص ١١٩ .

(٣) انظر (من أسرار اللغة) للدكتور ابراهيم أنيس ص ١٤ فما بعدها ط الثانية .

(٤) نفس المصدر .

وليته مافعل ، وليتهم مافعلوا ، فقد حادوا عن الطريق السوى فى المنهج اللغوى ، ذلك الذى يقضى بأن اللغة تفسر ولا تُمنطَق .

هذا هو تقويم منهج البصريين ، ومن خلاله رأينا تقويم منهج الفراء فى نزعته البصرية .

أمامنهج الكوفيين فكان أقرب إلى المنهج السليم كما أسلفت ، وذلك لأنهم أكثروا من الرواية حين اعتمدوا كل ماسمعوه من العرب ، كما أنهم لمحوا طبيعة اللغة فابتعدوا عن فلسفتها ، وأبرز مثل لهم شيخهم الكسائى حين سئل عن فلسفة (أى) فتوقف وقال (أى كذا خلقت) ، كماسلف به البيان .

وقد شاركهم الفراء فى هاتين الصفتين ، ونزع منزعهم فى مواطن متعددة كما رأينا سابقاً ، غير أنه كان ينزع مع هذا إلى مذهب البصريين فى فلسفتهم النحوية فخلط عملا صالحا وآخر سيئا .

هذا إلى أن الكوفيين قصروا عن المنهج السليم فلم يبلغوا شأوه كله ، وسأوضحه بعد قليل .

وخلاصة القول فى مذهب الفراء :

أنه كان صورة صادقة للمذهبين جميعاً ، تمثلت فيه خصائص كل من المدرستين بحسناتها وسيئاتها ، ثم أضاف إليها من ذات نفسه خصائص منهجية شهدنا له فيها بالسبق والفَوْق مثل :

(١) استلهام روح العربية فى تفسير الظواهر اللغوية ، كما أنه حمل العربية على الألفاظ والمعانى جميعاً ، فبرع واستحق التقدمة على سيبويه فيما يرويه الزبيدى [1].

---

[1] انظر طبقات الزبيدى ص ١٤٣ فما بعدها ـ الطبعة الأولى .

(٢) انتحاء المنحى العقلى فى الضبط والتقعيد فكان أول من سبق إلى وضع القوانين العامة ، والأصول النحوية[١] ، وذلك نهج قويم يتطلبه المنهج العلمى ، ضبطاً للغة من جهة ، وتيسيراً للدارسين من جهة أخرى .

(٣) اعتماد مصدر عظيم من مصادر اللغة وهو الحديث النبوى الشريف، فقد احتج به واعتمده مخالفا بذلك مذهب البصريين والكوفيين على السواء كما سبق .

وهذا جدير بالتقدير ، وبخاصة فيما يتعلق بالأحاديث التى ثبتت صحتها كما ثبت نقلها بلفظها ، ولو كانت من لفظ الصحابى العربى ؛ لأنه يؤخذ بقوله كما يؤخذ بقول سائر العرب والأعراب ، على أن صاحب غيث النفع يرى أن الأصل فى الأحاديث نقلها بلفظها ، وفى هذا يقول :

« وأما الأحاديث فالأصل نقلها بلفظها ، وادعاء أنها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت إلا بدليل ، ومن مارس الأحاديث ورأى تثبت الصحابة والآخذين عنهم رضى الله عن جميعهم وتحريهم فى النقل حتى إنهم إذا شكوا فى لفظ أتوا بجميع الألفاظ المشكوك فيها ، أو تركوا روايته بالكلية ، علم علم يقين أنهم لا ينقلون الأحاديث إلا بألفاظها[٢] » .

ثم إنه مع هذه المميزات لم يستطع أن يصل إلى المنهج اللغوى السليم كما لم يستطعه أحد من البصريين أو الكوفيين ، وقد آن لنا أن نرسم هذا المنهج السليم فإليك البيان :

المنهج اللغوى السليم :

أولا — ينبغى قبل تقعيد القواعد أن يُفصَل بين الشعر والنثر نهائياً ، إذ أن خصائص الشعر تختلف إلى حد ما عن خصائص النثر[٣] ، فلكل منهما

---

(١) انظر مبحث (منهجه فى التأليف) .

(٢) غيث النفع للصفاقسى ص ١٠١ ط الحلبى سنة ١٣٤٦ هـ .

(٣) انظر ص ٢٥١ من أسرار اللغة — للدكتور ابراهيم أنيس .

قواعده الخاصة به . وذلك ما لم يفعله أحد من القدماء مع أنهم لحظوا ملامح هذا الاختلاف[1]

ثانياً – الاستقراء التام لجميع لهجات العرب قبل البدء فى التقعيد ، أو بعبارة أدق ، لجميع اللغات العربية التى كانت سائدة فى ذلك العهد .

ثالثاً – الفصل بين كل لغة وأخرى ، واستنباط قواعدها الخاصة بها، دون خلطها بسائر اللغات ، وهذا الاختصاص لايمنع من الدراسة المقارنة بينها وبين أخواتها من لغات العرب ، فان الخلط شيء والدراسة المقارنة شيء آخر .

رابعاً – قبل البدء فى وضع أية قاعدة لأية لغة من اللغات ينبغى أن تقوم دراسةٌ مقارنة بين هذه اللغة العربية ، وبين أخواتها من اللغات السامية الأخرى ،إن الدراسة المقارنة تظهرنا على كثير من الخصائص المشتركة بين بنات الفصيلة الواحدة وهذا يمكّننا من تفسير الظواهر اللغوية تفسيراً علمياً دقيقاً .

خامساً – إذا حالت الحوائل دون التقعيد لكل لغة على حدة ، لكثرة اللغات وتشعبها يكتفى بوضع القواعد للغة النموذجية فقط تلك التى يلتزمها الناس فى المجال الجدى من القول[2] وفى الآثار الأدبية من النثر الفنى .

تلك هى الخطوط الرئيسية للمنهج اللغوى السليم فى تقعيد القواعد ، ولئن كانت الحوائل قد حالت بين أسلافنا الأوائل وبين تحقيق هذا المنهج السليم فإن ذلك لايثنينا عن شكرهم وتقدير جهودهم التى بذلوها – مخلصين – فى خدمة اللغة العربية ابتغاء خدمة القرآن الكريم ، وينبغى ألا ننسى فارق الزمن ، وما جد بعدهم من معارف ومناهج .

---

(١) قد تنبه الفراء لذلك كما سبق فى مبحث (آثار الفراء) .

(٢) انظر اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ص ٢٤ ، وانظر (علم اللغة) للدكتور وافى ص ٢١١

غير أن هذا التقدير ينبغى كذلك ألا يسلمنا إلى التسليم ، والاستكانة إلى قول القائل : ليس فى الإمكان أبدع مما كان . فتلك خلة مميتة لنا وللغتنا ، وإنما يجب أن ننهض متضافرين لتطبيق هذا المنهج السليم على لغتنا بعد تعديله لمن يرى فيه تعديلات أو إضافات أخرى تعين على تخليص اللغة مما لحقها من شوائب واضطراب باعد بينها وبين أبنائها من العرب فضلا عن الغرباء ، فى حين أننا نود لها أن تغزو المجالات الدولية ، وأن تنتشر فى أرجاء المعمورة وبخاصة فى البلاد التى بدأت تتلفت إلى وثبتنا الحديدة فى نهضتنا الحاضرة ، وتسعى جاهدة لتوثيق الصلات بينها وبين العرب .

وسبيلنا إلى تحقيق هذا المنهج لايتأتى إلا بتضافر الجهود من جديد وذلك بأن تتولى هيئة رسمية مثل المجامع العربية ، أو الجامعات العلمية تخصيص طائفة من أعلامها ، وتفريغهم لهذه المهمة الضخمة مع إمدادهم بكل ما يحتاجون إليه علمياً ومادياً للإنفاق على هذا المشروع بسخاء - كما ينفق على أى مشروع علمى يتصل بالطاقة النووية مثلا .

ويمكن لهذه اللجنة أن تجند النابهين من طلاب الأقسام العربية بالكليات المختلفة أو ممن تأنس فيهم روح الجد والمثابرة فى البحث والتنقيب لجمع المواد الأولية من بطون الكتب ، وذلك باستخراج كل لغة من لغات العرب على حدة مثل لغة تميم وقيس وأسد وهذيل الخ .. .. يجمعون كل ذلك من المعاجم اللغوية مثل القاموس وتاج العروس ولسان العرب ... إلى آخر ما هنالك من معاجم صغيرة كانت أو كبيرة ، ثم يتجهون إلى الكتب الأخرى التى عنيت بالدرس العربى مثل كتب النحو والصرف واللغة بوجه عام ، وكذلك كتب الطبقات على اختلافها ، وكتب القراءات الخاصة باللهجات إلى غير ذلك من ألوان العلوم المختلفة ، ينفضون كل ذلك نفضا ، ويستخرجون ما جاء به من اللغات واللهجات لايغادرون منها مخطوطاً ولامطبوعا ، كما أنهم لايتركون مخطوطة فى العالم إلا صوروها واستخرجوا مافيها ، مستعينين فى ذلك بجهود البعثات الرسمية التى خصصت لهذا الغرض ، مع السعى الحثيث لمضاعفتها إنجازا لهذا العمل الضخم .

وأحسب أنه بعد هذا وذاك يتجمع لدى الباحثين قدر كبير من اللغات واللهجات يصلح لأن يكون أساساً للدرس والتقعيد من جديد ، ولنقتصر مبدئيا على تقعيد اللغة النموذجية بعد تنقيتها من اللهجات الأخرى فى ضوء مارأيناه من منهج البحث اللغوى السليم .

ربما كان هذا الاقتراح أشبه ما يكون بالأمانى والأحلام ، ولكنه هو الوسيلة إلى تحقيق المنهج اللغوى ، ثم هو على أية حال أقرب من دعوة أستاذنا الخولى إلى جمع اللغات من الحفريات فى الجزيرة العربية فربما تكون هناك نقوش خلفها العرب كما كانت تفعل بعض الأمم [1] :

ثم من يدرى لعل هذه الأمانى تصبح حقيقة واقعة فنحن فى عصر المعجزات ، وما ذلك على الله بعزيز .

من آراء الفراء فى النحو :

يطول بى المقام لوعرضت كل ما وقفت عليه من آراء الفراء فى النحو ، وما أكثرها إلا أنها مشتتة فى بطون الكتب ، لم تجمع بعد فى كتاب ، ولعل الأيام تسعف الدارس بإخراجها فى كتاب مستقل بعد تصنيفها ومقارنتها بآراء النحاة الآخرين ، وتقويم كل جزئية منها تقويما مستقلا بعد أن رأينا تقويم المذهب الكلى ، وهو موضوع البحث . غير أننى لا يفوتنى أن أشير إلى بعض المواطن عساها تنير الطريق أمام الباحثين فى الدراسات النحوية على وجه العموم ، كما أنها تظهرنا على مدى الجهد الذى بذله الدارس فى تجميع الآراء ليستنبط منها مذهب أبى زكريا الفراء .

تناول الفراء جميع أبواب النحو ، وتحدث فيها حديثا مستفيضا ، لأنه كان يبنى مذهبا جديدا ، غير أن بعضها وصل إلينا منسوبا إليه صراحة ، وبعضها الآخر نسب إلى الكوفيين بعامة مع أنها هى للفراء وحده ، من ذلك

---

(١) انظر الاجتهاد فى النحو العربى للأستاذ أمين الخولى ص ١٤ فما بعدها .

ما جاء فى كتاب الإنصاف من (جواز إضافة الشيء إلى نفسه ..) منسوبة إلى الكوفيين بعامة[1] ، وهى للفراء بخاصة[2] وكذلك فعل فى (إعراب الأسماء الستة من مكانين)[3] وفى رافع المضارع وهو التجرد من الناصب والجازم نسبة إلى الكوفيين[4] وهو للفراء بالذات [5]وكذلك القول باشمية (نعم وبئس) [6] ، إلى غير ذلك من الآراء .

ومن الآراء التى نسبت صراحة إلى الفراء ما جاء فى باب المعرفة [7] والنكرة [8] و باب المبتدأ والخبر [9] ، وكان وأخواتها[10] . ثم إنه أدلى برأيه فى الحروف التى تشبه ليس فى عملها مثل (إن)[11] ،و (لات)[12]

---

(١) انظر ص ٢٥٢ ط مسبيح .

(٢) انظر الاشمونى ١٨٨/٢ وشرح الكافية ٢٦٥/١ فما بعدها .

(٣) انظر الانصاف ١٠ ط مسبيح ، ثم انظر الامالى الشجرية ٤٠/٢ .

(٤) الانصاف فى مسائل الخلاف ط مسبيح .

(٥) انظر معانى القرآن ص ٥٣ ط دار الكتب وشرح الكافية ٢٣١/٢ .

(٦) انظر الانصاف ص ٦٦ ط مسبيح ، ثم انظر معانى القرآن للفراء ص ٥٦ ، ٥٧ ، ص ٢٦٧ ط دار الكتب وانظر المفصل ١٢٧/٧ فما بعدها .

(٧) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٢٦٤/١ .

(٨) انظر خزانة الادب للبغدادى ١٥٧/٤ ط السلفية .

(٩) انظر الخزانة جـ ١ ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٤٠٧ ط السلفية ، الانصاف ص ٢١ ، والموفى فى النحو الكوفى ص ٢٥ ، وشرح الكافية جـ ١ ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٧٨ ، ٨٦ جـ ٢ ص ٢٠٦ ، والاشمونى جـ ١ ص ١٦٠ ، ١٦٧ ، جـ ٢ ص ٥٥ ، وهمع الهوامع للسيوطى جـ ١ ص ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، وابن عقيل ١٧/١ . والتصريح جـ ١ ص ٢٥ ، ١٦٣ ، ٢٩٩ ، جـ ٢ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، القصر المبنى على حواشى المغنى جـ ٢ ص ٢١٤

(١٠) انظر الانصاف ص ٣٤٨ ، وشرح المفصل جـ ٧ ص ١١٣ ، ١١٤ ، والتصريح جـ ١ ص ١٨٤ وص ١٨٨ ، والهمع جـ ١١١/١ ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، والأشمونى جـ ١ ص ١٩١ وص ١٩٦ ، وابن عقيل جـ ١ ص ١١٣ .

(١١) الخزانة ١٢٤/٤ والتصريح ٢٠١/١ ، وهمع الهوامع ١٢٤/١ ، وشرح ابن عقيل ١٢١/١

(١٢) انظر معانى القرآن للفراء ص ٦١٩ ، والمغنى ١٨٨/١ ، وشرح الأشمونى ٢٠٥/١ و ٢٠٧ والهمع ١٢٦/١ وشرح الكافية ٢٤٩/١ .

وشرح باب إن وأخواتها وتناول جزئياتها [1] ، كما تناول مفسر ضمير الشأن [2] ، وباب ظن وأخواتها [3] ، وباب الفاعل [4] ونائب الفاعل[5] والاشتغال ، وله فيه رأى وجيه [6] ، والتنازع ، وفض هذا الإشكال بأنه فاعل الاثنين معاً فلا تنازع [7] ، وباب المفعول به [8] ، وجعل القول فيه ينصب المفعول المفرد[9] وتحدث عن تعدى الفعل ولزومه[10] وأبان أن اللام قد تدخل على المفعول به ، فنقول (ردِفكم) وردف لكم ، ونقدتُها مائة ، ونقدت لها مائة ، وشكرته ، وشكرت له ... الخ[11] . كما تناول

---

(1) انظر المفصل لابن يعيش ١٠٤/١ ، ٩١/٣ ، ٧٤/٤ ، ٦٩/٨ ، ٨٣ والأشمونى٢٢١/١ والتصريح ٢٢١/١ ، والموفى ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، والهمع جـ ١ ص ٦٤ ، ص ١٣٦، ١٤٠ ، جـ ٢ ص ٤٥ ، ١٤٤ ، وشرح الكافية جـ ١ ص ٧٨ ، ٩٢ ، وجـ ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ والانصاف ص ٨٥ وشرح المفضليات ص ٩ مثلا .

(2) شرح المفصل ١١٤/٣ ، وشرح الكافية ٢٦/٢ ، والهمع ٦٧/١ .

(3) همع الهوامع ١٥٦/١ ، وشرح الكافية ٢٥٩/٢ .

(4) انظر المذكر والمؤنث للفراء ص ٣٩ ط حلب ، والموفى ص ١٨ والتصريح جـ ١ ص ١٨٢ ، وابن عقيل ١٦٤/١ ، والهوامع ١٦١/١ ، والأشمونى ٤٠/٢ .

(5) انظر حاشية الصبان على الاشمونى جـ ١ ص ٤١٥ فما بعدها ، والموفى فى النحو الكوفى ص ٢٠ ، ٢١ ط دمشق .

(6) انظر همع الهوامع ١١٣/٢ فما بعدها ، والتصريح ١٩٧/١ وشرح الكافية ١٤٨/١، ص ١٥٣ ، والانصاف ص ٤٢

(7) انظر شرح الأشمونى وحاشية الصبان عليه جـ ١ ص ٤٥٩ عند قول ابن مالك :

واعمل المهمل فى ضمير ما تنازعاه والتزم ما التزما

ثم انظر شرح ابن عقيل كذلك ، ومعانى الفراء ص ٤٢٢ ط دار الكتب .

(8) انظر الاشمونى ١٠٦/١ ، والانصاف ص ٤٠ ، والهمع ١٦٥/١ والتصريح ٣٠٩/١، ص ٣٤٦ ، وشرح الكافية ١٨/١ ، ١١٦

(9) انظر معانى القرآن ص ٢٧٨ ط دار الكتب .

(10) أنظر معانى القرآن للزجاج مخطوطة دار الكتب رقم (٦٣٦) تفسير . وانظر معانى القرآن للفراء ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٨ ط دار الكتب .

(11) انظر اللسان مادة (ردف) .

(الحال) وأفاض فيها القول [1] والتمييز [2] ، والظروف (وتسمى الصفات أو المَحالّ) [3] ، والإضافة [4] ، وحروف الجر [5] .

والتوابع : مثل النعت [6] ، والتوكيد [7] ، والبدل (ويسمى الترجمة) [8]

( ) التصريح جـ ١ ص ٣٣٧ ، ٣٨٢ ، والأشمونى جـ٢ ص ١٤٠ ، والهمع جـ ١ ص٢٤٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، وابن عقيل جـ١ ص ٢١٦ ، ٢١٨ ، والانصاف ص١١٣ ، وشرح الكافية ١٨٨/١ ، وارتشاف الضرب لأبى حيان ص٧٥٦ مخطوطة دار الكتب رقم (٨٢٨) نحو ، ومعانى القرآن للفراء عند تفسير قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) (الزمر آية ٦٧) وفى ص ١٩٣ ، ١٩٤ ط دار الكتب ، وخزانة الأدب للبغدادى ١٨٠/٣ ط السلفية .

(٢) انظر الانصاف ص ٣٥١ ، والموفى ص٤٦ ، والهمع جـ١ ص١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ والأشمونى جـ٢ ص١٥٠ ، ١٥٤ ، وشرح المفصل جـ٦ ص٢٤ ، ومعانى القرآن للفراء ص٢٢٥ ط دار الكتب .

(٣) انظر الأمالى الشجرية ٢٦١/٢ الطبعة الأولى ، والكامل للمبرد ص ٣٨ لفظ (قدام) من قول الشاعر (لعن الاله تعلة بن مسافر .. الخ ..) وخزانة البغدادى٤٠١/٣ ط السلفية ، ومعانى الفراء عند تفسير قوله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) وقوله (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) وقوله (من عند أنفسهم) فى سورة البقرة آية (١٩) .

(٤) شرح المفصل جـ٢ ص ١٢٢ ، والتصريح جـ٢ ص٣٠ ، ٥٦ ، والأشمونى ٢٠٧/١ ، جـ٢ ص١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، وابن عقيل جـ ٢ ص ٦ ، ١٩ ، والهمع جـ١ ص١٧٧ ، جـ٢ ، ٥٢ ، وشرح الكافية جـ١ ص٢٥٢ ، ص٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣١٧ ، والانصاف ص١٨١ ، والموفى ص٤٨ ، والمذكر والمؤنث للفراء ص ٣٧ ومعانى القرآن عند تفسير قوله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) سورة الذاريات آية (١٣) .

(٥) انظر المغنى ٢٠/٢ ، والهمع ٢١٦/١ ، والانصاف ص ١٦٧ وشرح العكبرى على ديوان المتنبى جـ٢ ص٢٧٩ تحقيق الأستاذ السقا وآخرين ط سنة ١٩٣٦ م ، وشرح الكافية جـ٢ ص١١٠ ، ١١١ ، وشرح المفصل جـ٤ ص ٩٥ و جـ٨ ص٤٥ ، ٤٦ ، ومعانى القرآن للفراء ص ١٣٤ فما بعدها ط دار الكتب .

(٦) الأشمونى جـ١ ص٩٤ ، جـ٣ ص٩ ، ٤٦ ، والهمع جـ٢ ص١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، والتصريح جـ ٢ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وشرح ابن عقيل جـ٢ ص٥٣ ، والموفى ص٥٥ ط دمشق .

(٧) انظر شرح الأشمونى جـ٣ ص٥٧ ، ٧٣ ، وهمع الهوامع جـ٢ ص١١٦ مثلا .

(٨) انظر شرح الكافية جـ١ ص٣١٥ .

والعطف [1] ، إلى غير ذلك من أبواب النحو كله ، مثل : الاستثناء[2] ، والنداء [3] ، والترخيم [4] ، ونعم وبئس [5] ، والممنوع من الصرف [6]

والأسماء الخمسة [7]، ولولا خشية الإطالة لذكرت كل ما تجمَّع لدى من البحث فى كتب النحو ، فضلا عما فى كتاب معانى القرآن للفراء نفسه : يكاد يكون جل ما فيه نحواً وتوجيهات إعرابية[8] ، ومن قبيل الدراسات

---

(1) انظر التصريح جـ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٩ ، والمغنى جـ١ ص ٥٤ ، ٥٥ ، والانصاف ص١٩٢ وشرح المفصل جـ٨ ص١٧ ، ١٠٣ ، والأشمونى جـ٣ ص٦٩ ، ٨٤ ، ٨٨ ، والهمع جـ١ ص١٣٥ ، جـ٢ ص١٢٩ ، ١٣١ ، وشرح الرضى على كافية ابن الحاجب جـ٢ ص٣٣٨ ، والموفى ص ٦٢ ، ٦٣ ط دمشق ، ومعانى القرآن للفراء ص٧١ فما بعدها ط دار الكتب .

(2) معانى القرآن للفراء ص٨٩ ، ١٦٦ ط دار الكتب ، وابن عقيل جـ١ ص٢٠٦ ، والهمع جـ١ ص٢٢٤ ، والأشمونى جـ٢ ص١١٨ ، والانصاف ص١٨٨ ، وشرح المفصل جـ٢ ص٧٦ ، ٧٧ ، والتصريح جـ١ ص٣٤٩ ، ٣٦١ ، وشرح الرضى على كافية ابن الحاجب جـ١ ص٢٠٧ ، ٢٢٦ ، والموفى ص٧٠ ط دمشق .

(3) همع الهوامع جـ١ ص١٧٣ ، والانصاف ص١٤٢ ، وشرح ابن عقيل ٢/٧٤ ، والموفى ص٦٤ ، والتصريح ٢/١٧٠ ، وشرح الكافية جـ١ ص١٢٠ ، ١٢٣ ، والأشمونى جـ٣ ص١٠٦ ، ١١٠

(4) التصريح جـ٢ ص١٨٧ ، وشرح المفصل ٢/٢٠ ، والهمع ١/١٨٣ ، ٢/١٤٣ ، وشرح الكافية جـ١ ص١٣٧ ، والانصاف ص١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، والأشمونى جـ٣ ص١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩

(5) انظر شرح العكبرى على ديوان المتنبى جـ ١/٢٩٩ ط الحلبى ، والانصاف ص٦٦ فما بعدها ط صبيح ، وشرح الكافية جـ٢ ص٢٩٤ ، ومعجم الأدباء ٥/١٣١ (ترجمة ثعلب) ، ومعانى القرآن للفراء ص٥٦ ، ٥٧ ، ٢٦٧ فما بعدها ط دار الكتب ، وشرح المفصل ٧/١٢٧ فما بعدها .

(6) التصريح ٢/٢١٦ ، والهمع ١/٢٧ ، وشرح الرضى على الكافية ١/٣٦ ، والأشمونى ٣/١٨٠ ، وايضاح الوقف والابتداء ، لأبى بكر بن الأنبارى مصورة رقم (٦٠٠٠١) بمكتبة الجامعة ، والموفى فى النحو الكوفى ص١٣ ط دمشق ، ومعانى القرآن للفراء عند تفسير قوله تعالى (ذوقوا مس سقر) سورة القمر (آية ٤٨) ، وفى ص٢٥٤ من ط دار الكتب .

(7) انظر الامالى الشجرية ٢/٤٠ ط أولى ، وخزانة الأدب للبغدادى ٤/٣٥٧ ط السلفية ، وانظر الانصاف ص١٠ ط صبيح فقد نسب راى الفراء بخاصة الى الكوفيين بعامة كما سبق به البيان .

(8) انظر مثلا ص ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٦٦ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٨٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٥٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٩ ... الخ .

النحوية بوجه عام ، ما سمى أخيراً بعلم الصرف ، فقد كان ممتزجاً بالنحو ، ولم يتميز عنه إلا فى عصور متأخرة ، وقد ضرب الفراء فيه بسهم وافر وليس غريباً عليه ذلك ، بل ليس غريباً على أهل الكوفة جمعاء فقد عرفوا بهذه العناية الصرفية ، وربما كان مرد ذلك إلى أن مبتكر علم لصرف كان من الكوفيين إن صحت الروايات التاريخية ، وهو معاذ بن مسلم الهرّاء[1] ، ونرى مظاهر عناية الفراء بالجانب الصرفى تتمثل فى تناوله المسائل الجزئية ثم فى وضع القواعد الكلية لها ، من ذلك : كلمة (معايش) وأشباهها ، مما اختلفوا فيه أيجوز فيه الهمز أم هو بالياء فقط [2] ، والمصدر واسم المصدر [3] ، ثم المصدر الميمى واسم المكان وإن لم يطلق عليهما هذه التسمية الاصطلاحية ، بل اكتفى بالتمثيل والتوضيح [4] . كما ذكر قاعدة صرفية للتفرقة بينهما [5] إلى غير ذلك من القوانين الصرفية [6] .

وقد روى صاحب المزهر كثيراً من صرفيات الفراء عند الحديث عن صيغة (فَعلال) [7] و (مَفْعِل) [8] ، و (فَيْعِل) [9] ، و (فعفع) [10] و (فنعلّ) [11] ،و (فَعْلَلَ) [12] و (فُعَل)[13] ، و(فعْلة) [14] ، وعند

---

(1) انظر بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٩٣ ط السعادة .
(2) انظر المعانى ص٣٧٣ ط دار الكتب ، وانظر القراءات واللهجات ص١٤١ .
(3) المعانى ص٣٧٣ (مصورتى) .
(4) نفس المصدر ص٣٧٢
(5) نفس المصدر ص ٣٤٩ فما بعدها .
(6) انظر المزهر للسيوطى ٢/٩٥ ، ٢/١٠٨ ط الحلبى .
(7) ٢/٤٤ ط الحلبى .
(8) ٢/٥٤ .
(9) ٢/٥٦ .
(10) ٢/٩ .
(11) ٢/٢٠ .
(12) ٢/٢٨ .
(13) ٢/٦٢ .
(14) ٢/٨٥ .

الحديث عن الفعل المضعف [١]، وأسماء الأصوات [٢] ، وتداخل اللغات[٣] وكذلك فعل ثعلب فى أماليه [٤] ، وفى شرح ديوان زهير [٥] والمرزوقى فى كتابه الأزمنة والأمكنة [٦] ، ومثلهما فعل شارح المفضليات[٧] والعكبرى فى المسائل الخلافية [٨] .

هذا وما يزال بين يدى أكداس مكدسة من البطاقات التى تحمل آراء الفراء ولم أشر إليها بعد ، وأحسب أننى بالإشارا ت السابقة قد بلغت ما أريد من إثبات أن الفراء خلّف لنا ثروة نحوية ضخمة كانت خافية على كثير من المتخصصين .

لهذا ينبغى إيثاراً للإيجاز أن أكتفى بهذا القدر ، غير أننى أشير إلى بعض طرائفه النحوية التى لم يعرفها البصريون ، وإنما ابتكرها الفراء ، وقلده فيها بعض الكوفيين ، من ذلك :

(١) القول بأن (الذى) يصح أن تكون مصدرية [٩] .

(٢) وأن اسم الإشارة (ذا) يصح أن يكون موصولا[١٠] :

(٣) وأن (كان وأخواتها) لا تعمل شيئاً فى الخبر وإنما هو حال[١١] ، أو شبه حال [١٢] ، ومرفوعها فاعل بها .

---

(١) المزهر للسيوطى ٩٥/٢ طبع الحلبى .

(٢) ١٠٧/٢

(٣) حـ ١ ص ٢٦٤ فما بعدها ، ص ٤٠١ فما بعدها ، حـ٢ ص ٧١ ط الحلبى .

(٤) انظر ص ٢٠٤ ، ٢٦٠ مثلا ط دار المعارف .

(٥) ص ٣١٩ ط دار الكتب سنة ١٩٤٤ م .

(٦) حـ ٢ /٢٢٩ ط أولى .

(٧) انظر ص ٣ مثلا .

(٨) المسائل الخلافية لأبى البقاء العكبرى ورقة (٩٥) من مخطوطة دار الكتب (٣٨) نحو .

(٩) المعانى ص ٣٦٥ ط دار الكتب .

(١٠) انظر معانى القرآن للفراء ورقة (٢٠) مخطوط دار الكتب رقم (١٠ ش) تفسير، وانظر شرح المفصل ٢٣/٤ ، وانظر الموفى ص ٩٦ ط دمشق .

(١١) معانى القرآن ص ٥٥ دار الكتب .

(١٢) همع الهوامع للسيوطى ١١١/١.

(٤) وأن جموع القلة عنده خمسة لا أربعة [١] زاد عليها (فَعَلة) بفتح الفاء والعين [٢] .

(٥) وأن مصدر الثلاثى قياسى [٣] مطرد إلى جانب السماع .

(٦) وأن فعل الأمر قطعة من المضارع ، فليس قسما مستقلا من الأفعال كما يقول البصريون .

(٧) وأن القسم الثالث للأفعال إنما هو (الفعل الدائم) وهو اسم الفاعل إذا كان عاملا ، وإن كان غير عامل جعله من الأسماء [٥] .

(٨) وأن أقسام الكلمة عنده أكثر من الثلاثة المعروفة ، فقد جعل كلمة (كِلا) تمثل قسما خاصاً بين الأسماء والأفعال ، فهى ليست باسم كما أنها ليست بفعل ، وبالطبع ليست بحرف كما هو واضح من كلامه فى طبقات الزبيدى [٦] وقد صرح صاحب التصريح بأنها تمثل عند الفراء قسما مستقلا[٧] وناقشه العليمى فى حاشيته[٨] ، غير أن الحق مع التصريح ، بدليل قول الفراء نفسه « هى بين الأسماء والأفعال[٩] » .

---

(١) جمعها ابن مالك فى بيت واحد فقال :

أفعـــلة أفعل ثم فعلة ثمت أفعال جموع قلة

انظر الالفية (جمع التكسير) .

(٢) انظر شرح الكافية ١/٢

(٣) انظر المزهر ٩٥/٢ ط الحلبى ومجالس ثعلب ص ٢٧٤ ط المعارف .

(٤) انظر شرح الحدود للفاكهى مخطوطة دار الكتب رقم (٤٥٤) نحو طلعت .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ص ١٦٥ فما بعدها ط دار الكتب .

(٦) انظر ص ١٤٥ ط أولى .

(٧) انظر التصريح على التوضيح جـ١ ص ٢٥ .

(٨) انظر حاشية الشيخ يس العليمى على هامش التصريح جـ١ ص ٢٥ .

(٩) طبقات النحويين واللغويين ص١٤٥ ط أولى .

وربما كان هذا القسم هو الذى أطلق عليه اسم (الخالفة) ، لأنه يطلق على ما يسمى عند البصريين (باسم الفعل) ، وما اسم الفعل إلا كلمة هى بين الأسماء والأفعال لوجود علامات كل منهما فيها . فكلمة (كلا) واسم الفعل يشتركان فى هذه الصيغة ، ولهذا نرى أنهما من قسم واحد هو الذى أطلق عليه الكوفيون اسم (الخالفة) [1] ، وما أظن هذا الرأى إلا للفراء بالذات ولكن النحاة المتأخرين اعتادوا أن يعمموا كما سبق به البيان .

(٩) وأن الفراء كان يقول بالتقريب[2] وما (التقريب) عنده إلا إعمال (أسماء الإشارة) عمل (كان وأخواتها) فتحتاج إلى مرفوع ومنصوب بعدها ، مثل (هذا القمر نوراً)[3] وعلامته أن يصح فى الكلام إبقاء الإشارة وحذفها [4] ، ويشترط فيما بعد اسم الإشارة إذا كان معرفاً بالألف واللام أن يكون اسم جنس أو يكون واحداً لا نظير له [5] مثل الشمس والقمر . على أن الفراء والكوفيين جميعاً لا يعربون المنصوب خبراً وإنما يعربونه حالا [6] ويجوز فيه عند الفراء أن يعرب شبه حال [7] وقد وهم السيوطى حين قال فى الهمع عن الكوفيين إنهم يعربون « المنصوب خبر التقريب [8] » فلفّق بين مذهب البصريين القائلين بالخبرية ، وبين مذهب الكوفيين القائلين بالتقريب.

---

(١) انظر ارتشاف الضرب لأبى حيان مخطوطة دار الكتب رقم (٨٢٨) نحو .

(٢) انظر المعانى ص ١٢ فما بعدها ط دار الكتب .

(٣) نفس المصدر ص ١٣ ط دار الكتب .

(٤) انظر مجالس ثعلب ص ٤٢٧ ط المعارف .

(٥) انظر مجالس ثعلب ص ٥٤ ط المعارف ، وانظر معانى القرآن للفراء ص ١٢ ط دار الكتب .

(٦) انظر المعانى ص ٥٥ ط دار الكتب ، وانظر الهمع ١١١/١ .

(٧) انظر الهمع ١١١/١

(٨) همع الهوامع ١١٣/١

هذا إلى أن الدارس يلحظ خلال هذه الآراء وأمثالها ومضات من الفكر لقوى ، ربما كانت أصح من آراء مخالفيه ، كما أن كثيراً منها قد أيده الدرس الحديث هذا إلى مجموعة من الآراء الصائبة التى فتحتْ — ولا تزال تفتح — باب التيسير فى الدراسات النحوية أمام الباحثين . وإليك البيان بالتفصيل :

(أولا) آراء هى أصح من آراء مخالفيه :

(١) يرى الفراء أن رافع المضارع هو التجرد من الناصب والجازم[١] على حين يرى الكسائى أن رافعه هو حروف الزوائد فى أوله [٢] ، ويرى البصريون أنه مرفوع لشبهه بالاسم[٣] ، وقد تغلب رأى الفراء،وكتب له البقاء حتى يومنا هذا .

(٢) أبو زكريا الفراء يرى مشابهة فى الجزاء بين (أن) المفتوحة ، و (إن) المكسورة [٤] . على حين ينكرها مخالفوه ، وقد استصوب المحقق الرضى رأى الفراء[٥] ، كما أن ابن هشام رجحه واعتمده ، وأيده بأدلة ثلاثة [٦] ، ولولا خشية الإطالة لذكرت كل ذلك بالتفصيل .

(٣) قال الفراء فى إعراب قوله تعالى : (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) إن (ما) هى فاعل بئس ، أما الكسائى فإنه قال : (كأنه بئس الشىء شىء قدمت لهم أنفسهم) وعقب أبو العباس ثعلب عليهما ، فارتضى قول الفراء ، وهجّن رأى الكسائى بقوله : (ليس بشىء) [٧] ، إلى غير ذلك من المواطن

---

(١) الانصاف ص ٣١٩ ط صبيح ، والموفى ص ١١٣ ط دمشق ، وشرح الكافية ٢٣١/٢

(٢) الانصاف ص ٣١٩ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) انظر المعانى ص ٥٨ ط دار الكتب .

(٥) شرح الكافية ٥٣/١ فما بعدها .

(٦) المغنى ٣٤/١ .

(٧) انظر فى كل ذلك مجالس ثعلب ص ٧٨ ط المعارف .

الكثيرة [1] ، وقد رجح ابن الأنبارى رأى الكوفيين فى سبع مسائل [2] ، وما أحسبها إلا للفراء بالذات لأن المتأخرين كانوا يعممون ، ولا سيما ابن الأنبارى فى الإنصاف كما رأينا فيما سبق . على أن هذا الترجيح فيه دلالة أى دلالة على رجاحة رأى الفراء ، مما جعل ابن الأنبارى ذا الهوى البصرى لايستطيع إنكار هذا الرجحان ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

(ثانيا) آراء أيدها البحث الحديث :

(١) أبو زكريا الفراء تنبه منذ قرون إلى وجه الشبه بين أسماء الإشارة وأسماء الموصول فأجاز أن تكون الإشارة موصولا[3] ثم جاءت الدراسات الحديثة فأيدت وجهة نظره حيث جعلت أسماء الإشارة والأسماء الموصولة من قسم واحد هو (قسم الضمير) قسم رابع من أقسام الكلمة عند المحدثين حين جعلوا التقسيم رباعياً هكذا :

(١) الاسم (٢) الضمير (٣) الفعل (٤) الأداة .

كما أن (برجشتراسر) يرى أن أسماء الموصول من أسماء الإشارة وكل ما هنالك أن أسماء الموصول تشير إلى معقول معنوى ، وأسماء الإشارة تشير غالباً إلى موجود حسى ، ولهذا — فى حديثه عن التطور النحوى — أضاف الأسماء الموصولة إلى أسماء الإشارة فقال : « ونضيف إليها الاسم الموصول ، فإنه فى الأصل من أسماء الإشارة أيضاً [5] » .

انظر مثلا رايه فى (أو) بمعنى (بل) مجالس ثعلب ص ١٣٥ ط المعارف ، وانظر رايه فى اعراب (سبحان) ص ٢٦٠ نفس المصدر ، وانظر الفرق بين رايه ورأى الخليل فى كتابة الالف بعد واو الجماعة فقد كان للفراء قصب السبق وكتب لرايه البقاء حتى يومنا هذا — انظر مقدمة كتاب المبانى ص ١٦٠ تحقيق أوثر جفرى .

[2] هى المسائل الآتية : مسألة (١٠) ، ١٨ ، ٢٦ ، ٧٠ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٦ من كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى .

[3] انظر معانى القرآن للفراء ورقة (٢٠) مخطوطة دار الكتب رقم (١٠ ش) تفسير ، وانظر شرح المفصل ٢٣/٤ ، والموفى ص ٩٩ ط دمشق .

[4] انظر تفصيل ذلك كله فى كتاب (من اسرار اللغة) ص ١٩٦ .

[5] التطور النحوى للغة العربية — برجشتراسر — ص ٥٣ ط السماح سنة ١٩٢٩ م .

(٢) كما تنبه الفراء إلى أن أقسام الكلمة ليست محصورة فى هذه الثلاثة التى فرضها المناطقة على النحو العربى ، أو فرضوها على أنفسهم بتأثير المنطق والفلسفة أو كان هذا الفرض ابتداء دون تأثير على اختلاف وجهات النظر بين الباحثين . ومهما يكن من شىء فإن الفراء قد كسر هذا الحد فكان أول من فك الحصار عن أقسام الكلمة فاقترح لها قسما رابعاً رأى أنه بين الأسماء والأفعال فسماه (خالفة)[١] كما رجحت فيما سبق :

وهو وإن لم يكن قد اتفق مع المحدثين فى هذا التقسيم الرباعى إلا أنه التقى معهم فى أن أقسام الكلمة أكثر من تلك الثلاثة التى فرضت على النحو العربى .

(٣) كما أنه فى التقسيم الزمنى للأفعال ثار على الأوضاع البصرية فأدخل نوعاً جديداً من الأفعال سماه (الفعل الدائم)[٢] ، وهو وإن لم يتفق تمام الاتفاق مع التقسيمات الزمنية الحديثة[٣] إلا أنه سبق معاصريه جميعاً إلى أن أقسام الزمن الفعلى أكثر مما تعارف عليه القدماء .

هذا إلى كثير من الآراء التى تلاقت مع الدراسات اللغوية الحديثة ، مثل رأيه فى (كم) و (ليس) ، إلى آخر ما هنالك مما سنعرض له بالتفصيل فى موطنه من (الفصل اللغوى) .

(ثالثا) أثر الفراء فى تيسير النحو :

(ابن مضاء صورة من الفراء)

لعلى لا أكون مبعداً حين أزعم أن أبا زكريا الفراء كان الملهم الأول لابن مضاء القرطبى فى دعوته إلى إصلاح النحو ، أو على الأقل كان له فى الإلهام نصيب وفير .

---

(١) انظر ارتشاف الضرب لأبى حيان مخطوطة دار الكتب رقم (٨٢٨) نحو .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ص ١٦٥ فما بعدها ط دار الكتب .

(٣) انظر التقسيم الزمنى المسمى بالتقسيم السباعى عند كثير من المحدثين ص ١٥١ من أسرار اللغة ـ الطبعة الثانية .

ولا غرابة فى ذلك فابن مضاء ثائر على التعقيدات البصرية بوجه عام ، وأبرزها نظرية العامل لما فيها من إعنات وإرهاق يتنافى مع التيسير .

ولما كان التيسير من طبيعة الفراء فى نحوه وفى خُلُقه[1] كما رأينا فيما أسلفنا فإن ابن مضاء القرطبى وجد عنده ضالته المنشودة فأخذ من آرائه الكثير وكون منها نظرية عامة تدعو إلى التيسير .

وقديماً لحظ القدماء هذا التيسير فى نحو الفراء فقال قائلهم — وقد شهد الفراء يُيسِّر النحو للدارسين حتى ليكاد يفهمه الصبيان — « إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان[2] ». وأشار على رفاقه أن ينقطعوا عن مجلس الفراء[3] خشية أن ينتشر مذهبه فى التيسير فتضيع عليهم فائدة محققة كانوا يجتنونها من وراء التعقيد النحوى ، حتى إن القادرين منهم على التيسير مثل الأخفش كان يعمد إلى التعقيد إشفاقاً من ضياع المكاسب .

استمع إليه فيما يرويه الجاحظ فى حيوانه عن الحوار الذى داربينه وبين الأخفش ، قال الجاحظ : « قلت لأبى الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ، ولا نفهم أكثرها ؟ وما لك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ .

قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى إليه قلّت حاجتهم إلىّ فيها .... وإنما قد كسبت فى هذا التدبير ، إذ كنت إلى التكسب ذهبت[4] » .

---

(١) انظر مبحث (اخلاقه) .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٦٦ ط اوروبا ، و ص ٩٩ ط الرحمانية .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الحيوان للجاحظ حـ ١ ص ٩١ ط الحلبى .

وقد آن لنا أن نشير إلى مصدر الإلهام فى مواطن متعددة من آراء الفراء . من ذلك :

(١) أن ابن مضاء يرى مارآه الفراء فى باب الاشتغال من جعل الاسم المتقدم المنصوب فى مثل قولك (محمدا أكرمته) مفعولا به للفعل نفسه دون حاجة إلى تقدير عامل محذوف وجوبا يفسره المذكور كماهو رأى البصريين[1] وفى هذا المسلك تيسير على الدارسين وراحة لنا من فكرة العوامل المحذوفة كما يقول الدكتور شوقى ضيف : « وليس هذا كل ما يريحنا منه ابن مضاء فى إلغاء فكرة العوامل المحذوفة فهناك أبواب أخرى كثيرة فتحها النحاة لدراسة العوامل المحذوفة ، يريحنا منها ابن مضاء ، وعلى رأسها باب الاشتغال[2] » .

ومن هنا يتبين لنا أن الفراء سبق ابن مضاء إلى إلغاء نظرية العامل بعدة قرون . وليست هذه فحسب بل هناك أمثالها كثير ، كما سيأتى بالتفصيل .

(٢) من إلغاء نظرية العامل رأى الفراء فى متعلق الظرف والجار والمجرور فقد ألغى هذه المتعلقات وأعطى الظرف والجار والمجرور نفس الوظيفة التى تؤديها المتعلقات ، كما سيأتى عما قليل .

وقد أخذ ابن مضاء هذا الرأى دون أن يشير إلى صاحب الفضل فيه بل تبناه ورد به على البصريين ، وكأنه من مبتكراته فقال فى تقرير نظريته فى أن الظرف والجار والمجرور يفيدان نفس المعنى الذى يفيده المتعلق : « ولاشك أن هذا كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة ، وتلك النسبة دلت عليها (فى) ولاحاجة بنا إلى غير ذلك[3] . »

---

(١) انظر رأى ابن مضاء فى الرد على النحاة ص ٦٥ من المدخل ، ص ١١٨ من الأصل ط دار الفكر العربى ، ثم انظر رأى الفراء وجمهور البصريين فى الكتب الآتية : شرح الرضى على الكافية حـ ١ ص ١٤٨ فما بعدها ، والتصريح ١٩٧/١ ، وهمع الهوامع للسيوطى ١١٣/٢ فما بعدها ، والانصاف لابن الانبارى ص ٤٢ فما بعدها .

(٢) مدخل الرد على النحاة ص ٦٥ ط دار الفكر العربى .

(٣) الرد على النحاة ص ٩٩ ط دار الفكر العربى .

وتناول الدكتور شوقى ضيف كلام ابن مضاء فوضح، خير توضيح حين قال : « أما الجانب الثانى (الذى يريحنا فى النحو) وهو حذف العوامل ، فقد ناقشه ابن مضاء فى متعلقات المجرورات ، إذ لاحظ أن زعم النحاة فى مثل (زيد فى الدار) أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره مستقر أو استقر ، وهو الخبر زعم لاداعى له ، إذ يكفى أن نقول : إن الجار والمجرور خبر ، ولا داعى لهذا التمحل ، وهذا نفسه ينبغى أن نطبقه على الظرف فلا نعلقه بمحذوف كما يصنع النحاة ، بل نعطيه هذه الوظيفة التى يؤديها ، فمثل (زيد عندك) ليست عندك متعلقة بمحذوف تقديره مستقر وهو الخبر ، بل هى نفسها الخبر ولا حاجة مطلقا لأن نحدث تأويلا فى الجملة لاتدل عليه [1] » .

ألست معى فى أن هذا الرأى مأخوذ من رأى الفراء فى الجار والمجرور حين جعله نائب فاعل بنفسه فقال : « إذا أنيب الجار والمجرور عن الفاعل ... فالنائب وحده فى محل رفع [2] » دون حاجة إلى تقدير ضمير مستتر فى الفعل [3] أو ضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل [4] كما يرى غيره من النحاة ؟ .

وكذ رأيه فى الظروف حين جعلها هى بعينها نائب الفاعل [5] ، دون حاجة إلى تقدير . فهو هنا يعطى الظرف والجار والمجرور نفس الوظيفة التى تؤديها المتعلقات .

---

(١) انظر الرد على النحاة ص ٦٤ (مبحث المدخل) للدكتور شوقى ضيف .

(٢) حاشية الصبان على الأشمونى جـ ١ ص ٤١٥ سطر (٦) .

(٣) نفس المصدر سطر (٤) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر الموفى ص ٢٠ ط دمشق وسترى أنه فى هذا الموطن اشرك مع الفراء غيره من الكوفيين فجاء به عاما على أنه من نحو الكوفيين وقال : (اتفاقا) بينهم ، وقريب من هذا ما فعله فى ص٣٠ فما بعدها حين نسب القول بالخلاف الى الكوفيين بعامة . والحق انه للفراء ، ويعزنى فى هذا قول بعض المحدثين : « والى الفراء ينتهى ما عرف عن الكوفيين من النصب على الخلاف فهو صاحب الرأى فيه ، وان خالفه الكوفيون فى نطاق تطبيقه » مدرسة الكوفة ص ١٦١ ط بغداد . هذا الى ان كتب المتأخرين مثل (الموفى) ومن قبله (الانصاف) كثيرا ما تنسب آراء الفراء الى الكوفيين بعامة وقد ضربت لذلك الأمثال فيما سبق .

ومن هذا القبيل رأيه فى (الخبر المخالف) وهو الظرف إذا أسند إلى المبتدأ نحو (محمد عندك) فإنه يجعله هو الخبر نفسه دون حاجة إلى متعلق[1] ، وكذلك الجار والمجرور .

وبهذا يكون أبو زكريا الفراء هو السابق إلى القول بإلغاء نظرية العامل ، وقد توسع فيها فطبقها فى (النعت المخالف) أيضا أى النعت الذى يكون ظرفا أوجارا ومجرورا فإنه يجعلها نعتا بأنفسها دون حاجة إلى متعلقات .

بل توسع أكثر فأعطى الظرف والجار والمجرور حق الابتداء ، فأعربها (مبتدأ مخالفا) فى مثل قولك (عندك محمد) و (فى الدار على) ، وجعل الاسم المرفوع بعدهما فاعلا بها دون حاجة إلى تقدير شىء من العوامل [2] .

(٣) وليس هذا فحسب بل إن ابن مضاء أخذ آراء الفراء فى (الخلاف) ونسبها إلى نفسه دون أن يضيف إليها جديدا . ودون أن يشير إلى صاحب الفضل فيها أو على الأقل مصدر الإلهام .

يقول ابن مضاء فى ناصب المضارع بعد فاء السببية وواو المعية : « ومما قالوا فيه ما لم يفهم ، وأضمروا فيه ما يخالف مقصد القائل ، أبواب نصب الفعل ، وقد تكلمت منها على باب الفاء ، والواو ، ليستدل بها على غيرهما ، ويعلم أن ما أضمروه لايحتاج إليه فى إعطاء القوانين التى يحفظ بها كلام العرب [3] » .

وقد أوضح الدكتور شوقى ضيف مقالة ابن مضاء فقال : « وقد وقف ابن مضاء عند أمثلة بابى الفاء والواو وقفة طويلة ، مناديا بأن العرب حين تنصب المضارع فى هذين البابين لاتنصبه بعامل أو من أجل عامل ، وإنما —

---

(١) انظر شرح الرضى على الكافية ٨٣/١ وانظر الموفى ص ٣٠ .

(٢) انظر فى ذلك كله كتاب الموفى ص ٣٠ فما بعدها ط دمشق .

(٣) الرد على النحاة ص ١٤٢ ط دار الفكر العربى .

تنصبه لتدل على معنى لايتأتى مع الرفع [1] » وذلك المعنى الذى لايتأتى مع الرفع هو مايسميه الفراء (الصرف [2] أو الخلاف [3]) أى أن إحدى الكلمتين خالفت الأخرى فصرفت عنها ، وفى هذا يقول أبو زكريا الفراء معللا نصب المضارع بعد هذه الحروف « . . . لأنها عطفت مابعدها على غير شكله ، وذلك أنه لما قال (لا تظلمنى فتندم) دخل النهى على الظلم ولم يدخل على الندم ، فحين عطفت فعلا على فعل لايشاكله فى معناه ، ولا يدخل عليه حرف النهى ، كما دخل على الذى قبله استحق النصب على الخلاف [4] » .

ألست ترى أن رأى ابن مضاء هو رأى الفراء ؟

وفى موطن آخر من هذا الباب يقرر الفراء إمكان العطف فيجوّز جزم الفعل الثانى إذا جعلنا الحرف للعطف ، فيتبعه ابن مضاء فى هذا أيضا .

استمع إلى الفراء يقول : «ويجوز فيه الإتباع لأنه نسق فى اللفظ»[5] ، ثم يجىء ابن مضاء فيجوزه أيضاً ، حيث يقول : « وهذه المواضع التى ينصب فيها مابعد الفاء منها ما يجوز فيه العطف . . مثال ذلك (لايشتم عمرو زيداً فيؤذيه) إن نصب كان المعنى . . الخ . . وإن جزم (يؤذيه) وعطف على قوله (يشتم) كان المعنى فإن الشتم يؤذيه ، أى من شأنه أن يفعل ذلك »[6] وقد لخص محقق الكتاب كلام ابن مضاء فى عبارة مركزة حيث قال على لسانه فى المقدمة « ومن الممكن أن تجزم الفعل الثانى إذا جعلنا الفاء للعطف»[7].

هذا إلى أننى رأيت الفراء قد عنى بهذا المبدأ الذى فتح الباب لإلغاء نظرية العامل فطفق يشرح مبدأ (الصرف أو الخلاف) فى مواطن عدة ، ويتساءل

---

(١) الرد على النحاة ص ٣١ من المدخل للدكتور شوقى ضيف .

(٢) انظر الانصاف ص ٣٢٣ صبيح .

(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ ٧ ص ٢٨ .

(٤) شرح المفصل ٢٨/٧ . (نواصب المضارع) .

(٥) معانى القرآن ص ٢٣٥ ط دار الكتب .

(٦) الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى ص ١٤٦ ط دار الفكر العربى .

(٧) انظر مقدمة الرد على النحاة لأستاذنا الدكتور شوقى ضيف ص ٣٢ ط دار الفكر العربى .

عنه توكيدا للتوضيح فيقول : « فإن قلتَ : وما الصرف ؟ قلت : أن تأتى بالواو معطوفة على كلام فى أوله حادثة لاتستقيم إعادتها على ماعطف عليها ، فإذا كان كذلك فهو الصرف ، كقول الشاعر :

لا تنهَ عن خلق وتأتىَ مثله عار عليك إذا فعلتَ عظيمُ

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) فى (تأتى مثله) فلذلك سمى صرفا ، إذ كان معطوفا و لم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذى قبله [1] » .

وفى موطن آخر يقول : « والصرف أن يجتمع الفعلان (بالواو) أو (ثم) أو (الفاء) أو (أو) ، وفى أوله جحد أو استفهام ، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعا أن يكر فى العطف ، فذلك الصرف [2] » .

وإمعانا فى تطبيق هذا المبدأ جعل (المفعول معه) كذلك منصوبا على الصرف [3] . وألغى العامل اللفظى الذى يقول به البصريون [4] ، سواء أكان ظاهرا أو مقدرا على رأى بعضهم [5] .

كل هذا يدلنا على أن الفراء كان مدركاً تمام الإدراك لهذه النظرية التى ظهر بها ابن مضاء فيما بعد دون أن يشير إلى صاحبها الأول ، وقد وجدفيها بابا واسعاً للتيسير يمكن استغلاله فى كثير من أبواب النحو ، وقد استغله بعض الكوفيين من قبل فأدخل فيه باب المفعول به وجعله من قبيل النصب على الخلاف فقال : إن الفاعل يرتفع بكونه داخلا فى الوصف . أما المفعول به فينتصب لكونه خارجاً عنه [6] .

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ٣٣ فما بعدها ط دار الكتب .

(٢) المعانى ص ٢٣٥ ط دار الكتب .

(٣) انظر معانى القرآن ص ٣٤ ط دار الكتب .

(٤) انظر الانصاف ص ١٥٥ ط صبيح .

(٥) نفس المصدر .

(٦) انظر همع الهوامع للسيوطى ١٥٩/١

وطالما أن المفعول به ينتصب على الخلاف ويستغنى عن العامل فينبغى أن نطبق هذا المبدأ من باب أولى على بابى التحذير والإغراء ونلغى ماقاله البصريون فيهما من العامل المقدر من جهة ، كما أننا نختصر النحو فنضم عدة أبواب فى باب واحد من جهة أخرى كما أشار إليه بعض المصلحين وهو عين التيسير .

ومرد الفضل فى هذا إلى شيخ المجددين أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء . ولما كان إلغاء نظرية العامل يلح على الفراء إلحاحاً شديداً رأيناه يلغى الأفعال النواسخ فيدمج باب كان وأخواتها فى باب الفعل العام [1] ، ويعرب المرفوع فاعلا ، والمنصوب حالا [2] أوشبه حال [3] .

وهذا الصنيع هو الذى استحسنه دعاة الإصلاح حين قالوا : « أبواب نواسخ المبتدأ والخبر من مثل كان وأخواتها . . هذه كلها أبواب أقيمت على أساس نظرية العامل وقد ألغينا هذه النظرية فلابد إذن من أن نلغى الأبواب التى تقوم على أساسها غير أننا لانخرجها من كتب النحو ، بل ندمجها فى الأبواب الأخرى . فباب (كان) يدمج فى باب الفعل العام لأن (كان) فعل ، وليس يهمنا أن يكون تاما أو ناقصاً ، ومن أجل ذلك نعرب المرفوع — بعدها فاعلا ، أما المنصوب فنعربه حالا وهو رأى الكوفيين فى إعراب خبرها [4] ».

وبعد فلست أشك فى أن ابن مضاء قد انتفع بآراء الفراء أكبر انتفاع ، ويخيل إلى أننى لو تتبعت بقية آراء ابن مضاء فى كتابه لرددت معظمها إلى منبعها الأصيل وهو أبو زكريا الفراء [5] ولكننى أجتزئ بهذا القدر ،

---

(١) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب جـ ١ ص ٧٤ .

(٢) معانى القرآن ص ٥٥ ط دار الكتب .

(٣) همع الهوامع للسيوطى ١١١/١

(٤) الرد على النحاة ص ٥٤ من المدخل للدكتور شوقى ضيف ط دار الفكر العربى .

(٥) مثل رايه فى التعجب ، وفى باب ظن واخواتها ، وان واخواتها ، وفى افعال الاستثناء (خلا ، وعدا ، وحاشا) الى غير ذلك من الآراء .

وفيه غناء أى غناء فى هذا المقام ، وحسبى أننى أحسست بأن القارئ قد افتتح معى بتأثير الفراء فى ابن مضاء، دون أن يعترف الخالف بفضل السالف أو يشير إليه ، وإن كانت هناك باقية من شك فاستمع إلى قول الأستاذ المحقق وقد ضبط ابنَ مضاء متلبساً بسرقة رأى للفراء دون أن يشير إليه ، وذلك عند الحديث عن دخول الفاء فى خبر المبتدأ فى مثل قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) حين استظهر رأياً وأوهمنا أنه من بنات أفكاره ، ولكن الأستاذ المحقق كان له بالمرصاد فعقب عليه بقوله : « ليس هذا رأى ابن مضاء ، وإنما هو رأى المبرد والفراء من قبله[1] » . ودلنا على موطن ذلك من شرح السيرافى [2] ، وأزيد عليه كتاب (معانى القرآن) للفراء نفسه[3] .

وغنى عن البيان أن نقول : إن الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ كان أسبق من المبرد المتوفى سنة ٢٨٦ هـ(٤) فمرد الرأى إلى الفراء ، على أننى رأيت المبرد يتأثر بالفراء كثيراً رغم أنه من علماء البصرة ، وربما كان ذلك لأنهما يشتركان معاً فى نزعة متحدة وهى الثورة على نحو سيبويه ، فقد رأينا الفراء يتعمد مخالفته[5] ، كما رأينا المبرد يؤلف كتابا مستقلاضده سماه (الرد على سيبويه)[6] ، ويخيل إلى أن هذا الكتاب لو وصل إلينا لرأينا فيه كثيراً من آراء أبى زكريا الفراء .

وإلى هنا أعود بالقارئ إلى مبدأ اطلاعى على كتاب (الرد على النحاة) فأعترف له بأننى ظننت بادئ الرأى أن هذه الآراء من مبتكرات ابن مضاء ،

---

(١) هامش رقم (٢) من ص ١٢٠ من كتاب الرد على النحاة تحقيق الدكتور شوقى ضيف دار الفكر .

(٢) المجلد الثانى الورقة رقم (٥) .

(٣) انظر ص ٢١٧ (مصورتى) ، وانظر ص ٣٠٦ ط دار الكتب .

طبقات الزبيدى ص ١٢٠ الطبعة الأولى وفى بغية الوعاة توفى سنة ٢٨٥ هـ ص ١١٧ السعادة .

(٥) مراتب النحويين ص ٨٨ ط نهضة مصر .

(٦) بغية الوعاة ص ١١٦ (ترجمة المبرد) .

هذه واحدة ، وأخرى ظننت كما ظن أستاذنا الدكتور شوقى ضيف أن ابن مضاء (لم يعن بالنحو الكوفى أو على الأقل لم تظهر فى الكتاب عنايته بهذا النحو[1]) .

غير أننى حينما وقفت على نحو الفراء فى كتابه (معانى القرآن) ذلك الذى ظل محجوباً عن أعين الباحثين عدة قرون حتى ظن (جوتولد فايل) أنه لا يزال فى عداد الذخائر المفقودة ، كما سبق به البيان . تغيرت نظرتى إلى قيمة العمل الذى قدمه إلينا ابن مضاء فى كتابه (الرد على النحاة) ، وبدأت أقارن الرأى بالرأى ، والدليل بالدليل حتى وقفت على ماوقفت عليه فأيقنت أورجحت أن ابن مضاء عنى بالنحو الكوفى أشد عناية وبخاصة نحو الفراء بالذات . . فاستخرج منه هذه النظرية التى هجم بها على «المذهب البصرى الذى كان شائعاً من حوله والذى لايزال شائعاً إلى عصرنا الحاضر ، فاتخذه مسرحاً لمعاركه مع النحاة[2] » .

وهنا توقفت لأسأل نفسى عن سر هذا الموقف المريب من قاضى القضاة[3] ابن مضاء إزاء أمير النحاة أبى زكريا الفراء ومن شدا شدوه من الكوفيين . . وأخيراً وجدت الجواب يكاد ينحصر فى ناحيتين اثنتين : إحداهما شخصية ، والأخرى سياسية .

أما الأولى فهى أن ابن مضاء ما هو إلا بشر كبعض البشر ، أراد أن يظهر بمظهر المجددين المبتكرين ، فاختلس آراء الفراء ومن حذا حذوه من الكوفيين ونسبها إلى نفسه دون أن يشير إلى صاحبها خشية أن يرمى بالتقليد ، وقد كان التقليد وصمة عار فى ذلك العهد ، حتى ولو كان تقليداً للمذاهب الأربعة فى الفقه الشرعى[4] ، فما بالك بالنحو !

---

(١) الرد على النحاة ص ١٣ من المدخل للدكتور شوقى ضيف ط دار الفكر العربى .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الرد على النحاة ص ١١ من المدخل .

(٤) انظر نفح الطيب للمقرى جـ ٢ ص٧٢ .

أما الثانية وهى الناحية السياسية فقد حدثنا عنها الأستاذ المحقق حين وصف العصر الذى عاش فيه ابن مضاء ويتلخص فى أنه عصر ثورة المغرب على المشرق ، وقد شهد هذا العصر ثورة الموحدين على المذاهب الفقهية التى نبعت من الشرق ، وتمسكوا بظاهر الكتاب والسنة فحسب ، وردوا فقه الشرق على الشرق [1] .

وكان ذلك فى عهد يوسف بن عبد المؤمن الذى شمل ابن مضاء برعايته فولاه منصب قاضى القضاة فى الدولة كلها ، فليس عجيباً أن يسر ابن مضاء فى ركاب سيده [2] فيثور على الشرق أيضاً فى زاوية من زواياه العملية وهى زاوية النحو محققاً بذلك نوعاً من التجديد إذ أن الثورة كانت متجهة إلى الفقه وفروعه . فيكون بذلك قد جمع بين الهدفين ، هدف المشاركة فى الثورة من ناحية ، وهدف التجديد الذى يليق بمنصبه الكبير من ناحية أخرى ، ولولا هذا النزوع إلى الظهور بمظهر المجدد لكان ميدان الفقه والشرع أنسب له ولمنصبه ، ولكنه حب الظهور.

وليس من اليسير فى هذه الأجواء أن ننتظر من ابن مضاء أن يعترف بفضل أبى زكريا الفراء . وإلا ضاع منه المجد وفقد الشهرة ، بل إنه يكون موضع اللائمة لعدم تجاوبه مع ثورة سيده ، كما يكون موضع الزراية والسخرية من جهة أخرى ، حيث يكون قد رد على نحو الشرق بنحو الشرق فلم يأت من مغربه بجديد ، فما الفراء إلا من الكوفة ، وما الكوفة إلا أخ البصرة : وكلتاهما من المشرق ، ولايليق — فى نظره — شخصياً ولاسياسياً أن يظهر انتفاعه بمذهب الفراء أو بأى مذهب من الشرق .

ومن هنا وقفت على سر ذلك الموقف العجيب المريب.

---

(1) انظر ص ٨ فما بعدها من مدخل الرد على النحاة .

(2) انظر ص ١١ من مدخل الرد على النحاة .

هذا إلى أننى لست أقصد إلى تجريد ابن مضاء من مواهبه وجهوده التى بذلها فى تكوين هذه النظرية ، وإنما قصدت إلى التنويه بمصدر الإلهام ، وتنبيه الدارسين إلى المنبع الأصلى لهذه الثورة البناءة وهى آراء شيخ المجددين أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء .

ولم يكن ابن مضاء هو المجدد الوحيد الذى انتهل من مناهل الفراء، فهناك مصلحون كثيرون نهلوا منها فى دعواتهم إلى إصلاح النحو، غير أنهم خالفوا ابن مضاء فى أمر ذى بال ، وهو الأمانة العلمية ، فنسبوا الآراء إلى صاحبها، أو أشاروا فى أحاديثهم إلى أنهم استخرجوا هذا الإصلاح من تراثنا النحوى القديم ، وأعفوا أنفسهم من النسب الصريح ، وفى هذا بلاغ للناس .

(ا) من ذلك أننا رأينا (لجنة التيسير) تنتفع برأى الفراء فى عدم التفرقة بين ألقاب الإعراب والبناء(*) .

(ب) كما أن أستاذنا الخولى قد اقترح فيما اقترح لتيسير النحو أن يعرب جمع المذكر السالم بالحركات على النون [1] ، وهذا هو رأى الفراء [2] .

(حـ) وكذلك فعل مؤلفو (تحرير النحو العربى) حين جعلوا العلمية وحدها تكفى لمنع الصرف [3] ، مقتبسين ذلك من رأى الفراء [4] . إلى غير ذلك من الآراء التى تعد بحق من التيسيرات النحوية مثل :

إعراب جمع المؤنث السالم بالحركات الثلاث [5].

(*) انظر تقرير اللجنة الوزارية الذى نشر بجريدة المصرى فى يومى ٢٥ و ٢٦ من سنة ١٩٣٨ م ثم انظر رأى الفراء فى شرح المفصل لابن يعيش ٧٢/١

هذا النحو ص ٣٠ بحث نشر بمجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ـ مجلد (٧) سنة ١٩٤٤ م

(٢) انظر مجالس ثعلب ص ٧٧ وص ٣٢٠ ط دار المعارف .

(٣) ص ٣٦ لأستاذنا ابراهيم مصطفى وزملائه .

(٤) انظر حاشية الصبان على الاشمونى ١٥١/٣

(٥) انظر الدانى ص ١٦٩ مصورتى .

وإعراب المثنى بالألف مطلقاً فى جميع حالاته [1].

ومن التيسير رأيه فى إعراب المرفوع بعد (إن) الشرطية حيث جعله مبتدأ وما بعده خبر[1] مثل قوله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك) فى حين أن البصريين يصرون على تقدير فعل محذوف بعد أداة الشرط ليكون المرفوع فاعلا له فيقولون : وإن استجارك أحد من المشركين استجارك [2] .

وهناك تيسيرات كثيرة فى آراء الفراء يطول بنا المقام لو تقصيناه جميعاً ، وليس من أهدافنا هذا التقصى ، وحسبنا أننا وضعنا أيدينا على نماذج كثيرة من التيسير تنبه المخلصين فى إصلاح النحو وتيسيره إلى توجيه العناية بنوع خاص إلى آراء الفراء واتجاهاته فى التيسير.

وهنا يجمل بنا أن نوجه دعوة أخرى متواضعة عن سابقتها لإصلاح النحو العربى ، نؤازر بها أصوات الداعين إلى الإصلاح ممن سبقونى إلى هذا الميدان، وهى إعادة النظر فيما لدينا من تراث نحوى على نطاق أضيق من سابقه حيث نقصر بحثنا على الآراء المعروفة فى المطولات النحوية ، وننتخب منها أيسرها إعراباً ، وأمسها بحاجتنا اللغوية ، وأقصرها طريقاً للوصول إلى المعنى المقصود ، دون أن نقتصر على مذهب واحد من المذاهب النحوية المتعددة ، بل نتبع الأيسر أيا كان ، وإنى لعلى يقين من أنك واجد فى آراء الفراء منبعاً ثرًّا يعين على تيسير الدراسات النحوية للناشئين من المتعلمين . وبهذا نكون قد يسرنا النحو المدرسى تيسيرا يتناسب مع حاجة العصر الذى نعيش فيه ، ولست أزعم أن هذا الرأى جديد ، بل كل مافيه من جدة أنه يلفت أنظار الباحثين إلى الجديد من آراء شيخ المجددين أبى زكريا الفراء بعد أن كشفنا النقاب عن ذخائره النحوية والفكرية تلك التى ظلت مطمورة قروناً عديدة

---

(1) المعانى ورقة (١١٢) مخطوطة دار الكتب رقم (١٠ ش) تفسير .

(2) انظر معانى القرآن للفراء ص ٢٧٥ والانصاف ص ٢٥٤ وشرح المفصل ١٠/٩ وشرح الرضى على الكافية ١٦٢/١

حتى قال قائلنا « إن الفراء لم يترك من النحو إلا لمحات خافتة لاتسمن ولاتغنى من جوع »، على حين أنها كانت ولا تزال مصدر إلهام لكل من يرتاد طريق الإصلاح والتيسير فى النحو العربى .

المصطلحات النحوية عند الفراء :

لكى نتعرف على مدى جهود الفراء فى ابتكار المصطلحات النحوية لا بد لنا من البحث عن مصطلحات الآخرين ممن سبقوه أو عاصروه فى هذه الدراسات .

وأشهد أنه أصبح من العسير على الدارسين اليوم أن يتتبعوا تاريخ كل مصطلح على حدة لينسبوه إلى قائله الأول بعد تحديد ميلاده ، والتعرف على نشأته وتطوره ، وليس البحث عن التطور ترفاً علمياً وإنما هو ضرورة منهجية يقتضيها البحث ، خشية أن يكون أحد الخالفين قد أخذ المصطلح القديم وحوره أى تحوير يتوهم معه الدارس أنه وضع جديد .

ذلك هو منهج البحث الدقيق للتعرف على المصطلحات ونسبتها إلى مبتكريها ولكن ضياع الثروة النحوية من عهد أبى الأسود إلى عهد الخليل وسيبويه ، جعل هذا التتبع ضرباً من المستحيل ، وإذن فماذا نفعل ؟ هل نقف مكتوفى الأيدى أو نحاول ما استطعنا إلى ذلك سبيلا فى القدر الذى تعين به المصادر ؟

مما لا شك فيه أن السابقين الأولين كانت لهم مصطلحات فى النحو ، أى مصطلحات قلّت أو كثرت فهى على أية حال مصطلحات مثل الذى وصل إلينا منسوباً إلى أبى الأسود من (التعجب) أو باب (الفاعل) إن صحت هذه الروايات[1] .

والذى لا أشك فيه أن النحو قطع شوطاً كبيراً حتى وصل إلى ما وصل إليه على يد سيبويه ، وتلك سنة التطور فى معظم العلوم ، فليس كل مافى كتاب سيبويه هومن وضع الخليل وسيبويه ، إذ أن عيسى بن عمر — وهو

---

(١) انظر طبقات الزبيدى ص ١٤ ط الأولى .

أسبق منهما – كانت له جهود قيمة فى النحو باعتراف الخليل نفسه[1] . وإنما هو يمثل تراث السالفين بالإضافة إلى جهود سيبويه وأستاذه الخليل .

وهذا لا يعنى أبداً أن نغمط الخليل حقه ، فهو من أقدر الشخصيات على ابتكار . . المصطلحات ، وإذا كان قد ابتكر علماً كاملا هو (علم العروض) أفيعجز عن ابتكار بعض المصطلحات ، غير أن الذى نلاحظه فى كتاب سيبويه – وهو الذى انتفع بعلم الخليل – أن كثيراً من المصطلحات لم يكن قد استقر على شيء بعد ، فتارة يتردد فى الشيء الواحد أكثر من مصطلح [2] وتارة لا تجد له مصطلحاً على الإطلاق وإنما هى تعاريف طويلة أقرب إلى الإبهام منها إلى الوضوح[3] .

على أن سيبويه يذكر ما يذكر من المصطلحات دون أن يحدد قائلها الأول فلا نكاد نعرف مدى جهود الخليل فى هذه المصطلحات . غير أن الخوارزمى ذكر فى مفاتيح العلوم عدة مصطلحات ونسبها إلى الخليل بالذات ، من ذلك :

(الرفع ، والنصب ، والخفض) وهى ما وقعت « فى أعجاز الكلم منوناً »

(والضم ، والفتح ، والكسر) وهى ما وقعت « فى أعجاز الكلم غير منون » .

أما (الجر) فهو عنده « ما وقع فى أعجاز الأفعال المجزومة عند استقبال ألف الوصل » ، يريد به كسرة التخلص من التقاء الساكنين .

كما ذكر مصطلحات أخرى للخليل ووضحها ومثل لها ، مثل الجزم ، والتسكين والتوقيف ، والإمالة والنبرة ، ومثل التوجيه والحشو ، والنجر ، والإشمام ، والقعر والتفخيم والإرسال والإضجاع ، والتيسير[4] .

---

(١) انظر البغية ص ٣٧٠ ط السعادة .

(٢) انظر الكتاب ١٠٥/٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ففيها مصطلح (تصغير) وانظر ١٠٩ ففيها مصطلح (تحقير) وهما مصطلحان لشيء واحد .

(٣) انظر الكتاب ٢٧٩/١ ط بولاق (فى تعريف ان واخواتها) .

(٤) انظر تفاصيل هذه المصطلحات فى مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

ومن هذا يتبين لنا أن (الخفض) الذى يظنه بعض الدارسين[1] من ابتكارات الكوفيين إنما هو للخليل بن أحمد ومنشأ هذه الشبهة عندهم أنهم وجدوا الكوفيين قد اختاروا هذا المصطلح والتزموا التعبير به بدلا من مصطلح (الجر) عند البصريين فتوهموا أنه من وضع الكوفيين. وربما كان مرد هذا الوهم إلى ما جاء فى الأشباه والنظائر للسيوطى من أن (الجر) من عبارات البصريين، و (الخفض) من عبارات الكوفيين[2]. وقد رأينا وجه التحقيق فيه.

ومن المصطلحات التى وردت فى كتاب سيبويه، وهى يج من تراث السالفين ما يأتى: الاسم والفعل والحرف، واسم الفاعل والصفة المشبهة، والحشو[3] والنداء والترخيم والندبة، والاستثناء والبيان[4] وهو (فك الإدغام)، والتنوين وتارة يعبر عنه بالنون.

وقد رأيت هذه المصطلحات جميعها عند الفراء غير أنه يعبر عن الحشو بالصلة[5] والمراد بهما صلة الموصول. كما سيأتى به البيان.

ولم تقتصر جهود الفراء فى ميدان المصطلحات على استعمال ما هو موجود، بل إنه كما يقول (جوتولد فايل): «كثيراً ما استعمل الفراء اصطلاحات تخالف الاصطلاحات المشهورة عند علماء النحو الذين يمثلون هذا العلم، وفى المواضع التى لم تكف فيها الاصطلاحات القديمة استعمل الفراء اصطلاحات جديدة وصلنا جانب منها فيما بعد على أنه اصطلاحات الكوفيين»[6]

---

(١) انظر نشأة النحو ص ١١٩ ط الرابعة.

(٢) انظر جـ ٢ ص ٨٩

(٣) الكتاب جـ ١ ص ٢٦٩

(٤) الكتاب جـ ٢ ص ٤٠٨

(٥) انظر معانى القرآن عند تفسير قوله تعالى (منذا الذى يقرض الله قرضا حسنا).

(٦) مقدمة الانصاف ترجمة استاذنا الدكتور عبد الحليم النجار.

ويبدو أن القدماء لحظوا على الفراء هذا التجديد فقالوا : إنه كان يتعمد مخالفة البصريين فى اصطلاحاتهم [1] وربما كان على حق فى هذه المخالفة لأن كثيراً منها لم يكن واضح الدلالة [2] .

وجدير بى أن أعرض بعض ما وقفت عليه من المصطلحات عند الفراء ، وقد صنفتها إلى ثلاثة أنواع :

١ ــ نوع استعمله كما هو عند البصريين .

٢ ــ ونوع وضع له اصطلاحاً جديداً غير الذى كان عند البصريين .

٣ ــ ونوع ابتكر له الفراء اسم المصطلح كما ابتكر مسماه ، إذ أن البصريين لا يعرفون أو لا يعترفون بهذا النوع الجديد . وإليك البيان :

(أولا) المصطلحات المشتركة بين الفراء وغيره :

١ ــ ألقاب الإعراب : رأيتها عند الفراء كما رأيتها عند سيبويه ، وهى أقدم من هذا وذاك ، غير أن الفراء لا يرى التفرقة بين ألقاب الإعراب وألقاب البناء [3] فى حين أن البصريين وعلى رأسهم الخليل يفرقون بين هذه وتلك [4] ، وقد أخذت بـ ة التيسير برأى الفراء كما سبق به البيان .

٢ ــ التنوين أو النون : اصطلاحان لشىء واحد ، استعملهما سيبويه فى كتابه كما استعملهما الفراء فى معانيه [5] .

---

(١) مراتب النحويين ص ٨٨ ط نهضة مصر .

(٢) انظر الكتاب ٢٧٩/١ ، ٢١/١ ط بولاق .

(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٧٢/١ ، وشرح الكافية ٣/٢

(٤) انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٤٤ فما بعدها .

(٥) انظر معانى القرآن ص ٤٣ و ٧٠ ثم انظر ٤٣٢ ط دار الكتب وانظر ص ٣٧٨ مصورتى .

٣ ــ التصغير أو التحقير : اصطلاحان متساويان استعملهما الفراء فى معانيه ، فقال : « إذا حقرتها وصغرتها قلت هنيدة [١] » . ومن قبل استعملهما سيبويه فى الكتاب .

٤ ــ (الهاء) يريد بها تاء التأنيث : استعملها الفراء فى أكثر من كتاب [٢] كما استعملها سيبويه فى « الكتاب » [٣] .

٥ ــ الماضى والمستقبل : يعبر الفراء عن الفعل الماضى تارة (بالماضى) [٤] وتارة (بفَعَل) [٥] ، وكذلك يعبر عن الفعل المضارع تارة بالمستقبل [٦] ، وتارة (بيفعل) [٧] ، وأكبر الظن أن (فعل ويفعل) من بقايا الاستعمال قبل أن يوضع لهما المصطلح ، ونلاحظ أنه اتفق مع البصريين فى (الماضى) . أما المضارع فهو يختار التعبير عنه بلفظ (المستقبل) ولم أعثر على اصطلاح المضارع عنده وربما كان مرد ذلك إلى أنه لا يتفق مع البصريين فى (زمن الفعل) ، وقد كان الفراء صادق الحس فى ذلك حيث أثبت الدرس الحديث عدم دقة التقسيم الزمنى عند البصريين [٨] .

أما (الأمر) فقد استعمله الفراء فى معناه اللغوى العام [٩] ، أما المعنى الاصطلاحى فلا يكاد يعترف به ، لأنه يعتبر فعل الأمر قطعة من المضارع ولذلك رأيته يعبر عنه بقوله « موضع جزم [١٠] » ، وربما جرى على لسانه

---

(١) المعانى عند تفسير قوله تعالى (ذوقوا مس سقر) .
(٢) المعانى ص ١٢٩ ط دار الكتب والمذكر والمؤنث ص ٢ ط حلب .
(٣) جـ ٢ ص ٢٤٢ ط أوربا .
(٤) المعانى ص ٦٠ ط دار الكتب .
(٥) المعانى ص ٣٩ ، ٥٤ ، ٦٠
(٦) المعانى ص ٦٠ ، ٧٥
(٧) المعانى ص ٣٩ ، ٥٤ ، ٦٠
(٨) انظر من اسرار اللغة ص ١٥١ الطبعة الثانية .
(٩) المعانى ص ٦٣
(١٠) معانى القرآن ص ٥٤ ط دار الكتب .

لفظ (الأمر) الاصطلاحى[1] مجاراة لمذهب البصريين فقد كان يخلط بين المذهبين ، وسنرى عما قريب أن النزعة البغدادية قد ظهرت عنده فى استعمال اصطلاحات كل من الفريقين .

(ثانيا) اصطلاحات ابتكرها الفراء تخالف اصطلاحات البصريين :

١ ــ العماد = ضمير الفصل : رأيت الفراء فى معانيه يستعمل اصطلاح (العماد) ويوضح أنه بمنزلة الفعل فيقول عن كلمة (هو) من قوله تعالى (إن كان هذا هو الحق من عندك) « إن جعلتها عماداً بمنزلة الفعل نصبت الحق[2] » .

وإنما سماه « عماداً لكونه حافظاً لما بعده حتى لايسقط عن الخبرية ، كالعماد فى البيت الحافظ للسقف من السقوط [3] » .

كما أن البصريين يعللون لتسميته بالفصل فيقولون : « فصل به بين كون ما بعده نعتاً وكونه خبراً [4] » .

ويلوح لى أن كلا منهما تسمية موفقة ، ولست أدرى ما الذى حدا الفراء أن يضع له اسما جديداً . لعله كما يقول المؤرخون كان حقاً يتعمد مخالفة البصريين ليؤسس مذهباً جديداً كما سلف به البيان .

٢ ــ الصلة = الحشو : كلاهما يراد به ما يقع بعد الأسماء الموصولة ويسمى صلة الموصول ، وقد اختار الفراء مصطلح (الصلة) [5] على حين اختار البصريون مصطلح (الحشو)[6] غير أن مصطلح الفراء قد تغلب ، وكتب له البقاء .

---

(١) انظر معانى القرآن ص ١٢٤ فما بعدها ط دار الكتب .

(٢) المعانى . ورقة ٦١ مخطوطة دار الكتب رقم (١٠ ش) تفسير .

(٣) شرح الكافيه ٢٤/٢ وانظر شرح المفصل لابن يعيش ١١٠/٣

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر المعانى عند تفسير قوله تعالى (منذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) .

(٦) الكتاب ٢٦٩/١

ورأيت ابن يعيش فى شرح المفصل يقول : « والصلة والحشو من عبارة الكوفيين [1] » ويبدو أنه غير دقيق فالحشو من عبارة البصريين ، وقد رأيته فى كتاب سيبويه نفسه [2] ، بل يخيل إلى أن اصطلاح (الصلة) أيضاً مستخرج من كلام سيبويه حيث قال : « فكما أن (الذى) لايكون إلا معرفة لايكون (ما) و (من) إذا كان الذى بعدهما حشواً وهو الصلة إلا معرفة ، ونقول: هذا مَن أعرف منطلق (بالرفع) فتجعل أعرف صفة ، وتقول هذا من أعرف منطلقاً (بالنصب) تجعل أعرف صلة [3] » غير أن سيبويه فيما يبدو لى لم يعتمد كلمة الصلة وإنما اعتمد فى كتابه كلمة (الحشو) وجعلها هى المصطلح .

على أن كلمة (الصلة) لها وجه آخر فى الاصطلاح ، فيطلقها الفراء على الزيادة فى القرآن ، تأدباً منه وتورعاً من أن ينسب الزيادة إلى كتاب الله تعالى .

٣ ـ الجحد = النفى ، والإقرار = الإثبات : رأيت الفراء يستعمل مصطلح (الجحد) بدل مصطلح (النفى) عند البصريين ، فيقول فى تفسير قوله تعالى : (ولا تطع منهم آثماً أوكفورا) « (أو) هنا بمنزلة (لا) و (أو) فى الجحد .... تكون فى معنى (لا) ، فهذا من ذاك [4] » وهو مصطلح موفق لا يقل عن مصطلح البصريين إن لم يزد بأنه يساير روح اللغة أكثر من مصطلح (النفى) الذى يساير روح الفلسفة .

وكذلك رأيته يستعمل مصطلح (الإقرار)[5] بدل الإثبات ، وكلاهما مصطلح موفق غير أن مصطلح (الإثبات) سارت به الركبان . ولست أجد

---

(١) الكتاب ١٢٨/٨

(٢) انظر الكتاب ٢٦٩/١

(٣) نفس المصدر .

(٤) معانى القرآن ص ٣٥٢ (مصورتى) .

(٥) المعانى ص ٥٢ ط دار الكتب .

تعليلا لذلك إلا أن آثار الفراء قد عدا عليها الزمن فى حين أن آثار البصريين ما تزال فى أيدى الدارسين .

٤ ــ التشديد = التوكيد : وضع الفراء اصطلاحاً جديداً للتوكيد فسماه تشديداً، من ذلك ما جاء فى معانيه من إعراب قوله تعالى (والسابقون السابقون) حيث قال : « إن شئت رفعت السابقين بالسابقين الثانية . . . فإذا رفعت إحداهما بالآخرة فهو كقولك : الأول السابق ــ وإن شئت جعلت الثانية تشديداً للأولى ... [1] » يريد توكيداً لها .

وهو اصطلاح موفق أيضاً غير أن إلْفنا (بالتــوكيد) يجعلنا نحس بأنه مستساغ أكثر من (التشديد) . مع أنهما فى الأسلوب العربى سواء ، فما التشديد إلا توكيد ، أو هما متقاربان فى مذهب من لا يجيز الترادف اللغوى .

٥ ــ الاسم الثابت = الاسم الجامد : هذا المصطلح قريب من سابقه ، فما كان من الفراء إلا أن أتى بالمعنى المرادف للمصطلح البصرى ، وجعله اصطلاحاً جديداً ، مما يؤكد لدينا فكرة التعمد لمخالفة البصريين ، وذلك لأنه يؤسس مذهباً يبتغى له الجدة فى كل شىء حتى فى المصطلحات .

من النصوص التى استعمل فيها الفراء كلمة (الثابت) بدل (الجامد) قوله : « تقول كان سيدَهم أبوك ، وكان سيدُهم أباك ، والوجه أن تقول : كان سيدَهم أبوك ، لأن الأب اسم ثابت ، والسيد صفة من الصفات »[2] .

٦ ــ التكرير أو الترجمة أو التبيين كلها مصطلحات = البدل : رأيت الفراء يستعمل مصطلح (التكرير) فى مقام البدل فى مواطن متعددة ، من ذلك « قوله (لنسفعاً بالناصية) على التكرير كما قال (إلى صراط مستقيم صراط

---

(١) معانى القرآن عند تفسير قوله تعالى (والسابقون السابقون أولئك المقربون) .

(٢) معانى القرآن ص٣٥١ (مصورتى) .

الله) المعرفة ترد على النكرة بالتكرير ، والنكرة على المعرفة [1] ». وهو اصطلاح موفق إذا كان البدل من نوع المطابق ، لأن المطابقة معناها المساواة ، وطالما أن البدل مساو للمبدل منه فهو تكرار له .

وأحياناً يكون البدل بمثابة التوضيح للمبدل منه ، مثل قوله تعالى : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب) . وهنا يحسن تسميته ترجمة وتبيينا [2] فلعل الفراء كان يلحظ الموقع المعنوى ثم يطلق عليه المصطلح ، وربما كان هذا هو السر فى تعدد المصطلحات لشيء واحد ، بخلاف البصريين فإنهم لحظوا الحكم الإعرابى فقط دون نظر إلى المعنى فأطلقوا عليه اسم البدل ، ومن هنا رأيت الفراء أدق فى مصطلحه من البصريين ، وإن كان يؤخذ عليه تعدد الأسماء .

٧ – لم يسم فاعله = مبنى للمجهول : لم أعثر عند الفراء على مصطلح (مبنى للمجهول) كما أننى لم أطلع عليه عند سيبويه ، ويبدو أنه من المصطلحات التى استحدثت بعدهما ، وله نظائر مثل مصطلح (العَلَم) كما سيأتى به البيان .

والذى وقفت عليه عند الفراء هو مصطلح (لم يسم فاعله) فى مثل قوله : « وقرأ بعض أهل المدينة وأُمْلِىَ لهم بنصب الياء وضم الألف بجعله فعلا لم يسم فاعله والمعنى متقارب [3] » وأحياناً يطلق عليه (المبنى للمفعول) [4] .

ويخيل إلى أن مصطلح (المبنى للمجهول) أكثر توفيقاً لاختصاره أولا ، ولأنه أقرب إلى روح المصطلحات ثانياً . بخلاف مصطلح الفراء فإنه أقرب

---

(١) معانى القرآن ص ٣٧٢ (مصورتى) وانظر مصطلح (التكرير) فى ص ٧ ، ٥١ ، ٥٦ ط دار الكتب .

(٢) الأشمونى ١٢٦/٣ ، وانظر (مقدمتان فى علوم القرآن) ص ١٢٥ تحقيق أرثر جفرى .

(٣) المعانى ص ٣٠٥ (مصورتى) .

(٤) المعانى ص ٣٥٧ ط دار الكتب .

إلى البدائية التى نراها عند سيبويه فى بعض مصطلحاته التى تشبه التعاريف[1] أما مصطلح المبنى للمفعول فهو قريب من التوفيق .

٨ – الأداة = حروف المعانى : رأيت الفراء فى معانيه يطلق مصطلح (الأداة) على كلمة الجواب (نعم) [2] وعلى (إذ) [3] و (أن) [4] و (لو) [5] ، وأمثالهما مما يطلق عليه البصريون (حروف المعانى) ، فهو يفرق بين الحروف ، فما كان منها للمعانى سماه (أداة) ، وما كان منها لغيرها وضع له مصطلحاً آخر سيأتى به البيان ، وربما كان هذا الصنيع أدق من صنيع البصريين الذين لا يفرقون بينهما إلا باضافة كلمة أخرى ، فيقولون (حروف المعانى) و(حروف الجر) ، وكلاهما حروف. وميزة اصطلاح الفراء تتمثل فى :

(ا) الاختصار من ناحية .

(ب) وفى دقة المصطلح من ناحية أخرى .

٩ – الصفة = حرف الجر (وتساوى « الظرف » أحياناً): يقول الفراء فى معانيه عند تفسير قوله تعالى: (واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) « فإنه قد يعود على اليوم والليلة ، ذكرهما مرة بالهاء وحدها (يريد الضمير وحده) ومرة بالصفة [6] » يريد حرف الجر ، والتقدير لا تجزى فيه نفس....الخ . فأطلق الصفة على حرف الجر دون إضافته إلى كلمة أخرى ، ومن هنا جاء الاختصار ، ولهذا كان موفقاً من هذه الزاوية ، إلا أن التوفيق

---

(١) انظر الكتاب ٢٧٩/١ ، ٢١/١ ط بولاق .

(٢) معانى القرآن ص ٥٢ ط دار الكتب .

(٣) نفس المصدر ص ٥٨

(٤) المصدر السابق .

(٥) المذكر والمؤنث للفراء ص ٣٦ ط حلب .

(٦) معانى القرآن ص ٣١ ط دار الكتب .

خانه فى اختيار كلمة (الصفة) لهذا المصطلح ، فليس من اللازم أن يكون الحرف صفة لما قبله ، فهو يكون كذلك حين يتبع النكرات ، أما حين يتبع المعرفة فإنه لايعرب صفة ، ولهذا ضعَّفه السيوطى فى الهمع ، اللهم إلاأن يقال إنه يحدث صفة فى الاسم الذى بعده على ما يراه السيوطى نفسه فيقو ل : « حروف الجر ، ويسميها الكوفيون حروف الإضافة لأنها تضيف الفعل إلى الاسم أى توصله إليه ، وحروف الصفات لأنها تحدث صفة فى الاسم فقولك (جلست فى الدار) دلت (فى) على أن الدار وعاء للجلوس ، وقيل لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات »[1] فيبدو من حديثه أنه ارتضى التعليل الأول وهو أنها تحدث صفة فى الاسم الذى بعدها ، وأنكر التعليل الثانى أو استضعفه ، ولهذا حكاه بصيغة التضعيف .

ويلاحظ أن السيوطى يستعمل الإضافة بين المصطلح وبين كلمة (حروف) فيقول : (حروف الصفات) ، ولم أر الفراء قد استعمل هذه الإضافة [2] ، وربما كانت وليدة استعمالات الكوفيين المتأخرين أو أنه استعملها فى القليل من كلامه وأشاعوها بينهم ، وعنهم أخذها السيوطى ، ولهذا قال « ويسميها الكوفيون » . على أننى لم أتتبع هذا الاصطلاح بيقظة تامة فى جميع المؤلفات ، وإنما حكمت هذا الحكم بالنسبة إلى القدر الذى تيقظت له .

وكذلك لم أعثر عند الفراء على تسميتها (بحروف الإضافة) وربما كانت من وضع المتأخرين ، على أن صاحب الموفى وشارحه اقتصرا على هذا المصطلح فقط وجعلاه للكوفيين بعامة [3] .

وكما يطلق مصطلح (الصفة) على حرف الجر ، يطلقه كذلك على (الظرف) المكانى أو الزمانى على السواء ، فهما يؤديان نفس الوظيفة التى

---

(١) همع الهوامع للسيوطى ١٩/٢

(٢) انظر المعانى ص ٢ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٧٥ مثلا ط دار الكتب .

(٣) انظر الموفى فى النحو الكوفى ص ١٣٦ ط دمشق .

تؤديها (حروف الجر) مثل الوقوع صفة أو صلة أو حالا أو خبراً ... الخ . غير أن الظروف لها مصطلح آخر عند الفراء سنتحدث عنه فيما بعد .

وإذا كان الفراء قد أطلق على حرف الجر (صفة) وعلى حرف المعنى (أداة) فماذا يعنى بكلمة (حرف) إذن ؟ .

حرف = كلمة = حرف الهجاء = قراءة .

رأيتها بالمعانى الثلاثة عند الفراء [1] ، ثم هى فى اللغة تصلح لأكثر من ذلك ، فتطلق على الجملة ، وعلى الخطبة ، وعلى القصيدة .... إلى آخر ما هنالك[2] .

١٠ ــ المحل = الظرف ، ويساوى (حرف الجر) أحياناً : اقتصر صدرالدين الكنغراوى فى كتابه (الموفى فى النحو الكوفى) على جعل (المحل) اصطلاحاً للظرف فقط كما يفهم من حديثه وحديث الشارح[3] ، وجعله عاماً عند الكوفيين ، غير أننى رأيت الفراء يجعل (المحل) اصطلاحاً للظرف كثيراً ، ولحرف الجر أحياناً عكس مصطلح (الصفة) كما مر .

يقول فى المعانى : « فإذا كان ماقبل الفاء اسما لا فعل فيه ، أو محلا مثل قوله عندك وعليك وخلفك ... لم يكن فى الجواب بالفاء إلا النصب [4]» وشاهدنا فى أنه أطلق (المحل) على كلمة (عليك) وهى جار ومجرور .

وإطلاق (المحل) على الظرف إطلاق معقول ، لأن الظرف محل لما يقع فيه ، سواء أكان زماناً أم مكاناً ، أما إطلاق هذا المصطلح على الجار والمجرور فهو إطلاق غير دقيق فيما أرى إلا على وجه من التمحل بعيد .

---

(١) انظر المعانى ص ٣٧٢ (مصورتى) وورقة (٤٥) مخطوطة دار الكتب . (١٠ ش) تفسير ، والمذكر والمؤنث للفراء ص ٧ ، ١١ ٣٦ ، ٤٤ ط حلب .

(٢) انظر تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٧ ط الحلبى .

(٣) انظر ص ١٧١ ط دمشق .

(٤) ص ٢٨ ط دار الكتب .

هذا إلى أن صاحب الإنصاف يذكر إلى جانب اصطلاح (المحل) بالنسبة إلى الظرف اصطلاح (الصفة) أيضاً غير أنه فى التمثيل ضم إليه الجار والمجرور أيضاً فقال : « ذهب الكوفيون إلى أن الظرف يرفع الاسم إذا تقدم عليه ، ويسمون الظرف المحل ، ومنهم من يسميه الصفة ، وذلك نحو قولك : (أمامك زيد ، وفى الدار عمرو)[1] » فتراه فى التمثيل أدخل الجار والمجرور مع الظرف .

١١ – الموقّت = الاسم الخاص = العَلَم : (الموقت) هو اصطلاح الفراء ، و (الاسم الخاص) هو اصطلاح سيبويه ، وكلاهما بمعنى (العلم) ويبدو أن اصطلاح (العلم) قد وضع متأخراً عن عصر سيبويه والفراء ، وربما يكون قد وضع بعد عصر المبرد (ت ٢٨٦ هـ) إذ أننا رأيناه فى المقتضب يستعمل اصطلاح (الاسم الخاص) [2] ولا يستعمل (العلم) .

على أن الفراء يقسم الأسماء من حيث التعريف والتنكير إلى ثلاثة أقسام :

(ا) معرفة موقتة : وهى العلم ، والضمير .

(ب) ومعرفة غير موقتة : مثل الموصول والمشتقات إذا دخلت عليها (أل) .

(حـ) ونكرة وهى طبعاً غير موقتة عنده ، إلا أنها دون المعرفة غير الموقتة .

يقول الفراء فى معانيه : « ولا يجوز أن تقول مررت بعبد الله غير الظريف إلا على التكرير ، لأن عبد الله موقت ، و (غير) فى مذهب نكرة ، غير موقتة ولا تكون نعتاً إلا لمعرفة غير موقتة [3] » .

---

(١) الانصاف لابن الانبارى مسألة .

(٢) انظر المقتضب للمبرد جـ ٤ قسم (٢) ص ٥٧ مصورة دار الكتب (٥٢٥) .

(٣) معانى القرآن ص ٧ ط دار الكتب .

وقبل هذا بقليل وضح لنا المعرفة غير الموقتة فقال : « وقوله تعالى : (غير المغضوب عليهم) بخفض غير لأنها نعت للذين لا للهاء والميم من عليهم ، وإنما جاز أن تكون (غير) نعتا لمعرفة (يعنى الذين) لأنها قد أضيفت إلى اسم فيه ألف ولام وليس بمصمودٍ له ، ولا الأول أيضاً بمصمود له ، وهى فى الكلام بمنزلة قولك (لا أمر إلا بالصادق غير الكاذب) كأنك تريد بمن يصدق ولا يكذب[1] » .

فأنت تراه فى هذين النصين قد جعل (عبد الله) وهو (علم) معرفة موقتة ، وجعل اسم الموصول (الذين ..) معرفة غير موقتة ، وفرق بينه وبين الضمير من (عليهم) فأجاز نعت الموصول بكلمة (غير) ولم يجز نعت الضمير بها ، وفى هذا دلالة على أنه يفرق بينهما فى التعريف ، ومن هنا جعلنا الضمير مع العلم أثناء التقسيم وربما كانت لهما نظائر أخرى من المعارف كالإشارة مثلا ، غير أننى لم أعثر له على نص فيها ، وهذا لايمنع من دخولها فى (المعرفة الموقتة) ، ويبدو أن الفراء يجعل اصطلاح (مصمود له) مساوياً لاصطلاح (المعرفة الموقتة) كما يفهم من النص السابق ، كما أطلق اصطلاح (غير موقتة) على كلمة (غير) وقال : إنها نكرة .

١٢ ــ المفسر = التمييز : يقول الفراء فى معانية : « والمفسر فى أكثر الكلام نكرة ، كقولك ضقت به ذرعاً ، وقوله (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً) فالفعل للذرع لأنك تقول ضاق ذرعى به ، فلما جعلت الضيق مسنداً إليك فقلت ضقت جاء الذرع مفسراً لأن الضيق فيه ، كما تقول هو أوسعكم داراً ، دخلت الدار لتدل على أن السعة فية لا فى الرجل[2] » .

ألا ترى معى أنه اصطلاح موفق غاية التوفيق ، وقد أغنانى أبو زكريا الفراء عن بيان وجهة التوفيق ، فتولى ذلك بنفسه وطفق يشرح ويمثل ليوضح الدلالة على التفسير كما رأيت فى النص السابق .

---

(١) معانى القرآن ص ٧ ط دار الكتب .

(٢) معانى القرآن ص ٧٩ ط دار الكتب .

١٣ – المكنى أو الكناية = الضمير : رأيت أبا زكريا الفراء فى معانيه تارة يسمى الضمير مكنيا وأخرى يعبر عنه بالكناية ، فيقول : « فأما من قال عليهم فإنه استثقل الضمة فى الهاء وقبلها ياء ساكنة فقال (عليهم) لكثرة دور المكنى فى الكلام[١] » .

فعبر عنه هنا بالمكنى وفى موطن آخر عبر عنه بالكناية فقال عند تفسير قوله تعالى : (فأتوا بسورة من مثله) « الهاء كناية عن القرآن[٢] » .

ويلوح لى أن اصطلاح البصريين أدق من اصطلاح الفراء إذ أن الكناية تشمل كل مايكنى به من إشارة أو موصول أو عدد ، بخلاف (الضمير) فإنه لايدخل فيه شيء من ذلك ، اللهم إلا إذا ذهبنا به مذهب من يجعل الكلمة أقساما أربعة من المحدثين ، ويجعل (الضمير) هو القسم الرابع ، ويدخل فيه العدد وأسماء الإشارة وأسماء الموصول[٣] ، حينئذ يتقارب الاصطلاحان : أو يقفان معا على قدم المساواة .

هذا من حيث النحو ، أما من حيث الاستعمال اللغوى العام فلايزال باب الكناية أوسع من باب الضمير ، إذ يدخل فيها مثل قولنا (فلان) كناية عن شخص ما ، وقولنا (كيت وكيت) كناية عن حديث ما ، وقولك (كذا وكذا) كناية عن الأعداد المبهمة ، ومن هنا يتبين لنا أن الكناية أشمل من الضمير[٤] فالاصطلاح البصرى أدق .

١٤ – الفعل الدائم = اسم الفاعل إذا كان عاملا : رأيت الفراء يفرق بين اسم الفاعل إذا كان عاملا فيطلق عليه (الفعل الدائم)[٥] وأحيانا يطلق

---

(١) معانى القرآن ص ٥ ط دار الكتب .

(٢) نفس المصدر ص ١٩ وكذلك انظر ص ٥٠

(٣) انظر من أسرار اللغة ص ١٩٦ للدكتور ابراهيم أنيس .

(٤) انظر فى هذا شرح المفصل لابن يعيش ٨٤/٣

(٥) انظر مجالس ثعلب والنحاة للزجاجى مصورة دار الكتب عن نسخة شهيد على باستامبول .

عليه (الفعل) فقط[1] وبين اسم الفاعل إذا كان غير عامل فانه يدخله فى باب الأسماء ويطلق عليه (الاسم)[2] فقط ، كما سبق .

١٥ ـ الفعل = الاسم الذى يفيد حدثا ما : يطلق الفراء مصطلح (الفعل) على اسم الفاعل العامل[3] وهو اختصار لمصطلح (الفعل الدائم) وهو إطلاق مقبول كما مر ، أما الجديد فهو أنى رأيته يطلق (الفعل) على (المصدر) فيقول : « . . . وأنت تقول فى الأفعال فتوحد فعلها بعدهما فتقول : إقبالك وإدبارك يشق على ولاتقول أخوك وأبوك يزورنى[4] » فتراه أطلق الأفعال على كلمتى (إقبال وإدبار) وكلاهما مصدر ، على أنى رأيته يستعمل كلمة (مصدر) ولكنه يطلقها على المفعول المطلق فيقول فى تفسير قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) « فأما من نصب (أى كلمة الحمد) فإنه يقول : الحمد ليس باسم إنما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول أحمد الله فإذا صلح مكان المصدر ـ (فَعَلَ أو يَفْعَلَ) جاز فيه النصب[5] » . فهو يستعمل كلمة المصدر ويريد بها المفعول المطلق كما هو واضح من حديثه وتمثيله ، ولا يكاد يذكر اصطلاح (المفعول المطلق) لأنه لايعترف بتشقيق المفاعيل ، فهو يعتمد (المفعول به) فقط ، وما عداه تكملة (شبه مفاعيل)[6] .

كما أطلق اصطلاح الفعل على كلمة (أمنية) لما فيهامن رائحة الحدث حين قال : « وكذلك ماكان مثل أمنية . . . . فى جمعهوجهان : التخفيفوالتشديد وإنما تشدد لأنك تريد الأفاعيل فتكون مشددة لاجتماع الياء من جمع الفعل (يريد أمنية) ، والياء الأصلية . . . [7] » .

---

(١) المعانى ص ٣٣

(٢) انظر المعانى ص ٤٥ ط دار الكتب حيث جعل (الفارض) اسماليس بفعل .

(٣) المعانى ص ٣٣ ط دار الكتب .

(٤) نفس المصدر ص ٤٥

(٥) المصدر السابق ص ٣

(٦) انظر التصريح على التوشيح جـ ١ ص ٣٢٣ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٨ هـ .

(٧) معانى القرآن ص ٤٩ ط دار الكتب .

ولست أرى هذا الإطلاق دقيقا فى الموضوعين الأخيرين ، لما فيهما من بعد عن (الفعل) .

١٦ – الفعل الواقع = الفعل المتعدى : لايكاد الفراء يستعمل اصطلاح (المتعدى) وكل ما رأيته له يصطنع فيه اصطلاح الواقع ومشتقاته فيقول مثلا « أوقعت عليه الفعل[١] » أو يقول مثلا « أن توقع الضرب على البعوضة[٢] »

وهناك اصطلاحات أخرى لانقف عندها طويلا مثل :

١٧ – الألف = همزة القطع[٣] .

١٨ – الألف الخفيفة = همزة الوصل[٤] .

١٩ – القطع = الحال[٥] .

٢٠ – الهاء = تاء التأنيث وهو تعبير غير دقيق وقد استعمله سيبويه من قبله[٦] .

مصطلحات بغدادية :

هناك مصطلحات وضع لها الفراء اسما جديدا ومع ذلك ظل يستعمل الاسم البصرى القديم ، ولهذا سميناها المصطلحات البغدادية إذ أنها تمثل مذهبه البغدادى فى التأثر بالمذهب البصرى ، من ذلك :

٢١ – يجرى ولايجرى = ينصرف ولاينصرف[٧] : رأيت الفراء – يستعمل الاصطلاح البصرى (ينصرف ولاينصرف[٨]) ومشتقاته ، إلى جانب

---

(١) المعانى ص ٤٠ ط دار الكتب .
(٢) نفس المصدر ص ٢١
(٣) المعانى ص ٧١
(٤) المعانى ص ٧٠
(٥) المعانى ص ١٢
(٦) انظر الكتاب ٢٤٢/٢ ط اوربا باب (ماجاء من المصادر على فعول) .
(٧) انظر الاشباه والنظائر للسيوطى ٣٠/٢
(٨) انظر المعانى ص ٤٢ ط دار الكتب ، والايام والليالى ص ٦ الاميرية .

مصطلحه الجديد (يجرى ولايجرى)[1] ومشتقاته، ولئن دل هذا على شى إنما يدل على مذهبه البغدادى الذى يفيد من المذهب البصرى كما يفيد من غيره.

هذا إلى أن الاصطلاح الجديد موفق فى أداء وظيفته، فما الجرى إلا انصراف فى اللغة ، غير أن الجرس الصوتى للاصطلاح البصرى أجمل ، ولعل الذى حدا الفراء أن يعدل عنه إلى غيره أنه وضع كلمة (الصرف) لاصطلاح آخر كما سيأتى عن قريب ، فخشى اللبس ، ولهذا عدل .

(٢٢) مردود أو نسق = معطوف أو عطف: وكذلك فى هذا الباب رأيته يستعمل اصطلاح البصريين (العطف ومشتقاته)[2] إلى جانب الاصطلاح الجديد وهو (مردود)[3] ، أو (نسق)[4] فإنه يراوح بينهما فى الاستعمال، وكلاهما اصطلاح موفق فى نظرى غير أن كلمة (معطوف) أجمل فى موسيقاها من كلمة (مردود) .

أما كلمة (نسق) فإنها تمتاز عنهما بالجمع بين الجرس والإيحاء ، إلى جانب الوظيفة الاصطلاحية .

(ثالثا) مصطلحات مبتكرة ، ومسماها مبتكر :

ليس عند البصريين ما يقابل هذه المصطلحات الآتية لأن الفراء كان قد انتزع موضوعاتها انتزاعاً من النحو وابتكر لها هذه المصطلحات وهى :

١ ــ الخالفة : يطلقه الفراء ــ كما رجحت سابقاً ــ على كل ما يجتمع فيه صفةٌ من الأفعال وصفةٌ من الأسماء مثل (كِلاَ) ، (واسم الفعل) كما سبق به البيان فلا حاجة إلى التكرار .

---

(١) المعانى ص ٤٢ ، ٤٣ ، ص ٤٢٨ مثلا ط دار الكتب ، والمذكر والمؤنث ص ٢١ ، ٣١ ط حلب .

(٢) انظر المعانى ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤

(٣) نفس المصدر ص ١٧ ، ٧٠ ط دار الكتب ، ص ٣٤٧ مثلا (مصورتى) .

(٤) المصدر السابق ص ٤٤ ، ٥٩ ، ٧١

٢ ــ التقريب : مصطلح جديد كذلك لا يعرفه البصريون ، وقد سبق بالتفصيل .

٣ ــ الخلاف أو الصرف أو الخروج : اصطلاحات ثلاثة تلتقى عند نقطة واحدة وهى مخالفة اللفظ لما قبله مطلق مخالفة ، وميدانها الأفعال والأسماء على السواء ، وقد فتحت باب التيسير على مصراعيه كما سبق به البيان . غير أننى أضيف نصاً جديداً يتعلق بمصطلح (الخروج) وقفت عليه فى (معانى القرآن) ، يقول أبو زكريا الفراء فى تفسير قوله تعالى : (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه) « وقوله قادرين نصبت على الخروج من (نجمع) كأنك قلت فى الكلام أتحسب أن لن نقوى عليك ، بلى قادرين على أقوى منك ، يريد بلى نقوى قادرين[1] » فأنت تراه ينصب كلمة (قادرين) على (الخروج) وهو هنا يساوى مصطلح (الخلاف) تماماً ، وآية ذلك أنه وضحه بمخالفة الجملة الثانية للجملة الأولى فى النفى والإثبات ، فحيث كانت الأولى منفية (لن نقوى . .) جعل الثانية مثبتة (بلى قادرين . .) وهذا لون من الخلاف الذى يستوجب النصب ، ومن هنا رأينا أن مصطلح (الخروج) و (الخلاف) سواء ، وكلاهما لا يختلف عن مصطلح (الصرف) عند الفراء .

---

(١) المعانى ص ٣٤٩ (مصورتى) .

تعقيب

لا يسع الدارس أمام هذا الاتجاه القوى من أبى زكريا الفراء إلا أن يعترف له بأنه كان حقاً يؤسس مذهباً جديداً حتى فى المصطلحات النحوية ، فقد رأينا كيف انتفع بتراث البصريين ، ثم أضاف إليه ما يحقق مقومات المذهب الجديد من المزج والابتكار ، فكان الذى رأيت .

ولولا خشية الإطالة لذكرت كل ما وقفت عليه من الاصطلاحات ولكننى اقتصرت على أكثرها تردداً فى معانيه ، إيثاراً للإيجاز .

كما أوجزت من قبل فى عرض آرائه النحوية ، فأشرت إلى بعضها إشارات خاطفة وهى قُلّ من كُثُر ، وأرجأت الكثير منها إلى حين ، ولست أدعى أننى أحطت بكل ما للفراء من آراء ، وإنما توافر لى منها قدر صالح ، استطعت أن أحكم عليه حكماً هو أقرب ما يكون إلى الصواب فيما أحسب .

ولا أخفى على القارئ أننى فى بدء اضطلاعى بهذا البحث قطعت شوطاً كبيراً سرت فيه مع القدماء القائلين بأن الفراء يمثل المدرسة الكوفية . . ولكن الحقائق لفتتنى بعنف ، وأرغمتنى على إلغاء ما كتبت ، وعزيز على الدارس أن يلغى جزءاً كبيراً مما كتب ، ولكنه البحث المنهجى يقتضينا أن نسلم أنفسنا للبحث عن الحقيقة أيا كانت ، وكيفما كانت . . . وأخيراً هُديت إلى أن أبا زكريا يحيى بن زياد الفراء كان المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية ، فأثبتّ ما رأيت ، فإن أكن قد وفقت فذلك الذى أبغى ، وإن تكن الأخرى فما على المحسنين من سبيل .

الفصل الثانى

مذهبُهُ فى اللّغة

فى هذا الفصل نبدأ حيث انتهينا فى الفصل السابق إلى النتيجة التى انتهى إليها البحث ، وهى أن أبا زكريا الفراء كان المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى فما علينا هنا إلا الجانب التطبيقى للدلالة على أنه كان ينهج هذا المنهج الوسط فى (مذهبه اللغوى) ، كما كان ينهجه فى (المذهب النحوى) بل فى سائر المذاهب[1].

لهذا سأضرب صفحا عن نشأة المدارس ، وتطورها ، وخصائصها ومؤسسيها ، وعن تدرج المدرسة البغدادية بالذات ، وعوامل تأثر الفراء بالمذهب البصرى . . . . إلى آخر ما هنالك من تفاصيل لاحاجة بنا إلى إعادتها من جديد .

*
* *

من الجانب التطبيقى بيان مظاهر النزعة البصرية فى مذهبه اللغوى :

(أولا) تغليط العرب :

قال الفراء فى معانيه : « وربما غلطت العرب فى الحرف أو ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز ، سمعت امرأة من طىء تقول : رثأت زوجى بأبيات ويقولون لبأت بالحج ، وحلأت السويق فيغلطون ، لأن حلأت

---

(1) مثل مذهبه فى الاعتزال والتشيع ، ومذهبه فى التفسير بين السلفية والتحرر .

قد يقال فى دفع العطاش من الإبل ، ولبأت ذهب إلى اللَّبَأ[1] الذى يؤكل ، ورثأت زوجى ذهبت إلى رثيئة اللبن ، وذلك إذا حلبت الحليب على الرائب[2] » .

فأنت تراه يخطئ العرب فى لغتهم ، وتلك سمة المدرسة البصرية ، أما الكوفيون فيحترمون كل ما جاء عن العرب ، كما وضحت ذلك فى سابق القول فلا حاجة إلى التكرار .

(ثانيا) القياس فى اللغة :

لما كانت المدرسة البصرية مدرسة قيّاسة كما يقول (دى بور)[3] فقد تاثر بها الفراء فى منهجه ، ومن قياسه فى اللغة قوله : « أبابيل لا واحد لها ، مثل الشماطيط ، والعباديد ، والشعاريز — كل هذا لا يفرد له واحد ،..... فلو قال قائل واحد الأبابيل إبالة كان صواباً ، كما قالوا دينار ، ودنانير »[4] فهو يقيس مفرد أبابيل على مفرد دنانير دون سماع للأول ، وتلك نزعة بصرية لأن الكوفيين يقفون عند المسموع من اللغة ولا يزيدون .

لقد كان لهذه النزعة أثر محمود فى إثراء اللغة عن طريق القياس ، من ذلك قوله فى الأيام والليالى : « ويقال استأجرته مياومة ، أى كل يوم بكذا ، ومجامعة كل جمعة بكذا ، فى هذين الوقتين خاصة ، كما قالوا : استأجرته مسانهة ومساناة .

ويجىء على هذا المثال أن تقول : مساعاة ، أى فى كل ساعة بكذا ، وموافقة ، وملايلة ، كل ليلة بكذا ، ومشاهرة ، على ذلك القياس[5] »

---

(١) هو أول اللبن فى النتاج بوزن (ضلع) — افاده القاموس .
(٢) معانى القرآن ص ٤٥٩ ط دار الكتب .
(٣) انظر تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣٨ ترجمة الدكتور ابى ريدة .
(٤) معانى القرآن ص ٣٧٦ (مصورتى) .
(٥) الأيام والليالى والشهور للفراء ص (٥) ط الأميرية .

فأنت تراه يحاول إثراء اللغة عن طريق القياس فيجيز اصطناع كلمات مثل (مساعاة) وأشباهها مما لم يسمع من العرب قياساً على ما سمع فى نظائرها .

ومنه قوله فى (جِمادى) بالضم «هكذا جاء عن العرب بضم الجيم لا غير .

ولو جاء جِماد بالكسر كان صواباً ، مثل قولك : عِطاش وكِسال ، وبالضم : جُمادى كعُطاشى ، وكسالى . وبالفتح : جَمادى مثل عطاشى وكَسالى[1] » فهو يزيد فى اللغة صيغاً لم تسمع عن العرب ، وذلك عن طريق القياس .

وكذلك نراه قد فتح الباب لقياس جمع على جمع وإن لم يسمع من العرب ، وفى هذا يقيس جمع الخميس على جمع القميص فيقول فى أيامه ولياليه : « والخميس : . . . والجمع الأخمسة والأخامس الكثيرة ، وكذلك الأخاميس ، والخُمس (بضمتين) على الباب ، كما تقول قميص ، وقمص ، وأقمصة ، ولم أسمعه من العرب[2] » .

إلى غير ذلك من ألوان الأقيسة التى كان يعتد بها الفراء ويدعو إليها كثيراً[3]

(ثالثا) التفلسف فى اللغة :

ظهر تأثر الفراء بالفلسفة اللغوية عند البصريين فى حديثه عن ظاهرتى (النحت) و (التركيب) ، فقد تأثر بهم إلى حد أنه كان يسبقهم أحياناً فى هذا التفلسف وإن خالفهم فى بعض مناهجه كما سنرى بالتفصيل .

---

(١) الايام والليالى والشهور للفراء ص ١٠

(٢) المصدر السابق ص ٤

(٣) انظر مثلا كتاب المذكر والمؤنث للفراء ص ٨ ط حلب ، والايام والليالى ص ٢ ، ٣ ط الاميرية ، وادب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٢١

من هذا السبق فى التفلسف حديثه عن (هلم) فى ظاهرة التركيب الذى ارتآه ، على حين لا يرى البصريون فيها ذلك ، بل يقولون : إنها بسيطة لا تركيب فيها ، وهو قول الخليل . وسيأتى بالتفصيل .

وكما سبق الخليلَ فى تفلسفه فى ظاهرة التركيب سبق سيبويه أيضاً فى ظاهرة النحت ، حينما تعرض لقولهم (لهنك) كما سيجىء ، وكما سبق الخليل وسيبويه معاً سبق البصريين جميعاً ، سالفيهم وخالفيهم فى القول بتركيب (كم) على حين يقولون بالبساطة ، وقد أيد البحث الحديث رأى الفراء كما سيأتى به البيان .

(رابعا) التقعيد :

رأينا فيما سلف أن مدرسة البصرة تميل إلى الضبط والتقعيد لتأثرها بالمنطق والفلسفة ونرى الفراء هنا يضع القواعد اللغوية استجابة للمنحى العقلى من جهة ، ومسايرة للنزعة البصرية من جهة أخرى .

(ا) من قواعد اللغة فى الأصوات قوله « إذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقبا فى اللغات » وذلك عند تفسير قوله تعالى : (وإذا السماء كشطت) يقول : « . . . وفى قراءة عبدالله قشطت بالقاف ، وهما لغتان ، والعرب تقول : القافور والكافور ، والقف والكف ، إذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقبا فى اللغات كما يقال جدف ، وجدث ، تعاقب الفاء والثاء فى كثيرمن الكلام ، كما قيل الأثافى والأثاثى ، وثوب فرقبى وثرقبى ، ووقعوا فى عاثور شر ، وعافور شر[1] » .

(ب) ويضع قاعدة أخرى فى الإبدال فيقول : « (وإذا الرسل أقتت) اجتمع القراء على همزها ، وهى فى قراءة عبد الله وقتت بالواو ، وقرأها أبو جعفر المدنى وقتت خفيفة .

---

(١) المعانى ص ٣٥٩ (مصورتى) .

وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت ، من ذلك : (صلى القوم أحدانا) ، ... ويقولون (هذه أجوه حسان) بالهمز ، وذلك لأن ضمةالواو ثقيلة كما كان كسر الياءثقيلا»[1] فأنت تراه يضع قاعدة لإبدال الهمزة من الواو فى أول الكلمة ، ثم يشير إلى ثقل الضمة على الواو ، والكسرة على الياء .

(حـ) كما يضع قاعدة أخرى ، توضح إبدال الدال من التاء بعد (الزاى) فيقول عند تفسير قوله تعالى : (وقالوا مجنون وازدجر) . «... وازدجر : افتعل من زجر وإن كان الحرف أوله زاى صارت تاء لا فتعال فيه دالًا ، من ذلك زجر وازدجر ومزدجر ، ومن ذلك المزدلف ، ويزداد ، هى من الفعل (يفتعل) فقس عليه ما ورد[2] » .

(د) ثم يضع فى علم الأصوات اللغوية أيضاً قاعدة للإدغام فيقول عند تفسير قوله تعالى « فهل من مدّكر » المعنى مذتكر ، وإذا قلت مفتعل فيما أوله ذال صارت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة ، وبعض بنى أسد يقول : (مذّكر) فيغلبون الذال فتصير ذالا مشددة[3] » .

فهو هنا يضع القاعدة ويجمع بين ما يسميه المحدثون بالتأثر الرجعى والتأثر التقدمى ، وذلك أن (مدكر) بالدال قد تأثر فيها الحرف الأول وهو (الذال) بالحرف الثانى وهو (التاء) من (مذتكر) وذلك هو التأثر الرجعى[4] ، ويسميه القدماء الإدغام .

---

(١) المعانى ص ٣٥٣ (مصورتى) .

(٢) معانى القرآن عند تفسير قوله تعالى (وقالوا مجنون وازدجر) القمر آية (٩) .

(٣) المعانى ص ٣١٨ (مصورتى) .

(٤) انظر الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ص ١٠٩ مطبعة نهضة مصر .

أما لغة بنى أسد (مذكر) بالذال المشددة، فهى من التأثر التقدمى، وهو أن يتأثر الثانى بالأول[1] ولا يطلق عليه القدماء مصطلح (الإدغام) مع أنه منه، ولذلك رأينا المحدثين لايفرقون بينهما فيضعونهما معا تحت عنوان (المماثلة)[2]

تلك هى مظاهر النزعة البصرية ، وظهورها عند الفراء يظهرنا على مدى تأثره بالمذهب البصرى ومن ثم يدلنا على أنه كان يمزج بين المذهبين (البصرى والكوفى) وهذا يعفينا من التطويل بذكر شواهد للنزعة الكوفية .

ثم هو لا يقف عند المزج فحسب ، بل يتحرر من قيود المذهبين جميعاً ويرسم معالم الطريق لمذهب جديد ، وإن شئت قلت : إنه يرسى قواعد هذا المذهب الجديد ، وإليك البيان .

مظاهر استقلاله فى مذهبه اللغوى :

(أولا) التحرر من إجماع المدرستين على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف فقد خرج الفراء على هذا الإجماع ، واعتمد الحديث من المصادر اللغوية ، واحتج به فى إثبات اللغة ، كما سلف به البيان .

(ثانياً) اختلافه مع اللغويين من المدرستين جميعاً ، فى المثل الأعلى للغة النموذجية ، فهو يراه فى لغة القرآن الكريم ، وهم يرونه فى لغة عرب البادية ومن هنا ذهب الفراء يلتمس الإعجاز اللغوى فى القوالب القرآنية مستنداً فى ذلك إلى أنه نزل بلغة قريش التى خلت من مستبشع الألفاظ ، ومستقبح اللهجات فيما يرويه السيوطى عن الفراء[3]، بينما ذهبوا يلتمسونه فى لغة البدو ، ثم اختلفوا فيما بينهم ، أى القبائل أفصح ؟ حسب اختلاف جوار كل منهم لقبيل من العرب[4] كما وضحت ذلك فى سابق القول .

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٠٩ ـ للدكتور ابراهيم أنيس .

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) انظر المزهر ١/١٣٣ طبعة صبيح .

(٤) انظر العربية ليوهان فك ـ تحقيق الدكتور النجار ص ٥

(ثالثا) التجديد فى تفسير الظواهر اللغوية :

فهو كما يقول عنه (جوتولد فايل) : « يشرح جملة الظواهر اللغوية برمتها على وجه يخالف ما ذهب إليه الخليل وسيبويه[1] » وسيأتى بالتفصيل، غير أننى أشير إلى أنه اشترك مع البصريين فى فلسفة بعض الظواهر ، ثم استلهم الحس اللغوى فى بعضها الآخر ، وهو الأكثر ، كما سيأتى عن قريب ، أما الكوفيون فكانوا بمنأى عن ذلك إلا فى القليل النادر :

ذلك هو موقفه الوسط بين البصريين والكوفيين على السواء مع التحرر والتجديد الذى يتطلبه تأسيس مذهب جديد .

ومما يدلنا على أنه كان سلفياً متحررا فى مذهبه ما نراه من موقفه بين اللغويين من أهل السنة ، واللغويين من أهل الاعتزال وقد أخذ من كل مذهب بطرف يتفق مع شخصيته المستقلة ، وذلك أن اللغويين من المعتزلة « لا يعتمدون على الرواية ، كما أنهم قللوا من أهمية الإجماع بخلاف أهل السنة فيها[2] » .

ثم إنهم يرون المجاز فى القرآن على حين يرفضه اللغويون من أهل السنة استنادا إلى أن المجاز من الضرورات التى لا يلجأ إليها القرآن الكريم[3]

كما أن اللغويين من المعتزلة يجيزون (الزيادة) فى القرآن على حين ينكرها الفريق الآخر[4] .

أما الفراء فقد اتفق مع أهل السنة فى الاعتماد على الرواية والإجماع كما رأينا ذلك فى موطنه من البحث .

---

(١) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار مخطوطة تحت الطبع .

(٢) انر القرآن ص ١٠٢

(٣) المصدر السابق ص ١٠٣ فما بعدها .

(٤) انر القرآن ص ١٠٣ فما بعدها .

ثم إنه خالفهم واتفق مع المعتزلة فى القول (بالمجاز) و (الزيادة) فى القرآن . وبيان ذلك :

(ا) أنه أجاز (القلب) فى القرآن واعتبره لوناً من المجاز فى قوله تعالى : (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق) ،قال : « وجاز أن تكون (اللام) فى الاختلاف ، و (من) فى الحق كما قال الله تعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق) والمعنى والله أعلم كمثل المنعوق به ، لأنه وصفهم فقال تبارك وتعالى : (صم بكم عمى) كمثل البهائم — وقال الشاعر

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

وإنما الرجم فريضة الزناء ...[1] » .

فهو يرى : أن القلب المكانى قد دخل فى الآية الكريمة كما هو مألوف فى الأساليب العربية ، وأن الأصل قبل القلب (فهدى الله الذين آمنوا مما اختلفوا فيه للحق) فتبادل الحرفان (من) و (اللام) مكانيهما على طريقة القلب المكانى وذلك جائز فى الشعر والنثر .

أما اللغويون المتزمتون من أهل السنة فيرفضون القلب رفضاً باتاً ، وينعون على قائليه ، ويمثلهم فى هذا الاتجاه ابن قتيبة حيث يقول فى (تأويل مشكل القرآن) : «وهذا مالا يجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل لو لم يجد له مذهباً ، لأن الشعراء تقلب اللفظ وتزيل الكلام على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية ، أو لاستقامة وزن البيت .... والله تعالى لا يغلط ولا يضطر ...[2]»

(ب) كما أنه أجاز (الزيادة) فى القرآن الكريم متحرراً من مذهب المتزمتين ومتجاوبا مع اللغويين المعتزلة من جهة ، ومع الأساليب العربية من جهة أخرى ، فما القرآن إلا أسلوب عربى مبين .

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ١٣١ ط دار الكتب .

(٢) تاويل مشكل القرآن ص ١٥٤ فما بعدها ط الحلبى .

قال فى تفسير قوله تعالى : (أرأيت الذى يكذب بالدين) : وهى فى قراءة عبدالله (أرأيتك الذى) والكاف صلة يكون ولا يكون، والمعنى واحد[1]

وفى موطن آخر يرى زيادة (لا) فى قوله تعالى (ما منعك ألا تسجد) وأورد لها نظائر كثيرة من الآيات التى يرى فيها الزيادة[2] .

على أن بعض اللغويين يرفض الزيادة فى القرآن رفضاً باتاً ، تنزيها لكتاب الله فى نظره ، ويتكلف فى تخريج الآيات تكلفا مقيتا لا يتفق مع روح العربية التى نزل بها القرآن .

من أولئك أبو العباس المبرد[3] ، وأبو جعفربن جريرالطبرى حيث يقول فى تفسير قوله تعالى « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) : «إن فى الكلام محذوفاً قد كفى دليل الظاهر منه ، وهو أن معناه ما منعك من السجود فأحوجك ألا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين»[4] .

ومن مظاهر تحرره السلفى أنه أجاز تفسير (أو) بمعنى (بل) فى قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال ابن منظور ، قال الفراء بل يزيدون ، قال كذلك جاء فى التفسير مع صحته فى العربية[5] .

أما ابن قتيبة ومن على شاكلته من المتزمتين فإنهم يرفضون هذا الرأى خشية من إيهام الغلط فى كتاب الله تعالى ، ويقولون إنها بمعنى الواو ، استمع إليه يرد على الفراء ومن ذهب مذهبه فيقول فى تأويل مشكل القرآن : «وأما قوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) فإن بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى

---

(١) معانى القرآن ص ٣٧٦ (مصورتى) .

(٢) انظر المعانى ص ٣٧٤ دار الكتب ، وانظر ص ٣٦٤ (مصورتى) .

(٣) انظر تفسير الشريف الرضى ص ١٦٥

(٤) تفسير الطبرى ٩٦/٨

(٥) لسان العرب لابن منظور ٥٧/١٨ ط بولاق .

بل يزيدون ، على مذهب التدارك لكلام غلطت فيه ، وكذلك قوله : (وماأمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) وقوله (فكان قاب قوسين أوأدنى) .

وليس هذا كما تأولوا ، وإنما هى بمعنى الواوفى جميع هذه المواضع ، وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو أقرب ، و : فكان قاب قوسين وأدنى وقال ابن أحمر :

(قرى عنكما شهرين أو نصف ثالث إلى ذاكما قد غيبتنى غيابيا

وهذا البيت يوضح لك معنى الواو ، وأراد قرى شهرين ونصفا ، ولا يجوز أن يكون أراد قرى شهرين بل نصف شهر ثالث . وقال آخر :

أثعلبة الفوارس أو رياحا عدلت بهم طهية والخشابا

أراد وعدلت هذين بهذين)[1] .

فأنت ترى ابن قتيبة يلتزمت فيرد قول من قال: إن (أو) بمعنى (بل) خشية أن يفسر القرآن الكريم « على مذهب التدارك لكلام غلطت فيه »

وهذه النظرة ينقصها كثير من العمق، وللرد عليه نقول دفاعاً عن الفراء : إن هذا الكلام مردود من جهتين :

أولا : أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، ومن أساليبهم فى لغتهم استعمال (أو) بمعنى (بل)[2] فنزول القرآن بها لا ضير فيه ولا تثريب عليه.

ثانياً :يؤخذعلى ابن قتيبه أنه ضيق الدائرة على نفسه وعلى غيره ،فمن قال: إن مجيء (أو) بمعنى (بل) لا يكون إلا فى الغلط ؟ إنها تأتى للغلط كما تأتى لمعنى بلاغى يستحسنه الذوق العربى ، وذلك أنه حينما أراد أن يقرر

---

(١) تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤١٤ فما بعدها ط الحلبى .

(٢) انظر الانصاف مسألة (٦٧) ص ٢٨١ فما بعدها ط صبيح .

بأن يونس عليه السلام أرسل إلى عدد جم قدره بمائة ألف ، وفى هذا العدد ما فيه من الكثرة الكاثرة ـ وكأنه حينما اطمأنت النفس إلى كثرة هذا العدد أراد أن يزيد الكثرة تأكيدا فقال : بل أرسلناه إلى أكثر من ذلك ، لتبلغ النفس مبلغ الإعجاب ومنتهاه .

وهكذا رأينا ابن قتيبة قد تحرج مما لا حرج فيه ، فرد قول الفراء وما درى أنه قول ابن عباس رضى الله عنه ، كما جاء فى تفسير الطبرى : «وذكر عن ابن عباس أنه قال بل يزيدون ، كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً[1] » فهل كان يزعم أنه أشد غيرة على القرآن من ابن عباس حبر هذه الأمة بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

لست أدرى ، وما أحسب أنه يبلغ هذا المبلغ من تجاوز الحد ، ولكنها النزعة المتزمتة تتحكم أحياناً فى الأفق الرحيب فتجعله ضيقا حرجاً .

هذا إلى أن ابن قتيبة احتج لرأيه بما لا يصح الاحتجاج به ، فقد أورد بيتين من الشعر يستشهد بهما على أن (أو) فيهما بمعنى الواو [2] ونسى أن أحدا لا يعارضه فى ذلك ، فكما تكون (أو) بمعنى الواو تكون كذلك بمعنى (بل) ، أم أنه يريد أن يتشدد حتى فى الاستعمال اللغوى الذى ورد عن العرب كما أشار إليه الفراء[3] .

هذا ، وآية أن الفراء كان سلفيا متحرراً أن بعض المعتزلة لا يرضى عنه مثل الجاحظ المتطرف كما سلف به البيان[4] ، كما أن بعض المتزمتين من أهل السنة لا يرضون عنه مثل الطبرى وابن قتيبه ، وقد ألممت بكل ذلك فى سالف القول فلا حاجة إلى التكرار .

---

(١) تفسير الطبرى ٦٦/٢٣ ط بولاق .

(٢) انظر النص السابق وهو من تأويل المشكل ص ٤١٥ ط الحلبى .

(٣) انظر اللسان ٥٧/١٨ ط بولاق .

(٤) انظر مبحث (عقيدة الفراء) .

ومن كل ما سبق يتضح لنا أن أبا زكريا الفراء كان يذهب مذهباً وسطا فى (مذهبه اللغوى) كما كان يسلك نفس المسلك فى سائر المذاهب وقد سلف به البيان .

ولسنا بحاجة إلى إعادة القول فى تقويم هذا المذهب ، فما قلناه هناك فى تقويم (مذهبه النحوى) ينطبق هنا على تقويم (مذهبه اللغوى) إذ هما صنوان ، أو بعبارة أدق ، ما النحو إلا فرع من فروع اللغة بمعناها العام .

جهود الفراء فى الميدان اللغوى :

لست أدرى لِمَ لم يذكره الزبيدى فى طبقاته على أنه من اللغويين كما ذكره فى النحويين من قبل حين جعله رأس الطبقة الثالثة[1] مع أن كثيرا من كتب التراجم تنص على أنه كان لغوياً[2] كما كان نحوياً ، وربما كان سبب إهمال الزبيدى إياه أن الفراء اشتهر بالنحو ، فغطت شهرته النحوية على شهرته اللغوية ، وكثيرا ما يحدث مثل ذلك .

والذى يعنينا هنا هو الجانب الموضوعى أكثر من الجانب التاريخى ، فلا عليه أن يهمله هذا أو يذكره ذاك ، طالما كان له جهد لغوى يستحق التقدير ، ونستطيع أن نصنف مجهوده اللغوى فيما يأتى :

(١) لحظ القوانين الصوتية عند العرب .

(٢) كما لمح كثرة الاستعمال وأثرها فى تطوير اللغة .

(٣) كما فطن إلى الظواهر اللغوية ، وكان له فى تفسيرها مذاهب :

(أ) تارة يتفلسف فى تفسير الظاهرة اللغوية .

(ب) وأخرى يستلهم فيها روح العربية .

(حـ) وثالثة يمزج بين المسلكين السابقين .

---

(١) انظر ص ١٤٣ من طبقات النحويين واللغويين للزبيدى .

(٢) انظر مثلا الوفيات ٣٠١/٢ ط بولاق ، ودائرة معارف القرن العشرين ١٣٩/٧ ـ ط الثانية .

(٤) كما كان يرصد الاستعمالات اللغويةويستخرج منها مذاهب العربية فى أسلوبها التعبيرى .

(٥) هذا إلى جانب أنه روى لنا ثروة لغوية ضخمة أفادت منهاالمعاجم اللغوية فائدة لا تخفى على الباحثين أو المتصلين بها مجرد اتصال كما سيأتى به البيان تفصيلا ، ويمكن تقسيم هذه الثروة اللغوية إلى ما يأتى

(ا) قسم مشترك بين الفراء وغيره من اللغويين .

(ب) وقسم انفرد به الفراء ، فلا يعرف له راو غيره وكلاهما مذكور فى المعاجم اللغوية .

(حـ) أما القسم الثالث فهو فائتات فاتت المعاجم اللغوية حين الجمع ووجدت فى آثار الفراء فيما بعد .

(أولا) القوانين الصوتية :

لست أزعم أن الفراء أول من لحظ هذه القوانين الصوتية ، فميلادها أسبقمنه بكثير ، ربماكان علماء القراءات هم أول من لحظ هذه القوانين ولسنا فى مجال التأريخ حتى نتتبع النشأة والتطور ، وإنما كل الذى يعنينا هنا هو التنويه بأن أبا زكريا الفراء شارك فى هذه الدراسات الصوتية مشاركة جدية وإليك البيان :

(ا) لحظ الفراء أن الضمتين المتتاليتين ثقيلتان ، وكذلك الكسرتان المتواليتان ، ومثلهما الكسر بعد الضم ، والعكس ، وقرر أن الفتحة أخف الحركات الثلاث ، وانتفع بتطبيق بعض هذه القوانين فى تخريج قراءة من قرأ بسكون الميم من قوله تعالى : (أنلزمكموها) أو سكون النون من قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) فى حين أن البصريين حكموا عليها بالشذوذ .

وكذلك خرّج بعض الأبيات الشعرية التى خالفت القوانين النحوية ، يتضح كل ذلك من قوله فى معانيه .

«وقوله (أنلز مكموها) :العرب تسكن الميم التى من اللزوم فيقولون : (أنلزْمكموها) وذلك أن الحركات قد توالت فسكنت الميم لحركتها وحركتين بعدها ، وأنها مرفوعة ، فلو كانت منصوبة لم يستثقل فتخفف ، إنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين ، أو ضمتين متواليتين ، فأما الضمتان فقوله (لا يحزُنهم) جزموا النون لأن قبلها ضمة فخفف ، وأما الضمة والكسرة فمثل قول الشاعر .

وناع يخبِّرنا بمهلك سيد تَقَطَّعُ من وجد عليه الأنامل

وإن شئت تقطعَ ، وقوله فى الكسرتين :

(إذا اعوججن قلت صاحب قَوِّ)

يريد صاحبى ، فإنما يستثقل الضم والكسر ، لأن مخرجيهما مئونة على اللسان والشفتين ؛ تنضم الرفعة بهافتثقل الضمة ،ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا ، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة[1] » .

(ب) ومن القوانين التى أقرها الفراء فى معانيه استثقال الضمة على الواو والكسرة على الياء ، ومن أجل هذا قلبوا الواو المضمومة همزة فى أول الكلمة مثل (أقتت) فى قوله تعالى : (وإذا الرسل أقتت[2]) .

(ح) وكذلك قانون تأثير الحرف فى الحرف : ويندرج تحته الإدغام بنوعيه : (١) التأثر الرجعى ، (٢) والتأثر التقدمى كما سلف به البيان وقد تناول ظاهرة الإدغام فى مواطن عدة من آثارة ، من ذلك إدغام الواو

---

(١) معانى القرآن ص ١٤٢ فما بعدها (مصورتى) .

(٢) انظر المعانى ص ٣٥٣ (مصورتى) .

فى الياء[1] ، وإدغام التاء[2] فى التاء ، والإدغام فى نحو (حى عن بينة[3]) ونحو (انّاقلتم[4]) ونحو (ما مكنى[5]) ، إلى غير ذلك من ألوان الإدغام[6] .

ويدخل فى هذا القانون بعض أنواع الإبدال[7] وذلك حينما تتأثر تاء الافتعال بمخرج الزاى فتقلب التاء دالا بعد الزاى كما فى (ازدجر) من قوله تعالى (وقالوا مجنون وازدجر)[8] .

(د) وكذلك قانون التعاقب إذا تقارب المخرجان :

يقول الفراء : «إذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقبا فى اللغات .. يقال جدف ، وحدث تعاقب الفاء والثاء فى كثير من الكلام[9] » ، ومنه قراءتا (فومها) بالفاء و (ثومها) بالثاء[10] :

كما تتعاقب القاف والكاف وبهما قرئ فى قوله تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) بالقاف فى قراءة حفص وغيره ، وبالكاف (تكهر) فى قراءة عبد الله بن مسعود[11] ، ومثلهما قراءتا (كشطت وقشطت) كما سبق ، وفى هذا يقول بعض الباحثين المحدثين «لا فرق بين القاف كما تنطق بها . وبين الكاف إلا فى أن القاف أعمق

---

(١) انظر الايام والليالى ص ١ ط الاميرية .

(٢) المعانى ص ١٧٢ ط دار الكتب .

(٣) نفس المصدر ص ٤١١ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٣٧ .

(٥) المعانى ص ١٩١ (مصورتى) .

(٦) نفس المصدر ص ٣١٨ .

(٧) وبعضه الآخر يدخل فى (قانون التعاقب) كما سيأتى عن قريب .

(٨) انظر معانى القرآن للفراء سورة القمر آية (٩) .

(٩) المعانى ص ٣٥٩ (مصورتى) .

(١٠) انظر المعانى ص ٤١ ط دار الكتب .

(١١) انظر المعانى ص ٣٧٠ (مصورتى) .

قليلا فى مخرجها[1]». كما تتعاقب الميم والباء ، «فالعرب تقول : ليس هذا بضربة لازب ولازم ، يبدلون الباء ميما لتقارب المخرج[2]» .

إلى غير ذلك من القوانين الصوتية التى تناولها الفراء .

***

وكان له فى مخارج الحروف رأى اختلف فيه مع الخليل فاختصر مخارجها إلى أربعة عشر بدل ستة عشر ، وفى هذا يقول أبو حيان : «والمخارج ستة عشر خلافا لقطرب والجرمى والفراء وابن دريد فى زعمهم أنها أربعة عشر ومحل الخلاف هو مخرج اللام والنون والراء ، فذهب هؤلاء إلى أن مخرجها واحد ومذهب الجمهور أنها ثلاثة مخارج » .

ويبدو أن رأى الجمهور أصح إذ أن الدراسة الحديثة تؤيدهم[4] ، كما أن القدماء أنفسهم تنبهوا إلى تباين المخارج بين الأحرف الثلاثة[5] .

(ثانيا) كثرة الاستعمال وأثرها فى تطوير اللغة :

رأيت الفراء يلحظ كثرة الاستعمال وأثرها فى تطوير اللغة ، فيقيم لها وزناً كبيرا ويجعلها عاملا خطيرا فى تطوير اللغة ، ومن آثارها ما يأتى

(١) حذف بعض حروف الكلمة :

ينسب الفراء حذف بعض حروف الكلمة فى الرسم إلى كثرة الاستعمال مثل : (بسم الله) ويفرق بينها وبين قوله (باسم ربك) ، «لأنها لا تلزم هذا

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٧٤ ط نهضة مصر .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧١ (مصورتى) .

(٣) ارتشاف الضرب لأبى حيان مخطوطة دار الكتب رقم (٨٢٨) نحو .

(٤) انظر الأصوات اللغوية ص ٥٥ ط نهضة مصر ـ فقد وصف هذه المجموعة بقربه المخارج ولم يصفها باتحادها .

(٥) انظر ارتشاف الضرب مخطوطة دار الكتب رقم (٨٢٨) نحو .

الاسم ولا تكسر معه ككسرتها مع الله تبارك وتعالى ، ألا ترى أنك تقول : (بسم الله) عند ابتداء كل فعل تأخذ فيه [1] » .

كما ينسب إليها حذف الهمزة من الأمر فى نحو (سل ، وكل ، وخذ) فيقول فى معانيه : « وقوله (سل بنى إسرائيل) لا تهمز فى شىء من القرآن ، لأنها لو همزت كانت (اسأل) بألف ، وإنما ترك همزها فى الأمر خاصة لأنها كثيرة الدور فى الكلام ، فلذلك ترك همزه كما قالوا : كل وخذ ، فلم يهمزوا فى الأمر ، وهمزوه فى النهى وما سواه ، وقد تهمزه العرب[2] » .

رأينا أثر كثرة الاستعمال فى حذف حرف واحد ، والآن نرى أثرها فى حذف أكثر من حرف ، وذلك فى كلمة (أيش) اختصار (أى شىء) وفى هذا يقول أبو زكرياء : «ومما كثر فى كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا قولهم (أيش عندك) فحذفوا إعراب (أى) وإحدى ياءيه ، وحذفت الهمزة من (شىء) وكسرت الشين ، وكانت مفتوحة فى كثير من الكلام لا أحصيه[3] .

وربما كانت كلمة (أيش) من ظاهرة النحت ، وما ظاهرة النحت إلا أثر من آثار كثرة الدوران فى الكلام مثل (البسملة) و (الحمدلة) و (الحوقلة) إلى آخر ما هنالك مما يكثر استعماله فى الحديث .

(ب) كثرة الاستعمال تجعل الكلمتين كالكلمة الواحدة :

يرى أبو زكريا الفراء أن كثرة الاستعمال تجعل الكلمتين كالكلمة الواحدة فتعطيان حكمها ، مثل كسر الدال ، فى (الحمد لله) مع أن الحمد مبتدأ وكان حقه أن يكون مرفوع الدال ، غير أن مجاورة اللام المكسورة لها وكثرة دورانها جعل الكلمتين كالكلمة الواحدة التى يستثقل فيها ضم بعد كسر[4] .

---

(1) معانى القرآن للفراء ص ٢ ط دار الكتب .

(2) المعانى ص ١٢٤ فما بعدها ط دار الكتب .

(3) نفس المصدر ص ٢

(4) انظر معانى القرآن للفراء ص ٣ ط دار الكتب .

كما أنني رأيته فى موطن آخر يطبق هذا المبدأ حينما تعرض لاجتماع الشرط والقسم فأجاز أن يكون الجواب للمتأخر وهو الشرط استنادا إلى أن الكلمتين (لئن) صارتا كالكلمة الواحدة (إن) لكثرة الاستعمال واستشهد لذلك بشعر عربى جاء فيه الجواب للشرط وألغيت فيه لام القسم . قال فى المعانى :

« أنشدنى بعض بنى عقيل :

لئن كان ما حُدثته اليوم صادقا أصمْ فى نهار القيظ للشمس باديا

وأركبْ حمارا بين سرج وفروة وأُعرِ من الخاتام صغرى شماليا

فاللام فى (لئن) ملغاة ، ولكنها كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة (إن) ألا ترى أن الشاعر قد قال :

[فلئن قوم أصابوا غِرة[1] وأصبنا من زمان رَقَقا[2]

لَلَقد كانوا لدى أزماننا لصنيعين لبأس وتقى

فأدخل على (لقد) لاما أخرى لكثرة ما تلزم العرب اللام فى (لقد) حتى صارت كأنها منها ، وأنشدنى بعض بنى أسد :

لددتُهم النصيحة كل لَد فمجوا النصح ثم ثَنَوا فقاءوا

فلا والله لا يُلفَى لما بى ولا لِإِمابهم أبدا دواء

ومنه قول الشاعر :

كما ما امرؤٌ فى معشر غيرِ رهطه ضعيفُ الكلام شخصُه متضائل

---

(١) ابن قتيبة يرويه (عزة) بدل (غرة) ـ انظر الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٢ ط ليدن .

(٢) تروى (رنقا) بالنون بدل القاف ، والرقق قلة الطعام ، فالروايتان تلتقيان فى رقة الحال ـ أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٣/١ ط ليدن .

قال (كما) ثم زاد معها (ما) أخرى لكثرة (كما) فى الكلام فصارت كأنها منها [1] »

(ح) كثرة الاستعمال تؤدى إلى صرف مالا ينصرف فى النثر .

هناك كلمات كان حقها أن تمنع من الصرف ، وهى أسماء النساء إذا كانت ثلاثية ساكنة العين مثل (هند) و (دعد) ولكن كثرة الاستعمال أعطتها حكم الصرف بخلاف نظائرها من أسماء البلدان ، فإنها تظل ممنوعة من الصرف على الدوام لقلة دروانها على الألسنة بالنسبة إلى أسماء النساء فى نظر الفراء ، وفى هذا يقول :

« وأسماء البلدان لا تنصرف ، خفت أو ثقلت ، وأسماء النساء إذا خف منها شيء جرى (أى صرف) إذا كان على ثلاثة أحرف وأوسطها ساكن مثل (دعد) و (هند) و (جُمْل) ، وإنما انصرفت إذا سمى بها النساء لأنها تردد وتكثر بها التسمية فتخفف لكثرتها وأسماء البلدان لا تكاد تعود [2] » .

(د) العدول عن الضمير المنفصل إلى الضمير المتصل :

كما أن كثرة الاستعمال جعلت العرب يعدلون عن الضمير المنفصل إلى الضمير المتصل ، وفى هذا يقول أبو زكريا الفراء : « وقد استعملت العرب (لولا) فى الخبر وكثر بها الكلام ، حتى استجازوا أن يقولوا (لولاك ولولاى) والمعنى فيهما كالمعنى فى قولك : (لولا أنا ولولا أنت) فقد توضع الكاف على أنها خفض والرفع فيها الصواب [3] » .

(هـ) تحويل الكلمة من معناها الأصلى إلى طارئ :

من آثار كثرة الدوران تطوير المعنى . وتحويله من أصل الوضع إلى معنى آخر طرأ عليها من كثرة الاستعمال ، ويتمثل ذلك فى قولهم (لاجرم)

---

(١) معانى القرآن ص ٦٧ فما بعدها ط دار الكتب .

(٢) المعانى ص ٤٢ فما بعدها ط دار الكتب .

(٣) المعانى ص ١٦٦ (مصورتى) .

وفيه يقول الفراء : « هى بمنزلة لا بدَّ ولا محالة ، ثم كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقاً وأصلها من (جرمت) أى (كسبت [1])

(و) كثرة الاستعمال تقلب الشيء إلى ضده :

من الآثار التى لحظها الفراء فى كثرة الاستعمال، أنها أحياناً تقلب الشيء إلى ضده ، فالصعود ضد الهبوط ، وقد استجاز العرب أن يستعملوا أحدهما مكان الآخر ، فاستعملوا كلمة (تعال) المشتقة من (العلو) فى معنى الهبوط .

قال ابن قتيبة : « تعال تفاعل من علوت...قال الفراء: أصلها عالِ إلينا وهو من العلو ، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها صارت عندهم بمنزلة (هلم) حتى استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرف ، (تعال) أى (اهبط) وإنما أصلها (الصعود)[2] » .

وهكذا نرى تطور اللغة نتيجة لكثرة الدوران على الألسنة ، كما رأيت أثر كثرة الاستعمال فى بنية الكلمة مما أدى إلى حذف جزء منها للتخفيف ، كما رأيت أثرها فى تقرير القواعد النحوية عند الفراء مما جعله ينتهج منهجا خاصا به يستلهم فيه روح العربية نفسها مستهديا بما ورد عن العرب من جواز جعل الجواب للشرط حين اجتماع الشرط والقسم ، على حين أباه البصريون ، ومن لف لفهم [3] ، متذرعين بالصناعة النحوية ، معرضين عن الشواهد العديدة التى أعملوا فيها سلاحهم البتار وهو الشذوذ والضرورة ، كما سلف به البيان .

ولست أدعى حصرا للآثار التى لمسها الفراء من جراء كثرة الدوران ، وإنما عمدت إلى بعض المعالم الكبرى مثل إثراء اللغة عن طريق التطور أو النحت أو بعبارة أدق : إضافة روافد جديدة تمد اللغة بمزيد من الكلمات الناتجة

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤١٨ ط الحلبى .

(٢) نفس المصدر ص ٤٢١ .

(٣) انظر مثلا حاشية الخضرى على ابن عقيل ١٢٧/٢ ط سنة ١٩١٤م ـ (عوامل الجزم).

عن ظاهرة النحت مثلا ، كما تمدها بمزيد من المعانى الناشئة عن تطور المدلول اللغوى ، إلى غير ذلك من الآثار التى تتصل بتقرير بعض الأحكام ، كما رأينا فى سالف القول .

(ثالثا) تفسير الظواهر اللغوية :

لقد عنى الفراء بتفسير الظواهر اللغوية عناية ملحوظة ، وبخاصة ظاهرة النحت والتركيب ومبدأ التشذيب للصيغ والقوالب ، فتناول فيما تناول الحديث عن تحليل (لكنَّ)[1] و (لهنك)[2] و (كم)[3] و (لن)[4] و (ليس)[5] و (مذ)[6] (ومنذ)[7] و (هلم)[8] وصيغة (ويكأن)[9] و (اللهم)[10] و (إلا) فى الاستثناء[11] ، والحديث عن كل هؤلاء وأمثالها مما تناوله الفراء يستلزم كتابا مستقلا ، وإيثارا للإيجاز سأكتفى بذكر نموذج واحد لكل اتجاه من الاتجاهات التى رأيناها من قبل عند أبى زكريا الفراء ، وإليك البيان :

(أ) اتجاه التفلسف :

يتضح تفلسف الفراء فى (إلا) أداة الاستثناء، فتراه قال بتركيبها على حين قال البصريون إنها حرف بسيط لاتركيب فيه[12] ، وتحليلها عنده أنها مركبة

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ص ٤٦٥ ط دار الكتب ، ومغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٢٦ (حرف اللام) .

(٢) انظر المعانى ص ٤٦٦ ط دار الكتب وسيأتى الحديث عنها بالتفصيل .

(٣) نفس المصدر .

(٤) انظر شرح الرضى على الكافية ٢١٨/١ والهمع ٣/٢

(٥) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (ليس) .

(٦) انظر الانصاف ص ٢٣٣ فما بعدها ط صبيح مسألة (٥٦) .

(٧) نفس المصدر .

(٨) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٤٢/٤ وتأويل مشكل القرآن ص ٤٢١ ط الحلبى .

(٩) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٨٣/٤ .

(١٠) انظر تأويل مشكل لـالقرآن ص ٤٢١ ط الحلبى ، وشرح الرضى على الكافية ١٣٢/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١٦/٢ ، والانصاف مسألة (٤٧) .

(١١) سيأتى الحديث عنها بالتفصيل .

(١٢) انظر الانصاف ص ١٦٨ فما بعدها ط صبيح .

من (إنَّ) (بالكسر والتشديد) و (لا) ، ثم خففت (إن) وأدغمت فى (لا) فنصبوا بها فى الإيجاب اعتبارا بإن ، وعطفوا بها فى النفى اعتبارا بلا [1] » .

ذلك مثل واحد من التفلسف ، وأمثاله كثير [2]، مما قال فيه بالتركيب دون أن يستند إلى نظائر من الأساليب العربية ، وإنما يعتمد على الفلسفة الصناعية فحسب .

(ب) استلهام روح العربية :

يتجلى استلهام روح العربية عند الفراء فى تحليل (كم) فتراه يستلهم الحس اللغوى فى تركيبها ، ويقيسها على نظائرها من اللسان العربى مستشهدا بالشعر والنثر معا ، فهو حين يقول بالتركيب لايقوله لمجرد التفلسف كما رأيناه فى (إلا) وإنما يقوله بوحى من اللغة نفسها — استمع إليه يقول فى معانيه : « ونرى أن قول العرب (كم مالك ؟) أنها (ما) وُصلت فى أولها بكاف ، ثم إن الكلام كثر بـ (كم) حتى حذفت الألف من آخرها فسكنت ميمها ، كما قالوا : (لم قلت ذاك ؟) ومعناه لم قلت ذاك ، ولما قلت ذاك ؟ قال الشاعر :

يا أبا الأسود لِمْ أسلمتنى لهموم طارقات وذِكَرْ

وقال بعض العرب فى كلامه وقيل له : منذ كم قعد فلان ؟ فقال كمذ أخذتَ فى حديثك ، فرده الكاف فى (مذ) يدل على أن الكاف فى (كم) زائدة . . . . . وقيل لبعضهم : كيف تصنعون الأقط ؟ فقال كهِين [3] » أى هو هين ، فالكاف زائدة مثلما زيدت فى (ما) فصارت (كما) ثم صارت (كم) لكثرة الاستعمال .

---

(١) الانصاف ص ١٦٧ ط صبيح .

(٢) انظر مثلا (هلم) بين الفراء والخليل فى تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٢١ ط الحلبى ، وانظر شرح المفصل لابن يعيش جـ ٤ ص ٤٢ ، وانظر الخلاف بينه وبين البصريين فى صيغتى (مذ ومنذ) — الانصاف ص ٢٣٣ ط صبيح مسألة (٥٦) .

(٣) معانى القرآن للفراء ص ٤٦٦ ط دار الكتب .

فانظر إلى الفراء كيف اعتمد على الأساليب العربية فى تحليل (كم) على حين أغمض البصريون أعينهم عن كل ذلك ، وقالوا بأنها بسيطة لاتركيب فيها ،واعتمدوا على حجة فلسفية صناعية حين قالوا : « إنما قلنا إنها مفردة لأن الأصل هو الإفراد وإنما التركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ،ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة [1] » .

وواضح أنهم بهذا يبتعدون عن الروح اللغوية فى حين أن الفراء استهداها أيما استهداء كما رأيت ، وليتهم سكتوا بل إنهم أخذوا يفندون حجج الفراء[2] واحدة واحدة بطريقتهم الصناعية البحتة ، غير أن البحث الحديث أيد رأى الفراء حين رأى (برجشتراسر) أن (كم) أصلها (Kama) [3] .

على أن البحث الحديث قد أيد الفراء فى كثير لأنه كان يستهدف روح العربية حقا . فليست هذه هى الوحيدة ، وإنما لها أمثال نكتفى بالإشارة إلى بعضها إيثارا للإيجاز [4] .

هذا وقد قلنا فيما سبق إن استلهام روح العربية فى تفسير الظواهر اللغوية وغيرها خصيصى من خصائص الفراء التى امتاز بها عن البصريين والكوفيين على السواء ، ثم هى إن دلت على شىء هنا فإنما تدل على استقلاله فى مذهبه اللغوى ، مما يؤكد أنه هو المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية ، كما سلف به البيان .

---

(١) الانصاف ص ١٨٨ ط صبيح .

(٢) صاحب الانصاف جعل هذا الرأى للكوفيين بعامة ، والحق انه للفراء بالذات كما جاء فى معانيه ولكن ابن الأنبارى اعتاد أن يعمم فينسب آراء الفراء بخاصة الى الكوفيين بعامة ، وقد نبهت الى ذلك فى اكثر من موطن ـ انظر الانصاف مسألة (٤٠) ثم انظر معانى الفراء ص ٤٦٦ ط دار الكتب .

(٣) انظر التطور النحوى للغة العربية ص ١١١ ط السماح .

انظر مثلا رأى الفراء فى تركيب (ليس) من (لا) و (أيس) ـ فى اللسان مادة (أيس) ، ثم انظر رأى (برجشتراسر) فى التطور النحوى ص ١١١ فقد التقى مع الفراء أوكاد .

(حـ) المزج بين التفلسف واستهداء روح العربية :

خير نموذج يمثل المزج بين المسلكين السابقين هو رأى الفراء فى (لهنك)

(١) فهو يرى أن أصلها (والله إنك) .

(٢) وسيبويه يرى أنها (لإنك) .

(٣) وآخر يرى أن معناها (إنك لمحسن) .

وفى هذا يقول السيرافى فى شرح « الكتاب » فى (لهنك) ثلاثة أقوال :

أحدها ، ماذكره سيبويه : من أن أصلها (إن) أبدلت همزتها ولحقتها لام اليمين .

والثانى ، قول الفراء : قال هذه مركبة من كلمتين كانتا تجتمعان ، كانوا يقولون : والله إنك لعاقل ، فخلطتا فصار فيها اللام والهاء من الله ، والنون من (إن) المشددة .

والثالث ، حكاه المفضل[1] لغير الفراء : معناه (إنك لمحسن) ، قال وهذا أسهل فى اللفظ وأبعد فى المعنى [2] » .

وإذا استبعدنا ماحكاه المفضل لبعده فى المعنى رأينا أن سيبويه اختصر الطريق فلم يتفلسف فى تحليل هذه الصيغة ، بل قاسها على كلمة (هرقتُ) حيث أبدلت الهمزة فيها هاء ، فقال فى كتابه « وهذه كلمة تتكلم بها العرب فى حال اليمين ، وليس كل العرب تتكلم بها . فتقول (لهنك لرجل صدق) يريدون (إن) ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الألف ، كقوله (هرقت) ولحقت هذه اللام (إن) [3] » .

---

(١) هو المفضل بن سلمة بن عاصم ـ انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٣٥٧٧/٣

(٢) انظر هامش كتاب سيبويه ص ٤٧٤ ط بولاق .

(٣) الكتاب ٤٧٤/١ ط بولاق .

أما أبو زكريا الفراء فطفق يتفسلف كما رأيت ، وإن أردت المزيد فعليك بشرح الرضى [1] ، ثم هو فى فلسفته هذه يستهدف روح العربية فيرجع بالصيغة إلى نشأتها الأولى حيث كانت (والله إنك) ثم دخلها التشذيب فصارت (لهنك) بعد التهذيب والاختلاط ، والذى حداه إلى ذلك هو المحافظة على روح العربية باتحاد المعنى فى الصيغتين معا ، ولهذا رأينا السيرافى يرجح رأى الفراء فيعقب على ثلاثة الآراء بقوله : « والذى قاله الفراء أصح فى المعنى [2] » .

وربما كانت هذه الصيغة وأمثالها مما لمح الفراء فيها أصلها الأصيل ، واعتمد فيها « مبدأ التشذيب [3] » على حين رفض البصريون هذا المبدـ جعل المستشرق الألمانى (جوتولدفايل) يقول فى مقدمة الإنصاف : « أما تبيان النشأة الحقيقية للصيغ والقوالب فهذا أمر بعيد عن البصريين لأنهم يرفضون « مبدأ التشذيب » رفضا أساسيا على أنه أصل فى التعليل ، ولا يلقون وزنا إلا لاستعمال الصيغة فى التناول العلمى المعتد به ، والتخاطب الحقيقى على حالته الراهنة [4] ».

بهذا المبدأ وأمثاله صار الفراء عملاقا فى تفسير الظواهر اللغوية ، ومن ثم صار عملاقا فى الميدان اللغوى ، إذ أصبح صاحب مذهب مستقل يخالف مذهب الخليل وسيبويه كما قال (فايل) ، كما أنه يخالف مذهب سائر الكوفيين ، وقد تناولت كل ذلك بالتفصيل فى سابق القول فلا حاجة إلى التكرار .

---

(١) انظر شرح الرضى على كافيه ابن الحاجب ٣٥٧/٢ ، ثم انظر معانى القرآن للفراء ٤٦٦/١ ط دار الكتب .

(٢) هامش الكتاب ٤٧٤/١ ط بولاق .

(٣) مثل (اللهم) قال البصريون أصلها (يا الله) فالميم عوض عن ياء النداء ، ولكن الفراء أدخل فيها مبدأ التشذيب وقال ان أصلها (يالله امنا بخير) انظر التفصيل فى تأويل مشكل القرآن ص ٤٢١ ط الحلبى ، وشرح الرضى على الكافية ١٣٢/١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٦/٢ ، والانصاف ص ٢١١ فما بعدها ط صبيح مسألة (٤٧) .

(٤) مقدمة الانصاف ـ جوتولد فايل ـ ترجمة الدكتور النجار (مخطوطة تحت الطبع) .

(رابعا) التنبيه على بعض الاستعمالات اللغوية :

رأيت الفراء يرصد الاستعمالات اللغوية فينبه على مذاهب العرب فى الأسلوب التعبيرى ، وبخاصة ما كان منها غير مألوف ، من ذلك :

(أ) عود الضمير على غير مذكور :

نبه أبو زكريا الفراء إلى أن من طرائق العربية عود الضمير على غير مذكور فى الكلام ألبتة ، وذلك إذا كان معروفا من المقام ، وعليه خرج قوله تعالى (والنهار إذا جلاها) فلم يتكلف الضمير فى جلاها ، وإنما جعله عائدا على الظلمة المعروفة من السياق .تشبيها لها بقولهم (هبت شمالا) ، أعادوا الضمير على (الريح) دون أن يكون لها ذكر فى الكلام ، وفى هذا يقول الفراء : « وقوله (والنهار إذا جلاها) ، جلى الظلمة فجاز الكناية عن الظلمة و لم تذكر لأن معناها معروف — ألا ترى أنك تقول أصبحت باردة ، وأمست باردة ، وهبت شمالا ، فكنى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر لأن معناها معروف [1] » .

(ب) وضع الكلمة فى غير موضعها :

يقول الفراء فى معانيه عند تفسير قوله تعالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) وقوله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) يقول : لم ينفق نفقة مكافأة ليد أحد عنده ، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه ، فإلا فى هذا الموضع بمعنى (لكنْ) .

وقد يجوز أن تجعل الفعل فى المكافأة مستقبلا فتقول : و لم يرد بما أنفق مكافأة من أحد ، ويكون موقع اللام فى أحد فى الهاء التى خفضتها (عنده) ، فكأنك قلت : وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها ، وكلا الوجهين حسن ، قال الفراء : ما أدرى أى الوجهين أحسن ،وقد تضع العرب الحرف فى غير موضعه إذا كان المعنى معروفا . وقد قال الشاعر :

لقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وَعِلٍ فى ذى المطارة عاقل

---

(١) معانى القرآن ص ٣٦٧ (مصورتى) .

والمعنى حتى ما تزيد مخافةُ وَعِلٍ على مخافتى .

ومثله من غير المخفوض قول الراجز :

إن سراجاً لكـــريم معجـــرُه تحلا[1] به العين إذا ما تجهـــره

والمعنى : يحلا بالعين إذا ماتجهره [2] » .

فأنت تراه يتنبه إلى طريقة العرب فى تعبيرهم ، ويتخذ منها قاعدة يجوز استعمالها فى غير الضرورة ، فهى كما جاءت فى الشعر والرجز جاءت فى القرآن الكريم فى نظر الفراء حيث خرج الآية تخريجين وهما :

(١) إما أن تكون (إلا) فى قوله تعالى : (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) بمعنى (لكن) ، وفيه استعمال أداة بمعنى أداة أخرى ، دون تغيير فى المكان . فالموقع متحد بخلاف الوجه الآتى .

(٢) وإما أن يكون هناك تغيير فى موضع (اللام) وموضع (عند) فكلاهما وضع مكان الآخر وكان حقها أن تكون (وما له عند أحد من نعمة تجزى) فلما تبادلا الموضع صارت الآية (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) .

فكأن الفراء يصر على جواز وضع الكلمة فى موضعها ، ويحاول جاهدا أن يجعل ذلك قاعدة مطردة فى النظم والنثر على السواء استنادا إلى أساليب العربية . ولو لم يخرّج الفراء الآية هذا التخريج لقلنا يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى النثر للضرورة ، أو يقول القائلون إن العربى يغلط فى أسلوبه كما يغلط المحدثون ، نتيجة لسبق اللسان إلى وضع كلمة مكان أخرى ، أو نتيجة للروح الهائمة التى يسبح فيها الشاعر حيث يكون فى حال الإلهام بنصف وعى فقط ، بين الإدراك والغيبوبة فينطق اللسان بمثل هذه الطرائق ، وليس لنا أن نتخذها قاعدة جائزة فى النثر .

---

(١) هكذا فى الأصل ويبدو أنها بالياء من حَلِىَ يحلى (انظر لسان العرب) .

(٢) المعانى ص ٣٦٩ مصورتى) .

ولكن الفراء كما رأيت يحاول أن يجعلها قاعدة جائزة فى القول مطلقا ، وربما كان على حق فى ذلك ، أو على جانب من الصواب كبير ، إذ أنه اشترط شرطاً أساسيا يحميه من الاعتراض عليه ، وهو أن يكون المعنى معروفا للسامعين .

(ج) اجتماع كلمتين تجزئ إحداهما عن الأخرى :

التفت الفراء إلى أن العرب قد تستعمل الكلمتين معا فى وقت واحد وهما بمعنى واحد ، ولو حذفت إحداهما لأغنت عنها الأخرى مثل اجتماع (ما) المصدرية ، و(أن) المفتوحة الهمزة فى قوله تعالى: (إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ومثل اجتماع (غير) و(لا) النافية فى شعر عربى فصيح [1].

ومثل اجتماع (الكاف) وكلمة (مثل) فى قوله تعالى (ليس كمثله شىء) ، وفى هذا يقول أبو زكريا فى معانيه :

« وربما جمعت العرب بينهما جميعا ... وهو مثل جمع العرب بين (ما) و (إنْ) وهما جحد ، قال الشاعر :

قد تكسب المالَ الهِدانُ الجافى بغير لاعصف ولا اصطراف[2]

وقال آخر :

ما إن رأينا مثلهن لمعشر سود الرءوس فوالج[3] وفيول

وذلك لاختلاف اللفظين يجعل أحدهما لغوا ، ومثله قول الشاعر :

من الغر اللائى الذين إذا هم تهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

---

(١) انظر المعانى ص ١٧٦ ط دار الكتب .

(٢) الهدان = الاحمق ، والعصف والاصطراف كلاهما بمعنى الجهد والاكتساب .

(٣) الفوالج هى الجمال ذات السنامين ومفردها فالج .

ألاترى أنه قال : اللائى الذين – ومعناهما الذين ، استجيز جمعهما لاختلاف لفظهما ولو اتفقا لم يجز ، لا يجوز (ما ما قام زيد) ولا(مررت بالذين الذين يطوفون) وأما قول الشاعر :

كما ما امرؤ فى معشر غير رهطه ضعيف الكلام شخصه متضائل

فإنما استجازوا الجمع بين (ما) وبين (ما) لأن الأولى وصلت بالكاف – كأنها كانت هى والكاف اسما واحدا – ولم توصل الثانية واستحسن الجمع بينهما ، ... ... فإذا قال القائل (ما ما قلت بحسن) جاز ذلك على غير عيب ، لأنه يجعل (ما) الأولى جحدا ، والثانية فى مذهب (الذى) ، وكذلك لو قال (من من عندك ؟) جاز ، لأنه جعل (من) الأولى استفهاماً ، والثانى على مذهب (الذى) ، فإذا اختلف معنى الحرفين جاز الجمع بينهما .

وأما قول الشاعر :

(كم نعمة كانت لها كم ، كم ، وكم)

إنما هذا تكرير حرف ، لو وقعتَ على الأول أجزأك من الثانى وهو كقولك للرجل (نعم نعم) تكررها ، أو قولك (اعجل اعجل) تشديدا للمعنى ، وليس هذا من البابين الأولين فى شىء ، وقال الشاعر :

هلا سألت جموع كِنْـ ـدَةَ يوم ولوا أين أينا

وأما قوله (لم أره منذ يوم يوم) فإنه ينوى بالثانى غير اليوم الأول إنما هو فى المعنى : لم أره منذ يوم تعلم ، وأما قوله :

نحمى حقيقتنا وبَعْـ ـضُ القوم يسقط بين بينا

فإنه أراد يسقط هو لا بين هؤ لاء ولا بين هؤلاء ، فكان اجتماعهما فى هذا الموضع بمنزله قولهم : هو (جارى بيت بيت)، و(لقيته كفة كفة) لأن الكفتين

واحدة منك وواحدة منه ، وكذلك هو جارى بيتَ بيتَ معناه : (بيتى وبيته لصيقان [1]) .

وفى موطن آخر يقول عند تفسير قوله تعالى : (إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) قد يقول القائل : كيف اجتمعت (ما) و (أن) وقد يكتفى بإحداهما عن الأخرى ؟ . فيه وجهان ، أحدهما : أن العرب تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما فمن الأسماء قول الشاعر :

من النفر اللائى الذين إذا هم ... يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

فجمع بين (اللائى) و(الذين) وأحدهما مجزئ من الآخر .

وأما فى الأدوات فقوله :

(ماإن رأيت ولا سمعت به ... ...)

فجمع بين (ما) و(إن) وهما جحدان ، أحدهما : يجزئ من الآخر ، وأما الوجه الآخر ... ... وأن العرب لتنصبها (أى تنصب مثل) إذا رفع بها الاسم ، فيقولون : (مثلَ من عبدالله ؟) ويقولون (عبد الله مثلَك وأنت مثلَه) (بنصب مثل فى كل ذلك) وعلة النصب فيها أن الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب إذا ألقيت الكاف فإن قال قائل : أفيجوز أن تقول : (زيدٌ الأسدَ شدةً) فتنصب الأسد إذا ألقيت الكاف ؟ قلت : لا . وذلك أن (مثل) تؤدى عن الكاف ، والأسد لايؤدى عنها ، ألا ترى قول الشاعر :

(وزعت بكالهراوة أعوجىّ ... إذا ونت الركاب جرى وثابا)

أن الكاف قد أجزأت عن (مثل) وأن العرب تجمع بينها ، فيقولون : (زيد كمثلك) وقال الله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) واجتماعهما دليل على أن معناهما واحد ، كما أخبرتك فى (ما وإن) و (لا وغير) [2] » .

---

(١) معانى القرآن ص ١٧٥ فما بعدها ط دار الكتب .

(٢) معانى القرآن ص ٣١١ فما بعدها (مصورتى) .

فأنت تراه قد تنبه إلى هذه الظاهرة اللغوية . وهى اجتماع كلمتين متماثلتين أو متقاربتين فى وقت واحد، وإذا حاولنا أن نلتمس لها تعليلا فقد نوفق فى بعض ، ونتوقف فى بعضها ومن ذلك أن العرب ربما أحست فى بعض الأدوات تقلصاً فى المعنى ، وقصوراً فى أداء الوظيفة فأرادت أن تدعمها بنظائرها . ينطبق هـذا على (إنْ) فإن استعمالها فى (النفى) قليل إذا ما قيس باستعمالها فى الشرط مثلا ، وكأنما لحظ العرب ذلك فدعموها بأداة يكثر ورودها فى النفى وهى (ما) فقالوا : (ما إن رأيت ولاسمعت ..)

وربما كان من هذا القبيل اجتماع (اللائى) و(الذين) فإن (اللائى) قليلة الدوران بالنسبة (للذين). وربما كانت أخفى منها فى الدلالة على الموصول.

ولكن هذا التعليل لايتأتى بوضوح فى اجتماع (الكاف ومثل) فكلاهما قوى فى التشبيه إلى حد يصعب معه التفريق بينهما ، فلسنا ندرى على وجه اليقين أيهما أقوى فى التشبيه ، اللهم إلا أن يقال إن (الكاف) أكثر دوراناً وأخف مؤنة على اللسان ، فجىء بها لتدعم (مثل) التى هى أقل منها فى الدوران .

وأود أن أقرر أن هذا التعليل وأمثاله هو مما تختلف فيه وجهات النظر حسب التذوق والإحساس الفنى .

ومهما يكن من شىء فإن هذا المسلك الذى يجمع بين شيئين يمكن الاستغناء عن أحدهما دون أن يتأثر المعنى فى قليل أو كثير يعتبر فى نظرى مسلك ترف فى الأسلوب العربى ، وإن شئت فسمه مذهب تبذير فى الجهد العضلى ، على أن مسلك الترف أو التبذير قليل فى أساليب العربية فإنها كثيرا ما تجنح إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى بل إنها كثيرا ما تكتفى باللمح الخاطف والإشارة المعبرة ، وتلك سنتها فى التعبير ولا يضيرها أن تسلك أحيانا مسالك الترف ؛ فربما كان ذلك أدعى إلى الترفيه .

(د) الاكتفاء بأحد الشيئين عن الآخر :

وإذا كنا قد رأينا أن لغتنا العربية قد أخذت طريقها إلى الترف أحيانا فإننا نجدها هنا تعود إلى طبيعتها فى الاقتصاد، إذ أن من خصائص السليقة

العربية أن تكتفى بالإشارة المعبرة ، وقد لحظ القراء ذلك فى مواطن عدة، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿ بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين) فقال فى معانيه « ويقال أين جواب (فلولا) الأولى ، وجواب التى بعدها ؟ .

والجواب فى ذلك أنهما أجيبا بجواب واحد وهو (ترجعونها) وربما أعادت العرب الحرفين معناهما واحد ، فهذا من ذلك ، وقوله (فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم) أجيبا بجواب واحد وهما جزاءان[1] » .

وجعل من هذا الباب قوله تعالى : (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر[2]) فقال فى معانيه : « وقوله : (سرابيل تقيكم الحر) ولم يقل البرد ، وهى تقى الحر والبرد فترك لأن معناه معلوم والله أعلم ، كقول الشاعر :

وما أدرى إذا يممت وجها أريد الخير أيهما يليني

يريد أن الخير والشر يليني ، لأنه إذا أراد الخير فهو يتقى الشر [3]» .

وكذلك إضمار الجزاء فى الموضع الذى يعرف فيه ، مثل « قوله تعالى: (فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء فتأتيهم بآية) فافعل ، مضمرة ، بذلك جاء التفسير ، وذلك معناه ، وإنما تفعله العرب فى كل موضع يعرف فيه معنى الجواب ... [4] » .

---

(١) معانى القرآن ص ٢٢٥ (مصورتى (تفسير سورة الواقعة) .

(٢) النحل آية (٨١) .

(٣) المعانى ص ١٧٦ (مصورتى) .

(٤) معانى القرآن للفراء ص ٣٣١ ط دار الكتب .

ومن هذا القبيل اكتفاء العرب بما ظهر فى أول الكلام ، يقول أبو زكريا الفراء : عند تفسير قوله تعالى : (تؤ من تشاء) « والعرب تكتفى بما ظهر فى أول الكلام مما ينبغى أن شئت) ، فيقولون : خذ ماشئت ، وكن فيما شئت ، ومعناه فيما شئت أن تكون فيه ، فيحذف الفعل بعدها ... [1] » .

(هـ) إضافة الشيء إلى نفسه استعمال لغوى سليم :

يرى أبو زكريا الفراء أن إضافة الشيء إلى نفسه استعمال لغوى سليم ويتحمس لهذا المسلك ، ويؤكده فى مواطن عدة من كتابه المعانى ، على حين لايرى البصريون ذلك [2] ، ويردون قول الفراء بل قول الكوفيين بعامة [3] ، ويحتجون بحجة صناعية لا تتصل باللغة بسبب [4] ، ويتأولون شواهد الفراء فى القرآن وفى الشعر العربى الفصيح .

يقول الفراء فى معانيه : « ... وفى قراءتنا (وذلك دين القيمة) وهو مما يضاف إلى نفسه ، لا ختلاف لفظيه ، وفسر فى غير موضع [5] » .

وحين تعرض لقوله تعالى (فله جزاء الحسنى) ذكر فيها وجوهاً ، منها قوله : « .. وتكون الحسنى الجنة تضيف الجزاء إليها ، وهى هو ، كما قال : حق اليقين ، ودين القيمة ، ولدار الآخرة خير [6] » .

وفى موطن آخر يقول : « ومكر السيء أضيف المكر إلى السيء ، وهو هو كما قال : « إن هذا لهو حق اليقين [7] » .

---

(١) المعانى ص ٢٠٤ ط دار الكتب .

(٢) انظر الانصاف ٢٥٢/١ ط صبيح .

(٣) نسبه المرزوقى الى الكسائى واللحيانى أيضا ـ انظر الأزمنة والأمكنة ٢٨٤/١ ط أولى ـ أما صاحب الانصاف فقد نسبه الى الكوفيين بعامة جـ ١ ص ٢٥٢ ط صبيح .

(٤) انظر الانصاف ص ٢٥٣ ط صبيح .

(٥) المعانى ص ٣٧٣ (مصورتى) .

(٦) نفس المصدر ص ١٩١

(٧) المصدر السابق ص ٢٦٧

إلى غير ذلك من الآيات والشعر [1] ، وقد تأول البصريون كل ذلك « على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه [2] » فقالوا فى قوله تعالى : (حق اليقين) التقدير فيه حق الأمر اليقين إلى آخر ما هنالك من التقديرات الصناعية [3] .

(و) استعمال المفرد موضع المثنى :

لحظ الفراء فى طرائق العربية استعمالات تخالف المنطق العقلى فسجلها مجيزاً إياها ، إذ أنه يحترم اللغة ويعرف أن لها منطقها الخاص ، من ذلك استعمال المفرد موضع المثنى . فى قوله تعالى : (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً) « يقال كيف قال (به) وقد ذكر الخطيئة والإثم ؟ وكان حقه أن يقول (بهما) .

وذلك جائز أن يكنى عن الفعلين وأحدهما مؤنث بالتذكير والتوحيد ، ولو كثر ، (أى جمع) لجاز الكناية عنه بالتوحيد ، لأن الأفاعيل يقع عليها فعل واحد فلذلك جاز .

فإن شئت ضمنت الخطيئة والإثم فجعلته كالواحد ، وإن شئت جعلت الهاء للإثم خاصة ، كما قال (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) فجعله للتجارة وفى قراءة عبد الله (وإذا رأوا لهواً أو تجارة انفضوا إليها) فجعله للتجارة فى تقديمها وتأخيرها ، ولو أتى بالتذكير فجعل كالفعل الواحد لجاز ، ولو ذكر على نية اللهو لجاز ، وقال : (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) فثنى فلو أتى فى الخطيئة واللهو والإثم والتجارة مثنى لجاز [4] » .

---

(١) انظر الانصاف ٢٥٢/١ فما بعدها ط صبيح .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥٣

(٣) نفس المصدر .

(٤) معانى القرآن للفراء ص٢٨٦ فما بعدها ط دار الكتب .

ويقول فى موطن آخر « وقوله : (إذ انبعث أشقاها) يقال إنهما كانا اثنين (فلان ابن دهر) والآخر (قَدَار) ولم يقل أشقياها . وذلك جائز ... لأن العرب .... وحدوا فى موضع الاثنين والمؤنث والجمع ... [1] » .

(ز) والعكس ، وهو استعمال المثنى موضع المفرد :

يقول الفراء فى معانيه عند تفسير قوله تعالى : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) « وإنما يخرج من الملح دون العذب [2] » ومع ذلك كنى بالتثنية فقال (منهما) ، وخرج عليه قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فى أحد وجهيه ، قال فى المعانى : « ذكر المفسرون أنهما بستانان من بساتين الجنة ، وقد يكون فى العربية جنة (أى واحدة) تثنيها العرب فى أشعارها ، أنشدنى بعضهم :

ومهمهين قَذَفَيْن مرتين قطعته بالأَمِّ لا بالسَّمْتين

يريد مهمها وسَمْتاً واحداً ، وأنشدنى آخر :

يسعى بكبـــداء ولهذمين[3] قد جعـــل الأرطاة جنتين

وذلك أن الشعر له قواف تقيمها الزيادة والنقصان فيحتمل ما لايحتمله الكلام [4] » .

وعجيب أن يقول ذلك فى حين أنه خرج عليه آيات من القرآن كما رأينا ، ثم هو يقول فى موطن آخر عند تفسير قوله تعالى : (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) «العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان فيقولون للرجل (قوما عنا) وسمعت بعضهم يقول : (ويحك أرحلاها وازجراها) ... ونرى أن ذلك منهم ، أن الرجل أدنى أعوانه فى إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة

---

(١) المعانى ص ٣٦٨ مصورتى .

(٢) نفس المصدر ص ٣٢٠

(٣) قال الفراء : « الكبداء : القوس ، ويقال لهدم ، ولهدم لفتان ، وهما السهم » المعانى ص ٣٢١ (مصورتى) .

(٤) المعانى ص ٣٢١ (مصورتى) .

أدنى ما يكونون ثلاثة ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى الشعر أكثر شيء قيلًا : يا صاحبيَّ ، ياخليليَّ ، فقال امرؤ القيس :

خليلي مُرَّا بي على أم جندب نُقَضِّ لُبَاناتِ الفؤاد المعذب

ثم قال :

ألم تر أني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تَطيَّب

فقال ألم تر . فرجع إلى الواحد ، وأول كلامه اثنان [1] » .

ويروى صاحب المزهر عن الفراء فى هذا الباب فيقول : « ومن سَنَن العرب أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين نحو : افعلا ذلك ويكون المخاطب واحداً — أنشد الفراء :

فقلت لصاحبي لاتحبسانا[2] ينزع أصوله واجْذَزَّ شيحا

وقال :

فإن تزجراني يابن عفان أنزجر وإن تدعاني أحم عرضاً ممنَّعا[3] »

وهذا الضرب كثير فى كلام العرب ، ومنه قول امرئ القيس (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) فى أحد الوجوه .

(ح) استعمال المفرد موضع الجمع :

وذلك فى اسم الجنس كثيراً أو ما فيه (أل) التى للاستغراق ، يقول الفراء فى تفسير قوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ، « قال (الدبر) فوحَّد ، ولم يقل (الأدبار) ، وكل جائز صواب أن تقول ضربنا منهم

---

(1) معانى القرآن للفراء ص ٣٠٩ (مصورتى) .

(2) رواية المعانى هكذا بالتثنية وهى موضع الشاهد انظر مصورتى ص ٣٠٩ ، وفى رواية (لاتحبسنا) انظر المزهر ٣٣٥/١ ط الحلبى .

(3) المزهر ص ٣٣٤ فما بعدها ط الحلبى ، وانظر المعانى ص ٣٠٩ (مصورتى) .

الرءوس والأعين ، وضربنا منهم الرأس واليد ، وهو كما تقول إنه لكثير الدينار والدرهم ، تريد الدراهم والدنانير [1] » .

وفى موطن آخر يقول : « وقوله (وكم من ملك فى السموات) ثم قال : (لا تغنى شفاعتهم شيئاً) فجمع ، وإنما ذكر ملكاً واحداً ، وذلك أن (كم) تدل على أنه أراد جمعاً والعرب تذهب (بأحد) و (الواحد) إلى الجمع فى المعنى ، يقولون : هل اختصم أحد ؟ والاختصام لا يكون إلا للاثنين فما زاد ، وقد قال الله : « (لا نفرق بين أحد منهم) فـ (بين) لايقع إلا على الاثنين فما زاد ، وقوله : (فما منكم من أحد عنه حاجزين) مما دل على أن (أحداً) يكون للجمع وللواحد [2] » إلى غير ذلك من المواطن [3] .

(ط) والعكس وهو استعمال الجمع موضع المفرد :

يقول البغدادى فيما يرويه عن ابن الأنبارى فى كتابه الزاهر أن الفراء قال : « من العرب من يقول : قميص أخلاق ، وجبة أخلاق ، فيصف الواحد بالجمع ، لأن الخُلوقة فى الثوب تتسع فيسمى كل موضوع منها خَلَقاً ، ثم يجمع على هذا المعنى ، ومن قال جبة خَلَق ، قالوا فى التثنية جبتان خلقان وفى الجمع جباب أخلاق [4] » .

وقد تناول العلماء بعد الفراء هذه الظاهرة وأمثالها ، ومنهم أبو العباس المبرد فعقد فصلا بعنوان (إطلاق لفظ الجمع على المفرد والمثنى) [5] .

---

(١) المعانى ص ٣١٨ فما بعدها (مصورتى) .

(٢) معانى القرآن عند تفسير قوله تعالى (وكم من ملك فى السموات) سورة النجم آية (٢٦) .

انظر اللسان ٥٦/١١ مادة (سقف) وانظر المعانى عند تفسير قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونهر) ، وعند تفسير (وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه) ص ١٧٤ (مصورتى) .

(٤) خزانة الأدب للبغدادى ٢١٦/١ ط السلفية (الشاهد رقم ٣٤) .

(٥) انظر كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ١٩ فما بعدها ط السلفية سنة ١٣٥٠ هـ

هذا إلى كثير من الاستعمالات اللغوية التى فطن لها الفراء ونبه عليها فى معانيه مثل تعاقب الحروف ، وتضمين فعل معنى فعل آخر ، وجعل التضمين قياسياً فى الأفعال وفى الحروف على السواء [1] ، بخلاف البصريين ، وقد رجح المجمع اللغوى قياسية التضمين وأخذ به [2] . ولولا خشية الإطالة لذكرت كثيراً من ذلك ، ولكنى أجتزئ بهذه الإشارة العابرة [3] إيثاراً للإيجاز .

(خامسا) الثروة اللغوية التى رواها الفراء :

خلّف لنا أبو زكريا الفراء ثروة لغوية ضخمة رواها أو سمعها بنفسه من العرب ، ويكاد يقف فى صعيد واحد مع كبار الرواة اللغويين من أمثال أبو عبيدة وأبى زيد والأصمعى . وإذا ذهبنا إلى المعاجم اللغوية وما إليها وجدناها تعتمد اعتماداً واضحاً على روايات الفراء مما يجعله فى الطليعة الأولى من اللغويين .

وليس من أهدافى فى هذا المقام أن أحصر كل ما ورد عن الفراء من لغويات ، ولكنها إشارات عابرة تدل على ما كان للرجل من مكانة فى هذا الميدان ، وإليك البيان على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، مع الإيجاز التام :

روى صاحب اللسان عن الفراء لغويات لا أكاد أحصيها من ذلك روايته فى السدفة [4] ، والرأفة [5] ، والرف [6] ، والصفصف [7] الخ .. الخ.

---

(١) انظر الصبان على الأشمونى ٢/٢١٦

(٢) انظر محاضر جلسات المجمع اللغوى بالقاهرة (دور الانعقاد الأول) .

(٣) انظر فى التضمين مثلا معانى القرآن للفراء ص ٢٥١ مصورتى ، وانظر فى تعاقب الحروف ص ٢١٨ ، ص ٣٨٦ ص ٣٦٤ من المعانى ط دار الكتب .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور ١١/٧٠

(٥) ١١/١١

(٦) ١١/٢٦

(٧) ١١/٩٨

غير أنى رأيت صاحب اللسان ينسب إلى الفراء قولا لا يتفق مع ما جاء فى آثاره ، فقد روى ابن منظور بيت الفرزدق هكذا :

ولكن رأيت السهم أهون فُوقُه عليك فقد أودَى دمٌ أنت طالبه

فجاء بكلمة (فوق) مذكرة مضافة إلى ضمير السهم ، ثم قال : « قال الفراء : هكذا أنشدنيه المفضل ، وقال إياك وهؤلاء الذين يروونه فُوقةً[1] » بالتاء .

مع أن الفراء نفسه رواه بالتاء ونسبه إلى الأسدى كما رواه بدونها ونسبها إلى المفضل فهو يعتمد الروايتين معاً ، ودليلى على ذلك ما جاء فى كتابه (المذكر والمؤنث) حيث يقول : « وفُوق السهم ، وفُوقَةُ السهم .... قال الشاعر :

ولكن رأيت السهم أهون فُوقةً عليك فقد أودى دم أنت طالبه

فهذا إنشاد الأسدى ، قال وأنشدنى المفضل ، (أهون فُوقُه عليك)[2] » :

وفى القاموس وشرحه تاج العروس روايات كثيرة عن الفراء[3] ، وكذلك فى الصحاح[4] وفى المختار[5] ، وفى جميع كتب اللغة كبيرها وصغيرها بلا استثناء .

ولم يقتصر أمر اللغويات على كتب اللغة فحسب ، بل كل ما اتصل بها عَبَّ من معين الفراء ، من ذلك كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت[6] ،

---

(١) انظر اللسان مادة (فوق) .

(٢) المذكر والمؤنث للفراء ص ٣٥ ط حلب .

(٣) انظر مثلا جـ ٧ مادة (فوق) وجـ ١٠ مادة (فرى) من تاج العروس .

(٤) انظر مثلا مادة (وضع) .

(٥) انظر ص ١٩١ و ٣٧٨ و ٣٨٢ ، ٤٢٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٧٢٨ مثلا ط سنة ١٩٣٩ م.

(٦) انظر ص ٩ ، ٣٦ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٩ مثلا .

ومعجم ما استعجم للبكرى [1] ، ومجالس ثعلب [2] ، وخزانة الأدب للبغدادى [3] ، والمزهر للسيوطى [4] ، والصحاحي لابن فارس [5] وشرح المفضليات [6] ، وشرح ديوان زهير بن أبى سلمى [7] والأزمنة والأمكنة للمرزوقى [8] ، والبحر المحيط لأبى حيان [9] ، ومعانى القرآن للزجاج [10] والتكملة لأبى على الفارسى [11] ، والمذكر والمؤنث للفراء [12] وكذلك المقصور والممدود [13] ، ومعانى القرآن [14] . إلى غير ذلك مما لا أحصيه عدا .

هذا إلى أن بعض اللغويات انفرد بها الفراء فلم نعثر لها على راو غيره ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة الرواية عنده ، ومع ذلك أهمله

---

(١) انظر ص ١٨٦ ، ٤٣٢ ، ٥٠٢ ، ٧٣٤ ، ٨٢٠ ، ١٢٦٣ ، ١٣٣٤ ، ١٤٠٥ مثلا . ط دار المعارف .

(٢) انظر ص ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٦٩ ، ٢٠٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٣١٦ مثلا ط دار المعارف .

(٣) انظر مثلا ٢٢١/١ ، ٢٧٣/٣ ، ١٤/٤ ، ١٩٣/٤ ، ٢٠٤/٤ ط السلفية .

(٤) انظر مثلا ١١٠/١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٨ ، ٥٤٠ ، ٥٥٧ ، ٢٨٩/٢ ، ٢٥٥ ، ٢٩٩ ط الحلبى .

(٥) انظر ص ١٩ ، ٢١ مثلا « باب القول فى اختلاف لغات العرب » .

(٦) انظر مثلا ص ١٤٣ ففيها رأى للفراء بأن البلاء يكون للنعمة والنقمة على السواء عند شرح البيت :

ان ترى شيبا فانى ماجد . . . ذو بلاء حسن غير غمر

(٧) انظر مثلا ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ١٤٦ ، ١٧٤ ، ٢٠٧ ، ٣٨٠ ط دار الكتب .

(٨) انظر ٥١/٢ ، ٢٤٤/٢ مثلا ط الأولى .

(٩) انظر جـ ٦ ص ١٦٣ مثلا .

(١٠) فى سورة الكهف قال الفراء : الوصيد والاصيد لغتان ، وقال فى سورة الجمعة قال الفراء : لغة بنى عقيل الجمعة بنصب الميم مثل الهمزة واللمزة ـ انظر مخطوطة دار الكتب رقم (١١١) تفسير ـ وهى غير مرقومة الصفحات .

(١١) انظر التكملة ص ١٢١ مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٦) نحو .

(١٢) انظر ص ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، مثلا ومعظمه لغويات ط حلب .

(١٣) انظر مثلا لوحة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، الخ اذ أن الكتاب لغوى بطبيعته (مصورتى) .

(١٤) انظر ص ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٥٦ ، ٣٨٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٢ ط دار الكتب ، وانظر ص ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٤١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ مصورتى .

الزبيدى فلم يحتسبه فى طبقات اللغويين، فى حين أنه احتسب آخرين ممن لم يبلغوا شأو الفراء فى اللغة [1] .

من تلك اللغويات التى انفرد بها الفراء (الورى) بسكون الراء وفتحها والمشهور فيها السكون فقط ، قال شارح المفضليات : « والورى الداء بسكون الراء .... وحكاه الفراء بالسكون والفتح ، ولا أعلم أحداً حكاه غيره ، إلا من حكاه عنه [2] » ، إلى غير ذلك من اللغويات [3] .

هذا إلى فائتات فاتت المعاجم اللغوية حين الجمع من ذلك :

(ا) كلمة (التِّكْش) — حكى ثعلب فى أماليه عن الفراء أنه قال : « التِّكْش البازى يجاء به على رأس الكبر فلايتعلم ، فيسمى تِكْشا[4] » ولم أعثر فى المعاجم اللغوية على شىء من ذلك رغم التتبع [5] .

(ب) ومن الفائتات كذلك كلمة (بوصان اسم لشهر ربيع الآخر [6])، والذى جاء فى المعاجم (وَبْصان) بتقديم الواو على الباء[7] .

---

(١) مثل أبى البلاد الأعمى ، وخالد بن كلثوم ، ومحمد بن عبد الاعلى ، وأحمد بن عبيد ، وغيرهم من النكرات بالنسبة الى الفراء — انظر فهرس الطبقات ص ٣٤٩ ط أولى .

(٢) شرح المفضليات ص ١٥١ عند شرح البيت :

كم ترى من شانىء يحسدنى قد وراه الغيط فى صدروغر .

(٣) انظر مثلا اللسان جـ ١١ ص ٧٩ مادة (شعف) .

مجالس ثعلب ص ٤٤٦ ط المعارف .

(٥) سبقنى الى هذا الأستاذ عبد السلام هارون فنبه عليه ، ثم تتبعته للاستيقان فلم اعثر عليه فى المعاجم .

(٦) انظر الايام والليالى ص ١٨ ط الأميرية وقد نبه عليه الأستاذ الابيارى وتأكدت من صحة ما قال .

(٧) انظر اللسان مادة (بصن) .

إلى غير ذلك من الفائتات التى يراها بعض الباحثين وإن كنت فى شك منها إذ أنها تحتمل النقاش [1] :

* * *

وجدير بنا أن ننوه بما كان للفراء من فضل فى التنبيه إلى اللهجات العربية المختلفة مثل الكشكشة والعنعنة ... الخ : كما جاء فى المزهر ، وقد سبق به البيان [2] :

ذلك بعض ما كان للفراء من مجهودات فى الميدان اللغوى أشرت إليها فى لمحات خاطفة إيثاراً للإيجاز مع الدلالة القوية على ما كان للفراء من مكانة لغوية لا ينال منها أن تخطّاه بعض المترجمين من أصحاب الطبقات ، ولولا أن المقام لا يحتمل الإطالة لقوّمت كل آرائه اللغوية فى المسائل الجزئية ، ولكن حسبنا ما اقتضاه البحث من التقويم الكلى لمذهبه اللغوى :

---

(1) مثال ذلك ما جاء فى ص ٥٧ من الأيام والليالى حول جمع كلمة (شمس) فقد قال الأستاذ الابيارى لم تذكر كتب اللغة غير (شموس) فكأنه يرى ان كل جمع مثل (أشمس) من الفائتات التى فاتت المعاجم ، ولست أرى ذلك لأن المعاجم لا تعنى عادة بذكر كل الجموع، وبخاصة ما كان منها قياسيا . لهذا ذكرت ما اطمأنت اليه نفسى بعد البحث ، وتركت مالم أطمئن اليه مثل اضعية ص ٢٩ والملث ص ٦٣ ، من الأيام والليالى للفراء ط الأميرية .

(2) انظر المزهر للسيوطى ١٣٣/١ ط صبيح .

خاتمة

تلخيص المعالم الكبرى لنتائج البحث وبيان الجديد فيه — نداء واقتراحان

موضوع هذا البحث أبو زكريا الفراء . ومذهبه فى النحو واللغة .

وقد تناولت الحديث عنه فى بابين اثنين ، تسبقهما مقدمة ، وتقفوهما خاتمة ، مع وضع فهرس تحليلى إلى جانب الفهرس الإجمالى ، فكان بمثابة تلخيص أمين لمحتويات الرسالة .

وأهداف هذا البحث تتمثل فيما يأتى :

(أولا) تجلية شخصية غامضة كان لها خطرها فى الميدان العلمى فى سالف الزمن .

(ثانياً) الكشف عن المنهج الذى كان ينتهجه فى الدراسات النحوية واللغوية معاً .

(ثالثاً) إثبات أنه كان رائد التيسير فى عهده للانتفاع بآرائه التجديدية فيما نهدف إليه من تيسير النحو .

أما منهج البحث فقد بذلت فيه أقصى الطوق ليكون نموذجاً عالياً تتمثل فيه المنهجية الحديثة بأجلى معانيها ، من حيث الشكل والموضوع معاً [1] .

أما الناحية الشكلية فأمرها يسير ، وأحسب أننى استوفيتها بهذه التقسيمات المنهجية التى يراها القارئ فى الفهرس الإجمالى .

---

(١) تختلف المنهجية باختلاف طبيعة الموضوع ، فهى فى بحث الشخصيات غيرها فى الموضوعات الأخرى .

وأما الناحية الموضوعية فهى مجال الإبداع ، وأحسب أنها كانت موضع التنفيذ الدقيق . ومن مظاهرها ما يأتى :

(أولا) المنهج التاريخى فى تتبع الفكرة حسب التسلسل الزمنى منذ نشأتها الأولى ، ثم فى أطوارها المتلاحقة عبر القرون — وقد طبقت ذلك فعلا فى كل ما يمكن التطبيق فيه ، مثل تحقيق نسب الفراء ، ولقبه ، وأيهما أكبر سناً ؟ وتدرج المدرسة البغدادية ، إلى غير ذلك من المواطن العديدة .

(ثانياً) الاعتماد على آثار المترجم له فى استخلاص مذاهبه منها ، وجعل الروايات التاريخية فى المرتبة الثانية أو الثالثة [1] ، فما اتفق منها مع الآثار قبلناه ، وما اختلف معها رددناه بعد البحث والتمحيص — وقد نفذت هذا خير تنفيذ — فيما أحسب — حين استخلصت جميع مذاهب الفراء من آثاره هو بالذات ، لهذا كنت حريصاً أشد الحرص على الحصول على ما تبقّى من هذه الآثار ، وقد بذلت ما يشبه المستحيل فى سبيل الحصول عليها من الخارج [2] ومن بينها مخطوطة وحيدة فى العالم ذكرها (بروكلمان) وهى (المقصور والممدود) للفراء ، وقد ملكت صورة منها بعد الظفر (بالميكروفيلم) ، وكذلك كتاب (الفاخر فى الأمثال) . وله قصة سنعرض لها فيما بعد [3] .

(ثالثاً) توثيق الآثار بالطريقة المنهجية ، وتتمثل فيما يأتى :

(ا) البحث عن الخصائص التفكيرية والتعبيرية ، واستخراجها من نفس الأثر المراد توثيقه على ضوء ما ثبت للمؤلف من هذه الخصائص ، فإن اتفقت مع الخصائص التى انتهى إليها البحث للشخص المترجم له كان

---

(١) يحتل المرتبة الثانية آثار غير المترجم له ممن تأثروا ونقلوا عنه نصوصا أوردوها فى مؤلفاتهم — فحين يوجد هذا اللون يحتل المرتبة الثانية وتأتى الروايات التاريخية فى المرتبة الثالثة .

(٢) انظر (المقدمة) ففيها قصة الاستيراد .

(٣) أما بقية الآثار فلها شأن آخر ذكرته بالتفصيل فى (المقدمة) .

ذلك توثيقاً أى توثيق ، وإن اختلفت عنها كان موضع شك إلى أن نعثر على مرجح آخر بين مظاهر التوثيق الأخرى .

(ب) البحث عن نصوص خارجية أُخذت من الكتاب نفسه من قبل ، ومقارنتها بما جاء فيه .

(ج) البحث عن آراء المؤلف ومذاهبه واصطلاحاته المبثوثة فى كتب الفن ، وعرض ما جاء بالأثر عليها إن لم تكن هذه الآراء مجموعة فى أثر ثابت له .

(د) ذكر المراجع التى أشارت إليه منسوباً إلى المترجم له .

(هـ) تحقيق عنوان الكتاب ، فقد تختلف العناوين والأثر واحد .

(و) تحقيق النسخ الباقية منه ، ومقابلة بعضها ببعض إن تعددت ، والبحث عما قد يوثقها من السماعات والإجازات . هذا وقد وثقت كل ما وصل إلينا من آثار الفراء توثيقاً منهجياً يتفق مع طبيعة الأثر .

(رابعاً) تشخيص المترجم له تشخيصاً يمثله أمامنا بشراً سوياً كما كان فى حياته من هُدى وصلاح ، أو مجون وضلال ، .... كيفما كان... فى أخلاقه وصفاته ، ورحلاته ، ومذاهبه ، وعقيدته ، وهواه .... مع إبراز الخطوط الرئيسية فى شخصيته كلما أمكن ذلك .

وأحسب أننى استطعت أن أرسم صورة واضحة المعالم لشخصية الفراء — بالقدر الذى أعانت به المصادر — برغم الغموض الشديد الذى اكتنف حياته وآثاره ، حتى إن بعض الباحثين المحدثين وصفه بأنه « شخصية غامضة » ، كما أن باحثاً كبيراً من المعاصرين تشكك فى أن يكون للفراء نحو على الإطلاق ، وقال : إنماهى « لمحات قليلة لا تسمن ولا تغنى من جوع » . كما أن المستشرق الألمانى الكبير (جوتولد فايل) كان يجهل أن كتاب المعانى للفراء قد وصل

إلينا وأن الزمن قد حفظ له عدة مخطوطات محنموظات بالمكتبات العالمية . فقال فى مقدمة الإنصاف : « وكتاباه الأساسيان : كتاب (الحدود) وكتاب (معانى القرآن) اللذان احتويا على مجموعة من الآراء الصائبة الصالحة للبقاء لم يصلا إلينا [1] » .

هذا إلى أن بعض الباحثين المتخصصين فى المدرسة الكوفية لا يعلم أن للفراء كتاباً فى الوجود ، يسمى (المقصور والممدود) ، ويقرر أنه لم يصل إلينا من كتبه إلا (المعانى) و (الأيام والليالى) ، وبهذا يجهل أيضاً أن كتاب (المذكر والمؤنث) للفراء ،قد وصل إلينا كذلك،وأكثر من هذا أنه مطبوع ، وموجود فى دارالكتب بالخزانة التيمورية .

ورأيت أن أسباب هذا الغموض ترجع إلى ما يأتى :

(أولا) فقدان معظم آثار الفراء ، ومن بينها الآثار الخاصة بالنحو ، مثل (الحدود) ، (والكتاب الكبير) فى النحو ، كما أن القليل الذى وصل إلينا من آثاره ظل مخطوطاً ومحجوباً عن أعين الباحثين منذ أمد بعيد .

(ثانياً) أن ما وصل إلينا من آرائه النحوية جاءنا متناثراً فى كتب متعددة مختلفة الألوان من متون وشروح وحواش ، كما أنها مبعثرة فى هذه الكتب هنا وهناك ، فليس لها فهرس حديث يجمع الأعلام ، ويحدد مكانها من الصفحات .

(ثالثاً) وهناك سبب آخر زاد هذا الغموض غموضاً ، هو أن بعض النحويين المتأخرين من أمثال ابن الأنبارى اتبع طريقة التعميم فى كتابه الإنصاف ، فأخذ ينسب الآراء الخاصة بالفراء إلى الكوفيين بعامة ، وقد وقفت على مواطن عدة من هذا القبيل ، وأشرت إليها فى مواطنها من البحث .

---

(١) تفضل استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار فاطلعنى على ترجمة هذه المقدمة ، وهى لا تزال مخطوطة تحت الطبع .

(رابعاً) كما أن عزوف الدارسين فى العصر الحديث عن البحث فى النحو ورجالاته جعل هذا العملاق وأمثاله من القمم الشوامخ يظل مطموراً تحت غبار السنين .

كل ذلك تعاون على إحاطة الرجل بنوع من الغموض جعل الطريق أمام الدارس موحشةً وعرة المسالك ، كأنما يرتاد مجهلة من المجاهل ، ولقد شعر بهذه الوطأة باحث كبير تعرض لتحقيق كتاب صغير من آثار الفراء هو كتاب (الأيام والليالى) فقال فى مقدمته معتذراً عن عدم الإدلاء بأية كلمة عن حياة الفراء ، ليتفرغ لخدمة النص وحده : « وبين يدى واحدة للفراء . حسبى أن أعنى بها ، وأصبر لها ، وما أظن علاج واحدة للفراء بالأمر اليسير » .

ولما رأيت هذه الصعوبة ، وذلك الغموض يحيط بصاحبى من كل جانب ، وعند من ؟ عند الباحثين المتخصصين من الشرق والغرب على السواء — حفزنى ذلك إلى مضاعفة الجهد فى المضى قدما للكشف عن هذه المجاهل ، مستعيناً بالله ، ومعتصماً بالصبر والأناة ، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من نتائج ، بعد ست سنوات كوامل . لقيت فيها من العناء ما يلقاه كل دارس ليس له من دنياه إلا السعى وراء تحقيق هدف رسمته له نفس طموح .

على أن وضوح المعالم فى الصورة التى رسمتُها للفراء لا يعنى أبداً خلوها من الفجوات ، فتلك سمة تكاد تكون لازمة فى مثل هذه الشخصيات التى أهمل التاريخ نشأتها الأولى ولم يفتح لها قلبه إلا بعد مرحلة النضج والاكتمال أو على الأقل بعد ظهور المواهب .

بالرغم من هذه الفجوات استطعت أن أشخِّص الفراء فرأيته فى أخلاقه ورِعاً تقياً وفياً باراً بأهله ، كما رأيته عف اللسان سمْحاً ، محبباً إلى النفوس ، ثم هو إلى جانب ذلك حازم يعتز بنفسه ، ويعتد بعقله : منحه الله ذاكرة لاقطة ، وحافظة أمينة ، فكان يعتمد عليهما معلماً ومتعلماً . ولهذا كان شيخ إملاء جمع بين فراهة العقل . ورَهافة الحس .

كما رأيته معتدلا فى عقيدته وهواه ، قد اتخذ موقفاً وسطاً بين أهل السنة والاعتزال ، كما كان معتدلا فى موقفه من أهل البيت ، فهو وإن كان متشيعاً إلا أنه لم يكن من غُلاة الشيعة ، كما لم يكن من المارقين الخوارج . على أن التشيع عند الفراء لم يكن مجرد ألفاظ تقال ، وإنما كان أعمق من ذلك بكثير : رأيت التشيع قد تغلغل فى التكوين الداخلى لمنهجه ، مع الاحتفاظ بسلامة العقيدة ، والبراءة من التفريط والإفراط .

كما رأيته فى رحلاته وصلاته بالخلفاء والأمراء موضع إعزاز وإكبار ، يتجلى ذلك فى موقف الخليفة المأمون حين سأل الفراء : من أعز الناس ؟ فقال : لا أعلم أحداً أعز من أمير المؤمنين . قال المأمون : « بلى : أعز الناس من إذا نهض تسابق على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين » . ، يريد بذلك الفراء .

أما من حيث المذاهب والمناهج فأكبر الظن أننى وُفقت توفيقاً كبيراً فى الكشف عنها ، والسيطرة عليها سيطرة كاملة جعلتنى أقرر مطمئناً أن الخط الرئيسى فى مذاهب الفراء هو الخط الرئيسى فى شخصيته ، وذلك هو الاعتدال فى كل شىء ، والتوسط فى الأمور ، رأيته فى مذهبه النحوى وسطاً بين بين البصريين والكوفيين ، وذلك هو المذهب البغدادى . وكذلك كان فى مذهبه اللغوى ، وقد رأينا فيما أسلفنا مبلغ اعتداله ، فى تشيعه واعتزاله ، ولئن دل هذا الاتساق فى المذاهب على شىء إنما يدل على مدى التوفيق الذى صادفنا فى الكشف عن مذاهب الرجل من جهة ، واتساقها مع الخط الرئيسى فى شخصيته من جهة أخرى « وهو الحرية الفكرية التى ترتكز على أساس من الدين القويم ، يصونها من الزيغ ، ويدفعها دائماً إلى التحرر من قيود العصبية المذهبية ، أيا كان لونها وموطنها » .

وإذا أردنا أن نضيف جديداً إلى الجديد السابق فما علينا إلا أن نتجه إلى المجهودات الآتية :

١ ــ التحقيقات العديدة . ٢ ــ تكوين النظرية الجديدة .

٣ ــ الكشف عن أوليات الفراء . ٤ ــ الفراء وتيسير النحو .

٥ ــ ابن مضاء صورة من الفراء. ٨ ــ سرقات أو هِيَ أشبه .

٧ ــ مآخذ على الفراء . ٨ ــ نداء واقتراحان .

وإليك البيان بالتفصيل :

(أولا) التحقيقات :

(ا) حققت مولد الفراء ، وكان مختلفاً فيه إلى عدة أقوال، وصنفت كتب التراجم وما إليها بالنسبة لموقفها من ميلاد الفراء ، وقابلت التاريخ الهجرى بالتاريخ الميلادى كما ذكره (هارى . و. هازارد) ثم رجحت أنه ولد سنة ١٤٤ هـ ، وذكرت عديداً من دلائل الترجيح .

(ب) كما حققت تاريخ الوفاة ، وقد اختلف الرواة فيها زماناً ومكاناً ، فناقشت الروايات التاريخية ، ورجحت أنه توفى سنة ٢٠٧ هـ بطريق مكة أثناء العودة ، بعد أداء فريضة الحج .

(حـ) وحققت نسبته إلى القبائل ، ورجحت أنه كان مولًى لبنى أسد ابن خُزيمة ، كما حققت نسبته إلى الديلم ، ورجحت أنها ترجع إلى زعيم يقال له (ديلم) لا أنها ترجع إلى بلاد (الديلم) كما هو المتبادر المعروف .

(د) ثم حققت عُمْر الفراء بالنسبة إلى شيخه الكسائى ، وزيِّفت مقالة المؤرخين وعلى رأسهم ابن النديم ، حين زعموا أن الفراء كان « أسنَّ من الكسائى » وسلكت فى هذا التحقيق طرائق متعددة ، واستظهرت أن كلمة (أسن) إنما هى وليدة التصحيف والتحريف .

(هـ) كما حققت سبب تلقيبه (بالفراء) ، ورجحت رأياً آخر غير الذى تضافرت عليه الروايات حين قالوا : إنما سمى الفراء فراء لأنه كان يفرى الخصوم ، ويقطعهم بقوة الحجة ، وحدة الذكاء ، أولأنه كان يفرى الكلام ، ويشققه ، ويفلسفه ، وأنه لم يشتغل ببيع الفراء ، ولا صناعتها قط ، لا هو ولا أحدٌ من آبائه كذلك ، — ومعنى هذا أنه لقب بالفراء وهو كبير بعد أن ظهرت مواهبه فى فَرْيِ الكلام ، وقطْع الخصوم ، غير أننى رجحت أن هذا اللقب انحدر إليه من جده الأول ، وكان يسمى (فَرّا يُحِبّ) معتمداً فى ذلك على رواية ابن النديم فى الفهرست ، وهو أقرب عهداً بالفراء من سائر المؤرخين الذين ذكروا سبب التلقيب — على أن هذا لا يتعارض إطلاقاً مع اتصاف الفراء بما وُصف به من قوة العارضة وحدة الذكاء .

(و) وحققت ماقال المؤرخون القدامى من« تفلسف الفراء فى تصانيفه » فأثبت ذلك ، وضربت له الأمثال ، وذكرت عوامل تأثر الفراء بالمنهج الفلسفى ، رداً على المستشرق الألمانى (جوتولدفايل) ومن لف لفه من الباحثين المحدثين .

(ز) كما وقفت مع (بروكلمان) والمرحوم (أحمد أمين) وقفة حققت فيها تأليف (معانى القرآن) للفراء بالنسبة إلى تأليف (مجاز القرآن) لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وأثبت أن المجاز أسبق من المعانى على حين كان الأستاذان يميلان إلى العكس .

(ح) واختلفت مع بعض الباحثين المحدثين ، والتقيت فى الرأى مع (فايل) ذلك الذى يرى أن الفراء قد تأثر فى النحو بيونس البصرى أكثر مما تأثر بشيخه الكسائى ، وأثبت ذلك من آراء الفراء وآثاره .

(ط) توهُّم ابن خلكان : هذا إلى أننى كشفت وهماً وقع فيه المؤرخ الكبير (ابن خلكان) شيخ المحققين وتابعه فى ذلك عالمان جليلان

من أكابر المحققين فى عصرنا الحاضر . وهما محققا (معانى القرآن) للفراء وذلك حين تشكك فى أن يكون (الأقطع) هو لقب والد الفراء ، ورجح أنه لقب جده ، توهماً منه أن الحسين ابن على الذى قُطعت يد والد الفراء فى الحرب معه ومن ثَمَ سمى (الأقطع) هو الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وأن الحرب التى شهدها زياد والد الفراء هى التى كانت سنة إحدى وستين ، لذلك استبعد اشتراكه فيها لبُعد ما بينهما من فارق السنين ، ورجح أن(الاقطع) هو الجد لا الوالد .

غير أننى كشفت عن الحقيقة التاريخية ، وأثبت بما لايدع مجالا للشك بأن (الأقطع) هو لقب الوالد لا الجد كما توهم ابن خلكان، ومن حذا حذوه من المحققين والمؤرخين — فلا الحسين هو الحسين بن على بن أبى طالب ، ولا الحرب هى حرب إحدى وستين . وإنما المقصود بالحسين هو أحدُ أحفادِ أحفادِ الحَسَنِ بن على كرم الله وجهه ، كما أن الحرب التى شهدها زياد مع هذا الحسين كانت سنة ١٦٩ هـ فى خلافة موسى الهادى ، وحددت الموقعة وزمانها ومكانها تحديداً دقيقاً ، وأثبت أن هذا الحسين من سلالة الحسن لامن سلالة الحسين ، فلم يكن من أحفاده فضلا عن أن يكون إياه كما توهم ابن خلكان .

(ى) خطأ (بروكلمان) — وكشفت عن خطأ للمستشرق الألمانى الكبير (بروكلمان) حين قرر فى تاريخه أن الفراء له كتاب يسمى(الفاخر فى الأمثال) ، وأنه موجود بتركيا . فى مكتبة الفاتح برقم(٤٠٠٩) ولما كنت حريصاً كل الحرص ، على استيفاء مصادر البحث بذلت جهداً كبيراً للحصول على هذه المخطوطة النادرة ، بل

ربما كانت الوحيدة فى مكتبات العالم كله . . وأخيراً وصلتنى هـذه المخطوطة التى حددها (بروكلمان) . . وبعد دراستها تبين لى مدى الخطأ الذى وقع فيه ، وهى أنها ليست للفراء وإنما هى للمفضل بن سلمة بن عاصم .

ولئن كان هذا الخطأ من جانب (بروكلمان) قد أجهدنى طويلا دون أن أحصل على طلبتى الحقيقية ، وهى كتاب الفاخر للفراء فإنه أفادنا فائدة جليلة ، لاتقل أهمية عن العثور على الكتاب ، وهى تصحيح المعارف العامة بالكشف عن ناحية علمية هامة تتمثل فيما يلى :

(١) أن كتاب الفاخر للفراء لا يزال مفقوداً .

(٢) أن النسخة الموجودة بتركيا — تلك التى أشار إليها (بروكلمان) برقم (٤٠٠٩) بمكتبة الفاتح إنما هى للمفضل بن سلمة بن عاصم وليست للفراء [1] بحال من الأحوال .

(٣) أن المفضل الضبى ليس له كتاب بهذا العنوان ، وإنما جاءت النسبة إليه نتيجة اللبس والخلط بينه وبين المفضل بن سلمة .

(٤) أن المفضل بن سلمة لاينتسب إلى بنى ضبة ، كما كشف عنه البحث والتحقيق .

(ك) عدة أخطاء فى سطرين — وكشفت عن عدة أخطاء فى سطرين اثنين — بل أقل من سطرين كتبهما عالمان جليلان ، من أكابر المحققين فى العصر الحاضر ، هما محققا (معانى القرآن) للفراء ، وهذان السطران يتعلقان بكتاب (المذكر والمؤنث) للفراء . حينما عرضا له فى مقدمة المعانى .

---

[1] من الجدير بالذكر أن نشير الى انها نقلت من مكتبة الفاتح الى مكتبة السليمانية باستامبول أيضا ، نقلت بنفس الرقم كما اخبرنى بذلك صديقنا الذى تولى تصوير (الميكروفيلم) بتركيا .

كما أنني استدركت عليهما فى موطن آخر من المقدمة نفسها حينما تعرضا لعمر بن بُكَيْر ، ذلك الذى استجاب له الفراء ، فألف المعانى من أجله — فقال الشيخان المحققان : « ولم نقف على أمر عمر بن بكير الذى صنع الكتاب لأجله » وقد تتبعت (عمر بن بكير) هذا فى كتب الطبقات فكشفت عن أمره ، وعثرت له على تراجم متعددة ، وضحتها فى موطنها من البحث .

(ل) (كراتشكوفسكى) والأستاذ الأبيارى — وناقشت المستشرق الروسى الكبير (كراتشكوفسكى) حين زعم : أن كتاب الفراء فى الأيام والليالى المخطوط بتركيا إنما هو لأبى عمر الزاهد وليس للفراء .

وكذلك ناقشت الأستاذ الأبيارى حين تشكك فى نسبة الأيام والليالى إلى الفراء ، فرددت هذا الزعم ، وذلك الشك ، وفنّدت الشبهات التى استندا إليها تفنيداً قوياً ، ثم وثّقتُ الكتاب توثيقاً منهجيا بجميع مظاهره الموضوعية والتاريخية .

(ثانيا) تكوين النظرية :

وربما كان من الجديد فى هذا البحث أننى كونت نظرية تتعلق بمذهبه النحوى واللغوى ، مؤداها أن أبا زكريا الفراء كان المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية .

وسلكت فى إثبات هذه النظرية طريقاً منهجياً يعود بها إلى نشأتها الأولى ، بل إلى نشأة المدارس النحوية على الإطلاق ، وتساءلت عن المدرسة ما هى؟ هل كانت هناك مدارس نحوية ؟ ثم من الذى أسس هذه المدارس؟ وأجبت عن هذه الأسئلة ، وجنحت إلى وجود المدارس النحوية ، وذكرت خصائص كل مدرسة ، ووضحت أن الاشتراك فى بعض الخصائص لا يتنافى مع وجود المدارس المتميزة ، كما أن التميز ليس معناه قيام الحدود والسدود بين مدرسة وأخرى ، إذ أن الاطلاع على تطور الحركات الفكرية فى العصور المختلفة كثيراً

ما يضع أيدينا على تداخل النظريات ، وتشابك المدارس ، دون أن يرتفع صوت بالإنكار كما ارتفعت أصوات بإنكار المدارس النحوية ، استناداً إلى ما بينها من اشتراك فى بعض الخصائص .

ثم تتبعت تدرج المدرسة البغدادية باحثاً عن جذورها الضاربة ، وخيوطها الناحلة ، منذ كانت لمحات مبعثرة هنا وهناك قبل أن تكون مدرسة بالمعنى العلمى لهذه الكلمة حتى وضعت يدى على البذرة الأولى — فيما أظن — عند عيسى بن عمر الثقفى (ت١٤٩ هـ) ثم أبى زيد الأنصارى ، ويونس بن حبيب البصرى ، ثم الأخفش الأوسط ورأيت فيه طوراً جديداً من أطوار هذه النشأة ، غير أن اختلاط المذهبين فى تفكيره كان أشبه ما يكون باختلاط مياه النهر العذب بماء المحيط الأجاج ، فإنهما يجريان إلى أمد جنباً إلى جنب ولكنهما لا يمتزجان فى هذه المرحلة ، ومن هنا عددناه مرحلة تطورية فحسب. أما الكسائى فإنه وإن ظهرت فيه بعض الملامح إلا أنها كانت خافتة إلى حد كبير .

كل هذه الحركات الفكرية كانت بمثابة الإرهاص والتمهيد للمذهب الجديد . ذلك الذى اكتمل فى شخصية الفراء وعقليته ، نتيجة امتزاج المنهجين واتحادهما اتحاداً كاملا نشأ عنه عنصر جديد ، له خصائصه المميزة . وطابعه المستقل ، وبذلك كان الفراء — فى نظرنا — هو المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى .

ولست أزعم أننى أول من تنبه إلى أن الفراء ينتهج منهجاً خاصاً به يخالف منهج معاصريه ، فقد تنبه لهذه الظاهرة كثير من الدارسين فى القديم والحديث ، وفى الشرق والغرب على السواء . ولكن أحداً من هؤلاء لم يستطع أن يتعرف على كُنه هذه النظرية ، فكل الذى يلمحه هو أن الفراء يخالف معاصريه وسابقيه مخالفة تغاير جميع المخالفات ، وتستحق أن تكون مذهباً جديداً إنما ما كُنهُ هذا المذهب ؟ وما خصائصه التى تميزه عن المذهبين القائمين ؟ فذلك ما لم يتعرف عليه أحد من السابقين والمعاصرين إذا استثنينا أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى ؛

كما أن أحداً من هؤلاء لم يتبنَّ هذه الفكرة فيتخذ منها نظرية علمية يؤيدها بالحجج والبراهين فى ضوء الدراسات المنهجية الحديثة ، من تتبع تاريخها ونشأتها وتطورها ، وبيان خصائصها ومقوماتها ، وتقويمها . إلى آخر ما قدمته من دراسات قامت عليها هذه النظرية لأول مرة فى التاريخ .

وإن كان هناك فضل يذكر لمسديه ، عرفانا بالجميل ، واعترافاً بالفضل لذويه ، فإننى أذكر شاكراً هذا التوجيه ، لأستاذنا الكبير إبراهيم مصطفى ، إذ أنه هو الذى وجهنى إلى هذه النظرية ، وندبنى لتحقيقها حين عزَّ ذلك على بعض الباحثين ممن تتلمذوا على يديه[1] .

ولا أذيع سراً إذا قلت : إننى فى بدء اضطلاعى بهذا البحث قطعت شوطاً كبيراً سرت فيه مع القدماء القائلين بأن الفراء يمثل المدرسة الكوفية . . ولكن الحقائق لفتتنى بعنف ، وأرغمتنى على إلغاء ماكتبت ، وعزيز على الدارس أن يلغى جزءا كبيراً مما كتب ، ولكنها الدراسة المنهجية تقتضينا أن نسلم أنفسنا للبحث عن الحقيقة أيًّا كانت ، وكيفما كانت . . وأخيراً اهتديت إلى أن أبا زكريا الفراء كان المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية ، فأثبت ما رأيت ، فإن أكن قد وُفقت فذلك الذى أبغى ، وإن تكن الأخرى فما على المحسنين من سبيل .

(ثالثا) الكشف عن وليات الفراء :

لقد كشف البحث عن أوليات للفراء كان فيها السابق المبتكر ، من ذلك :

(١) وضع الأصول النحوية — رأيت أن أبا زكريا الفراء كان أسبق إلى وضع الأصول من ابن السراج الذى اشتهر فى عصرنا بأنه هو واضع الأصول ، وتناولت سبب هذه الشهرة . . ورددت

---

(١) أعرف منهم صديقنا الباحثة الأستاذ (بخاطره) ، فقد سبق له أن اتصل بالفراء لبعده لدراسة عليا بالجامعة ، ولكن ظروفا حالت بينه وبين ما يريد فى مبدأ الطريق .

الحق إلى نصابه . كما رأيت أن سيبويه لم يعن بوضع الأصول فى كتابه ، وكذلك أستاذه الخليل ، واحتكمت فى ذلك إلى إلى « الكتاب » .

(ب) التشبيه بمعناه البلاغى – ورأيت أن الفراء كان أول من تنبه إلى التشبيه بمعناه البلاغى ، فكان أسبق من الجاحظ فى ذلك ، ودعوت المشتغلين بالدراسات البلاغية أن يعيدوا النظر فى تاريخ نشأتها من جديد .

(ح) مبدأ الإعجاز اللغوى فى القرآن – كما رأيت أنه كان أول من نادى بمبدأ الإعجاز اللغوى فى القرآن ، وذلك أن طائفة من المعتزلة وعلى رأسهم (النظّام) أنكروا الإعجاز اللغوى فى القرآن ، فتصدى لهم الفراء بالرد ، ونادى بأن لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق ، وطفق يرد على المعتزلة من جهة ، وعلى رواة الشعر وعلماء الأخبار من جهة أخرى أولئك « الذين لايريدون أن يلتمسوا إعجاز القرآن فى قوالبه اللغوية ، بل يرون كمال الفصاحة فى لغة عرب البادية » ، ثم انتهج منهج الفراء من جاء بعده من أهل السنة الذين يعتنقون مبدأ الإعجاز اللفظى إلى جانب الإعجاز المعنوى .

(د) موسيقا الفواصل القرآنية – ورأيت الفراء أول من عنى عناية خاصة بموسيقا الفواصل القرآنية ، واتخذ منها نظرية راح يدافع بها عن كتاب الله فى نطاق مبدأ (الإعجاز اللغوى) ، غير أننى رأيته قد غالى فى تطبيق هذه النظرية فأخضع لها بعض الآيات مما لا أتفق معه فيه .

واستظهرت أن الجاحظ ربما كان متأثراً بالفراء فى هذه الظاهرة وكذلك الباقلانى وغيرهما ممن شدا شدو الفراء فى الحديث عن

تحقق النسق الصوتى فى القرآن .وناقشت من أنكر ذلك ، وأثبت أن مراعاة النسق الصوتى ليست من الضرورات الشعرية كما يزعم بعض المعارضين ، وضربت لذلك الأمثال .

(هـ) رائد الأشاعرة – ورأيت أن الفراء ربما كان رائد الأشاعرة فى اتخاذ مذهب وسط بين أهل السنة والاعتزال ، ورجحت أن أبا الحسن الأشعرى اقتفى أثر الفراء فى ذلك، ووضحت ملامح التشابه بين الرجلين والمذهبين ، ورأيت أن الفرق بينهما إنما هو الفرق بين عصرين .

على أن أبا زكريا الفراء إن لم يكن المؤسس الأول لهذا المذهب فلا أقل من أنه الرائد الأول ، وصاحب السبق فى هذا الميدان .

(و) الاحتجاج بالحديث الشريف – وكشفت أن الفراء كان سباقاً إلى اعتماد الحديث الشريف حجة فى النحو واللغة ، وأنه كان أسبق من (ابن خروف الأندلسى) ذلك الذى ذكره المستشرق الألمانى (يوهان فك) على أنه أول من احتج بالحديث الشريف ، متبعاً فى ذلك صاحب الخزانة عبد القادر البغدادى ، ومن لف لفه من المؤرخين ، غافلين عن أن الفراء قد سبق (ابن خروف) إلى ذلك بعدة قرون[1] .

(د) الاحتجاج للقراءات – كما رأيت ظاهرة الاحتجاج للقراءات قد برزت بشكل واضح فى معانى القرآن للفراء ، وهو وإن لم يحتج لكل قراءة إلا أنه يعتبر بمثابة الرائد الأول فى الاحتجاج لكل من أتى بعده ممن خصصوا بعض المؤلفات فى الاحتجاج للقراءات ، من أمثال ابن السراج وأبى على الفارسى اللذين

---

(١) ابن خروف توفى فى أوائل القرن السابع الهجرى على حين مات الفراء سنة ٢٠٧ هجرية

احتجا للقراءات السبعية فيما بعد ، فمهد لها الطريق ، كما مهد الطريق لابن جنى ذلك الذى ألف كتابه المحتسب فى الاحتجاج للقراءات الشاذة ، فكان عمله هذا بمثابة تكميل للجانب الذى أهمله أستاذه الفارسى ، ثم كان عملهما معاً أشبه ما يكون برسم خُطا أبى زكريا الفراء الذى جمع فى احتجاجه بين القراءات السبعية ، والشاذة على السواء ، إذ أن هذه التفرقة لم تنشأ إلا أخيراً على يد أبى بكر بن مجاهد تلميذ تلاميذ الفراء .

(رابعا) الفراء وتيسير النحو :

وكشفتُ فى ثنايا البحث أن أمير النحاة أبا زكريا الفراء كان الرائد الأول فى تيسير النحو ، وأثبت أن معاصريه لمسوا فيه هذه الظاهرة ، حتى قال قائلهم — وقد شهد الفراء ينتهج منهج التيسير فى النحو — « إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان » .

واستخرجت من آرائه النحوية أمثلة عديدة لهذا التيسير ، ورأيت أن دعاة الإصلاح فى عصرنا الحديث قد نهلوا من مناهل الفراء فى تيسير النحو ، وأشرت إلى كل ذلك فى موطنه من البحث.

ورأيت أن استغلال باب (الصرف ،أو الخلاف ، أو الخروج) ذلك الذى تناوله الفراء بإسهاب يفتح باب التيسير على مصراعيه أمام المصلحين الذين يهدفون إلى تيسير النحو العربى بوجه عام .

(خامسا) ابن مضاء صورة من الفراء :

وكشفتُ أن ابن مضاء القرطبى صاحب الدعوة العريضة إلى تيسير النحو بإلغاء نظرية العامل ، كما أنه صاحب الثورة العارمة على النحو البصرى بوجه عام . . كشفتُ أن قاضى القضاة ابن مضاء قد انتفع بآراء الفراء

دون أن يشير إليه فى قليل ولاكثير – أقول انتفع ، ولا أقول (سرق) تخفيفاً للحكم على « قاضى القضاة » .

ولست فى هذا ممن يلقون القول على عواهنه ، بل إننى استخرجت من كتاب (الرد على النحاة) طائفة من الآراء رددتها إلى منبعها الأصيل من آراء شيخ المجددين أبى زكريا الفراء .

وعجبت لابن مضاء كيف ينتفع بهذه الآراء دون أن يشير إلى مصدر هذا الإلهام .. وحاولت أن أتعرف على سر هذا الموقف العجيب المريب . . وأخيراً وضعت يدى على « مفتاح السر» فرأيته يتمثل فى ناحيتين اثنتين : إحداهما شخصية ، والأخرى سياسية .

أما الأولى : فهى أن ابن مضاء ماهو إلا بشر كبعض البشر ، أراد أن يظهر بمظهر المجددين المبتكرين ، فاختلس آراء الفراء دون أن يشير إلى صاحبها خشية أن يُرمى بالتقليد ، فى عهد كان التقليد فيه وصمة عار بينهم ، حتى ولو كان تقليداً للمذاهب الأربعة فى الفقه الشرعى ، فما بالك بالنحو ؟

وأما الناحية السياسية فهى أن الأمير الذى شمل ابن مضاء برعايته ، فولاه منصب قاضى القضاة فى الدولة كلها كان ثائراً على المشرق ، إذ كان ضالعاً فى هذا مع الموحدين وقد شهد ذلك العصر ثورة الموحدين على المذاهب الفقهية التى نبعت من الشرق ، فنبذوها وتمسكوا بظاهر الكتاب والسنة فحسب ، وردوا فقه الشرق على الشرق .

فليس غريباً إذن أن يساير ابن مضاء هذه الأجواء ، بل الغريب أن يختلف مع هؤلاء وعلى رأسهم ولىّ نعمته راعى هذه السياسة وحامى حماها ، ولهذا أدلى بدلوه فى الدلاء ، فثار على الشرق أيضاً فى زاوية من زواياه العلمية وهى زاوية النحو محققاً بذلك نوعاً من التجديد ، إذ أن الثورة كانت متجهة إلى الفقه وفروعه ، فهو بذلك قد جمع بين الهدفين : هدف المشاركة فى الثورة من ناحية ، وهدف التجديد الذى يليق بمنصبه الكبير من

ناحية أخرى ، ولولا هذا النزوع إلى الظهور بمظهر التجديد لكان ميدان الفقه والشرع أنسب له ولمنصب القضاء ، ولكنه حب الظهور .

وليس من اليسير فى هذه الأجواء ، أن ننتظر من ابن مضاء ، أن يعترف بفضل أبى زكريا الفراء ، وإلا ضاع منه المجد ، وفقد الشهرة بل إنه يكون حتما موضع اللائمة لعدم تجاوبه مع ولى النعمة من جهة ، كما يكون موضع الزراية والسخرية من جهة أخرى ، حيث يكون قد رد على نحو الشرق بنحو الشرق ، فلم يأت من مغربه بجديد ، فما الفراء إلا من الكوفة ، وما الكوفة إلا أخت البصرة ، وكلتاهما من المشرق ، ولا يليق — فى نظره — شخصياً ولا سياسياً أن يظهر انتفاعه بمذهب الفراء ، أو بأى مذهب من الشرق .

ومن هذا وقفت على سر ذلك الموقف العجيب المريب . وأهم ما يعنينى هنا هو إثبات أن أبا زكريا الفراء قد سبق ابن مضاء إلى إلغاء نظرية العامل بعدة قرون .

(سادسا) سرقات أو هى أشبه :

(ا) ومما وقفت عليه فى هذا البحث أن كتاب « الفصيح » لثعلب صورة من كتاب (البهاء) للفراء فى أكبر الظن ، فقد ذكر المؤرخ المحقق ابن خلكان : أن كتاب البهاء « هو أصل كتاب الفصيح » وقد سطا أبو العباس ثعلب على البهاء فأخرجه للناس فى هذه الصورة ، « وليس له فى الفصيح إلا الترتيب وشىء يسير » . وكم تمنيت لو أن كتاب البهاء وصل إلينا لوقفنا بأنفسنا على مدى هذا الاعتداء ، وإن كان ابن خلكان غير متهم عندنا ، إذ هو عالم محقق إلى جانب أنه مؤرخ كبير .

(ب) ومما هو شبيه بالسرقة ، أو الجحود ما رأيته من موقف الطبرى شيخ المفسرين إزاء آراء الفراء حيث تبناها ولم يشر إلى صاحب الفضل فيها كما سلف به البيان فى موطنه من البحث .

(حـ) وقريب منه موقف ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » ، وإن كان فى نظرى لا يزال بحاجة إلى مقارنة وتبيان ، ولكنها أثارة لعلها تفتح أعين الدارسين .

ولعل السر فى كثرة هذه السرقات وأشباهها يكمن فى غموض الرجل ، وضياع معظم آثاره ، واحتجاب ما تبقى من هذه الآثار ، كل ذلك شجع بعض العلماء فى القديم أن يسطوا على آراء الفراء فى غفلة الزمان والإنسان ، فنسبوها إلى أنفسهم دون حسيب ولا رقيب ، وما دروا أن عين التاريخ ساهرة لا تنام ، وأن الله من ورائهم محيط .

(سابعا) مآخذ على الفراء :

١ — من المآخذ التى أخذتها على صاحبى أبى زكريا الفراء أنه أحياناً كان يخطِّئ العرب فى لغتهم ، فيحكم على قول العربى بالغلط إذا لم يتفق مع القواعد التى صنعها بيديه ، شأنه فى ذلك شأن البصريين الذين يحكّمون القواعد والمنطق فى اللغة ، وما دروا أن اللغة لها منطقها الخاص ، فهى ظاهرة اجتماعية لا تخضع للعقل الفردى بحال ، وقد أوردت نماذج متعددة للدلالة على خروج اللغة عن منطق العقل إلى منطقها الخاص .

وإذا كنا نخطِّئ العربى فى لغته فممن نأخذ اللغة إذن ؟ لقد كان عليهم أن يسجلوا كل ما ورد عن العرب متبعين المنهج اللغوى السليم[1] فى هذا التسجيل ثم ينظروا بعد ذلك فى النتائج التى يودى إليها دون تحكّم أو توجيه ، وعلى ضوء هذه النتائج توضع القوانين[2] .

---

(١) سيأتى له بيان أوفى .

(٢) آخذت الفراء من وجهة نظرى الخاصة ، ثم هو لا يعدم له أنصارا فى عصرنا الحاضر يأخذون بوجهة نظره فى جواز خطأ العربى — وقد رأيت من الانصاف ان أسجل ان هذا المأخذ تختلف فيه وجهات النظر ، وما يزال موضع أخذ ورد بين الباحثين .

٢ ــ كما أنني أخذت على صاحبي ما هو أدهى من ذلك ، فليته وقف عند تخطيء العربي فحسب ، وإذن لهان الخطب ، ولكنه ذهب إلى تخطيء القراءات بوجه عام ، حتى إنه كان أول من فتح باب القدح على قراءة سبعية ، هي قراءة ابن عامر أعلى القراء سنداً ، وأقدمهم هجرة ، وتبعه في ذلك الزمخشري وكثير من الخالفين ، ولهذا حمّلتُه أوزار هذه السنة السيئة إن جاز لنا أن نحمل المجتهدين شيئاً من الأوزار .

٣ ــ كما أخذت عليه أنه قطع على المدرسة الكوفية طريقها إلى المنهج اللغوي السليم، فهي وإن لم تكن تَفْقَه كنه هذا المنهج الحديث إلا أنها كانت تسير في طريق أقرب ما يكون إليه ، فجاء الفراء وقطع عليها هذا الطريق مُؤْثِراً تحكم البصريين على سلاسة الكوفيين ، فخلط عملا صالحاً وآخر سيئاً .

وربما استطاع الدارس أن يلتمس له عذراً في ذلك بأن قِيَمَ الأشياء والمناهج تختلف من زمن إلى زمن ، فما نراه اليوم جميلا ربما كان في زمان سالف غير جميل ، وقد وجد الفراء في عصر كان يحتم عليه أن يقف في مفترق الطريق بين البصريين الجامحين المسرفين في تحكيم القواعد استجابة للدواعي المجتمع آنذاك ممن دخلوا في الإسلام من غير العرب ، ويريدون أن يتعلموا اللغة العربية على أساس من التقعيد ، يعصمهم من اللحن ، ويرتفع بهم من أحط المراتب إلى أعلى المناصب ــ وبين الكوفيين الذين تركوا الحبل على الغارب واستسلموا لكل ما سمعوه من العرب مهما خالف القوانين ، فما يبنونه اليوم من القواعد ، يهدمونه غداً ولو بشاهد واحد ــ فكان حتماً على الفراء ، وقد وهبه الله ما وهب من القدرة أن يقف موقفاً وسطاً بين الفريقين فيجمع بين المنهجين ، ويختار محاسن المذهبين ، فيأخذ من البصريين التقنين ، ويأخذ من الكوفيين استلهام الروح العربية الخالصة ، واستهداء الحس اللغوي السليم ، ثم يَطْلُع على الدنيا بهذا المذهب الجديد ، فيسميه القدماء « أمير المؤمنين في النحو » .

(ثامنا) نداء واقتراحان :

(ا) النداء إلى علمائنا المشتغلين بالتحقيق أن يتعاونوا على إخراج أكبر أثر للفراء ، وهو كتاب (معانى القرآن) إخراجاً كاملا إلى حيز الوجود ، إتماماً لما بدأه أستاذان جليلان ، حالت الحوائل بينهما وبين إتمام الكتاب[1] ، رجاء أن ينتفع الدارسون بما احتواه من آراء تفتح آفاقاً جديدة فى البحث الدقيق وتدعو الباحثين إلى إعادة النظر من جديد فى كثير من الأمور التى استقر عليها الرأى أو كاد[2] .

(ب) أما الاقتراحان فإننى أضم فيهما صوتى إلى أصوات الداعين إلى إصلاح النحو العربى ممن سبقونى إلى هذا الميدان ، والكل يهدف إلى تيسير النحو بإعادة النظر فيه من جديد . بعد أن ضاق به الدارسون فى عصرنا الحديث أضعاف ما ضاق به أسلافنا فى القديم ، على أن هذا التيسير ينبغى أن يأخذ طريقه إلى واحد من الأساسين الآتيين :

(ا) إما الإصلاح الكلى ، (ب) وإما الإصلاح الجزئى — وعليهما يقوم الاقتراحان .

وسأبدأ بالإصلاح الجزئى ، ويتلخص فى إعادة النظر فيما لدينا من تراث نحوى ، على ضوء الخطط التى قدمها لنا دعاة الإصلاح

---

(١) علمت أخيرا من مصدر موثوق به أن تحقيق باقى الكتاب أسند رسميا من جديد الى أستاذنا فضيلة الشيخ محمد على النجار ، أما زميله الفاضل الأستاذ أحمد نجاتى فقد اختاره الله الى جواره الكريم .

(٢) مثل نشأة البلاغة ، ونشأة القراءات ، ووضع الأصول النحوية الى غير ذلك من الحقائق والنظريات .

فى الميدان النحوى[1] وذلك بتنسيق هذه الدعوات ، واختيار أقرب الآراء فيها وأيسرها تقعيداً وإعراباً ، وأمسّها بحاجتنا اللغوية ، ثم ننتخب منها جميعاً نحواً خفيفاً بريئاً من الفلسفات القديمة ثم هو فى الوقت الذى يساير فيه العصر الحديث لا يهدم النحو القديم ، وإنما يختار منه كل رأى يتجه إلى التيسير — وهنا ينبغى أن نفسح مكاناً كبيراً لنحو أبى زكريا الفراء ، إذ أنه الرائد الأول للتيسير النحوى كما انتهى إليه البحث — ولهذا أوجه الدعوة المخلصة إلى كل من يرتاد طريق الإصلاح والتيسير أن يجعل نحو الفراء موضع الاعتبار إن كان يهدف حقاً إلى التيسير ، ولاعذر له فى تجاهله بعد اليوم ، بعد أن كشفنا عن آثاره وآرائه واتجاهه فى التيسير .

أما الإصلاح الكلى فالسبيل إليه شاق عسير ، غير أن هذا لا يحول بيننا وبين تقريره ، إن لم نستطع تنفيذه الآن فلا أقل من أن نحتفظ به للمستقبل الزمن ، وذلك بأن توضع القواعد النحوية من جديد على أساس المنهج اللغوى السليم ، ويجمل بنا أن نقدم الخطوط الرئيسية لهذا المنهج قبل أن نتقدم بالاقتراح ، وتتركز هذه الخطوط فيما يأتى[2] :

أولا : ينبغى — قبل تقعيد القواعد — أن يُفصَل بين الشعر والنثر نهائيا ، إذ أن خصائص الشعر تختلف إلى حد ما عن خصائص النثر فلكل منهما قواعده الخاصة به . لئلا نقع فى مثل ما وقع فيه أسلافنا القدماء .

ثانيا — الاستقراء التام لجميع لهجات العرب قبل البدء فى التقعيد ، أو بعبارة أدق استقراء جميع اللغات العربية التى كانت سائدة فى ذلك العهد .

---

(١) مثل احياء النحو للمرحوم ابراهيم مصطفى ، والمدخل للدكتور شوقى ضيف الى كتاب الرد على النحاة لابن مضاء ، والاجتهاد فى النحو العربى للأستاذ أمين الخولى ، وكذلك بحثه القيم بعنوان (هذا النحو) ثم تقرير لجنة التيسير بوزارة المعارف لسنة ١٩٣٨ م الى آخر ما هنالك من محاولات جادة لاصلاح النحو العربى ومنها الأحرفية ليوسف السودا .

(٢) غنى عن البيان أن تقول : ان أسلافنا الأولين كانوا بعيدين غاية البعد عن هذا المنهج اللغوى السليم . ولكنهم على أية حال مشكورون ، فقد بذلوا غاية الجهد طبقا لثقافات العصر « وجهد المقل كثير » .

ثالثا – الفصل بين كل لغة وأخرى ، واستنباط قواعدها الخاصة بها ، دون خلطها بسائر اللغات ، وهذا الاختصاص لايمنع من الدراسة المقارنة بينها وبين أخواتها من لغات العرب ؛ فإن الخلط شيء ،والدراسة المقارنة شيء آخر.

رابعا – قبل البدء فى وضع أية قاعدة لأية لغة من اللغات ينبغى أن تقوم دراسة مقارنةبين هذه اللغة العربية ، وبين أخواتها من اللغات السامية الأخرى فإن الدراسة المقارنة تظهرنا على كثير من الخصائص المشتركة بين بناتالفصيلة الواحدة ، و هذا يمكّننا من تفسير الظواهر اللغوية تفسيراً علمياً دقيقاً .

خامسا – إذا حالت الحوائل دون التقعيد لكل لغة على حدة ، لكثرة اللغات وتشعبها يكتفى بوضع القواعد للغة النموذجية فقط . تلك التى يلتزمها الناس فى المجال الجدّى من القول ، وفى الآثار الأدبية من النثر الفنى .

وسبيلنا إلى تحقيق هذا المنهج لايتأتى إلا بتضافر الجهود من جديد ، وذلك بأن تتولى هيئةرسميةمثل المجامع العربية ، أوالجامعات العلمية تخصيص طائفة من أعلامها ، وتفريغهم لهذه المهمة الضخمة – مع إمدادهم بكل مايحتاجون إليه علمياً ومادياً للإنفاق على هذا المشروع بسخاء كما ينفق على أى مشروع علمى يتصل بالطاقة النووية مثلا .

وتتولى هذه اللجنة تجنيد النابهين من طلاب الأقسام العربية بالكليات المختلفة ، وكل من تأنس فيه روح الجد والمثابرة فى البحث والتنقيب لجمع المواد الأولية من بطون الكتب ، وذلك باستخراج كل لغةمن لغات العرب على حدة مثل لغة تميم ، وقيس ، وأسد ، وهذيل . . الخ . . يجمعون كل ذلك من المعاجم اللغوية على اختلاف ألوانها وأحجامها ، ثم يتجهون إلى الكتب الأخرى التى عنيت بالدرس العربى مثل كتب النحو والصرف واللغة بوجه عام ، وكذلك كتب الطبقات على اختلافها ، وكتب القراءات الخاصة باللهجات ، إلى غير ذلك من ألوان العلوم المختلفة . . ينفضون ذلك نفضاً ويستخرجون ما جاء به من اللغات واللهجات ، لا يغادرون منها مخطوطاً ولا مطبوعاً ، كما أنهم

لايتركون مخطوطة فى العالم إلا صوروها واستخرجوا ما فيها مستعينين فى ذلك بجهود البعثات الرسمية التى خصصت لهذا الغرض، مع العمل على مضاعفتها[1] لإنجاز هذا العمل الضخم .

وأحسب أنه بعد هذا وذاك يتجمع لدى الباحثين قدر كبير من اللغات واللهجات يصلح لأن يكون أساسا للدرس والتقعيد من جديد ، على ضوء المنهج اللغوى السليم ، وذلك هو الاقتراح .

ولعل هذا الاقتراح يبدو أشبه ما يكون بالأمانى والأحلام ، ولكنه هو الوسيلة إلى إصلاح النحو إصلاحا كاملا على أساس المنهج اللغوى السليم ثم هو على أية حال أقرب من دعوة أستاذنا الخولى إلى جمع اللغات من الحفريات فى الجزيرة العربية عسى أن تكون هناك نقوش خلفها العرب كما كانت تفعل بعض الأمم — ثم من يدرى لعل هذه الأمانى تصبح حقيقة واقعة فنحن فى عصر المعجزات . وما ذلك على الله بعزيز .

«وبعد فإننى أخلصت لهذا البحث . وبذلت فيه غاية الجهد وعشت فيه وله سنين عددا ، وأحسب أننى أرضيت ربى[2] وقلبى بهذا الإخلاص ، وبقى شىء واحد هو أن يرضى عنه القارئ ، وذلك مالا أملك إليه السبيل ، بيد أننى أود أن يغفر لى ما فرط فى ثنايا البحث من اعتزاز بما وصلت إليه من نتائج ، وكم حاولت أن أتخلص من هذه الوصمة — ولا أزال أحاول جاهدا حتى الممات — ولكن يبدو أنه عيب متأصل فى نفسى منذ الطفولة الباكرة ، ولئن عز علىّ أن أتخلص من هذا العيب فما يعز على أن أعترف به ، عسى أن

---

(١) مضاعفة البعثات لتصوير المخطوطات من جميع مكتبات العالم هو الاقتراح الثالث ادمجته فى اقتراح (الاصلاح الكلى) . وكان له هدف عام وهدف خاص ، أما الهدف العام فهو الحصول على أية مخطوطات ، وأما الهدف الخاص فهو البحث عن آثار الفراء بالذات وبخاصة ذلك الكتاب القيم المسمى (بالحدود) وأثر آخر يسمى (الكتاب الكبير فى النحو) استظهرت أن الفراء ألفه ليعارض به كتاب سيبويه .

(٢) عملا بالحديث النبوى الشريف « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » .

يكون هذا الاعتراف نوعا من المحاربة لهذا الداء العياء ، ولعلى أستطيع التغلب عليه بمرور الزمن « فإن الزمان يقيم الصعر » .

وأحمد الله على أن هذا الاعتزازلا يحول بينى وبين التعرف على مواطن الضعف فى نفسي وبحثى ، وإن حال حائل دون التعرف بنفسى فما يحول أبدا بينى وبين تقبل التوجيه والإرشاد ، لهذا أفتح قلبى على مصراعيه لاستقبال نقدات أساتذتى وتوصياتهم وتوجيهاتهم الرشيدة لأنتفع بها فى حياتى المستقبلة من جهة ، كما أنتفع بها فى تقويم هذا البحث وإخراجه عند الطبع أقرب ما يكون إلى الكمال من جهة أخرى ، وتلك أمنية عزيزة غالية أحرص عليها كل الحرص وأتمنى أن تتحقق على يد أساتذتى الأجلاء.

وأقول : « أقرب ما يكون إلى الكمال » لأننى أعلم علم اليقين أن الكمال المطلق لكتاب الله وحده . أما أعمال بنى الإنسان فإنها موصومة بالخطأ والنسيان ، موصولة بمدد لا يكاد ينقطع من عشرات الهفوات والزلات ، ومهما بالغ المرء فى الحرص واليقظة فلا بد له من العثار فى هافية القول ، أوغافية العقل ، والله أسأل أن يهدينى سواء السبيل ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مصادر الرسالة ومراجعها

أولًا ـ المخطوطات :

(١) ابن جنى وفلسفته اللغـوية ـ دكتور محمد القصاص . مخطوطة (فى حوزتى) .

(٢) أبو على الفارسى وأثره فى النحو ـ عبد الكريم محمد شعبان ، مخطوط بكلية اللغة العربية رقم ٣٥٥ نحو وهو بحث لنيل الأستاذية بتخصص المادة (١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م) .

(٣) أبو على الفارسى وآثاره فى القراءات والنحو ـ للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ـ مخطوطة دار العلوم رقم ٣٣٥ د ـ ٢٥٤٩٥ .

(٤) أبو الحسن الأخفش وأثره فى النحو ـ طه محمد الزينى ـ مخطوطة بكلية اللغة العربية رقم ٣٨٣ نحو.

(٥) الاجتهاد فى النحو العربى ـ أمين الخولى ـ بحث قدم لمؤتمر المستشرقين الدولى المنعقد باستانبول فى سبتمبر سنة ١٩٥١ م ـ مخطوطة بمكتبة آداب القاهرة رقم ٣٨٦٨٨ .

(٦) ارتشاف الضرب ، لأبى حيان ـ مخطوطة دار الكتب رقم(٨٢٨) نحو .

(٧) الاستدراك على سيبويه ـ للزبيدى ـ مخطوط بالخزانة التيمورية) بدار الكتب رقم ١٨٦ نحو.

(٨) أسرار العربية – لابن الأنبارى . مخطوط بدار الكتب رقم(٥٧٨٢) رمز (هـ) .

(٩) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس (ت٣٣٨ هـ) مخطوطة دارالكتب رقم (٤٨٨) تفسير.

(١٠) الإغفال لأبى على الفارسى – مخطوطة بدار الكتب رقم ٨٧٥ تفسير .

(١١) (أفعل وفعلت) لأبى بكر بن دريد – مصورة بمعهد المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية مأخوذة عن نسخة الاسكوريال رقم (٤٤٢) .

(١٢) إنباه الرواه على أنباه النحاة – للقفطى – مصورة دار الكتب رقم (٥٥٥٨٨) عمومية .

(١٣) إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله لأبى بكر محمد بن القاسم ابن بشار الأنبارى مخطوطة دار الكتب ومصورة مكتبة الجامعة رقم (٦٠٠٠١) .

(١٤) (ا) الأيام والليالى والشهور للفراء.(مصورتى) مأخوذة عن مخطوطة بمكتبة (لاله لى) باستانبول رقم (١٩٠٣)

(ب) نسخة أخرى (مصورتى) مأخوذة عن مخطوطة بمكتبة سليم أغا باستانبول رقم (٨٩٣) .

(حـ) نسخة ثالثة وهى مخطوطة دار الكتب ضمن مجموعة برقم (١٣) ش أدب .

(١٥) « بحث فى النزاع العلمى بين البصرة والكوفة » – دكتور يحيى الخشاب – مخطوط بكلية آداب القاهرة رقم (٩١٠١) نحو .

(١٦) التاريخ الكبير للحافظ أبى عبد الله البخارى – مخطوط بدار الكتب رقم (٥٣١٥) تاريخ .

(١٧) التكملة لأبى على الفارسى ، مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٦) نحو .

(١٨) تلخيص ابن مكتوم–مخطوطة دار الكتب رقم (٢٠٦٩) تاريخ تيمور

(١٩) التنبيهات على أغاليط الرواة – أبو القاسم على بن حمزة البصرى (ت ٣٧٥ هـ) مخطوط بدار الكتب رقم (٢٢ ش) لغة .

(٢٠) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ المزى – مخطوطة دار الكتب رقم ٢٦ مصطلح الحديث .

(٢١) تهذيب اللغة للأزهرى (ت ٣٦٨ هـ) – مخطوط بدار الكتب رقم (٩) لغة .

(٢٢) التيسير – أبو عمرو الدانى – مخطوطة دار الكتب رقم(١٤) قراءات .

(٢٣) (أ) الحجة لأبى على الفارسى – مصورة مكتبة جامعة القاهرة رقم (٢٤٠١٢) .

(ب) الحجة لأبى على الفارسى مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية مأخوذة عن نسخة مراد ملا بالآستانة – رقم (٦) .

(٢٤) الحدود للفاكهى – مخطوطة دار الكتب رقم (٤٥٤) نحو طلعت .

(٢٥) حدود الأبدى – مخطوطة دار الكتب رقم (٩٥٩٣) رمز (هـ) .

(٢٦) سيبويه والكتاب – أحمد السيد غالى – مخطوط بكلية اللغة العربية رقم (٣٧٨) نحو .

(٢٧) شرح كتاب سيبويه – أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى – مخطوطة كبيرة فى خمسة أجزاء بدار الكتب رقم (١٣٧) نحو .

(٢٨) شرح ابن عصفور على الجمل الكبير للزجاجى – مخطوطة دار الكتب رقم (٥٧٩) نحو .

(٢٩) شرح حدود الفاكهى ، للفاكهى نفسه مخطوطة دار الكتب رقم (٤٥٤) نحو طلعت .

(٣٠) طبقات المفسرين – محمد بن على الداودى المالكى – مخطوطة دار الكتب رقم (١٦٨) تاريخ .

(٣١) طبقات النحاة لابن قاضى شهبة – مخطوطة دار الكتب فى مجلدين برقم (٢١٤٦) تاريخ تيمور .

(٣٢) (ا) الفاخر فى الأمثال للمفضل بن سلمة (مصورتى) .

(ب) وأخرى بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية (ميكروفيلم) مأخوذ من مخطوطة مكتبة نور عثمانية رقم (٤١٣٩) .

(٣٣) (فعلت وأفعلت) لأبى اسحاق الزجاج – مصورة معهد المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية مأخوذة عن نسخة بمكتبة أحمد الثالث رقم (٢٧٢٩) .

(٣٤) اللمع – أبو القاسم عبد الواحد بن على العكبرى (ت ٤٥٦ هـ) مخطوطة دار الكتب رقم (٥م) ، وهى بفهرس الوا وج ٢ ص ١٥٥

(٣٥) المحتسب لابن جنى – مخطوطة دار الكتب رقم (٧٨) قراءات .

(٣٦) مجالس اللغويين والنحاة للزجاجى – مصورة دار الكتب عن نسخة شهيد على بأستامبول .

(٣٧) مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى – مصورة آداب القاهرة رقم (٦٠٥٩) .

(٣٨) مختصر الزاهر لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى – مخطوطة دار الكتب .

(٣٩) مذهب الخليل النحوى – دكتور مهدى المخزومى – مخطوطة (فى حوزتى) .

(٤٠) المسائل الخلافية لأبى البقاء العكبرى – مخطوطة دار الكتب رقم (٢٨ ش) نحو . نسخة كتبت فى القرن الثامن الهجرى .

(٤١) المسائل البصريات لأبى على الفارسى – مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية مأخوذة من مخطوطة شهيد على بالآستانة رقم (٢٥١٦ – ٢) .

(٤٢) المسائل البغداديات لأبى على الفارسى – مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم (٨٦٠) .

(٤٣) (ا) معانى القرآن لأبى زكريا الفراء – (مصورتى) وهى مأخوذة عن نسخة دار الكتب رقم (٢٤٧٧١) تفسير .

(ب) معانى القرآن لأبى زكريا الفراء – مخطوطة دار الكتب رقم (١٠ ش) تفسير .

(حـ) معانى القرآن لأبى زكريا الفراء – مخطوطة دار الكتب رقم (٢٤٩٨٦) تفسير .

(٤٤) معانى القرآن للزجاج – مخطوطة دار الكتب رقم (١١١) تفسير ، وأخرى رقم (٦٣٦) تفسير .

(٤٥) المقتضب للمبرد – مصورة دار الكتب رقم (٥٢٥) .

(٤٦) مقدمة الإنصاف فى مسائل الخلاف – جوتولد فايل – ترجمة المرحوم دكتور عبد الحليم النجار مخطوطة لم تطبع بعد .

(٤٧) المقصور والممدود لأبى زكريا الفراء (مصورتى) .

(٤٨) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى « مخطوط بدار الكتب رقم (١٢٩٦) تاريخ » .

(٤٩) نكت الانتصار – أبو عبد الله بن محمد الصيرفى – مخطوطة بلدية الإسكندرية رقم (٨٢٨ ب) وهى مختصرة من كتاب (الانتصار) للباقلانى .

ثانيا – المطبوعات :

(٥٠) (آلآصفية) وهو كتاب يجمع فهارس كتب عربية ، وفارسية وأوردية منسوبة إلى مؤلفيها ، مطبوعة فى دار الطبع (سركارعالى) حيدر أباد– الدكن سنة ١٣٥٥ هـ – اطلعت عليهافى مكتبةصديقنا الأستاذ خير الدين الزركلى ؛

(٥١) إبراز المعانى لأبى شامة ط الحلبى سنة ١٣٤٩ هـ .

(٥٢) أبو حنيفه – الشيخ محمد أبو زهرة – ط دار الفكر العربى – سنة ١٩٥٥

(٥٣) أبو على الفارسى – دكتور عبد الفتاح شلبى – مطبعة نهضة مصر .

(٥٤) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى – طبع سنة ١٢٧٩ هـ .

(٥٥) أثر القرآن فى تطور النقد العربى – دكتور محمد زغلول سلام – ط دار المعارف بمصر .

(٥٦) الآجرومية أو القواعد الجديدة فى اللغة العربية – يوسف السودا– ط بيروت سنة ١٩٥٩ م .

(٥٧) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم – شمس الدين المقدسى – ط ليدن ١٣٢٤ هـ – ١٩٠٩ م.

(٥٨) إحياء النحو – ابراهيم مصطفى – ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م.

(٥٩) أخبار النحويين البصريين للسيرافى – تحقيق كرنكو – ط سنة ١٩٣٦م

(٦٠) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبه – ط السعادة سنة ١٣٤٩ هـ ونشر القدسى – بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى .

(٦١) أدب الكاتب – لابن قتيبة – المطبعة العامرة .

(٦٢) أدب الكتاب – أبو بكر الصولى – ط سنة ١٣٤١ هـ .

(٦٣) إرشاد المريد إلى مقصود القصيد – وهو شرح الشاطبية للشيخ على الضباع ط صبيح .

(٦٤) الأزمنة والأمكنة – للمرزوقى – الطبعة الأولى بالهند سنة ١٣٣٢ هـ .

(٦٥) الأسس المبتكرة لعبد العزيز الأزهرى – ط العلوم سنة ١٢٦٩ هـ .

(٦٦) الأشباه والنظائر للسيوطى – ط حيدر أباد سنة ١٣٥٩ هـ .

(٦٧) الاشتقاق لابن دريد أبو بكر الأزدى – طبع غوطا سنة ١٨٥٣ م .

(٦٨) إصلاح المنطق لابن السكيت ط دار المعارف .

(٦٩) الأصوات اللغوية – دكتور إبراهيم أنيس ط لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٠ م .

(٧٠) أصول الدين لعبد القاهر البغدادى ط استانبول سنة ١٣٤٧ هـ . – ١٩٢٨ م .

(٧١) الأضداد – أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) نشر (هوتسما) – ليدن سنة ١٨٨١ م .

(٧٢) أعيان الشيعة – محسن الأمين الحسينى العاملى طبع دمشق سنة ١٩٣٥م

(٧٣) الأعلام – خير الدين الزركلى – الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧ هـ . ١٩٢٨ م .

(٧٤) الأغانى – أبو الفرج الأصفهانى ط ساسى وط دار الكتب – ١٩٥٢ م .

(٧٥) اقليد خزانة الأدب – للميمنى – طبع الهند – نحو .

(٧٦) الاقتصاد فى الاعتقاد – للإمام الغزالى ط سنة ١٩٠٩ م .

(٧٧) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب – لابن السيد البطليوس – ط بيروت سنة ١٩٠١ م .

(٧٨) الاقتراح – للسيوطى طبع حيدر أباد .

(٧٩) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع – ادورد فنديك – تصحيح السيد على البيلاوى ط مطبعة التأليف سنة ١٨٩٦ م .

(٨٠) ألفيـــة ابن مالك .

(٨١) أمالى ابن الشجرى طبع حيدر أباد – الدكن سنة ١٣٤٩ هـ .

(٨٢) الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان ط ثانية سنة ١٩٥٣ م .

(٨٤) الإنباه على قبائل الرواة – أبو عمر يوسف بن عبد البر – ط السعادة سنة ١٣٥٠ هـ

(٨٥ (ا) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى مطبعة التقدم سنة ١٣٢٣ هـ.

(ب) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم – ط دار الكتب سنة ١٩٥٠ م.

(٨٦) الأنساب – أبو سعيد السمعانى – بالزنكوغراف – ليدن سنة ١٩١٢م

(٨٧) الإنصاف فى مسائل الخلاف – أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى تحقيق محيي الدين عبد الحميد – طبع صبيح .

(٨٨) أوراق البردى العربية تأليف المستشرق (جرومان) – ترجمة الدكتور حسن إبراهيم – الجزء الأول .

(٨٩) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – لابن هشام ط صبيح .

(٩٠) الأيام والليالى والشهور للفراء – تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى – ط المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٦

(٩١) البحر المحيط – أبو حيان النحوى – ط السعادة ١٣٢٨ هـ .

(٩٢) بغية الوعاة – للسيوطى الطبعة الأولى مطبعة السعادة .

(٩٣) البلاغة العربية فى دور نشأتها – دكتور سيد نوفل ط ١٩٤٨ – نشر مكتبة النهضة المصرية .

(٩٤) البيان والتبيين للجاحظ – تحقيق السندوبى طبع الرحمانية سنة ١٣٥١ هـ

(٩٥) تاج العروس من جواهر القاموس – أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الزبيدى – الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦ هـ وطبع الأميرية سنة ١٣٠٧ هـ .

(٩٦) تاريخ بغداد – الخطيب البغدادى – ط السعادة سنة ١٣٤٩ هـ. ١٩٣١ م.

(٩٧) تاريخ ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) – القاهرة – دار الطباعة العامرة سنة ١٢٨٤ هـ.

(٩٨) تاريخ الرسل والملوك – أبو جعفر بن جرير الطبرى – ط الحسينية سنة ١٣٢٦ هـ.

(٩٩) تاريخ اللغة وصحاح العربية – أبو النصر الجوهرى – القاهرة – المطبعة العامرة سنة ١٢٨٢ هـ.

(١٠٠) تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها – نعوم شقير – مصر – مطبعة المعارف سنة ١٩١٦ م.

(١٠١) تاريخ الإسلام السياسى – الدكتور حسن إبراهيم – الطبعة الثانية – سنة ١٩٤٩ والثالثة سنة ١٩٥٣ م.

(١٠٢) تاريخ اللغات السامية – إسرائيل ولفنسون – طبع سنة ١٩٢٩ م.

(١٠٣) تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعى – مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

(١٠٤) تاريخ الجهمية والمعتزلة – جمال الدين القاسمى الدمشقى – القاهرة سنة ١٣٣١ هـ. – ١٩١٢ م.

(١٠٥) تأويل مختلف الحديث فى الرد على أعداء أهل الحديث لابن قتيبة الدينورى ط سنة ١٣٢٦ هـ.

(١٠٦) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ط الحلبى سنة ١٩٥٤ م.

(١٠٧) التبيان فى شرح الديوان – وهو شرح ديوان المتنبى لأبى البقاء العكبرى – ط الحلبى ويرى الدكتور مصطفى جواد الأستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد أنه لأبى عبد الله الحسين الإربلى انظر بحثه فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق فى المجلد الثانى والعشرين .

(١٠٨) تحرير النحـــو العربى – إبراهيم مصطفى وآخرون – مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ م.

(١٠٩) تذكرة الحفاظ – للذهبى – طبع حيدر أباد .

(١١٠) التطور النحوى للغة العربية – برجشتراسر – مطبعة السماح سنة١٩٢٩م

(١١١) تفسير أسرار التنزيل للشريف الرضى ط النجف .

(١١٢) تفسير البيضاوى – ط المطبعة العثمانية سنة ١٢٨٦هـ .

(١١٣) تفسير الجلالين – ط دار الطباعة العامرة سنة ١٢٩٣ هـ .

(١١٤) تفسير المنـــار للشيخ رشيد رضا – ط أولى .

(١١٥) تفسير الفخر الرازى – (المسمى مفاتيح الغيب)ص ١٢٨٩ هـ.

(١١٦) تفسير الكشاف – الزمخشرى – ط المطبعة الشرقية سنة ١٣٠٧ هـ .

(١١٧) (أ) تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تفسير القرآن – طبع الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٩ هـ .

(ب) تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تفسير القرآن – طبع دار المعارف بمصر .

(ج) تفسير الطبرى المسمى جامع البيان عن تأويل آى القرآن – ط الحلبى .

(١١٨) تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن – ط دار الكتب – سنة ١٣٧٣ هـ. – ١٩٥٤ م.)

(١١٩) تقرير اللجنة الوزارية الذى نشر بجريدة المصرى فى يومى ٢٥ و ٢٦ من سنة ١٩٣٨ (وهو يتعلق بتيسير النحو) .

(١٢٠) تهذيب التهذيب – للعسقلانى – الطبعة الأولى – حيدر أباد .

(١٢١) تهذيب الصحاح – محمود بن أحمد الزنجانى – تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون – ط دار المعارف بمصر .

(١٢٢) التيسير – لأبى عمرو الدانى فى القراءات السبع – عنى بتصحيحه « أوتوبرتزل » طبع استانبول سنة ١٩٣٠ م.

(١٢٣) الجمل الكبير للزجاجى – تحقيق الأستاذ أبى شنب – ط الجزائر سنة ١٩٢٦ م.

(١٢٤) حاشية الباجورى على السلم – ط سنة ١٣١٤ هـ.

(١٢٥) حاشية الصبان على ملوى فى المنطق – ط سنة ١٣٢٥ هـ .

(١٢٦) حاشية الشيخ يس العليمى على التصريح – ط سنة ١٣١٣ هـ. وغيرها.

(١٢٧) حاشية الخضرى على ابن عقيل – ط سنة ١٩١٤ م. وغيرها .

(١٢٨) حاشية الأمير على المغنى – المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨ م.

(١٢٩) حاشية الصبان على الأشمونى – ط صبيح سنة ١٣٤٤ هـ. وغيرها .

(١٣٠) حدود النحو – عبد الله الفاكهى وهو ضمن مجموعة رسائل وقد اشتمل على ١٤٧ حداً استغرقت ثلاث عشرة صفحة من الحجم المتوسط رأيته بمكتبة كلية آداب القاهرة ولم أستطع التعرف على مكان طبعه .

(١٣١) الحيوان للجاحظ – تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(١٣٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبد القادر البغدادى – ط السلفية سنة ١٣٤٧ هـ.

(١٣٣) الخصائص لابن جنى – طبع الهلال سنة ١٣٣١ هـ. – ١٩١٣ م.

(١٣٤) خطط المقريزى – ط المليجى .

(١٣٥) دائرة المعارف الإسلامية – ترجمة دكتور عبد الحميد يونس وزملائه طبع سنة ١٩٣٥ م.

(١٣٦) دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدى – الطبعة الثانية .

(١٣٧) دروس فى تاريخ الفلسفة – دكتور إبراهيم بيومى مدكور وزميله – ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١ سنة ١٩٥١ م.

(١٣٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة – محمد محسن الشهير بالشيخ أغا برزك – الطهرانى – ط الغرى بالنجف ١٣٥٥ هـ. – ١٩٣٦ م.

(١٣٩) الرد على النحاة – ابن مضاء القرطبى – تحقيق الدكتور شوقى ضيف – طبعة سنة ١٩٤٧ م.

(١٤٠) رسالة (حجج النبوة) للجاحظ ضمن مجموعة رسائله التى نشرها السندوبى سنة ١٩٣٣ م.

(١٤٥) سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى – وهو شرح الشاطبية لابن القاصح (أبو القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد ابن القاصح (ط الحلبى سنة ١٣٤٦ هـ.

(١٤٦) سر صناعة الإعراب – لابن جنى طبع الحلبى سنة ١٩٥٤ م.

(١٤٧) السماع والقياس – أحمد تيمور باشا – ط دار الكتاب العربى بمصر طبعة أولى سنة ١٣٧٤ هـ. سنة ١٩٥٥ م.

(١٤٨) سيبويه إمام النحاة – على النجدى ناصف – ط لجنة البيان العربى .

(١٤٩) سيبويه – للدكتور أحمد أحمد بدوى – بحث بصحيفة دار العلوم – العدد الأول للسنة الرابعة عشرة – يناير – مارس سنة ١٩٤٨

(١٥٠) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى – ط سنة ١٣٥٠ هـ.

(١٥١) شرح إيساغوجى فى المنطق – ط التقدم سنة ١٣٢٦ هـ .

(١٥٢) شرح المفضليات – أبو محمد القاسم الأنبارى – بعناية (ليال) ط بيروت سنة ١٩٠٨ م.

(١٥٣) شرح ملوى على السلم فى المنطق – ط أولى .

(١٥٤) شرح الأشمونى – طبع صبيح سنة ١٣٤٤ هـ. وغيرها .

(١٥٥) شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى على التوضيح لابن هشام الأنصارى – ط سنة ١٣٥٨ هـ. وغيرها .

(١٥٦) شرح الرضى على كافية ابن الحاجب – الطبعة الأولى سنة ١٢٧٥ هـ . ١٩٤٩ م.

(١٥٧) (ا) شرح المفصل–موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى – إدارة الطباعة المنيرية .

(ب) شرح المفصل – موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى طبع الأميرية – بولاق .

(١٥٨) شرح ابن عقيل – طبع الحلبى وطبع السعادة ، وغيرهما .

(١٥٩) شرح ديوان زهـير بن أبى سلمى – أبو العباس ثعلب – ط دار الكتب ١٩٤٤ م.

(١٦٠) الشعر والشعراء لابن قتيبة – ط ليدن .

(١٦١) الصاحبي فى فقه اللغة – لابن فارس – ط المؤيد سنة ١٣٢٨ هـ.

(١٦٢) صبح الأعشى – للقلقشندى – المطبعة الأميرية . وطبع دار الكتب سنة ١٣٤٠ هـ. – ١٩٢٢ م.

(١٦٣) الصحاح – للجوهرى (إسماعيل بن حماد) ط دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٦ م.

(١٦٤) ضحى الإسلام – أحمد أمين – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م.

(١٦٥) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى .

(١٦٦) طبقات الشافعية الكبرى – لعبد الله السبكى ط سنة ١٩٠٦ م .

(١٦٧) طبقات النحويين واللغويين – أبو بكر الزبيدى – تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم – طبع السعادة سنة ١٩٥٤

(١٦٨) طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب – للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول – من مطبوعات المجمع العلمى بدمشق .

(١٦٩) العقد الفريد – أحمد عبد ربه – ط ثانية سنة ١٣٤٦ هـ.

(١٧٠) العقائد النسفية – عمر النسفى الحنفى الماتريدى – ط القاهرة سنة ١٩٠١ م.

(١٧١) علم اللغة – دكتور على عبد الواحد وافى – ط الاعتماد سنة ١٣٦٣ هـ.

(١٧٢) العمدة فى صناعة الشعر ونقده – ابن رشيق القيروانى – ط السعادة ،

(١٧٣) غاية النهاية فى طبقات القراء – لابن الجزرى – تحقيق برجشتراسر طبع السعادة سنة ١٩٣٥ م.

(١٧٤) غيث النفع فى القراءات السبع – على النورى الصفاقسى ط الحلبى سنة ١٣٤٦ هـ.

(١٧٥) الفاخر – للمفضل بن سلمة – طبع ليدن سنة ١٩١٥ م.

(١٧٦) فتوح البلدان – للبلاذرى – الطبعة الأولى .

(١٧٧) فجر الإسلام – أحمد أمين – ط سابعة .

(١٧٨) الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادى الأشعرى – القاهرة سنة ١٩١٠ م. – ط المعارف .

(١٧٩) الفصل فى الملل والأهواء والنحل – لابن حزم الظاهرى الأندلسى ط (سنة ١٣٤٧ هـ. – ١٩٢٨ م.)

(١٨٠) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى – دكتور شوقى ضيف – الطبعة الثانية .

(١٨١) فصيح ثعلب والشروح التى عليه – طبع المطبعة النموذجية سنة (١٣٦٨ هـ. – ١٩٤٩ م.) .

(١٨٢) فقه اللغة – دكتور على عبد الواحد وافى – طبع لجنة البيان العربى سنة ١٣٦٠ هـ.

(١٨٣) الفهرست لابن النديم – طبع الرحمانية ، وط ليبسك .

(١٨٤) فهرست الأغانى – محمد مسعود – ط دار الكتب سنة ١٩٥٢م

(١٨٥) فهرست المخطوطات المصورة – عمل فؤاد السيد – ط دار الرياض سنة ١٩٥٤ م. بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(١٨٦) القاموس المحيط – للفيروز بادى – المطبعة الحسينية سنة ١٣٣٠ هـ.

(١٨٧) القراءات واللهجات – عبد الوهاب حمودة – الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م .

(١٨٨) كتاب القرطين لابن مطرف الكنانى – نشر الخانجى سنة ١٣٣٥ هـ.

(١٨٩) القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم – لابن عبد البر ط السعادة سنة ١٣٥٠ هـ .

(١٩٠) القصر المبنى على حواشى المغنى – الأبيارى.

(١٩١) قلب جزيرة العرب – فؤاد حمزة – المطبعة السلفية سنة ١٩٣٣ م .

(١٩٢) القياس فى اللغة العربية – الشيخ محمد الخضر حسين – طبع السلفية سنة ١٣٥٣ هـ .

(١٩٣) الكامل للمبرد – ط التقدم سنة ١٣٢٣ هـ .

(١٩٤) الكامل لابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى – ط الحلبى سنة ١٣٠٣ هـ .

(١٩٥) الكتاب لسيبويه – طبع الأميرية سنة ١٣١٦ هـ وطبعة أوربا .

(١٩٧) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – حاجى خليفة – ط الآستانة سنة ١٩٤٧ م .

(١٩٨) اللباب فى تهذيب الأنساب – ابن الأثير – نشر القدسى سنة ١٣٥٨ هـ

(١٩٩) لسان الميزان – للحافظ بن حجر – طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٩ هـ .

(٢٠٠) لسان العرب لابن منظور طبع الأميرية سنة ١٣٠٨ هـ وط بيروت.

(٢٠١) لغة العرب وكيف ننهض بها – للأبراشى – طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية .

(٢٠٢) اللغة والمجتمع – دكتور على عبد الواحد وافى ط الحلبى سنة ١٩٥١ م

(٢٠٣) اللغة والنحو – دكتور حسن عون – ط أولى .

(٢٠٤) اللهجات العربية – دكتور إبراهيم أنيس – طبع لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٢ .

(٢٠٥) ما اتفق لفظه واختلف معناه – أبو العباس المبرد – ط السلفية سنة ١٣٥٠ هـ .

(٢٠٦) ما تلحن فيه العوام – الكسائى – ط (برسلاو) وهو بدار الكتب تحت رقم (٢٣٧) لغة .

(٢٠٧) متن المفصل للزمخشرى – ط إدارة الطباعة المنيرية .

(٢٠٨) متن الشاطبية – المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى للشاطبى (ت٥٩٠هـ) ط صبيح .

(٢٠٩) متن السلم فى المنطق للشيخ الأخضرى ط صبيح .

(٢١٠) المثل السائر – ابن الأثير – ط أولى .

(٢١١) مجالس ثعلب – تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون طبع دار المعارف .

(٢١٢) مجاز القرآن – لأبى عبيدة معمر بن المثنى – تحقيق محمد فؤاد سزكين نشر الخانجى – طبع السعادة ١٩٥٤ م .

(٢١٣) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق – مجلد ١٤ ج٩ و١٠ .

(٢١٤) مجلة المجمع اللغوى – (الجزء الأول) .

(٢١٥) مجمع البيان فى تفسير القرآن – لأبى على الطبرسى ط طهران سنة ١٣١٤ هـ .

(٢١٦) محاضرات الأستاذ إبراهيم مصطفى فى أصول النحو مؤتمر المجمع الدورة الثالثة عشرة .

(٢١٧) محاضر جلسات المجمع اللغوى بالقاهرة – دور الانعقاد الأول .

(٢١٨) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى ط الاستقامة ١٣١٣ هـ.

(٢١٩) مختار الصحاح – المطبعة الأميرية .

(٢٢٠) المخصص – لابن سيده طبع الأميرية .

(٢٢١) المدخل إلى كتاب الرد على النحاة – دكتور شوقى ضيف ط دار الفكر العربى .

(٢٢٢) المدخل إلى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية – الطبعة الأولى سنة ١٩٥١م – للدكتور عبد المجيد عابدين .

(٢٢٣) مدرسة الكوفة – دكتور مهدى المخزومى – طبع دار المعرفة بغداد (١٩٥٥ م) .

(٢٢٤) المذكر والمؤنث – للفراء – طبع حلب سنة ١٣٤٥ هـ .

(٢٢٥) مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوى – تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم مطبعة نهضة مصر بالفجالة .

(٢٢٦) مرآة الجنان وعبرة اليقظان – أبو محمد عبد الله اليافعى اليمنى المكى ط حيدر أباد الدكن سنة ١٣٣٨ هـ .

(٢٢٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ – للمسعودى – المطبعة البهية .

(٢٢٨) المزهر – للسيوطى طبع صبيح .

(٢٢٩) المستصفى – حجة الإسلام الإمام الغزالى .

(٢٣٠) المصحف الشريف .

(٢٣١) المصاحف للسجستانى – تحقيق أرثر جفرى – المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٥ هـ .

(٢٣٢) المعارف – ابن قتيبة – ط سنة ١٣٠٠ هـ .

(٢٣٣) معانى الفلسفة–دكتور أحمد فؤاد الأهوانى – ط الحلبى سنة ١٩٤٧ م

(٢٣٤) معانى القرآن – للفراء – طبع منه جزء واحد بتحقيق الأستاذين الشيخ محمد على النجار والمرحوم أحمد يوسف نجاتى (١٣٧٣ هـ – ١٩٥٥ م) .

(٢٣٥) المعتزلة – زهدى حسن جار الله – من منشورات النادى العربى بيافا ط القاهرة سنة ١٩٤٧ م .

(٢٣٦) معجم الأدباء – لياقوت الحموى – ط دار المأمون سنة ١٩٣٨ م .

(٢٣٧) معجم البلدان – لياقوت – ط السعادة .

(٢٣٨) معجم الشعراء – للمرزبانى – نشر القدسى – تحقيق «كرنكو» .

(٢٣٩) معجم ما استعجم – للبكرى – ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٥ م .

(٢٤٠) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – عمر رضا كحالة – ط الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٩ .

(٢٤١) مغنى اللبيب – لابن هشام – المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨ م .

(٢٤٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة – طاش كبرى زاده – طبع حيدر أباد الدكن .

(٢٤٣) مفاتيح العلوم – للخوارزمى المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٢هـ .

(٢٤٤) المفصل – للزمخشرى طبع التقدم سنة ١٣٥٣ هـ .

(٢٤٥) مقدمة أثر القرآن –الأستاذ محمد خلف الله أحمد – ط دار العارف .

(٢٤٦) مقدمة الأيام والليالى – الأستاذ إبراهيم الأبيارى ط الأميرية .

(٢٤٧) مقدمة رسل الملوك لابن الفراء – للدكتور صلاح الدين المنجد ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ م .

(٢٤٨) مقدمة القاموس – نصر الهورينى ط دار المأمون .

(٢٤٩) مقدمة مجاز القرآن – للدكتور محمد فؤاد سزكين ط أولى .

(٢٥٠) مقدمة مجالس ثعلب – الأستاذ عبد السلام هارون ط دار المعارف .

(٢٥١) مقدمة معانى القرآن لفضيلة الشيخ محمد على النجار والأستاذ المرحوم أحمد يوسف نجاتى ط دار الكتب .

(٢٥٢) مقدمة سر صناعة الإعراب–الأستاذ مصطفى السقا وزملاؤه–ط الحلبى

(٢٥٣) مقدمتان فى علوم القرآن – وهما مقدمة (١) كتاب المبانى لمؤلف مجهول فى القرن الخامس الهجرى – ٢ – ومقدمة ابن عطية ت ٥٤٣ هـ وقد جمعهما المستشرق أرثر جفرى فى كتاب حققه بهذا العنوان – نشر الخانجى طبع السنة المحمدية سنة ١٩٥٤ م .

(٢٥٤) مقدمة ابن خلدون – ط التقدم .

(٢٥٥) مقدمة إحياء النحو – بقلم الدكتور طه حسين – ط سنة ١٩٣٧ م .

(٢٥٦) مقدمة الخصائص – فضيلة الشيخ محمد النجار – ط دار الكتب سنة ١٩٥٢ م .

(٢٥٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – أبو الحسن الأشعرى (ت ٣٢٤ هـ) ط الآستانة الجزء الأول طبع سنة ١٩٢٩ م والجزء الثانى سنة ١٩٣٠ م :

(٢٥٨) المقصور والممدود – أحمد بن ولاد – الطبعة الأولى – نشر الخانجى .

(٢٥٩) الملل والنحل – للشهرستانى الطبعة الأولى بمطبعة الأزهر.

(٢٦٠) مناهج البحث فى اللغة – دكتور تمام حسان – مطبعة الرسالة .

(٢٦١) من أسرار اللغة – دكتور إبراهيم أنيس – نشرمكتبة الأنجلو المصرية .

(٢٦٢) الموفى فى النحو الكوفى – للسيد صدر الدين الكنغراوى الاستانبولى (ت ١٣٤٩ هـ) تحقيق محمد بهجة البيطار – ط المجمع العلمى العربى بدمشق .

(٢٦٣) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال – للحافظ شمس الدين الذهبى طبع سنة ١٩٠٧ م .

(٢٦٤) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة – لابن تغرى بردى ط دار الكتب سنة ١٩٤٢ م .

(٢٦٥) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء – أبو البركات عبد الرحمن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) طبع سنة ١٢٩٤ هـ .

(٢٦٦) النشر فى القراءات العشر – لابن الجزرى طبع مصطفى محمد.

(٢٦٧) نشأة البلاغة – الدكتور سيد نوفل نشر مكتبة النهضة سنة ١٩٤٨م .

(٢٦٨) نشأة النحو – محمد طنطاوى – مطبعة وادى الملوك سنة ١٩٥٤ م

(٢٦٩) النقد الأدبى – أحمد أمين – ط لجنة التأليف والترجمة والنشرسنة١٩٥٢م

(٢٧٠) نهاية الأرب فى فنون الأدب – شهاب الدين النويرى – مطبعة دار الكتب .

(٢٧١) نهاية الإقدام فى علم الكلام – للشهرستانى – أكسفورد سنة١٩٣٤م

(٢٧٢) هذا النحو – الأستاذ أمين الخولى بحث نشر بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد السابع يوليو سنة ١٩٤٤ م :

(٢٧٣) هل العربية منطقية – للأب مرمرجى الدومنكى ط لبنان .

(٢٧٤) همع الهوامع – للسيوطى ط السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .

(٢٧٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – لابن خلكان – طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

ثالثا – مراجع أجنبية مترجمة :

(٢٧٦) أطلس التاريخ الإسلامى – تصنيف (هارى . و. هازارد) – ترجمة الأستاذ إبراهيم زكى خورشيد – ط النهضة المصرية .

(٢٧٧) تاريخ الحضارة الإسلامية – للمستشرق الروسى (ف.بارتولد) نقله من التركية إلى العربية حمزة طاهر – الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر .

(٢٧٨) تاريخ الحضارة الإسلامية – للمستشرق (متز) – ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبى ريدة – الطبعة الثانية .

(٢٧٩) تاريخ الشعوب الإسلامية – كارل – بروكلمان – ترجمة نبيه أمين فارس – ومنير البعلبكى – ط بيروت – دار العلم للملايين.

(٢٨٠) تاريخ العرب العام – للمستشرق (سيديو) ترجمة عادل زعيتر – ط الحلبى .

(٢٨١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام – دى بور – ترجمة الدكتور أبى ريدة ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢٨٢) تاريخ الفلسفة الغربية – (برتراند رسل) ترجمة الدكتور زكى نجيب سنة ١٩٥٤ م

(٢٨٣) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية – دراسات لكبار . المستشرقين ، ألف بينها وترجمها دكتور عبد الرحمن بدوى – نشر مكتبة النهضة المصرية سنة١٩٤٦ م .

(٢٨٤) العربية – يوهان فك – نقله من الألمانية إلى العربية ، وحققه المرحوم دكتور عبد الحليم النجار . طبع دار الكتاب العربى .

(٢٨٥) اللغة – فندريس . ترجمه من اللغة الفرنسية دكتور محمد القصاص والأستاذ عبد الحميد الدواخلى ط سنة ١٩٥٠ م .

(٢٨٦) المدخل إلى الفلسفة – (أزفلد كولپه) ترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى سنة ١٩٥٥ م .

(٢٨٧) مذاهب التفسير الإسلامى – جولد تسيهر – ترجمه وحققه دكتور عبد الحليم النجار . . نشر الخانجى .

(٢٨٨) مقدمة الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى – كتبها باللغة الألمانية (جوتولد فايل) ، وترجمها إلى اللغة العربية دكتور عبد الحليم النجار وهى مخطوطة لم تطبع بعد .

(٢٨٩) منهج البحث فى الأدب – لانسون ، ومايبه – نقله من الفرنسية إلى العربية دكتور محمد مندور – ط بيروت – نشر دار العلم للملايين .

رابعا — مراجع أجنبية فى لغتها الأصلية :

(290) C. Brockelmann, — Geschischte der Arabischen Litteratur, Brill 1947.

(291) Huart, — Litterature Arabe.

(292) Islamica Editor E. Bräunlich,—Volumen Secundum Fasc. 3.

(293) Zeitscheift der Deutschen,—Morgenlàndischen Gesellschaft. 68 Band. Mit 2 Tafeln. Leipzig 1914.

فهرس الفهارس

صفحة

فهرس الموضوعات :

(أ) فهرس إجمالى ٥٥٣

(ب) « تحليلى ٥٥٥

« الأعلام ٥٦٧

« الأمم والقبائل والفرق والمذاهب ٦٠٠

« الأماكن والبلدان ٦١١

« الأيام والمواقع ٦١٧

« الآيات القرآنية ٦١٨

« الأحاديث النبوية والآثار ٦٣٦

« الأشعار والأراجيز ٦٣٨

« أنصاف الأبيات ٦٥٢

« الحكم والأمثال ٦٥٤

---

(١) (أ) ابتداء من فهرس (الأعلام) قام بفهرسته الأستاذ مختار أحمد غضنفر — المحرر بالمجمع اللغوى .

(ب) حرف (هـ) يدل على أن الكلمة وردت بالهامش .

(ج) لا اعتداد بكلمات أب وأم . وأخ وابن وأهل وأداة التعريف .

فهرس إجمالى

صفحة

تقديم بقلم الأستاذ عبد الحميد حسن العضو بلجنة النشر بالمجلس ... ... ه

الإشراف والمناقشة ... ... ط

تقرير لجنة المناقشة ... ... ك

مقدمة : موضوع البحث ، أهدافه ، دوافعه ، منهجه ، مصادره ١

الباب الأول
عصر الفراء ، وحياته ، وآثاره

الفصل الأول — الحياة السياسية ، والعقلية ، والاجتماعية فى عصر الفراء ١٥

الفصل الثانى — الفراء حياة ومماتا ١٩

الفصل الثالث — آثاره : الموجود منها والمفقود — منهجه فى التأليف ١٦٩

الباب الثانى
مذهبه فى النحو واللغة

الفصل الأول — مذهبه فى النحو ٣٥١

الفصل الثانى — مذهبه فى اللغة ٤٥٧

خاتمة : تلخيص المعالم الكبرى لنتائج البحث ، وبيان الجديد فيه ، نداء واقتراحان ... ٤٩٩

مصادر الرسالة ومراجعها ٥٢٥

فهرس تحليلى

صفحة

تقديم بقلم الأستاذ عبد الحميد حسن العضو بلجنة النشر بالمجلس ... ... هـ

الإشراف والمناقشة ... ... ط

تقرير لجنة المناقشة ... ... ك

مقدمة : الموضوع ، أهدافه ، دوافعه ، منهج البحث فيه ، مصادره ٧

الباب الأول — عصر الفراء ، وحياته وآثاره

الفصل الأول — الحياة السياسية ، والعقلية ، والاجتماعية

الحياة السياسية ١٥

العصر الذهبي ، قيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس ، الفتن والاضطرابات ، نكبة البرامكة ، الحرب بين الأمين والمأمون ، ثورة نصر بن شبث ، ثورة بابك الخرمى ١٦

الحياة العقلية ١٧

احتكاك الأفكار وامتزاج الثقافات ، العصر الأموى امتداد للعصر الإسلامى ، نشاط الترجمة ورقى التأليف ١٧

الحياة الاجتماعية ١٧

ترف وسرف ، ثراء ورخاء ، امتزاج الدم العربى بالدم الفارسى ، مزيج من الفساد والصلاح ، والهدى والضلال ١٧

الفصل الثانى — الفراء حياته ومماته

نسبه ١٩

اعتماد رواية ابن خلكان ١٩

(أولا) اضطراب الروايات فى زاوية الأسماء وما يتعلق بها من الكنى والألقاب

تقسيم الروايات إلى مجموعات أربع ، وانتهاج المنهج التاريخى فى التسلسل الزمنى لكل مجموعة من المجموعات ١٩

أمنصور أم منظور ؟ (تحقيق) ٢٣

أيهما الأقطع والد الفراء أم جده؟ (تحقيق) ٢٥

لقبه ٢٩

اللبس فيه ، ومن اشتهر بهذا اللقب ، سبب التلقيب : (تحقيق وترجيح) ٢٩

سبب هذا اللقب ٣١

كنيته ، خلط ٣٥

صفحة

(ثانيا) اضطراب الروايات فى زاوية النسبة إلى القبائل والأقاليم ٣٦
هل كان من أبناء الفرس؟ استدلال وترجيح ٣٦
من بنو أسد ومن بنو منقر أولئك الذين ينتسب إليهم الفراء بالولاء؟ ٣٨
ترجيح أنه أسد بن خزيمة ٣٩
كما رجحت أنهم بنو منقر بن عبيد بن مقاعس ٤٠
ترجيح أنه كان مولى لبنى أسد وأدلة ذلك ٤٠
اختلاف فى نسبته إلى الموطن ٤٢
تحقيق نسبته إلى الديلم ٤٣
دلالة الأسماء العربية فى نسب الفراء ٤٥
مولده، (تحقيق) ٤٦
خاصة أسرته ٤٩
نشأته وتنقلاته ٥٠
هل رحل الى الشام؟ ٥٤
صلته بالخلفاء والأمراء ٥٥

أخلاقه ٥٧
ورع وتدين ٥٧
بر بالأهل ٥٨
وفاؤه ٥٩
محبب إلى النفوس ٦١
سماحته، حزمه ٦٣
سهولة وتيسير، رحابة صدره ٦٤
عفة لسانه، تحرى الصدق فى المودة والعداوة ٦٥
اعتزاز بالنفس ٦٦
حياؤه ٦٧
رجوعه إلى الحق مهما صغر مصدره ٦٨

عقيدته: ٦٩
(١) اعتداله بين أهل السنة والاعتزال ٦٩
لمحة خاطفة عن نشأة الاعتزال ٦٩
آراء الباحثين من قدامى ومحدثين فى عقيدة الفراء وهواه ٧٠
تصنيف هذه الآراء ٧٢
ترجيح أنه كان سنيا يميل إلى الاعتزال. مظاهر هذا المسلك المعتدل ٧٣

صفحة

اتصاله بأهل السنة ، اتصاله بالمعتزلة ٧٤

نصوص من آثار الفراء نفسه تدل على اعتزاله وتمثل فيما يأتي: ٧٧

(أ) القول بالعدل ٧٧

(ب) نفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى ٨٠

تحامل الطبري على الفراء بسبب ميله إلى الاعتزال ٨٢

الدافع للشيعة إلى إنكار ما أنكروا من اعتزال الفراء ٨٣

مظاهر النزعة السلفية عنده ٨٤

(أ) الاعتداد "بالإجماع" ٨٥

(ب) وبالرواية ومظاهر ذلك ٨٦

(ج) الاحتجاج بالحديث الشريف وبأقوال السلف أيضا ٨٨

(د) النداء بمبدأ الإعجاز اللغوي في القرآن ٨٩

تقويم منهج المعتزلة للتوصل من خلاله إلى تقويم منهج الفراء في الميل إلى الاعتزال ... ٩٠

الفراء رائد الأشاعرة: ٩٤

كان الفراء أسبق من أبي الحسن الأشعري إلى الجمع بين المذهبين . ملامح التشابه بين الرجلين والمذهبين ٩٤

الفرق بينهما هو الفرق بين عصرين ٩٦

(ب) تشيع الفراء واعتداله فيه ٩٦

روايات تاريخية مصدرها أهل الشيعة ٩٧

دلائل عامة تتعلق بالموطن والنسب ٩٨

اتصاله بالمتشيعين ٩٩

قرينة تتصل بالعقيدة ١٠٠

قرائن أخرى من هنا وهناك ١٠٠

طوائف الشيعة بإيجاز ١٠٣

فرقة الإمامية التي ينتمي إليها الفراء ، مظاهر اعتداله في الإمامية أيضا ١٠٤

التشيع تغلغل في التكوين الداخلي لمنهج الفراء لكن مع اختيار الموقف الوسط بين الغلاة من هؤلاء وأولئك ١٠٧

صفحة

عقليته ١٠٨
ثقافته ومنابعها ١١١
الفراء والأدب ١١٣
الفراء والشعر ١١٥
هو والفارسية ١١٨
مذهبه الفقهى ١٢٠
الأدلة الخاصة بالفراء ١٢٢
شيوخه ومن أخذ عنهم ١٢٤
ترجمة الكسائى ١٢٧
يونس بن حبيب البصرى ١٣٢
معاصروه — تلاميذه ١٣٧
محمد بن الجهم السمرى ١٤١
سلمة بن عاصم ١٤٤
وفاة الفراء: (تحقيق) ١٤٧
أيهما أكبر سنا ، الكسائى أم الفراء ؟ (تحقيق) ١٥٢
آراء العلماء فى الفراء مدحا وقدحا ١٥٧
الفصل الثالث : آثاره الموجود منها والمفقود ١٦٩
الكتب المفقودة ١٧٠
إحصاؤها جميعا ، وتوثيق كل كتاب على حدة بذكر المراجع التى أشارت إليه
والنصوص التى نقلت منه كلما أمكن ذلك (آلة الكتاب) ١٧٠
كتاب البهى أو البهاء للفراء ١٧١
البهاء أصل الفصيح ، وقد سطا أبو العباس ثعلب على البهاء وليس له فى الفصيح إلا الترتيب
وشىء يسير كما يقول ابن خلكان ١٧٢
كتاب الحدود ١٧٦
والاختلاف فى سبب تأليفه ، والفترة التى استغرقها ١٧٨
تحقيق ميلاد الحدود بالنسبة إلى ميلاد المعانى ١٨٠
عدد الحدود وعناوينها ١٨٠
ما موضوع الحدود ؟ ١٨٣
إخفاق فى تحقيق أمنية ١٨٤

صفحة

توثيق الحدود ١٨٦
كتاب الفاخر فى الأمثال : ١٨٨
خطأ (بروكلمان) ١٨٨
تحقيق : سبب اللبس ، إمعان فى التحقيق ٢٨٨
تصحيح المعارف العامة بالكشف عن حقيقة علمية ، بل حقائق علمية ١٩٣
كتاب لغات القرآن ١٩٦
كتاب ما تلحن فيه العامة ١٩٧
كتاب مجاز القرآن ــ مختصر فى النحو ــ المذكر والمؤنث ١٩٨
مشكل اللغة الصغير ــ ومشكل اللغة الكبير ١٩٩
المصادر فى القرآن ١٩٩
معانى القرآن ــ كتاب المقصود والممدود ــ كتاب (ملازم) ٢٠٠
كتاب النوادر ٢٠١
الكتب التى وصلت إلينا : أولا ــ الأيام والليالى والشهور ، نسخ الكتاب ٢٠٥
توثيقه : ٢٠٦
تحقيق يشتمل على مناقشة المستشرق الروسى (كراتشكوفسكى) والأستاذ إبراهيم الأبيارى
محقق الأيام والليالى ، أولا : توضيح الشبهة التى قامت فى ذهن (كراتشكوفسكى) ، ٢٠٦
نقطة الخلاف بيننا وبينه ٢٠٨
التغاير بين الكتابين : كتاب الفراء وكتاب أبى عمر الزاهد ، عناوين كتاب الفراء
وترتيبها ٢٠٩
عناوين كتاب أبى عمر الزاهد وترتيبها ٢١٠
مناقشة أدلة (كراتشكوفسكى) ٢١٢
الرد على الأستاذين معا فى شبهة اشتركا فيها ، موقف الأستاذ الأبيارى يتلخص فى نقطتين ٢١٢
(أ) الشك فى أن للفراء كتابا بهذا الاسم ٢١٢
(ب) الشك فى نسبة هذا الكتاب الذى بأيدينا إلى الفراء ٢١٣
الشبهات التى استند إليها ، وتفنيد كل شبهة منها تفنيدا علميا ٢١٤
توثيق موضوعى منهجى ، وله مظهران ٢٢٢
(ا) استخراج خصائص الفراء التفكيرية والتعبيرية من الكتاب نفسه ٢٢٣
مقابلة ما وقفنا عليه من النصوص الخارجية بأمثالها من الكتاب إمعانا فى التوثيق ... ٢٢٤
العرض : ٢٣٨
التعليق : أخطاء واضطراب ٢٣٠

صفحة

تبويب مقترح لأبواب الكتاب يتفق مع المنطق السليم ٢٣٢
تقويم الأيام والليالى ٢٣٣
هنات تتعلق بتحقيق الكتاب ٢٣٤
التماس عذر ٢٣٤
ثانيا — كتاب المذكر والمؤنث مطبوع أشبه بالمخطوط فى ندرته ٢٣٦
عرض عام ٢٣٧
تعليق : ٢٣٩
تأنق فى الأسلوب ، من خصائصه التأليفية ، والمذهبية ٢٣٩
لمحات ٢٤٥
طرائف لغوية ٢٤٦
توثيق الكتاب ٢٤٧
كلمة تشتمل على عدة أخطاء وبيان وجه الصواب فيها ٢٤٨
ثالثا — كتاب المقصور والممدود : ٢٤٩
وصف المخطوطة ، عرض عام ٢٤٩
التعليق ٢٥٩
راوى الكتاب ، أسلوب علمى جاف ، منهجه فيه ٢٥٩
التوثيق توافرت له العناصر الثلاثة : العنصر التاريخى والعنصر الموضوعى بقسميه ... ٢٦٤
استخراج خصائص الفراء من الكتاب نفسه ٢٦٤
العثور على نصوص خارجية توافق أو تقارب ما جاء بالكتاب ٢٦٦
رابعا — معانى القرآن ٢٦٧
اسم الكتاب ، أيها الصحيح الاسم المشهور أم الآخر ؟ وهل المعانى الذى يسمى المشكل أيضا هو المشكل الصغير أو الكبير ؟ ٢٦٧
اشتراك فى اسم (معانى القرآن) ٢٦٨
عدم الدقة فى رواية الخطيب البغدادى الذى جعل أبا عبيدة أول من ألف فى المعانى ... ٢٦٨
سبب التأليف ٢٦٩
من عمر بن بكير ذلك الذى ألف له الفراء معانى القرآن ؟ يقول بعض علمائنا المحققين : لم نقف له على أمر ، وأقول : لقد وقفت من أمره على كثير فى تراجم متعددة ٢٧٠
تأليف المعانى ، أيهما أسبق : كتاب المعانى للفراء أم كتاب المجاز لأبى عبيدة ؟ وقفة مع (بروكلمان) والمرحوم أحمد أمين ٢٧٠
نسخ المعانى ٢٧٢

صفحة

طبع الجزء الأول فقط ، توقف الطبع لسبب أو لأكثر ٢٧٣
تحقيق المعانى يحتاج إلى تضافر الجهود ٢٧٤
من روايات المعانى ٢٧٤
ابن الجهم هو العمود الفقرى فى الرواية ، رجالات الإسناد فى رواية المعانى ٢٧٤
أهمية المعانى ٢٧٧
ترجع قيمته التاريخية إلى أنه أول تفسير نحوى وصل إلينا ... كما أنه حفظ لنا أول حديث عن القراءات ونشأتها ، كما حفظ لنا أول بحث فى ظاهرة الموسيقى القرآنية وتتبعها فى رءوس الآيات ، كما أنه وضع أيدينا على أول من تفهم التشبيه بمعناه البلاغى ، كما أنه أثار فكرة جديرة بالاهتمام وهى أسبقية الفراء إلى وضع الأصول قبل ابن السراج ، المعانى يمثل مرحلة القمة عند الفراء ، اهتمام بالغ بحضور مجلس الاملاء ، ثم التهافت على اقتناء هـذا الكتاب ، مغالاة الوراقين واحتكار الكتاب ، حزم الفراء وتهديدهم باملاء معان أتم وأكمل ، تراجع الوراقين ، (فايل) يجهل وصول المعانى إلينا ، وكذلك بعض المحدثين ... ٢٧٧
العرض العام ٢٧٩
منهجه فى العرض والتناول ، تفسير المشكل من الآيات فحسب ، استخلاص مقومات المنهج
طريقته فى معالجة النص القرآنى ٢٨٣
يستهدف روح العربية فى معانيه ٢٨٩
موقفه من رسم المصحف ٢٩٣
الاحتجاج للقراءات بوجه عام مهد الطريق لأبى على الفارسى الذى احتج للقراءات السبع
كما مهد الطريق لابن جنى الذى احتج للقراءات الشاذة فيما بعد... ... ... ٢٩٧
نماذج من الاحتجاج ٢٩٩
الفراء ومبدأ الاعجاز اللفظى فى القرآن ٣٠١
من أولياته العناية بموسيقى الفواصل القرآنية دفاعا عن بلاغة القرآن ٣٠١
تصنيف هذه الظاهرة عند الفراء واعتراضى على بعض آرائه ٣٠٢
ربما كان الجاحظ متأثرا بالفراء ، وكذلك الباقلانى... ... ... ٣٠٦
ابن قتيبة يعارض الفراء ومن حذا حذوه فى القصد إلى تحقيق النسق الصوتى فى القرآن... ٣٠٧
صاحب المنار شايع ابن قتيبة ٣٠٧
مراعاة النسق الصوتى ليست من الضرورات الشعرية : وردت فى النثر العربى الفصيح ، كما وردت فى كلام الرسول البليغ ٣٠٨
نزول القرآن بأفصح اللغات ٣١٠
البلاغة فى معانى القرآن ٣١١

صفحة

الفـراء كان أول من تنبه إلى التشبيه بمعناه البلاغى فكان أسبق من الجاحظ ٣١٢

دعوة إلى المشتغلين بالدراسات البلاغية أن يعيدوا النظر فى تاريخ نشأتها من جديد ، ٣١٣

المعانى دائرة معارف الفراء ٣١٤

توثيق المعانى توافرت فيه العناصر الثلاثة ٣١٤

أثر المعانى فى الخالفين ٣١٩

شيخ المفسرين الطبرى ينتفع بآراء الفـراء ثم يتهجم عليه ٣٢١

سبب هـذا الهجوم وانتقام الله للفراء ٣٢٢

مذهبه فى التفسير (سلفى متحرر) ٣٢٣

مظاهر ذلك ٣٢٤

تفسيره (لغوى نحوى) ٣٢٧

(جولد تسيهر) لم يستقص جميع المذاهب فى التفسير الإسلامى ... ...

منهجه فى التأليف ٣٢٨

أسلوبه بين الوضوح والإبهام ٣٢٨

الأسلوب التعليمى ٣٣٠

استلهام الروح العربية ٣٣١

السبق إلى وضع الأصول ٣٣١

تحقيق يكشف عن أسبقية الفراء إلى وضع الأصول قبل ابن السراج ٣٣٣

لم يعن سيبويه بوضع الأصول ولا أستاذه الخليل ٣٣٥

الاحتكام إلى كتاب سيبويه ٣٣٥

فلسفة الفراء فى تصانيفه ٣٣٨

تحقيق يثبت ذلك ، وفيه وقفة طويلة مع الدكتور شلبى والدكتور المخزومى ومن قبلهما

(جوتولد فايل) ٣٣٨

عوامل تأثر الفراء بالمنهج الفلسفى ٣٤٧

الباب الثانى — مذهبه فى النحو واللغة ٣٤٩

الفصل الأول — مذهبه فى النحو ٣٥١

الفراء مؤسس المدرسة البغدادية ، ما المدرسة ؟ ٣٥٢

وهل كانت هناك مدارس نحوية ؟ ٣٥٢

من الذى أسس هذه المدارس ؟ ٣٥٥

صفحة

أهم الفروق بين المدرستين البصرية والكوفية ٣٥٨
ما القياس ؟ ٣٦٠
القياس حائر بين المدرستين : أيتهما صاحبة القياس ؟ ٣٦٠
تحقيق يحدد القياس المقصود ، ويثبت أنه من خصائص المدرسة البصرية ٣٦٠
الاشتراك فى بعض الخصائص لا يتنافى مع وجود المدارس المتميزة ٣٦٣
تدرج المدرسة البغدادية ٣٦٤
البذرة الأولى عند عيسى بن عمر الثقفى ، ثم أبى زيد الأنصارى ، ويونس بن حبيب ، والأخفش الأوسط ٣٦٤
والكسائى ، ثم جاء الفراء فكان المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى ، ٣٦٦
لمحات القدامى والمحدثين ٣٦٧
عوامل تأثر الفراء بالمذهب البصرى ٣٧٢
مظاهر النزعة الكوفية عند الفراء ٣٧٧
مظاهر النزعة البصرية ٣٧٧
موقفه بالتفصيل : الفراء يخطىء الشعراء فى لغتهم ٣٨٣
تخطىء القراءات ٣٨٧
كان أول من فتح باب القدح فى قراءة سبعية هى قراءة ابن عامر أعلى القراء السبعة سندا وتبعه فى ذلك الفارسى والزمخشرى وسائر البصريين ٣٨٩ ٣٩٢
مظاهر استقلاله ٣٩٣
مقومات مذهبه ، وبالتالى مقومات المذهب البغدادى ٣٩٥
الفرق بين جهودى وجهود السابقين فى تكوين هذه النظرية ٣٩٦
اعتذار للسالفين ٣٩٧
شبهة وردها ٣٩٧
تقويم مذهب الفراء يقتضى تقويم المذهبين البصرى والكوفى ٣٩٩
من آراء القدماء ٣٩٩
من أقوال المحدثين ٣٩٩
مناقشة : ٤٠١
المذهب الكوفى أقرب إلى المنهج اللغوى السليم من المذهب البصرى ، اختلال موازين التقويم لدى بعض الباحثين ٤٠١
أيخطىء العربى ؟ ٤٠٢
إذا كنا نخطىء العربى فى لغته فمن نأخذ اللغة إذن ؟ ٤٠٢
إخضاع اللغة لسلطان العقل والمنطق يجافى المنهج اللغوى السليم ٤٠٣
للغة منطقها الخاص إذ أنها ظاهرة اجتماعية ٤٠٣

صفحة

نماذج خروج اللغة عن منطق العقل ٤٠٤
خلاصة القول فى مذهب الفراء ٤٠٨
المنهج اللغوى السليم وخطواته الرئيسية ٤٠٩
اقتراح يرسم السبيل إلى تحقيق هذا المنهج ٤١١
من آراء الفراء فى النحو ٤١٢
الرد على من تشكك فى أن يكون للفراء نحو ، صاحب الإنصاف وغيره من المتأخرين ينسبون آراء الفراء بالذات إلى الكوفيين بعامة : أمثلة لذلك ٤١٢
من الآراء التى نسبت صراحة إلى الفراء ٤١٣
آراء ابتكرها الفراء ويبدو فيها شىء من الطرافة ٤١٨
التقريب وعلامته ٤٢٠
السيوطى يلفق بين المذهبين ٤٢٠
آراء للفراء هى أصح من آراء مخالفيه ٤٢١
آراء أيدها البحث الحديث ٤٢٢
أثر الفراء فى تيسير النحو : (ابن مضاء صورة من الفراء) ٤٢٣
ابن مضاء أخذ نظرية (إلغاء العامل) من الفراء دون أن يشير إلى مصدر الإلهام ... ٤٢٣
أمثلة عديدة تؤيد ما نقول ٤٢٥
سر هذا الموقف المريب ينحصر فى ناحيتين اثنتين : إحداهما شخصية ، والأخرى سياسية ٤٣٢
هناك مصلحون كثيرون نهلوا من مناهل الفراء شيخ المجددين ٤٣٤
آراء أخرى للفراء تعد بحق من التيسيرات النحوية ٤٣٤
دعوة لكل من يرتاد طريق الإصلاح والتيسير فى النحو العربى أن يجعل نحو الفراء موضع الاعتبار ٤٣٥
المصطلحات النحوية عند الفراء ٤٣٦
البحث عن تطور المصطلحات ضرورة منهجية لكنه أصبح من العسير ، إن النحو قطع شوطا كبيرا حتى وصل إلى ما وصل إليه على يد سيبويه ٤٣٦
من مصطلحات الخليل ٤٣٧
(فايل) يقول : كثيرا ما استعمل الفراء اصطلاحات تخالف الاصطلاحات المشهورة كما أنه استعمل اصطلاحات جديدة وصلنا جانب منها على أنه اصطلاحات الكوفيين ... ٤٣٨
المصطلحات المشتركة بين الفراء وغيره ٤٣٩
اصطلاحات هى من مبتكرات الفراء ٤٤١
مصطلحات بغدادية ٤٥٢
مصطلحات أخرى مبتكرة ومسماها مبتكر أيضا لا يعرفه البصريون مثل (الخالفة) و(التقريب) و(الخلاف أو الصرف أو الخروج) ، ٤٥٣
تعقيب ٤٥٥

صفحة

الفصل الثانى — مذهبه فى اللغة ٤٥٧

من الجانب التطبيق مظاهر النزعة البصرية فى مذهبه اللغوى :

(١) تغليط العرب ٤٥٧

(٢) القياس فى اللغة ٤٥٨

إثراء اللغة عن طريق القياس ٤٥٨

(٣) التفلسف فى اللغة ٤٥٩

(٤) التقعيد ٤٦٠

مظاهر استقلاله فى مذهبه اللغوى ٤٦٢

(١) التحرر من إجماع المدرستين على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف فى اللغة ... ٤٦٢

(٢) اختلافه مع اللغويين جميعا فى المثل الأعلى للغة النموذجية ٤٦٢

(٣) التجديد فى تفسير الظواهر اللغوية ٤٦٣

(قايل) يقول : إنه يشرح جملة الظواهر اللغوية برمتها ... على وجه يخالف ما ذهب إليه الخليل وسيبويه ، كان فى مذهبه اللغوى (سلفيا متحررا) أيضا ، موقفه بين اللغويين من أهل السنة والاعتزال أخذ من كل مذهب بطرف يتفق مع شخصيته المستقلة اتفق مع أهل السنة فى الاعتماد على الرواية والإجماع ٤٦٣

واتفق مع المعتزلة فى القول (بالمجاز) و(الزيادة) فى القرآن ٤٦٤

ابن قتيبة يعارض الفراء فى جواز (القلب) فى القرآن ٤٦٤

كما أن المبرد والعكبرى يعارضان (الزيادة) فى القرآن ، مناقشة ابن قتيبة فى تزمته حين رد قول القراء : إن (أو) تأتى بمعنى (بل) ٤٦٥

جهود الفراء فى الميدان اللغوى ٤٦٨

الزبيدى يتجاهل الفراء فلا يذكره بين اللغويين ، كثير من كتب الطبقات تنص على أنه كان لغويا كما كان نحويا ، تصنيف المجهود اللغوى ٤٦٨

(١) القوانين الصوتية ٤٦٩

(٢) كثرة الاستعمال وأثرها فى تطوير اللغة ٤٧٢

(ا) من آثار كثرة الاستعمال حذف بعض حروف الكلمة ٤٧٢

(ب) كثرة الاستعمال تجعل الكلمتين كالكلمة الواحدة ٤٧٣

(ج) وتؤدى إلى صرف ما لا ينصرف فى النثر ٤٧٥

(د) ومن آثارها العدول عن الضمير المنفصل إلى الضمير المتصل ٤٧٥

صفحة

(هـ) وتحويل الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى طارئ ٤٧٥
(و) وقلب الشيء إلى ضده ٤٧٦
(٣) تفسير الظواهر اللغوية : والتمثيل لكل اتجاه له فيها ٤٧٧
(أ) اتجاه التفلسف ٤٧٧
(ب) استلهام روح العربية ٤٧٨
البحث الحديث أيد الفراء في تحليل (كم) وفي غيرها ٤٧٩
(ج) المزج بين التفلسف واستمداد روح العربية ٤٨٠
(٤) التنبيه على بعض الاستعمالات اللغوية ٤٨٢
(أ) عود الضمير على غير مذكور ٤٨٢
(ب) وضع الكلمة في غير موضعها ٣٨٢
(ج) اجتماع كلمتين تجزىء إحداهما عن الأخرى ٤٨٤
(د) الاكتفاء بأحد الشيئين عن الآخر ٤٨٧
(هـ) إضافة الشيء إلى نفسه ٤٨٩
(و) استعمال المفرد موضع المثنى ٤٩٠
(ز) والعكس ٤٩١
(ح) استعمال المفرد موضع الجمع ٤٩٢
(ط) والعكس ٤٩٣
(٥) الثروة اللغوية التي رواها الفراء ٤٩٤
المعاجم اللغوية وما إليها تعتمد اعتمادا واضحا على روايات الفراء ٤٩٤
صاحب اللسان ينسب إلى الفراء قولا لا يتفق مع ما رأيته في آثاره ٤٩٥
إشارات كثيرة إلى مواطن اللغويات إيثارا للإيجاز ٤٩٥
لغويات انفرد بها الفراء مما يدل على سعة الرواية عنده ٤٩٦
فائتات فاتت المعاجم اللغوية حين الجمع وقد جاءت عند الفراء ٤٩٧
الفراء كان له فضل التنبيه على بعض اللهجات العربية المختلفة ٤٩٨
خاتمة : تلخيص المعالم الكبرى لنتائج البحث وبيان الجديد فيه ، نداء واقتراحان ٤٩٩

مصادر الرسالة ومراجعها :

(١) المخطوطات ٥٢٥
(٢) المطبوعات ٥٣٠
(٣) مراجع أجنبية مترجمة ٥٤٧
(٤) مراجع أجنبية في لغتها الأصلية ٥٤٩

الأعلام

الهمزة

آدم ١٣٥ .

إبراهيم ٨٧ ، ٢٣٤ ه

إبراهيم الأبيارى = الأبيارى ٤٨ ، ١٤٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٤٩٨ ه ، ٥٠٩ .

إبراهيم بن أحمد بن على . . . الفراء = أبو سهل إبراهيم بن أحمد ٢٩ .

إبراهيم بن أدهم ١٨ ه .

إبراهيم أنيس (دكتور) ٤٠٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦١ ه . ٤٦٢ ه .

إبراهيم مصطفى ١٦٣ ، ٢١٤ ه ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٤٣٤ ه ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٢٠ ه .

إبراهيم النخعى ٣٦١ ، ٣٨٥ .

إبراهيم النظام ١٣٠ ، ١٨٥ .

أبرويز ٤٣ .

الأبيارى = إبراهيم الأبيارى

أبى = أبى بن كعب ٢٤١ ، ٢٩٧ .

ابن الأثير ٤٧ ، ٤٨ ، ١٢١ ، ١٤٧ ه ١٥٠ ،

الأجدابى ٢٣٦ .

أحمد أمين ٢٠ ، ٧١ ، ٨٤ ه ، ١٦٣ ، ٢١٤ ه ، ٢٧١ ، ٣١٢ ه ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ه ، ٣٧٠ ، ٤٠٠ ، ٥٠٦ .

أحمد بدوى (دكتور) ٣٥٦ ه ، ٣٥٧ ه .

أحمد بن حنبل ١٢٢ هـ ، ٢٧٧ .
أحمد بن داود ٧٥ .
أحمد بن رسته ٢٧٥ .
أحمد بن عبيد ٤٩٧ هـ .
أحمد بن كيسان ١٨٧ .
أبو أحمد محمد بن أبي خالد بن يزيد بن صالح الفراء ٢٩ .
أحمد يوسف نجاتي = أحمد نجاتي (أحد محققي المعاني) ٣١ هـ ، ٢٧ ، ٢١٣ ، ٢٤٨ هـ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ هـ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٥١٩ هـ .
أحمد بن يحيى = أبو العباس ثعلب = ثعلب ٥٥ ، ٦٤ ، ٨١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٩٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، ٣٧٩ ، ٤١٦ هـ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ هـ ، ٤٣٤ هـ ، ٤٥٠ هـ ، ٤٩٦ ، ٥١٦ .
الأحمر ٥١ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٠٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
ابن أحمر ٤٦٤ .
أبو الأحوص = سلام بن سليم ٧٤ ، ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ .
الأخطل ١٣٤ هـ .
الأخفش = الأخفش الأوسط ٢٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٨١ ، ٣٩٨ ، ٤٢٤ ، ٥١٠ .
الأخفش الأصغر = سعيد بن مسعدة ٣٦٢ .
أرثر جفرى = جفرى ٣٢٤ هـ ، ٤٤٤ هـ .
أرسطو ٤٠٦ .

أزفلدكولپه ٣٣٩ .
الأزهرى ٢٠ ، ٣٢ ، ٤١ هـ ، ٧٠ ، ٨٤ هـ ، ١٢٤ هـ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ .
إسحاق بن راهويه ٢٧٧ .
أبو إسحاق الزجاج = الزجاج ١٩٤ .
أبو إسحاق الشيبانى ٨٧ .
أسد بن شريك ٣٩ .
الأسدى ٤٩٥ .
إسماعيل بن جعفر المدينى ١٢٥ ، ١٢٨ .
إسماعيل بن حماد = الجوهرى ٣٠٩ .
إسماعيل بن عمرو البجلى ٥٧ .
أبو الأسود الدؤلى ٣٥٣ ، ٤٣٤ .
الأشعرى = أبو الحسن الأشعرى .
الأشمونى ١٣٣ ، ٣٨١ ، ٤١٣ هـ ، ٤١٤ هـ ، ٤١٥ هـ ، ٤١٦ هـ ، ٤٣٤ هـ ، ٤٤٤ هـ .
الأصمعى ٨٥ ، ٩٨ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ٢١٢ ، ٢٦١ ، ٢٩٣ هـ ، ٤٩٤ .
ابن الأعرابى ١٣٨ ، ٢٩٩ .
الأعشى ١٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٨٤ .
الأعمش ١٧٥ ، ٣٢٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ .
أغابزرگ الطهرانى = محمد محسن ٢٨ ، ٤٧ ، ٧٢ ، ٩٦ .
أفلاطون ١٠٠ ، ٣٤٠ .
امرؤ القيس ١٣٤ ، ٢٦٠ ، ٤٩٠ .
الأمين (الخليفة) ١٦ ، ١٢٧ ، ٢٦١ .
أمين الخولى ٣٥٤ ، ٤٠٤ هـ ، ٤١٢ ، ٤٣٤ ، ٥٢٠ هـ ، ٥٢٢ .

الأنبارى = أبو محمد القاسم الأنبارى ٣١٨ ، ٣٢٠ هـ ، ٣٣٦ .
ابن الأنبارى = أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنبارى ٣١ هـ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٠ هـ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٥ ، ٢٦١ ، ٢٩٣ هـ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٦ هـ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ هـ ، ٤٧٩ هـ ، ٤٩٣ ، ٥٠٢ .
أبو أيوب سليمان بن زياد الفراء ٢٩ .

(ب)

بابك الخرمى ١٧ .
ف . بارتولد (مستشرق روسى) ٥٥ هـ ، ١٠٠ .
الباقلانى ٣٠٧ ، ٥١٢ .
البخارى ١٢٢ هـ ، ١٦١ .
أبو بديل الوضاحى ١٧٧ .
البراء بن عازب ٤٤ .
برتراند رسل ٣٣٩ .
برجشتراسر (مستشرق) ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٢٢ ، ٤٧٩ .
برزخ العروضى ٦٥ .
أبو البركات عبد الرحمن الأنبارى ١١٤ ، ١٦١ .
بروكلمان ٢٤ ، ٣٨ ، ١٣١ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٤٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣١٥ ، ٣٥٤ ، ٣٧٦ ، ٤٩٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .
أبو بشر ثمامة بن الأشرس = ثمامة بن الأشرس ٣٤ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١٦٠ ، ٣٤٧ .
بشر بن المعتمر ٧٠ هـ .

البغدادى = الخطيب = الخطيب البغدادى : ٢١ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١هـ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٩٩ هـ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٤١٣ هـ ، ٤١٥ هـ ، ٤١٦ هـ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ .

البغدادى = عبد القادر البغدادى : ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٣١٥هـ ، ٣٣٤ ، ٥١٣ .

البغدادى (من الأسماء التى أطلقت على الفراء) : ٣٩٧ .

البغدادى – (من الأسماء التى أطلقت على الفراء) : ٣٩٨ .

أبو البقاء العكبرى = العكبرى : ٣٥٣ ، ٤١٥ هـ ، ٤١٦ هـ ، ٤١٨ .

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد = ابن مجاهد : ٢٣٧ .

أبو بكر بن الأنبارى = ابن الأنبارى .

أبو بكر بن دريد = ابن دريد : ٥٨ هـ ، ١٩٤ ، ٤٧٢ .

أبوبكر الزبيدى = الزبيدى (صاحب الطبقات) : ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٤١ هـ ، ٤٣هـ ، ٥٠هـ ، ٥٢هـ ، ٥٥هـ ، ٥٦ هـ ، ٧١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣١٥ ، ٣٥٦ هـ ، ٣٥٧ هـ ، ٣٦٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٩ ، ٤٣١ هـ ، ٤٣٦ هـ ، ٤٦٨ ، ٤٩٧ .

أبو بكر بن السراج = ابن السراج .

أبو بكر بن أبى شيبة شبابة : ٢٣٥ .

أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) : ٣٨ ، ١٠٦ ، ٣٢٤ .

أبو بكر الصولى : ٣٣٧ ، ٣٨٣ هـ .

أبو بكر بن عياش : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ .

أبو بكر بن مجاهد=أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس = ابن مجاهد المقرئ : ١٣٩ ، ١٤٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٩٨ ، ٥١٤ .
أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم : ٢١٣ .
بكر بن الهيثم : ٤٤ .
البكرى ٢٤٧ ، ٤٩٦ .
ابن بكير : ٦١ ، ٢٠٤ .
أبو البلاد الأعمى : ٤٩٧ هـ .
البلاذرى : ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ .
بلحارث بن كعب : ٢٠٢ .

(ت)

التاريخى (اسم) : ١٥٨ .
الترمذى : ١٢٢ هـ .
ابن تغرى بردى : ١٢١ هـ ، ١٩٠ .
تميم بن مقبل : ٢٤٣ .

(ث)

ثاوذوسيوس : ٢٠٨ .
أبوثروان العكلى : ١٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ .
ثعلب = أحمد بن يحيى .
ثمامة بن الأشرس = أبو بشر ثمامة بن الأشرس .

(ج)

الجاحظ : ٤٩ ، ٧٠ هـ ، ٧٥ ، ٨٧ هـ ، ٨٩هـ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٧٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧، ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٤٢٤ ، ٤٦٧ ، ٥١٢ .

الجارم : ٢١٤ هـ .

ابن جبير : ١١٩ .

ابن الجراح : ١٢٩ .

أبو الجراح : ١٢٦ ، ٢٦١ ، ٢٩٦ هـ .

الجرمى = أبوعمر الجرمى : ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٩٨ ، ٤٧٢ .

جرير (الشاعر) : ١٣٤ هـ ، ٢٨١ .

ابن الجزرى : ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٦ هـ ، ١٢٢ هـ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٩٠ .

جعفر بن محمد الصادق : ٩٩ .

جعفر بن يحيى البرمكى : ٥٥ ، ٦٤ .

أبو جعفر بن جرير الطبرى = الطبرى : ٢٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٧ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٥١٦ .

أبو جعفر الرؤاسى = الرؤاسى = الرواسى : ٥٠ ، ٥٩ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ .

أبو جعفر محمد بن قادم : ١٤ .

أبو جعفر المدنى : ٤٦٠ .

أبو جعفر المنصور : ١٥ هـ ، ٣٦٢ .

أبو جعفر النحاس : ٢١٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٩ ،

جفرى = أرثر جفرى.

ابن جنى : ٢٠٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٦٥ هـ . ٣٥٩ هـ ، ٤٠٣ ، ٥١٤ .
ابن الجهم = محمد بن الجهم = أبو عبد الله محمد بن الجهم بن هارون السمرى : ٦١ ، ١٠٢ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣١٨ ، ٣٧٤ .
جوتولدفايل (مستشرق) = فايل : ١٣٣ . ٢٧٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٥١هـ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٩٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ ، ٤٦٣ ، ٤٨١ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ .
جودى بن عثمان : ١٤٠ .
الجوزى = أبو الكرم خميس بن على الجوزى : ٦٨ هـ ، ٦٨ ، ٦٩ .
ابن الجوزى : ٢٣ ، ٤١ ، ٤٩ هـ ، ٩٩ .
جولد تسيهر (مستشرق) ١٠١ ، ٣٢٧ .
الجوهرى = اسماعيل بن حماد .

(ح)

حاتم الطائى : ٢٦٠ .
أبو حاتم السجستانى : ١٣٠ ، ٣٦٧ .
ابن الحاجب : ٣٦٥ هـ ، ٤١٣ هـ ، ٤١٦ هـ ، ٤٣٠ هـ ، ٤٨٠ هـ ، ٤٨١ هـ .
حاجى خليفة : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٣١٥ هـ .
أبوحازم محمد بن الحسين بن الفراء : ٣٠ .
الحافظ الذهبى : ٤٧ ، ١٥١ .
حبان = حبان بن على : ٨٧ ، ١٢٥ .
أبو حجر العسقلانى : ٤١ .
أبو حذيفة واصل بن عطاء = واصل بن عطاء : ٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

ابن حزم : ٩٠ هـ .
الحسن الأطروش : ٩٨ .
حسن إبراهيم (دكتور) : ٢٧٩ هـ .
الحسن = الحسن البصرى : ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .
الحسن بن داود الرقى : ١٧٣ .
الحسن بن زيد : ٩٨ .
الحسن بن سهل : ٦٠ ، ٢٦٩ .
الحسن بن على (رضى الله عنه) ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٠٧ .
حسن عون — (دكتور) : ٣٥٦ هـ .
الحسن بن عياش : ١٢٥ .
الحسن بن قطبة : ١٥٥ .
أبو الحسن الأخفش = الأخفش .
أبو الحسن الأشعرى = الأشعرى : ٧٨ هـ ، ٨٩ هـ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ٥١٣ .
أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز = على بن حمزة الكسائى = الكسائى « الكبير » : ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ هـ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤١١ ، ٤٢١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ .

أبو الحسن على بن هارون : ١٨٩ .
الحسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٥٠٧ ،
الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب : ٢٨ .
الحسين بن محمد بن خلف أبو عبد الله بن الفراء : ٣٠ .
الحسين بن محمد الكاتب الفراء : ٢٩ .
الحسين بن مسعود البغوى المعروف بابن الفراء : ٣٠ .
أبو الحصين البجلى : ١٥٨ .
الحطيئة : ٢٤٣ ، ٢٦٠ .
حفص : ٤٧١ .
حماد بن سلمة : ٣٦١ ، ٣٦٢ .
أخو حمدان الكندى : ١١٠ .
حمزة الزيات : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٧٥ ، ٢٩٣ ، ٣٦٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ .
أبو حنيفة الدينورى : ١١٥ .
أبوحنيفة النعمان : ٤٩ ، ٩٠هـ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٣٦٢ .
حنين بن إسحاق : ١٧ .
أبوحيان : ٨٨ ، ١١٤ ، ١٦١ ، ٤١٥ هـ . ، ٤٢٠ هـ ، ، ٤٢٣ هـ ، ٤٧٣ ، ٤٩٦ .

(خ)

خازم بن الحسين البصرى ١٢٤ .
خالد بن كلثوم ٤٩٧ هـ .

ابن خالويه ٢٠٧ ، ٢١٢ .

ابن خروف الأندلسى ٨٨ ، ٢٤٢ ، ٥١٣ :

خريت ميرزا عبد الله ٩٧ :

الخضرحسين ٣٦٠ هـ :

الخطيب = الخطيب البغدادى = البغدادى :

ابن خلدون ٣٨ هـ :

ابن خلكان ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٧١ ، ٨٤ هـ ، ٨٩ هـ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٩ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٦

الخليل بن أحمد ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ هـ ، ٤٨١ ، ٥١٢

الخوارزمى ١٠٣ ، ٢٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ هـ .

الخولى = أمين الخولى :

خير الدين الزركلى ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٤٧ ، ١٩٧ ، ١٩٨ .

(د)

الدارقطنى ١١٠ ، ١٤١ .

أبو داود ١٢٢ هـ.

أبو دثار ٢٩٦ هـ .

ابن درستويه ١٩٤ ، ٣٦١ .
ابن دريد = أبو بكر بن دريد :
الدواخلى ٣٦٠ هـ ، ٤٠٤ هـ.
دى بور (مستشرق) ٨٥ ، ٣٤٨ ، ٣٦١ ، ٤٥٨ .
ديلم (اسم رجل من العجم) ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠٥ .

(ذ)

الذهبى ٢٠ .

(ر)

الرؤاسى = أبو جعفر الرؤاسى = أبو جعفر الرواسى :
رؤبة بن العجاج ١٣٥ .
رابعة العدوية ١٨ هـ .
الرازى (الفخر الرازى) ٣٨٥ .
ابن راهويه ١٢٢ .
رجاء بن حيوة ٢١٦ .
رستم ٣٧ ، ٤٤ .
الرشيد = هارون الرشيد ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٨٥
ابن رشيق ١٨٧ .
الرضى ٣٦٥ هـ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤١٣ هـ ، ٤١٦ ،هـ ، ٤٢١ ، ٤٣٥ هـ ، ٤٧٧ ، ٤٨١

الرمانى ٣٤ .
١ – ريتر (مستشرق) ٢٠٦ ، ٢٠٧
أبو ريدة = محمد عبد الهادى أبو ريدة (دكتور) ٣٦٠ هـ ، ٤٥٦ هـ .

(ز)

٢ – الزُّبيدى = أبو بكر الزبيدى (صاحب الطبقات) .
الزَّبيدى = أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الزبيدى (شارح القاموس) ٣٨ هـ ، ٣٩ هـ .
الزبير بن العوام ٩٨ ، ١٣٥ ، ٣٢٤ هـ .
ابن الزبير = عبد الله بن الزبير ١٠٦ ، ٢٥٨
الزجاج ١٧٣ ، ٢٧٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٨٨ ، ٤١٤ هـ ، ٤٩٦
الزجاجى ٥١ هـ ، ٤٥٠ هـ .
زر بن حبيش ٨٧ ، ٢٩٩ .
الزمخشرى ٣٢٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ ، ٥١٨
زكى نجيب محمود (دكتور) ٣٤٠ هـ .
زهرة بن حيوة السعدى ٣٧
أبو زهرة ٤٩ هـ .
زهير بن أبى سلمى ١٣٤ ، ٢٦٠ ، ٤١٨ ، ٤٩٦ .
زهير الفرقبى ٢٩٧ ، ٣٨٧ .
زياد الأعجم ٢٤٣
أبو زياد الكلابى ١٢٦
أبو زيد الأنصارى ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٤٩٤ ، ٥١٠
زيد بن ثابت ١٠٥ ، ٣٠٠
زيد بن على ١٠٤

(س)

سالم بن عبد الله ٣٢٤

سالم الفراء ٢٩

ابن السراج = أبو بكر بن السراج ١٠٩ ، ٢٧٧ ، ٢٩٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٥١١ ، ٥١٣

سعد بن أبي وقاص ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ .

ابن سعدان ١٤٠

سعيد بن جبير ٣٢٠

سعيد بن سالم ٧٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨

سعيد بن مسعدة = الأخفش الأوسط :

سعيد بن المسيب ٣٢٤

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبانى = السيرافى ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٧ ، ٣٥٩ ، ٤٢٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩

أبو سعيد السمعانى ٣٠

أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان ٢١٤ .

ابن سعيد ١١٠ .

سفيان ٢٣٤ .

سفيان بن عيينة ١٢٤

السقا ٤١٥ هـ.

سقراط ١٠٠

السكرى ٦٨ ، ٦٩

ابن السكيت = يعقوب بن اسحاق = يعقوب بن السكيت ٦٧ ، ٦٨ ، ١٣٨ ، ١٧٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٤٩٥

سلام بن سلم = أبو الأحوص سلام بن مسلم :
ابن سلام الجمحى ٣٥٦ هـ.
سلامة بن جندل ٢٤٣
سلمة = سلمة (صاحب الفراء) = سلمة بن عاصم = أبو محمد سلمة ابن عاصم البغدادى النحوى :
٥٩ ، ٦٥ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣١٨
أبو سلمة الخلال ١٦
ابن أبى سليكة ٨٧
سليم أغا ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢
السمعانى ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ هـ ، ٥١ هـ ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٤ ، ١٤٧ هـ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٥ .
أبو سهل إبراهيم بن أحمد بن على = إبراهيم بن أحمد بن على :
أبو سهل النحوى ٢٠٤
سيبويه ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٢١ ، ٢٦٤ ، ٢٩٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٨ ، ٤٠٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٥١٢
ابن سيده ٤٠٦ هـ .
سيد نوفل (دكتور) ٣١٣ هـ.

سيد يو (مستشرق) ٦٩ ، ٩٣ ، ٣٥٦ هـ .
السيرافى = أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى :
السيوطى ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١هـ ، ٥٢هـ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ هـ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ هـ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ هـ ، ٣٣٧ ، ٣٥٧ هـ ، ٣٥٩ هـ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ هـ ، ٣٨٣ هـ ، ٣٩٩ ، ٤١٣ هـ ، ٤١٧ ، ٤١٨ هـ ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ هـ ، ٤٣٠ هـ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ هـ ، ٤٦٢ ، ٤٩٢ هـ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ هـ .

(ش)

الشافعى ١٢٢ هـ .
أبو شامة ١٧٥
ابن شبة ٢١٤
شريح ٨٧
شريك بن عبد الله ١٢٥ ، ٣٨٥
الشعبى ٨٧
شلبى = عبد الفتاح شلبى (دكتور) ٥٨هـ ، ٢٤٢ ، ٢٩٨هـ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١
أبو شمر ٧٥ هـ .
ابن شنبوذ ١٤٠
الشنقيطى ٢٠٥ ، ٢٧٣
الشهرستانى ٧٦ هـ ، ٨٠ هـ .

شوقى ضيف (دكتور) ٤٠٦ هـ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ هـ ، ٤٣٠ هـ ، ٤٣١ هـ ، ٤٣٢ ، ٥٢٠ هـ

شيشرون ٣٤١

(ص)

الصاغانى ٢٠١

أبو صالح = مولى أم هانىء بنت أبى طالب ٨٧ ، ٣٢٥

الصبان ٣٨٠ ، ٣٨١

صدر الدين الكنغراوى ٤٤٧

الصفدى ٧٤ ، ١٢١ هـ .

صلاح الدين المنجد (دكتور) ٣٠ هـ .

الصولى = محمد بن يحيى الصولى ١٨٩ ، ١٩٠

الصيمرى ١١٤

(ض)

ضرار ٧٤ ، ١٣٠ ، ١٨٥

(ط)

الطائى ٢١٤

طاش كبرى زاده ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ١٧٠ ، ١٧١

أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم = المفضل بن سلمة بن عاصم :

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٨٦ ، ٤٨٠ ، ٤٩٥ ، ٥٠٨

طه حسين (دكتور) ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٢١٤ هـ ،

طاهر (رأس الإمارة الطاهرية) ١٠٠
طاووس ٣٢٠
الطبرى = أبو جعفر بن جرير الطبرى :
طفيل الغنوى ٢٨٤ هـ .
طلحة = طلحة بن عبيد الله (صحابى) ٩٨ ، ١٣٥ ، ٣٢٤
طلحة بن عمرو ٣٢٦
أبو طلحة الناقط ٢٦٩ هـ .
الطويل ٦٤
أبو الطيب اللغوى ١٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤١ هـ ، ٧١ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٣٥٦ هـ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
أبو الطيب محمد بن الفضل ١٩٢

(ع)

عائشة (رضى الله عنها) ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ٣٢٤
عاصم ٣٠٠
ابن عامر ١٣٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٥١٨
العاملى = محسن الأمين الحسينى العاملى :
٢٠ ، ٢٦ ، ٧٢ هـ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٧٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٣١٥ هـ .
العباس بن الأحنف ١٤٦
أبو العباس (أحد الرواة لكتاب المعانى) ٢٧٥ ، ٢٧٦
أبو العباس أحمد بن يحيى = ثعلب :
أبو العباس الأصم = أبو العباس محمد بن يعقوب بن معقل الأصم ٢٧٦

أبو العباس المبرد = المبرد = محمد بن يزيد :
٣٠ ، ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٣٥٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤١٥ هـ ،
٤٣١ ، ٤٤٨ ، ٤٦٥ ، ٤٩٣
أبو العباس محمد بن يعقوب بن معقل = أبو العباس الأصم :
أبو العباس المستغفرى ٢٠٨
أبو العباس المفضل الضبي = أبو عبد الرحمن المفضل ا غ ; المفضل الضبي :
١٢٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٣ ، ٢٨٦ ، ٥٠٨
ابن عباس عبد الله بن عباس ٧٩ ، ٨٧ ، ١١٩ ، ٢٧١ ، ٣٠٦ ،
٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٨٥ ، ٤٦٧
ابن عبد البر ٤٠
عبد الحليم النجار = النجار (دكتور) ٤٤ هـ ، ٨٣ هـ ، ٨٩ هـ ، ١٠١ هـ ،
٣٧٦ هـ ، ٤٠٠ ، ٤٣٨ هـ ، ٤٦٢ هـ ، ٥٠٢ هـ .
عبد الحميد الدواخلى = الدواخلى :
عبد الحميد الكاتب ١١٣
عبد الحميد يونس (دكتور) ٣٩ هـ .
عبد الرحمن بن هرمز ٣٥٦
أبو عبد الرحمن السلمى ٨٦
أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبي = أبو العباس المفضل الضبي =
المفضل الضبي :
أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب = يونس بن حبيب النحوى الصرى :
٥١ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٩٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ،
٣٤٨ ، ٣٥٧ هـ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،
٥٠٦ ، ٥١٠
عبد السلام هارون ٨٧ هـ ، ٢١٤ هـ ، ٤٩٥ هـ .

عبد العزيز بن الطاهرى ١٨٩
عبد الفتاح شلبى = شلبى (دكتور)
عبد القادر البغدادى = البغدادى :
عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ٣٥٦ ، ٣٨٤
عبد الله بن الزبير = ابن الزبير :
عبد الله بن طاهر ٥٥ ، ١٧٢ ، ٢٠٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧
عبد الله بن عباس = ابن عباس :
عبد الله عمر ٣٢٤
عبد الله بن المبارك = ابن المبارك ٥٩ ، ١٢٥
عبد الله = عبد الله بن مسعود = ابن مسعود ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٩٧ ، ٣٦١ ، ٣٨٥ ، ٤٦٠ ، ٤٧١ ، ٤٩٠
عبد الله بن المقفع = ابن المقفع ١١٣
عبد الله بن الوليد ١١٠
أبو عبد الله (القاضى) ١٨٩
أبو عبد الله الطوال ١٣٩
أبو عبد الله محمد بن الجهم بن هارون السمرى = ابن الجهم :
عبد المجيد عابدين (دكتور) ٤٠٧ هـ .
عبد الملك بن الأبجرى ٨٧
عبد الوهاب حموده ٣٥٦ هـ .
عبد الوهاب عزام (دكتور) ٢١٤ هـ .
عبيد بن الأبرص ٢٤٣
عبيد الله بن محمد الأسدى ٢٠٣
أبو عبيد القاسم بن سلام ١٤١ ، ٢٦٨
أبو عبيد الله المرزبانى = المرزبانى ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ، ٣٣٢

أبو عبيدة معمر بن المثنى = أبو عبيدة = معمر بن المثنى ٨٤ ، ١٣٥ ، ٢٠٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٤٩٤ ، ٥٠٦
أبو العتاهية ٦٤
عثمان بن عفان ١٠٦ ، ١٠٨ ، ٣٢٤
العجاج ٢٦٠
عدى بن زيد ٢٤٣
العرزمى ٨٧
العسقلانى ٢٤ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٢٢
عصمت على الحامى ١٠١
عطاء ٣٢٦
ابن عقيل ٤١٣ هـ ، ٤١٤هـ ، ٤١٥هـ ، ٤١٦ هـ ، ٤٧٦
العكبرى = أبو البقاء العكبرى :
عكرمة ٣٢٦
أبو العلاء الهمذانى (الحافظ) ١٥٤
على بن حسين الأحمر ٥٦ هـ ، ٦١
على بن حمزة الكسائى = أبو الحسن على بن حمزة = الكسائى :
على بن أبى طالب ٣٩ ، ٤٢ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٣٥ ، ٣٥٦
على بن غراب ١٢٥
على النجدى ٣٣٦ هـ ، ٣٥٦ هـ .
أبو على الأسوارى ٦٩
أبو على الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان ٢١٣

أبو على الحسين بن محمد = ابن للفراء ٢٩ ، ٣٠
أبو على الفارسى = أبو على= الفارسى ٥٨ هـ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٩٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٥ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٤٩٦ ، ٥١٣ ، ٥١٤
أبو على القالى ٢٥٠
أبو على محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب ٢١٣
أبو العلا عفيفى (دكتور) ٣٣٩ هـ .
العليمى = يس العليمى ٤١٩
ابن العماد الحنبلى ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ هـ ، ٣٦ هـ .
عمر بن بكير ٦٠ ، ١٤٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٥٠٧
عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ٨٨ ، ١٠٦ ، ٤٠٢
أبو عمر الجرمى = الجرمى :
أبو عمر الدانى ١٥٣
أبو عمر الزاهد =غلام ثعلب ١٢٤ هـ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٥٠٩
ابن عمر = عبد الله بن عمر :
أبو عمرو بن العلاء ١٣٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
ابن العميد ١١٣ ، ١١٤
عنترة العبسى ٢٦٠ ، ٢٨٧
عياض (القاضى) ٣٠
عيسى بن عمر الثقفى ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٤٣٦ ، ٥١٠

(غ)

غالب بن نجيح ٥٩

الغزالى ٩٥ ، ٣٦٠ هـ

غلام ثعلب = أبو عمر الذاهد :

غيلان الدمشقى ٦٩

(ف)

ابن فارس ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٨٤ ، ٤٩٦

الفارسى = أبو على الفارسى :

الفاكهى ١٨٤

فايل = جوتولد فايل :

فؤاد حمزه ٤٠ هـ

ابن الفراء = أبو على الحسين بن محمد :

أبو الفرج الأصفهانى ٣٧ ، ٦٤

أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقه بن كليب الحرانى ٢١٣

الفرزدق ١٣٤ هـ ، ٢٦٠ ، ٣٦٤ ، ٩٥؛

أبو الفضل إبراهيم = محمد أبو الفضل إبراهيم : ١٩١ هـ .

أبو الفضل ابن أبى جعفر المنذرى : ٢٠١ ؛

أبو الفضل الفلكى : ٣٢ .

أبو الفضل يعقوب : ٢١٣ .

أبو الفضل يعقوب بن يوسف بن معقل النيسابورى : ٢٧٥ ، ٢٧٧ ؛

الفضيل بن عياض : ١٢٥ .

أبو فقعس : ٢٩٦ هـ ؛

فندريس : ٣٦٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ هـ .

الفيروزبادى : ٣٨ :

أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الزَّبيدى = الزبيدى (شارح القاموس) .

(ق)

القاسم : ٣٨٥ .

القاسم بن بشار الأنبارى : ١٤٢ .

القاسم بن سلام = أبو عبيد الله القاسم بن سلام .

القاسم بن محمد : ٣٢٤ .

القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود : ٨٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٧٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ .

أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى : ١٨٩ .

أبو القاسم نوح بن صالح الفراء : ٢٩ .

ابن قاضى شهبة : ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ١٩٠ .

قتاده : ٣٨٥ .

ابن قتيبة : ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٩٥ ، ٢٧٧ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٠ ، ٣٨٠ ، ٤٤٧ هـ ، ٤٥٩ هـ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٤ هـ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ هـ ، ٥١٧ .

القرطبى : ٣٢٧ .

القصاص = محمد القصاص (دكتور) ٣٣٤ هـ ، ٣٥٩ هـ ، ٣٦٠ هـ ، ٤٠٤ هـ .

قطرب ١٣٧ ، ١٦٢ ، ٤٧٢ .

القفطى : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٨ هـ ، ٤٩ هـ ، ٥٩ هـ ، ٧١ ، ٧٥هـ ، ٨٤ هـ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ هـ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٢ .
القلقشندى : ١٠٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ .
قنبر (خادم على رضى الله عنه) : ١٣٩ هـ .
قيس بن الربيع : ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٢٦ .

(ك)

ب.كاك (مستشرق) : ١٦٣ ، ٣١١ .
كراتشكوفسكى : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٥٠٩ .
أبو الكرم خميس بن على = الجوزى .
الكسائى (الكبير) = أبو الحسن على بن حمزة = على بن حمزة .
الكسائى (الصغير) : ١٢٧ هـ .
كعب بن مالك : ٢٦٠ .
الكلبى : ٨٧ .
الكميت : ٢٧٠ .
ابن كناسة : ١٣٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(ل)

ليث : ٣٠٦ .
ليلى الأخيلية : ٢٦٠ .
أبو ليلى السجستانى : ١٢٥ .

(م)

المازنى : ٢٩ .
مالك بن سليمان الهرى : ٣٢٤ .
ابن مالك : ٢٦٣ ، ٣٦٥ هـ ، ٣٧٧ هـ ، ٣٩١ ، ٤١٤ هـ ، ٤١٩ ،
المأمون (الخليفة) ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤٣ ، ٥١ هـ ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ هـ ،
٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
١٨٣ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٨١ ، ٥٠٤ .
ابن المبارك = عبد الله بن المبارك .
المبرد = أبو العباس المبرد = محمد بن يزيد المبرد .
المتنبى : ٤١٥ هـ ، ٤١٦ هـ .
المتوكل (الخليفة) ٩٦ ، ١٣٩ .
مجاهد : ٨٧ ، ٢٣٥ ، ٣٠٦ ، ٣٨٥ .
ابن مجاهد = أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس = أبو بكر بن مجاهد .
محسن الأمين الحسينى العاملى = العاملى
محققا معانى القرآن = (محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتى) .
محمد (صلى الله عليه وسلم) : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢
محمد بن إسحاق النديم : ٢٢ .
محمد بن الجهم السمرى = ابن الجهم .
محمد بن الحسن الحرون : ١٦٢ .
محمد بن الحسن الشيبانى : ٤٩ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣١ ،
١٥٨ ، ١٥٩ .
محمد بن حفص : ١٢٢ ، ١٢٤ .

محمد خلف الله أحمد : ٢٧٢ هـ .
محمد زغلول سلام (دكتور) ٨٣ هـ ، ٣٠٢ هـ ، ٣١٣ هـ :
محمد طنطاوى : ٣٥٦ هـ ، ٣٥٧ هـ .
محمد بن عبد الأعلى : ٤٩٧ هـ .
محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى : ٣٦٢ .
محمد بن عبد العزيز التيمى: ١٢٥ .
محمد بن عبد الله بن طاهر ١٧٢ .
محمد بن عبد الله بن الفراء : ٣٠ .
محمد بن عبد الله بن مالك : ١٣٩ .
محمد بن عبد الملك الزيات : ٣٧٣ .
محمد على النجار(أحد محقق المعانى) : ٣١ هـ ، ٢٧ ، ٢١٣، ٢٤٨ هـ، ٢٧٠ ، ٢٧٥هـ ، ٢٧٦ ، ٥١٩ هـ .
محمد فريد وجدى : ٤١ ، ٧١ ، ٨٤ هـ ، ١١٣ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٧٧ .
محمد بن الفضل = أبو الطيب محمد بن الفضل .
محمد بن الفضل المروزى : ١٢٥ .
محمد القصاص = القصاص (دكتور) .
محمد محسن = (الشيخ أغا برزك) .
محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى : ٢٠٥ .
محمد بن مخلد : ٢٧٧ .
محمد بن مروان : ١٢٥ .
محمد بن يحيى الصولى = الصولى :
محمد بن يزيد المبرد = أبو العباس المبرد = المبرد :
محمد بن يوسف بن يعقوب أبو عيسى الفراء : ٢٩

أبو محمد سلمة بن عاصم البغدادى = النحوى = سلمة بن عاصم .
أبو محمد القاسم الأنبارى = الأنبارى :
أبو محمد اليزيدى = اليزيدى : ٥٦ ، ١٢٩ ، ٢٦١ .
المخزومى = مهدى المخزومى (دكتور) ٢٠ ، ٢٧٨ هـ ، ٣٣٨ ، ٣٥٥ هـ ، ٣٧١ ، ٤٠٠ هـ .
المدائنى : ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ .
مدين بن عبد الرحمن الطيب : ٢١١ .
المرزبانى = أبو عبيد الله المرزبانى .
المرزوقى : ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٢٠ ، ٤١٨ ، ٤٩٦ .
مروان بن أبى حفصة : ١٣٤ .
مسروق : ٨٧ .
مسعر بن كدام : ٤٤ .
أبومسعود (مؤرخ كوفى) : ٣٧ .
ابن مسعود = عبد الله بن مسعود .
المسعودى : ٦٦ هـ .
مسلم : ١٢٢ هـ .
أبو مسلم الخراسانى : ١٦ .
مصطفى أحمد الزرقا : ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
ابن مضاء القرطبى : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٥٠٥ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ هـ .
معاذ بن مسلم بن أبى سارة : ٣٨٧ .
معاذ بن معاذ العنبرى : ٥٨ .

معاذ بن معلم الهراء : ٣٥٧ ، ٤١٧ .
معبد الجهنى : ٦٩ .
المعتصم (الخليفة) ١٧ ، ٧٤ .
معروف الكرخى : ١٨ هـ .
معمر بن المثنى = أبو عبيدة معمر بن المثنى .
ابن المغربى : ٢٠٣ .
مغيرة : ٨٧ ، ٢٣٤ .
المغيرة بن شعبة : ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤
المفضل بن سلمة بن عاصم = أبو طالب المفضل بن سلمة .
المفضل الضبى = أبو العباس المفضل بن محمد الضبى = أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبى .
المقدسى : ١٢١ .
المقرى : ٤٣٠ .
ابن مقسم : ١٤٠ ، ٢٢٠ .
ابن المقفع = عبد الله بن المقفع .
ابن مكتوم : ٢٤ ، ٤٣ هـ ، ٧١ ، ١٢١ هـ .
ملا كاتب جلبى : ٢٦٨ .
ابن مليكة : ٣٢٥ .
مندل بن على : ٥٧ ، ٥٨ ، ٩٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٣٠٦ .
منصور بن المعتمر : ٨٧ .
أبو منصو : ٢١٣
أبو منصور نصر (مولى أحمد بن رسته) ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

ابن منظور : ٣١٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ هـ ، ٤٩٤ هـ ، ٤٩٥ .
منقر بن تميم : ٤٠ .
المهدى (الخليفة) : ١٢٧ .
المهدى (المنتظر) : ١٠٧ .
موسى الهادى : ٢٨ ، ٥٠٧ .
أبو موسى الحامض : ١٨٧ .
ابن موسى الملفوف : ١١٨ .
الميمنى : ١٣١ ، ١٩٢ ، ١٩٣

(ن)

النابغة : ١٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
نافع : ١٢٨ ، ٣٢٤ .
أبو النجم : ٢٤٣ ، ٢٦٠ .
أبو نجيح : ٢٣٥ .
ابن النحاس : ٢١٦ .
ابن النديم : ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ هـ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٨٤ هـ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣٩ و ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ هـ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ٢١٥ ، ٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣٥٣ ، ٤٢٤ هـ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
النسائى : ١٢٢ هـ .
نصر بن شبث : ١٦ .
نصر بن عاصم ٣٥٦
نصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر ٢٣٧

نصران (شيخ من شيوخ ابن السكيت) ٢٧٠ .
نصيب : ٢٦٠ .
النظام ٧٠هـ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٥١٢ .
نعوم شقير : ٤٠ هـ .
نفطوية النحوى : ١٤٢ .
أبونواس : ١٨ .
النويرى : ٣٩ هـ .
نيبرج (مستشرق) : ٩٢ .

(هـ)

هارون الرشيد = الرشيد .
هارون بن عبد الله : ١٣٩ .
هارى . و . هازارد: ٤٨ ، ٥٠٥ .
أم هانىء بنت أبي طالب : ٣٢٥ هـ .
هبة الله بن محمد بن حبش الفراء ٢٩ .
الهذلى : ١٢٨ .
أبو الهذيل العلاف : ٧٠ هـ .
هشام (النحوى) : ١٦٢ ، ١٦٣ .
هشام بن عبد الملك (الخليفة) ٣٨ هـ ، ٢١٤ .
ابن هشام : ٣٣٧ ، ٣٦٥ هـ ، ٣٨٣ هـ ، ٤٢١ ، ٤٧٧ هـ .
هناد السرى : ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٥٨ .
هوارت ١٣١ .
هيرودوت : ٣٣٩ .

(و)

الواثق : ٧٤ .

واصل بن عطاء – أبو حذيفة واصل بن عطاء .

وافى : (دكتور) : ٤١٠ هـ .

والبة بن الحباب : ١٨ .

ورقاء ٢٣٥

وكيع : ٢٣٤ .

وكيع بن الجراح الرواسى : ٣٢٤ .

ابن ولاد : ٢٦١ ، ٢٦٧ .

أبو الوليد الحسين بن محمد الكاتب الأندلسى = ابن الفراء .

وهبى أفندى : ٢٧٢ .

(ى)

اليافعى : ٢٠ ، ٣٢ ، ٦٠ هـ ، ١١٣ .

ياقوت الحموى : ٢٣ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٤ هـ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٤٧ هـ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ هـ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٣١٥ هـ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٧٤ .

يحيى بن خالد البرمكى : ٥٠ .

يحيى الدمشقى : ٩٢ .

يحيى بن سلمة بن كهيل : ١٢٥ .

يحيى بن عبد الله العلوى : ٩٩ .

يحيى بن عمر الفراء : ٢٩ .

يحيى بن المهلب : ٥٩ .

يحيى بن وثاب : ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

يزيد بن المهلب : ٢٣٠ .

اليزيدى = أبو محمد اليزيدى .

يس العليمى = العليمى .

يعقوب بن إسحاق = يعقوب بن السكيت = ابن السكيت .

يعقوب بن جعفر : ١٢٨ .

أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم = ابن راهوية .

أبو ليلى محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد الفراء : ٣٠

ابن أبى يعلى أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء ٣٠ .

ابن يعيش : ٣٧٧ هـ ، ٣٨٤ هـ ٣٨٥ ، ٣٩٧ ، ٤١٤هـ ، ٤٢٨ هـ ، ٤٤١هـ ، ٤٤٢ ، ٤٥٠ هـ ، ٤٧٧هـ . ٤٧٨ هـ ، ٤٨١ هـ .

يوسف (عليه السلام) : ١٣٥ .

يوسف السودا : ٥٢٠ هـ .

يوسف بن عبد المؤمن : ٤٣٣ .

أبو يوسف : (صاحب أبى حنيفة) : ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٥٨ .

يونس (عليه السلام) : ٤٦٧ .

يونس بن حبيب = أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصرى .

يوهان فك (مستشرق) ٤٤ هـ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٦٣ ، ٢٢١ ، ٢٤٢ ، ٣١٠ هـ ، ٣٢٠ ، ٣٥٤ ، ٤٦٢ هـ ، ٥١٣ .

أسماء الأمم والقبائل والفرق والمذاهب

(الألف)

الاثنا عشرية (فرقة من الإمامية) : ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

الأحناف ٤٩ هـ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٢٧٧ .

إخوان الصفا : ١٠٠ .

الأزد : ٣٩ .

أسد (قبيلة) : ٣٦ ، ٤٠ ، ٢٣٠ هـ ، ٤١١ ، ٥٢١ .

بنوأسد : ١٩ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٧٤ .

بنو أسد بن الحارث : ٣٩ .

بنو أسد بن خزيمة بن مدركة ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٠٥ .

بنو أسد بن ربيعة ٣٩ .

بنو أسد بن شريك : ٣٩ ، ٤٠

الإسلام : ٧١ هـ ، ٢٤٣ ، ٥١٨ .

الإسلاميون : ٢٦٠ .

أسلم (قبيلة) : ٣٦ .

الأشاعرة : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ٥١٣ .

أصحاب القياس : ٣٦٢ .

الأعاجم : ٣٧ ، ١١٩ .

أعجمى : ٣٧ .

الأعراب : ٤٠٩ .
أعراب البوادى : ٥٩ .
أعراب الحطمية : ٣٦٦ .
الإلحاد : ١٨ .
الألمان : ٢٦٤ .
إمارة الطاهريين (الدولة الطاهرية) : ٥٥ ، ١٠٠ ، ٢٠٢.
الإمامية (فرقة) : ٧٢ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
الإمامية الاثنا عشرية = الإمامية = الاثنا عشرية .
الأمويون : ١٦ .
بنوأمية : ٣٨ .
الأندلسيون : ٣٥٣ .

(ب)

البابكية : ١٦ .
باهلة (قبيلة) : ٢٤٢ .
البدو : ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٤٦٢ .
أهل البدو : ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ .
البرامكة : ١٦ .
البشرية (فرقة) : ٧٠ .
البصريون : ٥٣ ، ٩٢ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٢٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ،

٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ؛
٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ؛
٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ؛
٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ؛
٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ؛
٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .

البغداديون : ٢٧٨ ، ٣٥٣ ، ٣٩٧ .

آل البيت = أهل البيت ٥٨ ، ٥٠٤ .

البيت الهاشمي : ١٦

(ت)

التابعون : ١١٩ ، ٣٦٢ .

التشيع (عقيدة) ١٣٧ ، ١٣٩ ، ٣١٤ ، ٣٢٤ ، ٤٥٧ هـ .

تميم (قبيلة) : ٤٠ ، ٤١١ ، ٥٢١ .

بنو تميم : ٢٤٢ .

أهل التوحيد : ٧٧ .

(ث)

ثقيف : ٤٠ .

(ج)

الجاحظية (فرقة) : ٧٠ .

الجاهلية : ٢٤٣ ، ٢٩٠ - ٣١٠ .

الجاهليون : ٢٦٠ .

(ح)

أهل الحجاز : ١٧٦ ، ٢٤٦ ، ٣٠٠ .

أهل الحديث ٧٤ ، ٧٥ .

الحطمية : ٣٦٦ .

أهل الحق : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .

حمراء ديلم (قوم من العجم) : ٤٣ .

حمير (قبيلة) : ٢١٠ .

الحنابلة : ٨٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

حنفى : ١٢٠ ، ١٢١ .

الحنفية : ١٢١ .

(خ)

الخوارج (فرقة) : ١٠٧ ، ٢٩٢ ، ٥٠٤

خيوان (حى من العرب) : ٢١٦ .

(د)

بنو دبير (قبيلة) : ٢٠١ ، ٢٤٢ .

الدولة الأموية : ١٦ .

الدولة العباسية : ١٥ ، ١٦ .

االديالمة (قوم من الأعاجم) : ٣٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٩ .

الديلم = الديالمة . ديلمى (منسوب إلى زعيم بهذا الاسم أو إلى بلاد الديلم) ٣٧

(ر)

الرافضة (فرقة) : ١٠٤ ، ١٠٧ .

أهل الرأى : ٩٣ ، ٣٦١ .

ربيعة (قبيلة) : ٢٣٠ ، ٣١٠ .

رواس (قبيلة من سليم) : ١٢٤ هـ .

أهل الرواية : ٧٤ .

(ز)

الزندقة : ١٨ .

زيدى (من الشيعة) : ٩٨ .

(س)

بنو سعد بن زيد مناة : ٢٧٠ .

السلف : ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٢٤ .

سلفى : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

بنوساول : ٢٢١ .

أهل السنة : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٦٥ ، ٣٩٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥١٣ .

(ش)

الشافعية : ٧٥ هـ .

الشرق : = (أهل الشرق) : ٥٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .

أهل الشرك : ١١٩ .

الشيعة (فرقة) : ٢٦ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٦ هـ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٧٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٣٩٦ ، ٥٠٤ .

(ص)

الصحابة : ١١٩ ، ٣٢٤ ، ٤٠٩ ، ٣٦٢ .

(ض)

بنوضبة : ١٣٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٥٠٨ .

(ط)

الطاهريون (أمراء من الفرس) : ٥٥ ، ١٠٠ ، ٣٢٨ (وانظر الإمارة الطاهرية) .

(ع)

بنو عامر (قبيلة) : ٢٤٢ .
العباسيون : ١٧ .
بنو العباس : ١٥ ، ١٦ .
العجم : ٤٣ ، ٢٣٩ .
أهل العدل (فرقة) : ٧٧ .
العدنانية : ٣٩ ، ٤٠ .
العراقيون : ١٢٠ .
العرب : ١٦ ، ١٨ ، ٣٧ ، ٤٠ هـ ، ٤٦ هـ ٦٠ ، ٨٢ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٧٧ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ . ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،
٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،
٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ،
٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ،
٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٢٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ،
٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ،
٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،
٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٤٩٤ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ،

عرب البادية : ٤٦٢ ، ٥١٢ .

أهل العربية : ٣٦٦ .

بنو عقيل ٤٧٤ ، ٤٩٦ هـ .

العلويون ١٦ .

(غ)

الغرب ٥٠٣ ، ٥١٠ .

(ف)

الفرس ١٦ ، ١٧ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ١٢٧ .

الفقه ٥١٥ ، ٥١٦ .

الفلاسفة ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ .

(ق)

القحطانية ٣٩ .

القدرية (فرقة) ٧٤ ، ٧٥ هـ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٩٥ ، ٣٧٢ .

القراء ١٢٤ هـ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٦٠ .

القرويون ٣٥٣ .

قريش ٣١٠ ، ٣٦٢ .

قضاعة (قبيلة) ٣٠٠ .

قيس (قبيلة) ٤١١ ، ٥٢١ .

(ك)

كلب (قبيلة) ٢٣٠ .

الكهان ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

الكوفيون ١١٣ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ هـ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٦٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥١٨ .

(ل)

اللغويون ٥١ هـ ، ١٩٥ ، ٢٦٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧ .

(م)

المؤرخون ١٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤ ، ٤٤١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ .

المؤمنون ٥٠٤ ، ٥١٨ .

المتبصرون (من يقلدون المذهب البصرى) ٣٦٤ .

المتصوفة (فرقة) ٩٣ ، ٩٥ .

المتكلمون (فرقة) ٦٤ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ٣٤٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ .

المجوس ٣٧ ، ١١٨ .

المدارس النحوية ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٥١٠ .

المدرسة البصرية ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ .

المدرسة البغدادية ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٧٩ هـ ، ٥٠٠ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ .

مدرسة القياس ٣٦٢

المدرسة الكوفية ١٦٣ هـ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٤٥٥ ، ٥٠٢ ، ٥١١ ، ٥١٨ .

المذاهب الأربعة (فى الفقه) ٥١٥ .

مذهب الأحناف ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ .

المذهب البصرى ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ :
٤٠١ ، ٤٣٢ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧ ، ٤٦٢ .
المذهب البغدادى ٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧ ، ٥٠٤ ، ٥١٠ .
مذهب العراقيين ١٢٠ .
المذهب الكوفى ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٦٢ .
المستشرقون ٣١٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٥٤ .
لمسلمون ٥٠٤ .
المشرق (أهل الشرق) ٥١٥ ، ٥١٦ .
المصريون ٣٥٣ .
مضر (قبيلة) ٢٨٤ ، ٣١٠ .
المعتزلة = أهل الاعتزال ٣٤ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ :
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ،
١٠٩ ، ١٢١ ، ١٣٠ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ٣٠١ ، ٣١٠ ،
٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ :
٣٧٢ ، ٣٩٦ ، ٤٥٧ هـ ، ٤٦٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥١٣ .
المفسرون ٢٨٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٤٩١ .
المناطقة ٣٦٠ .
أهل المنطق ٣٦١ .
المنطقيون ٣٥٨ .
منقر (قبيلة) ٣٦ .
بنو منقر ١٩ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .
الموحدون (طائفة) ٥١٥ .

(ن)

أهل نجد ٢٤٦ .

النحاة ٥٠ هـ ، ٥١ هـ ، ١٦٢ ، ٢٤١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٥١٤ ، ٥١٥ .

النحويون ٥٣ هـ ، ١٦٣ ، ١٩٥ ، ٢٢١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٩٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، ٤٦٨ ، ٥٠٢ .

النصارى ١١٨ .

نظامية (فرقة) ٧٠ .

(هـ)

الهذلية (فرقة) ٧٠ .

هذيل (قبيلة) ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٣٠٠ ، ٤١١ ، ٥٢١ .

(و)

وائل (قبيلة) ٢٨٤

(ى)

بنو يربوع (قبيلة) ١٧٥ ، ٣٨٨ .

اليمن ٣١٠ .

اليهود ١١٨ .

الأماكن والبلدان

(الهمزة)

الأدمى (موضع) ٢٢١ ، ٣٨٢ .

استامبول ٥١ هـ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٧٣ ، ٥٠٨ هـ ؛

أصفهان ٣٨ .

الإقليم الجنوبى ٢٣٦ ؛

الإقليم الشمالى ٢٣٦ ، ٢٤٩ ؛

الأهواز ٦٨ هـ ؛

(ب)

باحمشا ١٢٧ .

برلين ٢٧٣ ؛

بروسه ٢٥٠ ، ٢٥١ .

البصرة ٣٠ هـ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٧١ ، ٢٩٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ . ٣٦١ ، ٣٦٦،٣٦٧،٣٧٢ ، ٣٩٥،٣٩٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٦٠ ، ٥١٦

بغداد ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ هـ ، ٥٧ هـ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٠٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٦ هـ .

البوادى ١٢٨ .
بيروت ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(ت)

تركيا ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٥٠ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

(ج)

جبل (بلدة) ١٣٢ .
جزيرة العرب ٤٠ هـ .
الجزيرة العربية ٤١٢ :
جلولاء ٤٥ :

(ح)

الحجاز ٣٩ ، ١٧٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ .
حضرموت ٤٠ .
حلب ٢٠٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ :
الحلة ٣٩ .

(خ)

خوزستان ٦٨ هـ :

(د)

درب النحاسين ٢١٣ .
دمشق ٧٢ هـ ، ٢٤٩ .
دورق ٦٨ :
الديلم (إقليم) ١٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٩٨ ، ٥٠٥ .

(ر)

الرقة ١٢٨ .

رنبويه (قرية من أعمال الرى) ١٣١ ؛

روسيا ٢١١ .

الرى ٤٤ ، ١٣١ ؛

(ز)

زنجبار ٤٤ هـ .

(س)

سانتبطر سبورج ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛

(ش)

الشام ٥٤ ، ١٧١ ، ٢٣٨ ، ٢٩٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣

الشرق ٤٣١ ، ٥٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .

شعبى ٢٢١ ، ٣٨٢ ؛

(ع)

العراق ١٨ ، ٣٩ ، ٩٨ ، ١١٩ ، ١٢ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٥٠ .

عرفة ٢٢٤ .

(ف)

فارس ٤٤ ، ٩٨ ، ١٢١ ؛

فخ ٢٨ ، ٤٢ .

فيجى (جزيرة) ٤٠٥ .

فيروز باد (بلد) ٣٨٢ .

(ق)

القادسية ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ .

قزوين ٤٤ .

القسطنطينية ٢٠٥ .

قم ٩٨ .

(ك)

كنعان ١٣٥ .

الكوفة ٣٠ هـ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٧٠ ، ٢٩٣ ، ٣٢١ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ هـ ، ٤٣٣ ، ٥١٦ .

(م)

المحيط الهادى ٤٠٥ ه

المدائن ٤٥ .

المدينة ٥٣ ، ٨٧ ، ١٣٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٩١ ، ٤٤٤ .

مدينة السلام ١٥٥ :

المسجد الجامع (مسجد خندق عبوية) ٢٧٨ :

المشرق (بلاد الشرق) ٤٣٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .

مصر ١٣٥ ، ٢١١ ، ٢٥١ .

المغرب ٤٣٣ ، ٥١٦ .

مكة ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٦٠٥ ه

منى ٣١٧ .

(ن)

نجد ١٧٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ .

النجف ٧٢ هـ .

النعمانية ١٣٢ هـ .

(و)

وادى ابن راشد ٤٠ .

واسط ١٣٢ هـ .

(ى)

اليمن ٢٤٢ ، ٣١٠ .

الأيام والمواقع

حرب البابكية ١٦ .

غزوة بنى سعد بن زيد مناة ٢٧٠

موقعة فخ ٢٨ ، ٤٢ .

موقعة القادسية ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ .

يوم أرمام ٢٧٠

يوم الظهر ٢٧٠

يوم الغول ٢٧٠ .

يوم الكوفة ٢٧٠ .

يوم منابض ٢٧٠ .

الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	اسم السورة	رقم السورة
٢٨٠ ، ٤٥١	« الحمد لله رب العالمين »	٢	الفاتحة	١
٢٨٢	« مالك يوم الدين »	٤	»	١
٢٨١ ، ٢٩٩	« صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »	٧	»	١
٣٢٢	« كل له قانتون »	١٦	البقرة	٢
٣٢٩ ، ٤٦٤	« صم بكم عمى »	١٧١ ، ١٨	»	٢
٢٦٢	« والسماء بناء »	٢٢	»	٢
٨١ ، ٨٢	« ثم استوى إلى السماء فسواهن »	٢٩	»	٢
٤٨٨	« فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلاخوف عليهم »	٣٨	»	٢

٣١١	« ولاتكونوا أول كافر به »	٤١	«	٢
٤٧١	« وفومها وعدسها وبصلها »	٦١	«	٢
٣٣١	« فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين »	٩١	«	٢
١١٩	« يود أحدهم لو يعمر ألف سنة »	٩٦	«	٢
٣٤٥	« ولكن الشياطين كفروا »	١٠٢	«	٢
٣٣٤	« ولقد علموا لمن اشتراه »	١٠٢	«	٢
٣٢٨	« أم تريدون أن تسألوا رسولكم »	١٠٨	«	٢
٤١٥ هـ	« يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم »	١٠٩	«	٢
٤٤٥	« واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئاً »	١٢٣	«	٢
٣٤٣	« ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى »	١٣٢	«	٢
٤٩٣	« لا نفرق بين أحد منهم »	١٣٦	«	٢
٣٢٩ ، ٤٦٤	« ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق »	١٧١	«	٢
٤٧٣	« سل بنى إسرائيل . . . . »	٢١١	«	٢
٣٨٣ ، ٤٨٧	« زين للذين كفروا الحياة الدنيا »	٢١٢	«	٢

(تابع) الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	اسم السورة	رقمها
٣٩ ، ٤١٤	« فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق »	٢١٣	البقرة	٢
٤٣٨هـ، ٤٤١هـ	« منذ الذى يقرض الله قرضاً حسناً »	٢٤٥	»	٢
٢٩٣	« وزاده بسطة فى العلم والجسم »	٢٤٧	»	٢
٢٨٣	« فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى »	٢٧٥	»	٢
٣١٦	« ألم الله لا إله إلا هو. »	٢٠١	آل عمران	٣
٤٨٩	« تؤتى الملك من تشاء »	٢٦	»	٣
٤٩٣	« لانفرق بين أحد منهم »	٨٤	»	٣
٣٨٤	« واتقو الله الذى تساءلون به والأرحام »	١	النساء	٤
٤٤٩	« فان طبن لكم عن شىء منه نفساً »	٤	»	٤
٢٩٧	« يريد الله ليبين لكم »	٢٦	»	٤

٣٢٧	« وما ملكت أيمانكم »	٣٦	«	٤
٤٩٠	« ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً » .	١١٢	«	٤
٣٨٧	« نوله ما تولى ونصله جهنم »	١١٥	«	٤
٤٩٠	« إن يكن غنياً أوفقيراً فالله أولى بهما »	١٣٥	«	٤
٣١٨	« لايحب الله الجهر بالسوء »	١٤٨	«	٤
٤٣١	« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »	٣٨	المائدة	٥
٣٧٨	« فعموا وصموا كثير منهم »	٧١	«	٥
٤٢١	« لبئس ما قدمت لهم أنفسهم »	٨٠	«	٥
٤٨٨	« فان استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلما فى السماءفأتيهم بآية»	٣٥	الأنعام	٦
٢٨٤	« وكذب به قومك وهو الحق »	٦٦	«	٦
٢٩٧	« وأمرنا لنسلم لرب العالمين »	٧١	«	٦
٢٨٣	« قد جاءكم بصائر من ربكم »	١٠٤	«	٦
٧٩	« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » .	١٢٥	«	٦

(تابع) الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
٣٨٩ ، ٣٩٠	« وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »	١٣٧	الأنعام	٦
٤٦٥	« ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك »	١٢	الأعراف	٧
٢٩٣	« وزادكم فى الخلق بصطة »	٦٩	»	٧
٣٠٨	« قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون	١٢١،١٢٢	»	٧
٤٤٤	« وأملى لهم إن كيدى متين »	١٨٣	»	٧
٣٣٠	« أيان مرساها »	١٨٧	»	٧
٣٤٥	« ولكن الله رمى »	١٧	الأنفال	٨
٤٤١	« إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا »	٣٢	»	٨
٣٧٧ ، ٤٣٥	« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره »	٦	التوبة	٩
٣٠٩	« إنما المشركون نجس »	٢٨	»	٩

٣١٢	« يضاهئون قول الذين كفروا »	٣٠	«	٩
٩٠ ، ٩١	« قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا »	٥١	«	٩
١٠٦	« الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات »	٧٩	«	٩
٣٤٥	« وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه »	٣٧	يونس	١٠
٤٥٠	« قل فأتوا بسورة مثله »	٣٨	«	١٠
٣٤٥	« ولكن الناس أنفسهم يظلمون »	٤٤	يونس	١٠
٢٩٣	« فسئل الذين يقرءون الكتاب »	٩٤	«	١٠
٩١	« قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها »	١٠٨	«	١٠
٤١٩ ، ٤٧٠	« أنلزمكموها . وأنتم لها كارهون »	٢٨	هود	١١
٢٨٣	« وأخذ الذين ظلموا الصيحة »	٦٧	«	١١
٣١٨ ، ٣٨٣	« يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »	٤	يوسف	١٢

(تابع) الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
٢٩٣	« وسئل القرية التى كنا فيها »	٨٢	يوسف	١٢
٤٨٧	« ولدار الآخرة خير »	١٠٩	«	١٢
٣٤٥	« ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه »	١١١	«	١٢
٧٧	« ويؤخركم إلى أجل مسمى »	١٠	إبراهيم	١٤
٢٨٩	« وما لنا ألا نتوكل على الله »	١٢	«	١٤
٣٤٢	« من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد »	١٦	«	١٤
٣٨٧ ، ٣٨٨	« وما أنتم بمصرخىّ »	٢٢	«	١٤
٧٩ ، ٨٠	« ويضل الله الظالمين »	٢٧	«	١٤
٢٥٥	« لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء »	٤٣	«	١٤
٣٨٩	« ... مخلف وعده رسله »	٤٧	«	١٤

٣٢٥	« يوم تبدل الأرض غير الأرض »	٤٨	«	١٤
٧٩	« فإن الله لايهدى من يضل »	٣٧	النحل	١٦
٢٨٦ ، ٤٩٣ هـ	« وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه »	٦٦	«	١٦
٤٦٦	« وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أوهو أقرب »	٧٧	«	١٦
٤٨٨	« وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر»	٨١	«	١٦
٣٢٣	« ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً »	٧٩	الإسراء	١٧
٣٤٢	« وكان وراءهم ملك »	٧٩	الكهف	١٨
٤٨٩	« فله جزاء الحسنى »	٨٨	«	١٨
٢٨٥	« أن سبحوا بكرة وعشياً »	١١	مريم	١٩
٨٥	« إن هذان لساحران »	٦٣	طه	٢٠
٣٠٨	« قالوا آمنا برب هارون وموسى»	٧٠	«	٢٠
٢٩٤	« فاضرب لهم طريقاً فى البحر... »	٧٧	«	٢٠
٤٦٩	« لايحزنهم الفزع الأكبر»	١٠٣	الأنبياء	٢١
٣٠٧	« إن الله بالناس لرءوف رحيم »	٦ د	الحج	٢٢

(تابع) الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
٣٤٦	« إما ترينى ما يوعدون »	٩٣	المؤمنون	٢٣
٤٤٤	« ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب »	٦٩،٦٨	الفرقان	٢٥
٣٠٣	« فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين »	٧٩،٧٨	الشعراء	٢٦
٢٨٤	« كذبت قوم نوح »	١٠٥	»	٢٦
٢٨٤	« كذبت قوم لوط »	١٦٠	»	٢٦
٣٢٠	« وما تنزلت به الشياطون » « قراءة الحسن البصرى »	٢١٠	»	٢٦
٣٨٧ ، ٣٨٨	« وما تنزلت به الشياطين »	٢١٠	»	٢٦
٣١٩ ، ٣٨٣	« يأيها النمل ادخلو مساكنكم »	١٨	النمل	٢٧
٨٠	« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »	٢٧	الروم	٣٠
٣٤٣	« ولوترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا »	١٢	السجدة	٣٢

٢٤٦	« أمسك عليك زوجك » .	٣٧	الأحزاب	٣٣
٣٤٥	« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله »	٤٠	«	٣٣
٣٠٣	« لايقضى عليهم فيموتوا »	٣٦	فاطر	٣٥
٢٩٤	« واضرب لهم مثلا أصحاب القرية »	١٣	يس	٣٦
٣١٢	« كأنه رءوس الشياطين »	٦٥	الصافات	٣٧
٤٦٥	« وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون »	١٤٧	«	٣٧
٤١٥ هـ	« والسموات مطويات بيمينه »	٦٧	الزمر	٣٩
٣١٨ ، ٣٨٣	« وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا »	٢١	فصلت	٤١
٤٨٤ ، ٤٨٦	« ليس كمثله شيء »	١١	الشورى	٤٢
٤٢٣	« إلى صراط مستقيم صراط الله »	٥٢،٥٣	«	٤٢
٢٨١	« وإنه فى أم الكتاب... »	٤	الزخرف	٤٣
٢٨٩ ، ٣١٦	« قل للذين آمنوا يغفروا »	١٤	الجاثية	٤٥
٤٩١	« ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد »	٣٤	ق	٥٠
٤١٥ هـ	« يوم هم على النار يفتنون »	١٣	الذاريات	٥١

(تابع) الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
٤٨٤ ، ٤٨٦	« إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »	٢٣	الذاريات	٥١
٧٨	« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »	٥٦	»	٥١
٨٠	« ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون »	٥٧	»	٥١
٢٩١	« والنجم إذا هوى »	١	النجم	٥٣
٤٦٦	« فكان قاب قوسين أو أدنى »	٩	»	٥٣
٨٧	« عندها جنة المأوى»	١٥	»	٥٣
٤٩٣	« وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً »	٢٦	»	٥٣
٣٠٤	« يوم يدعو الداع إلى شىء نكر»	٦	القمر	٥٤
٣٨٠	« خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث »	٧	»	٥٤
٤٦١وهامشها٤٧١	« وقالوا مجنون وازدجر»	٩	»	٥٤

٤٦١	« فهل من مدكر »	١٥	«	٥٤
٤٠٦	« كأنهم أعجاز نخل منقعر »	٢٠	«	٥٤
٤١٥ هـ	« ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر »	٣٨	«	٥٤
٣٠٤ ، ٤٩٢ هـ	« سيهزم الجمع ويولون الدبر »	٤٥	«	٥٤
٣٨٢ ، ٤١٣ هـ	« ذوقوا مس سقر »	٤٨	«	٥٤
٤٩٣ هـ	« إن المتقين فى جنات ونهر »	٥٤	«	٥٤
٣٠٤	« الشمس والقمر بحسبان »	٥	الرحمن	٥٥
٤٩١	« يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان »	٢٢	«	٥٥
٣٠٥	« كل يوم هو فى شأن »	٢٩	«	٥٥
٤٩١	« ولمن خاف مقام ربه جنتان »	٤٦	«	٥٥
٢٩١ هـ ، ٢٩٧ هـ	« متكئين على رفرف خضر »	٧٦	«	٥٥
٣٨٧	« متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان » فى قراءة	٧٦	«	٥٥
٤٤٣ وهامشها	« والسابقون السابقون أولئك المقربون »	١٠ ، ١١	الواقعة	٥٦
٢٨٥	« يطوف عليهم ولدان مخلدون »	١٧	«	٥٦

الصفحة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
٣٧٧	« إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين »	٣٥ ، ٣٨	الواقعة	٥٦
٢٩٣ هـ	« فلا أقسم بمواقع النجوم »	٧٥	»	٥٦
٤٨٨	« فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين : »	٨٣—٨٧	»	٥٦
٤٨٩	« إن هذا لهو حق اليقين »	٩٥	»	٥٦
٧٨	« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب »	٢٢	الحديد	٥٧
٨٦	« يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار »	٢	الحشر	٥٩
٢٩٧	« يريدون ليطفئوا »	٨	الصف	٦١
٤٩٠	« وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها »	١١	الجمعة	٦٢

٢٩٤	« فأصدق وأكن من الصالحين »	١٠	المنافقون	٦٣
٣٠٤	« فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكرا »	٨	الطلاق	٦٥
٥٩	« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »	١٥	الملك	٦٧
٤٠٦	« كأنهم أعجاز نخل خاويه »	٧	الحاقة	٦٩
٢٩١	« ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه »	٣٢	»	٦٩
٤٩٣	« فما منكم من أحد عنه حاجزين »	٤٧	»	٦٩
٣٤٣	« إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك »	١	نوح	٧١
٢٨٥	« السماء منفطر به »	١٨	المزمل	٧٣
٣٢٦	« وثيابك فطهر »	٤	المدثر	٧٤
٤٥٤	« أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه »	٣	القيامة	٧٥
٢٨٤	« وجمع الشمس والقمر »	٩	»	٧٥
٢٩٢	« تظن أن يفعل بها فاقرة »	٢٥	»	٧٥
٢٩١ هـ	« . . . تسمى سلسبيلا »	١٨	الإنسان	٧٦

(تابع) الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
٤٤٢	« ولاتطع منهم آثماً أو كفوراً »	٢٤	الإنسان	٧٦
٤٦٠ ، ٤٧٠	« وإذا الرسل أقتت »	١١	المرسلات	٧٧
٣٠٤	« إنها ترمى بشرر كالقصر »	٣٢	»	٧٧
٣٠٣	« ولايؤذن لهم فيعتذرون »	٣٦	»	٧٧
٣٠٤	« جزاء من ربك عطاء حسابا »	٣٦	النبأ	٧٨
٣٠٦	« أئذا كنا عظاماً نخرة »	١١	النازعات	٧٩
٣٣٠	« أيان مرساها »	١٨٧	الأعراف	٧
	« »	٤٢	النازعات	٧٩
٤٦٠، ٤٧١	« وإذا السماء كشطت » و « قشطت » فى قراءة أخرى » .	١١	التكوير	٨١
٢٩٩	« وما هو على الغيب بضنين » (بالضاد والظاء)	٢٤	»	٨١

١٢٣	« فلا أقسم بالشفق »	١٦	الانشقاق	٨٤
٣٢٥	« والليل وما وسق »	١٧	»	٨٤
٣٠٣	« والله أعلم بما يوعون »	٢٣	»	٨٤
٣٠٠	« إن كل نفس لما عليها حافظ » (بتشديد لما وتخفيفها)	٤	الطارق	٨٦
٣٠٤	« خلق من ماء دافق »	٦	»	٨٦
٢٩٩	« والليل إذا يسر »	٤	الفجر	٨٩
١٠	« وهديناه النجدين »	١٠	البلد	٩٠
٤٨٢	« والنهار إذا جلاها »	٣	الشمس	٩١
٤٩١	« إذ انبعث أشقاها »	١٢	»	٩١
٤٨٢ ، ٤٨٣	« وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى »	١٩	الليل	٩٢
٣٠٦	« ألم يجدك يتيماً فآوى »	٦	الضحى	٩٣
٣٠٦	« ووجدك عائلا فأغنى »	٨	»	٩٣
٤٧١	« فأما اليتيم فلاتقهر »	٩	»	٩٣

(تابع) الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
٤٤٣	« لنسفعاً بالناصية »	١٥	العلق	٩٦
٢٩٧	« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين » و « إلا أن يعبدوا » فى قراءة عبد الله .	٥	البينة	٩٨
٤٨٩	« وذلك دين القيمه »	٥	«	٩٨
٣٠٥	« إذا زلزلت الأرض زلزالها »	١	الزلزلة	٩٩
٤٦٥	« أرأيت الذى يكذب بالدين »	١	الماعون	١٠٧
٣٠٣	« لكم دينكم ولى دين »	٦	الكافرون	١٠٩

الأحاديث والآثار

الحديث	صفحة
« إذا ذكر القدر فأمسكوا »...	٩١
« اذكروا محاسن موتاكم »	٦٦
« ارجعن مأزورات غير مأجورات »	٣٠٩
قال صلى الله عليه وسلم يعوِّذ الحسن والحسين رضى الله عنهما : « أعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة »	٣٠٩
« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »	٥٢٢ هـ
فى حديث عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزّى ليقطعها قال : فعل وهو يقول :	
ياعز كفرانك لاسبحانك إنى رأيت الله قد أهانك	٨٧
« خلقت المرأة من ضلع عوجاء »	٢٤١
روى عن عطاء قال : « سمعت ابن عباس إذاسئل عن عربية القرآن أنشد الشعر ، فقيل له مازنيم ؟ فقال :	
زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع	٣٢٦

الحديث	صفحة
روى عن عكرمة حين سئل عن تفسير « وثيابك فطهر » أنه قال « على غير غدرة وغير فجرة »	٣٢٦
« القدرية مجوس هذه الأمة »	٧٧ هـ
« ليس فى أقل من خمس ذود صدقة »	٢٤١
عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات بعدد علمهن إياه جبريل عليه السلام »	٣٢٤
« المؤمن يأكل فى معاً واحدة »	٢٤١
روى عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم فقال : « هو ولد الزنى وتمثل ببيت شعر : زنيم ليس يعرف من أبوه بغى الأم ذو حسب لئيم	٣٢٦
سئل ابن عباس عن « الليل وما وسق » فقال : « وما جمع »	٣٢٥

الأشعار والأراجيز

اسم الشاعر أو الراجز	الشعر أو الرجز	البحر	صفحة
	قافية الهمزة		
—	لددتهم النصيحة كل لد فمجّوا النصح ثم ثنوا فقاءوا	الوافر	٤٧٤
	فلا والله لا يلفى لما بى ولا لِلما بهم أبداً دواء	»	
—	سيغنينى الذى أغناك عنى فلا فقر يدوم ولا غناء	الوافر	٢٦٣
ابن الجهم	نحوه أحسن النحوِّ فما فيـــــه معيب ولا به إزراء	المديد	١٤٢ ، ١٤٣
	ليس من صنعة الضعائف لكن فيه فقه وحكمة وضياء	»	
	وبيان تصغى القلوب إليه تجتبيه الملوك والحكماء	»	
	حجة تُوضح الصواب وما قا ل سواه فباطل وخَطَاء	»	

		ليس من قال بالصواب كمن قا ل بجهل والجهل داء عياء	»	
		وكأنى أراه يملى علينـــا وله واجب علينا الدعاء	»	
		« كيف نومى على الفراش ولما تشملِ الشام غارة شعواء »	»	
	—	« تذهل المرء عن بنيه وتبدى عن بَراها العقيلة العذراء »	»	
		قد علمت أم أبى العلاء وعُلِّمت ذاك مع الجراء	الرجز	
		أن نعم مأكولا على الخواء	»	٢٦٣
		(ب)		
	—	أبا عرو لاتبعد فكل ابن حرة ستدعوه داعى موتة فيجيب	الطويل	٢٤٥
		وزعت بِكا لهْراوةِ أعوجى إذا ونت الركاب جرى وثابا	الوافر	٤٨٦
	—	أعبدا حل فى شُعبى غريبا ألؤما لاأبالك واغترابا	الوافر	٢٢١ ، ٣٨٢
	—	أثعلبة انفوارس أو رياحا عدلت بهم طهية والخشابا	»	٤٦٦
٣٣٩	الأعشى	إلى رجل منهم أسيف كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا	الطويل	٢٨٤

(تابع) الأشعار والأراجيز

اسم الشاعر أو الراجز	الشعر أو الرجز	البحر	صفحة
ينسب للفراء	يا أميراً على جريب من الأر ض له تسعة من الحجاب	الخفيف	١١٥
	جالساً فى الخراب يحجب فيه ما سمعنا بحاجب فى خراب	»	
	لن ترانى لك العيون بباب ليس مثلى يطيق رد الجواب	»	
—	فلو رفع السماء إليه قوماً لحقنا بالسماء مع السحاب	الوافر	٢٨٥
امرؤالقيس	خليلى مرا بى على أم جندب نُقَضِّ لبانات الفواد المعذب	الطويل	٤٩٢
امرؤ القيس	ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب	الطويل	٤٩٢
	(ج)		
—	شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج	الطويل	٢٥٧ ، ٦٢٢

	(ح)		
—	وما أدرى وظنى كل ظن أمسلمنى إلى قوم شراح	الوافر	٣٨٦
—	ألا إن جيرانى العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومنازح	الطويل	٢٨٦
—	إن السماحة والشجاعة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح	الكامل	٢٨٥
—	فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع أصوله واجذَّ شيحا	الوافر	٤٩٢
	(د)		
—	إذا رأيت أنجما من الأسد جبهته أو الخرات والكَتَد	الرجز	٢٨٦
	بال سهيل فى الفضيخ ففسد وطاب ألبان اللقاح فبرد	»	
—	هنيئاً لسعد ما اقتضى بعد وقعتى بناقة سعد والعشية بارد	الطويل	٢٨٥
—	وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيَّتْ جوابا وما بالربع من أحد	البسيط	٢٩٦
	إلا الأوارىّ لأيا ما أبيِّنها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد	»	

(تابع) الأشعار والأراجيز

اسم الشاعر أو الراجز	الشعر أو الرجز	البحر	صفحة
طرفة	سقتــه إياه الشمس إلا لثــاته اسف ولم تكدم عليه بإثمــد	الطويل	٢٥٦
زهير	أضاعت فلم تغفــر لها غفلاتهــا فــلاقت بياناً عنــد آخر معهد	الطويل	٦٥
—	ألم يأتيــك والأنبــاء تنمى بمــا لاقت لبــون بنى زياد	الوافر	٣٨٤
	(ر)		
—	كم تــرى من شــانئ يحسدنى قــد وراه الغيظ فى صدر وغر	الرمل	٣٩٧ هـ
—	إن تــرى شيباً فإنى مــاجــد ذو بــلاء حسن غير غمــر	»	٤٩٦ هـ
—	يا أبــا الأســود لمْ أسلمتــنى لهمــوم طــارقات وذِكَر	»	٣٤٦ ، ٤٧٨

—	وعينـــان قال الله كونا فكانتـــا فعولان بالألباب ما يفعل الخمر	الطويل	٢٤٤
—	فلما بدا حورانُ والآل دونـــه نظرت فلم تنظر بعينك منظرا	الطويل	٢٤٧
—	ألا هـــلك الشهـــاب المستنـــير ومِـــدْرَهُنا الكمى إذا تغـــير	الوافر	٢٨٥
	وحمّال المئـــين إذا ألمت بنـــا الحدثـــان والأنِف النصور	»	
—	فتـــذكرا ثقلا رثيـــداً بعدمـــا ألقت ذكاء يمينهـــا فى كافر	الكامل	٢٢٧
ليلى الأخيلية	فإن تكن القتـــلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم يا لعوف بن عامر	الطويل	٢٥٨
—	فإن كلابا هـــذه عشر أبطـــن وأنت برىء من قبائلها العشر	الطويل	٢٨٤
زهير	ولأنت تفـــرى ما خلقت وبعـــ ـــض القوم يخـــلق ثم لا يفرى	الكامل	٣١
القتال الكلابى	يا قـــاتل الله صُلعانا تجىء بهم أُمُّ الهُنَيْـــبِر من زند لها وارى	البسيط	٦٨
—	ليس تَخْـــفَى يسارتى قَـــدْرَ يـــوم ولقـــد تُخِف شيمتى إعسارى	الخفيف	٢٩٩

(تابع) الأشعار والأراجيز

اسم الشاعر أو الراجز	الشعر أو الرجز	البحر	صفحة
	(س)		
—	أسأت إذ أحسنت ظنى بكم والحزم سوء الظن بالناس	السريع	١٤٦
	يقلقنى الشوق فآتيكم والقلب مملوء من الياس	»	
	(ع)		
—	إنما النحو قياس يتبع وبه فى كل علم ينتفع	الرمل	٣٦١
—	فإن تزجرانى يا بن عفان أنزجر وإن تدعانى أحم عرضا ممنعا	الطويل	٤٩٢
	زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع	الطويل	٣٢٦
—	وإنى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع	الطويل	٣٢٦

—	من النفـــر اللائى الذين إذا هم ... تهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا	الطويل	٤٨٦
—	من النفـــر اللائى الذين إذا هم ... تهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا	»	٤٨٤

(ف)

—	وما الناس بالناس الذين عهـــدتهم ... وما الدار بالدار التى كنت أعرف	الطويل	٣٢٥
—	قـــد تكسب المـــال الهدانُ الجافى ... بغـــير لا عصف ولا اصطراف	الرجز	٤٨٤

(ق)

—	فلـــئن قـــوم أصـــابوا غـــرة ... وأصبنـــا من زمان رقفا	الرمل	٤٧٤
	للقـــد كانوا لـــدى أزماننـــا ... لصنيعـــين لبـــأس وتـــقى	»	
—	إن لنـــا قـــلائصا حقـــائقـــا ... مستوسقـــات لو يجدن سائقـــا	الرجز	٣٢٥
—	وذات حليل أنكحتهـــا رماحنـــا ... حلالا لمن يبـــنى بها لم تطلق	الطويل	٣٢٦

(تابع) الأشعار والأراجيز

اسم الشاعر أو الراجز	الشعر أو الرجز	البحر	صفحة
	(ك)		
	يا عز كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك	الرجز	٨٧
	(ل)		
الاخطل	قطعت إذا الحرباء أوفى كأنه نصل يمان أو أسير مكبل	الطويل	٢٥٩
—	لقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل فى ذى المطارة عاقل	الطويل	٤٨٢
—	وناع يخبرنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الأنامل	الطويل	٤٧٠
—	كما ما امرؤ فى معشر غير رهطه ضعيف الكلام شخصه متضائل	الطويل	٤٧٤ ، ٤٨٥

—	ما إن رأينا مثلهن لمعشر ... سود الرءوس فوالج وفيول	الكامل	٤٨٤
—	فهى أحوى من الربعى خاذلة ... والعين بالإثمد الحارىّ مكحول	البسيط	٢٨٤
أبو ذؤيب	لعمرى لأنت البيتُ أكرمُ أهله ... وأَقْعَدُ فى أفيائه بالأصائل	الطويل	٢٧٤

(م)

—	كفاك كف ما تليقُ درهمـا ... جودا وأخرى تعط بالسيف الدما	الرجز	٢٩٩
—	هم القائلون الخير والفاعلونه ... إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما	الطويل	٣٨٦
—	على حالة لو أن فى القوم حاتما ... على جوده لضن بالماء حاتم	الطويل	٢٤٦
—	لاتنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم	الكامل	٤٢٩
—	كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم	الكامل	٣٢٩ ، ٤٦٤
عنترة	فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سوداً كخافية الغراب الأسحم	الكامل	٢٨٧

(تابع) الأشعار والأراجيز

اسم الشاعر أو الراجز	الشعر أو الرجز	البحر	صفحة
	(ن)		
—	نحمى حقيقتنا وبعـ ـض القوم يسقط بين بينا	مجزوء الكامل	٤٨٥
—	هلا سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا أين أينا	» »	٤٨٥
—	يسعى بكبداء ولهـ ـذمين قد جعل الأرطاة جنتين	الرجز	٤٩١
—	ومهمهين قَذَفَيْنِ مرتين قطعته بالأَمِّ لا بالسَّمْتَيْنِ		٤٩١
—	وما أدرى إذا يممت وجها أريد الخير أيهما يليني	الوافر	٤٨٨

الراجز	إن سراجا لكريما معجره تحلا به[1] العين إذا ما تجهره	الرجز	٤٨٣
الفرزدق	ولكن رأيت السهم أهون فُوقُهُ عليك فقد أودى دم أنت طالبه	الطويل	٤٩٥
—	ولا تذهبن عيناك فى كل شرمخ طوال فان الأقصرين أمازره	الطويل	٢٨٦
—	وقائع فى مضر تسعة وفى وائل كانت العاشرة	المتقارب	٢٨٤
—	بِأَبْيَ امرؤ والشام بينى وبينه أتتنى ببشرى بُرْدُهُ ورسائله	الطويل	٢٠٣
ابن الجهم	ستين حداً قاسها عالما أملّها بالحفظ من شدوه	السريع	١٨١
ابن الجهم	يا طالب النحو التمس علم ما ألفه الفراء فى نحوه	»	٦١
»	فرحمة الله على شيخنا يحيى مع الأبرار فى علوه	»	٦٢

(١) أنظر صفحة ٤٨٣

اسم الشاعر أو الراجز	الشعر أو الرجز	البحر	صفحة
	كافأه الرحمن عنـــا كما أروى الصدى بالسيب من نَوِّهِ	الـريع	٦٢
—	فإن تعهـدى لامرىء لمـة فإن الحوادث أزرى بهـا	المتقارب	٢٨٥
—	فـلا مزنة وَدَقَتْ وَدْقَهـا ولا أرض أبقـل إبقالهـا	»	٢٨٤
مروان ابن أبي حفصة	طرقتك زائرة فحى خيالهـا بيضاء تخلط بالجمال دلالهـا	الكامل	١٣٤ هـ
—	لهنـك من عبسية لوَسِيمـة على هنوات كاذب من يقولهـا	الطويل	٣٤٥
—	وإن الذى يمشى يحرش زوجتى كماشٍ إلى أسد الشرى يستثيرها	الطويل	٢٤٦

	(ى)		
—	لئن كان ما حُدِّثْتُـــه اليوم صادقا أَصُمْ فى نهار القيظ للشمس باديا	الطويل	٤٧٤
	وأركبْ حماراً بين سرج وفروة وأعْرِ من الخاتام صغرى شماليـــا	الطويل	
ابن أحمر	قرى عنكما شهرين أو نصف ثالث إلى ذاكما قد غيبتنى غيابيـــا	الطويل	٤٦٦
—	قـــد لفهـــا الليـــل بعصلبى مهـــاجر ليس بأعـــرابى	الرجز	٢٠١ هـ
	أروع خـــراج من الدوى	»	
—	قال لهـــا هـــل لك ياتا فِىَّ قالت لـــه ما أنت بالمرضى	الرجز	٣٨٨
—	وقد زعم النسوان أنى عجوزة مشنجة الأوداج أو شارف خصى	الطويل	٢٤٦

أنصاف الأبيات

القائل	الشعر	البحر	صفحة
—	إذا اعوججن قلت صاحبِ قوِّم	الرجز	٤٧٠
—	ألقت ذكاء يمينها فى كافر	الكامل	٢٢٧
النابغة	إلا أوارىّ ما إن لا أبينها	البسيط	٢٩٦
الأعشى	رحلت سُمَيَّةُ غدوة أجمالها	الكامل	١٣٤ هـ
—	زج القلوص أبى مـــــزادة	مجزوء الكامل	٣٩٠ ، ٣٩٢
النابغة	(عيت جوابا) وما بالربع من أحد	البسيط	٢٩٦
—	فأصاب حبة قلبها وطحالها	الكامل	١٣٤هـ

—	فى بئرِ لاحورٍ سرى وما شعر	الرجز	٣٢٩
—	فيارا كبا إما عرضت فبلغن	الطويل	٣٧٦
امرؤ القيس	قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل	الطويل	٤٩٢
—	كم نعمة كانت لها ، كم كم وكم	الرجز	٤٨٥
—	لابد من صنعا وإن طال السفر	الرجز	٢٦٣
—	لعن الإله تعلة بن مسافر	الكامل	٤١٥هـ
—	ما إن رأيت ولا سمعت به	الكامل	٤٨٦ ، ٤٨٧
—	مثل الفراخ نَتَقَتْ حواصله	الرجز	٢٨٦
طرفة	وثديان لم يكسر طواءهما الحبل	الطويل	٢٥٩
النابغة	وقفت فيها أُصَيْلالًا أسائلها	البسيط	٢٣٥
—	ولكننى من حبها لكميد	الطويل	٣٤٥

حكم وأمثال

صفحة

« أتينا فلاناً فكنا فى لحمة ونبيذة » ٢٣٩

« اترك المطروق ، واطرق المتروك » ٦

« إن الزمان يقيم الصعر » ٥٢٣

« رأيت جراداً على جـــــرادة » ٢٣٨

« رب علم أضاعه عدم المال وجهل غطى عليه النعيم » ٣٧٤

سيغنينى الذى أغناك عنى « فلا فقر يدوم ولا غناء » ٢٦٣

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٨٤
(الموافق ١٩ يوليه سنة ١٩٦٤)

محمد الفاتح عمر
عضو مجلس الإدارة المنتدب

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٩٢٨٧-١٩٦٣-٢٠٠٠